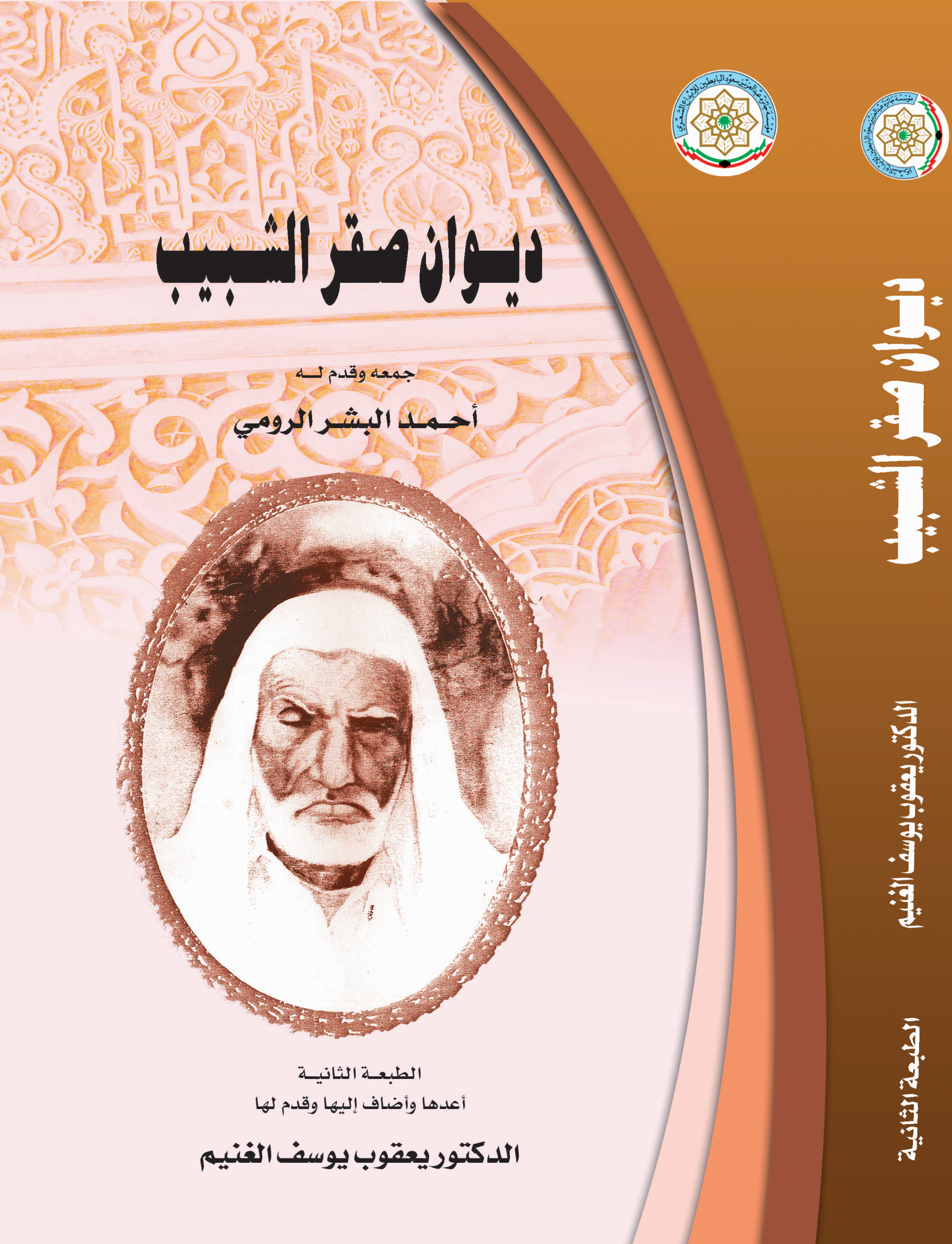


ديوان صقر الشبيب

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الطبعة الثانية

الناشر
مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
الكويت 2008

ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم لـه

أحمد البشر الرومـي

الطبعـة الثانيـة

أعدها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

2008

الصـف والتـنـفيـذ

قسم الكمبيوتر $ الأمانة العامة للمؤسسة

تصميـم الغـلاف

محـمـد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشبيب، صقر.

صقر الشبيب: الديوان/ أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط2. - الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2008

736 ص ؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف. ب. العنوان.

ردمـــــــك: **ISBN : 978 - 99906 -72- 54 -1**

رقم الإيداع : **Depository Number: 2008 / 250**

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

كان صقر الشبيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليد من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخران فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشبيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت البررة الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتمامًا خاصًا لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكريا الأنصاري، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطال الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشبيب من مظانه ومصادره ليكون بكليِّته بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشبيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملائم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزًا لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثمينًا للفترة التي عاشها الشبيب مبدعًا بين ظهرانينا، ولنا أن نقدر فترة عطائه الأشمل، فشاعرنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدثت فيها الحرب الكونية الثانية واكتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمه الله متقوقعًا على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويؤكد ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعته ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطويًا على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهما كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبسًا آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرقّت أحاسيسه وتنوعت، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويئس وأَمِلَ وسَعِد وشقي وآمن، وكره البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجأته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وخرق هدوئهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجابي والغلاء، وتأذى لمشهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عزيزي القارئ

وإذ نثمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي $ جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعناية الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشملان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الديين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثمر في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعًا وبيئة وحياة وتطوراً.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 18 رجب 1429هـ
الموافق 21 يوليو 2008م

****

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبلغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع عليّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتباطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرآة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتتبع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بصقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨م حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصًا على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محبّاً لصقر الشبيب مداومًا على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوبًا في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيرًا في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفًا مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلٌّ من جانبه فيما يتعلق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيرًا عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ و٥٦/ ١٩٧٢ مدني): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لمجهود الجامع لقصائد الديوان وناشره، فإنهما قد أسديا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشرا شعره على الناس وأطلعاهم على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جلّى جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناشر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن نَبَتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تأتّى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعرًا فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويركض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدران الشاعر، ويعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسبًا ماديّاً أم لم يفيدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

أما عن وفاة صقر الشبيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣م، فكتب أحمد البشر ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفني، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظًا أحاول أن أتسلّى بأي شيء غير أني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكري وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضرًا ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك آن آخر لقاء التقيته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقريب، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداهما قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ٥٣/٧/١٠ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع مقابلة

أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدري متى أسلوه وتنصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تُنسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصداقة من حقوق حتى أبسطِها وأدقِّها، ويتفانى في ذلك تفانيًا يقلق راحته ويكدر صفوه.

إذا بدرت منه كلمة واعتقَد أنها ربما فيها إشارة إلى ما يسيء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلقاك فيشرح لك شرحًا طويلاً وافيًا ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم ثالثة ثم رابعة حتى تزهق نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكر في وفاة صقر».

٭٭٭٭٭

حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقدمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء. ولم يترك شيئًا يتعلق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلمي ما سبق أن كتبه الرومي ولكني استحسنت الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلي أن يقدمها، كما أنني أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمدني بها بعض الإخوان.

آمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيناها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،،

د. يعقوب يوسف الغنيم

****

المـــدخـــل

الفـــرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبه:

سألته ذات يومٍ – وكنا نتناول شتى الأحاديث – عن نسبه، وذلك عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتسب إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الربيع ينبت الكلأ في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد.

وكانت حائل قبل خمسين عامًا تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخذ الكويت موطنًا له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٦م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقاربه وجيرانه.

الولد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأختيه، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتّاب الذي كان يُحفِّظه القرآن الكريم، ولم يكن «الملا» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئًا غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيرًا ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغاوون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قرّاء الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرته إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفاديًا لوم والده وتأنيبه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدريس علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتقاضونه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقوفة لهذه الغاية، لكونهم أئمةً في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين ذهابًا وإيابًا في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما اخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معًا، وسافر الإثنان على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شراعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهور الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبدالعزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحبه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبدالعزيز العلجي فقيه، وله إلمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفل راجعًا زاهدًا في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياهها وزراعتها وطقسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأنني في بيئة غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم يختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم تختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذًا لا يصح لي - حسب العادة هناك - ان أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعليَّ أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيرًا ما يقرّر الشيخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضًا عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضًا على الشيخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشيخ ونقمته.

ثم قال: ومما يزهد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكروه، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهدًا من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعقدوا اجتماعًا تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها – وهم فرحون بذلك – إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاء أحد الفقهاء، ممن أودع الله في قلوبهم شيئًا من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نسائه لتخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها اذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الإحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نقموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها والحرب العالمية الأولى على أشدها، وقلت أبياتًا لا أذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يومًا فإنني
لألأم خلق الله طرّاً وأفجَرُ

☆☆☆☆☆

وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريبًا، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظًا في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذه على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوهُ لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إلمامةٍ لزيارة أختيه والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراستها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهمًا جيدًا، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يوليه العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويزوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعوه في بعض الأحيان للغداء معه، وأذكر أنه دعاه يومًا على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمسًا ولم آت نحوكم
فلا تنتظرني للغداء فيفسُدا

وكله هنيئًا غير معقِبِ تخمةٍ
مريئًا وقم بين الأخلاء منشدا

تعوَّد خُلْفَ الوعد صقرٌ وإنما
(لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)

وامتدت الصِّلات الوثيقة بين الاثنين حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأختيه البيت، ذلك البيت الخرب المتداعي، والذي لا يحجب من بداخله عن الشارع – إن صح ان تسمى تلك الخربة بيتًا – ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يومٍ واحد.

كان والده يزاول مهنة الغوص في أيام شبابه وقوّته، ثم تقدمت به السن فامتهن صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقيت عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بثمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده - إلى جانب شيخوخته - مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحًا للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنطاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٍ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنطاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزهر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا - وذلك قبل سفره إلى الأحساء - وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايقة للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، كانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بثمنه أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسَّر ما تحمله من بيض، فظلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

ومحزونةٍ في الدرب تبكي وتلطمُ
وتُعولُ عن عِظْم المصابِ وتُرزِمُ

ومنها:

فأخرجت من جيبي دراهم خمسةً
ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتها ما يَسَّرَ الله قائلاً
خذي واعذري إني لَمثلُكِ مُعدَم
دعت ليَ إذ ناولتُها ثم أنشأت
تسبُّ الذي ألقى المياه وتشتم
فقلت أظنُّ الشيخَ لو كان عالمًا
بما منه نشقى في الطريق ونسأم
لشدَّدَ في نهي الرعايا عن الأذى
وهدَّدهمْ حتى يكفّوا ويُحجموا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

فرأى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:

فيا فرحتي إن نلت عندك حاجتي
ويا حسرتي إن لم أنلها ويا خُسْري

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها، فشرح له شاعرنا قضية بيته المتداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتًا كثيرة، في كثير من أحياء المدينة، فاختر لك منها بيتًا صالحًا أسجله باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبنى من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلاً بوشر في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبـا الـشـهم عـبـدالـلـه لـو أنـهم مـشَـوْا
إلــيه بــجــدٍّ لابــتــنَــوْهُ وتــمَّــمــوا
بـــعــشــرة أيـــام ولـــكــنـــهم مـــشَـــوْا
إلـيه كـمـا يمـشي إلى الـسـجن مـجـرم

فاستدعى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثين عاملاً، ووقف معهم أيامًا حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمنٍ طويل.

فكونت الحادثتان، - حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت - ألفةً متينةً بين الشيخ سالم، رحمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتب عليه إذا تأخر عن حضور مجلسه عدة أيام، وكان يحثه على الاستزادة من علم اللغة العربية، ولم ينس الشاعر ذلك، فقد ذكره في إحدى قصائده، قال:

جـــئت لـــلـــرفـــد وحـــده فـــإذا بي
مـــنك أحـــظى بمُـــرفـــدٍ وبـــهـــاد
مــنــذ حــرّضــتَــني عــلى بــذل جِــدِّي
في تـلـقّي الـفـصـحى وبـذل اجـتـهـادي
كـان شـغـلي جـمـيـعه في نـهـاري
بل ولـيـلي تـطـلُّـبًـا لـلـضّـاد
ولـقـد ذقتُ طـعـمَـهـا الـحـلـوَ حـتى
لـيس إلا مـنـالُـهـا من مـرادي
ولك الـفـضلُ لـيس لي أنْ تـأتّى
ليَ مـا رمتُ من لُـغى الأجـداد

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبرُّهُ في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويسَّر عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢١م كان جزع الشاعر عليه جزعًا شديدًا، وكان يتذكره في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجل الشاعر ويقدره، فكان يستزيره ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، يناقشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعيِّنت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، فكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعرًا أو نثرًا.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكثرة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحيانًا إلى قصر الشعب للاجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطلعها:

لئن لم أزُرْ في كل يومٍ محلَّ من
عليَّ له فضلٌ يَجِلُّ عن الشكر

ومنها:

فليس لصقرٍ أن يُبارح وكرَهُ
إذا سَدَّت العينين منه يَدُ الضُّرِّ
فما طار مكفوفُ الصقور فسالمتْ
جناحيه قبل اليوم عاديةُ الكسر

إلى أن قال:

لـــهــاتــيــكمُ الأســبــابِ قَــلَّت زيــارتي

وإن كـنتُ من شـوقي إلـيـكم عـلـى جـمـر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف آنذاك أن تُجريَ له راتبًا دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيدًا، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدّعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن تركِهِ المسجدَ سبيلاً لمعاداته وإيذائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيامة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخـــلّــوا في الــديــانــات افــتــراقًــا

يـــؤول بـــكم إلى الحـــرب الـــعَـــوان

وديـــنـــوا من تـــكـــاتـــفـــكم بـــدينٍ

لـــكم يـــلـــقى الـــتـــقـــدم بـــالـــعَـــنـــان

قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فُهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقًا بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكًا في كفره وتدهُّره، أما الآن فقد اتضح لي ذلك.

وقد ضويق مضايقةً شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

أضـــلَّـــتـــنـي بـــشـــرقيِّ الـــكـــويت

خـــطـــوبٌ ألـــزمـــتـــني بـــيـعَ بـــيـــتي

ومـــا بَــيْــعــيكَ يــا بـــيــتي بـــســـهلٍ
ولـــكن فـــيك خـــفت الـــيـــوم مـــوتي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:

تـقـول لـقـد أفـتى بـهـجـرك شـيـخُـنـا
أنـــاسٌ بـــشـــرقيٍّ الـــكـــويت تُـــقـــيم
فـقـلت جـزاه الـلـه خـيـرًا فـهـجـركم
لـــنـــفـــسي به لـــو تـــعـــلـــمـــون نـــعـــيم
عـــلـى راحـــتي قـــد حـــثـــكم ومـــراده
شـــقـــائي وربي بـــالـــضـــعـــيف رحـــيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفه مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:

وكــــفــــاك أنك في بُـــــوَيـــــتِكَ لابـــــدٌ
وســـنـــاءُ شـــعـــرك في الـــكـــويت أضـــاءَ

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالملك بن صالح المبيض، والسيد عبدالرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف، وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ممن لم أذكر أسماءهم.

وكنت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائده التي كان يرتجلها في ذلك المجلس، فتنتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت ردًا قاسيًا على أولئك المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبون بقصائدهم الركيكة، والمضحكة أحيانًا، على قصائد السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمه الله يجيد الهجاء إجادة منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرؤها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم إلا عندما أفتى أحمد المعممين بكفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه الأبيات:

إن كـــان لا يـــنـــعـم في الجَـــنَّـــةِ
إلا امـــرؤ مـــثـــلك ذو جِـــنَّـــةِ
ممن يـــصـــبّـــون عـــطـــايـــاهمُ
في جـيـبك الـفـارغ ذي الـفـسـحـةِ
فـــلـــيس لي في جـــنـــةٍ مـــأربٌ
فـــأعط من شـــئت بـــهـــا حـــصَّـــتي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريبًا، انهزم فيها المتعصبون هزيمة نكراء، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرون به في الخفاء لأتباعهم، فتحول ذلك المجلس[1] فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يومًا واحدًا في الأسبوع، وذلك هو يوم الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبدالملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح عبدالملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديدًا، قال لي: ما رأيك لو أخذنا سفينة وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح من الأثرياء، فقال اشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن لهم صلة صداقة بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحَّبا بها، وفي الحال ذهبنا للبحث عن سفينة، فوجدنا سفينة صغيرة، وأخذنا نعدها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلقنا بيته، وحملنا فراشه إلى السفينة، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة، وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للميناء الصغير

---

(١) المجلس المذكور ديوان عبدالرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماء إلى أكثر من نصفها، وابتلّ كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يومًا، لم نحصل في خلالها على شيء ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبدالملك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريبًا على ما أذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكنت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبدالملك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انفضت الجلسة، وخلا المجلس، أخذت استوضح الشاعر عما غمض عليّ من النقاش، فيوضح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «بمباي» وبعد وصولي بشهر تلقيت من الشاعر كتابًا ينعى إليَّ فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطايرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألِفتُ المرحوم عبدالملك، ولأنني استفدت منه الكثير، فعبدالملك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبدالملك فوق ذلك، أنه كان عالمًا جليلاً كثير الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهالك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزولي من الباخرة للسلام عليه، ولتعزيته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعتين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبدالملك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألفه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتثمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطاءه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشأ القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهوون، وأن يتكلم بما يشاؤون، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواءٌ المتقدمون منهم والمتأخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له – وذلك دون مبالغة – إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقسمًا من ديوان البحتري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضله على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجًا خاصًا بشعره حيث يجنح فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصًا على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظةٍ من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظمًا أم نثرًا.

كانت حافظته قوية جدًا، ويعرف ذلك عنه كل من قرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتًا من الشعر فيتابعك في ترديدها بيتًا بيتًا حتي يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها وردّدها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتًا لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عويصها.

إن هذا الشاعر مجهول من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القدرة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهنالك شعراء تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تُركت الورقة التي دوِّن عليها بيضاء لكان خيرًا من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراخًا وعويلاً «فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافقه على إيثاره هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعًا، وإن كان يدعي أن هناك ما يبرر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباه وفي بدء تمرُّسِه على النظم، ولابد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، ككل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادةُ بناء القصيدة دربةٌ وتمرسٌ وإلمامٌ واسعٌ بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتدّ بما نظمه في صباه وقد أتلف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجلات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجلات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأني نظمته صغيرًا، أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح، وحرَّموا التعليم، وأثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهم، فأنت من أهل الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك من أجل أن يتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كلما زارنا معمَّمُ سوءٍ
رَدَّ منظومَ شملنا منثورا
وثنانا إلى شقاءٍ مبيدٍ
باسم دين الإله مينًا وزورا
ليسوق الشقاق منا إليه
ما رجاه من رفدنا موفورا
مستعينًا بالجهل منا على ما
نحن نلقى عقباه شرًا كبيرا

في ذكرى المولد:

رفع اللهُ مجدَ بيت الضاد
وذويها منه بخير عِمادِ

فـــعــــلـــيه مع الـــصلاة سلامٌ

فـيه يُـمـلـيـهـمـا جـمـيلُ اعـتـقـادي

سـيـد الـرسل كـلـمـا رمتُ مـدحًـا

لك أرجـــو بـه صلاح مــعـــادي

صــفــدتــني يـدا قــصــوريَ عــنه

فـأنـا عـنه مـنـهـمـا في صِـفـاد

ومنها:

فــإذا مـــا أذنتَ لي بـــالـــتـــشـــكّي

من هـــمـــومٍ عـــليَّ ذات احــتــشـــاد

فـــشـــكـــاتي إلـــيك من كلِّ مُـــغـــوٍ

ومـــضلٍّ بـــاغي المـــقـــالـــةِ عـــادِ

قــد أضــلّــوا بــاسم الـديـانـة ممن

جـــهـــلـــوا كل رائحٍ أو غـــاد

كم أمـاتـوا لـكي يـعـيـشـوا نـفـوسًـا

لـم تــزل بــعــدُ حــيــة الأجــســاد

فـادع يـا خـيـر مـنـقـذيـنـا عـلـيـهم

بـــزوالٍ يـــعـــمُّـــهم ونـــفـــاد

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفيّاً حاد الشعور رقيق الحساسية، يتأثر لأقل شيء، وكان ينفر أشد النفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أننا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمال، فإذا قلت له تم الاتفاق بيني وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمال، ثم ذهب الى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمال مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمال الأجر استدعى الحمال وأخذ يسأله، هل يحس بآلام في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبداً التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفًا، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسوس: هل يا ترى لم يصب الحمال بأذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافى؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفًا من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بائس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقوداً غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقوداً غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفًا من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجرؤ أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحبتي له لم أسمعه أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهوًا، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيراً، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصَب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعًا من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئًا طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح عليّ بمراجعة الطبيب، وأذكر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تنصحني بالذهاب إليه؟ فقال: إنني أعرف بأمراضي وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عامًا، وأذكر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السيجارة لا يتكلم أبدًا، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السيجارة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبخ غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليلة وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاء على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعمًا أنها لا تخلو من الأفاويه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلاث غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجبته بكل سرعة، والوجبة دائمًا من الأرز وأحيانًا يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عامًا، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعًا من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤذيه الأصوات حتى أنه لا يستطيع مواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد الباعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارع أطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيع مواصلة حديثه أيضًا ما دام الراديو مفتوحًا حتى لو كان صوته منخفضًا جدًا.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتًا، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمه، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخر عن عادته في زيارته إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيهاعن صحته إن كان غائبًا، أو عن سبب تأخره إن كان حاضرًا.

فمن هولاء عبداللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتًا أذكر منها:

مغيبك عنا في الليالي يسوؤنا
لأنك يا عبداللطيف بها بدر
يجوب ظلام الهم عنا طلوعه
فأشرِقْ علينا في الدجى ولك الشكر
ولا تعتذر إما تأخرت ليلةً
فليس يرى عندي مكانًا له العذر

فأجابه عبداللطيف بهذه المقطوعة:

لقد هيج الأشجان شعرك يا صقرُ
وزدت همومي بالعتاب وهُمْ كُثْرُ
فأقسم ما همت بما قد ظننت بي
من الهجر نفسي والحفيظةُ والصدر
لئن بَعُد الجثمان فالقلب لم يزل
لديك أسيرًا حبذا ذلك الأسر
فديتك من خل صفا صِدقُ ودِّه
على حين قلَّ الصدق أو كثُرَ الخَتْر
وشبهتني بالبدر لطفًا وإنني
كذاك وأنت الشمس من نورها البدر

وأنت لــوردي إن أمــضَّــنِيَ الــظــمــا
نمـــيـــرٌ زكـــا عن أن يمـــازجه مُـــرُّ
وأنت لــروحي إن تــمــادى ظلامــهــا
ســـراجٌ أضـــاءته خلائـــقه الـــغُـــرّ
وأنت أخي حـــقًّـــا وصـــارميَ الـــذي
أذود به عـــنـي إذا نـــابـــنـي أمـــر
لــعــمـرك إن الــشــعـر حـين تــصـوغه
يــدب بــأعــضــائي كـمــا دبت الخــمــر

ومنهم المرحوم خالد الفرج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرج في البحرين، فأملى عليّ الشاعر أبياتًا لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَـــعَـــرّي الـــكـــويتِ وبـــشـــارَهـــا
هـــززتَ من الـــنـــفس أوتـــارَهـــا
وألمـــســـتـــهـــا من دقـــيق الخـــيـــا
لِ مـــا كـــان يُـــعـــجـــز أفـــكـــارَهـــا
بـــآيـــات ســـحـــرٍ هـــتـــكن الـــقـــلـــوب
أزحن عن الـــنـــفس أســـتـــارَهـــا
ولـــو كـــان (رِنْـــتِـــجنُ) من قـــبل ذا
ك رأى هـــذه الـــروح لاخـــتـــارَهـــا
هي الـــســـهل لـــلـــسامع المـــســتــصــيـخ
ولـــكن من الـــصـــعب إحـــضـــارهـــا[1]
هي الـــشـــمس تـــســـطع فـــوق الجـــبـــا
ل وتـــرمي إلى الـــقـــوس أنـــوارَهـــا

(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أتـــانِيَ شـــعـــرُكَ مـــثل الحـــيـــاةِ

فـــجـــدد لــــلــــنــــفس تـــذكـــارَهـــا

ومـــا كـــنـتُ ســـالٍ ولـــكـــنـــمـــا

ألِـــفْتُ الخـــطـــوبَ وأكـــدارَهـــا

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القطيف، وقد اقتنى له هناك أرضًا زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، فخسر الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهمًا القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشكو القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقة مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانفض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفة وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلاً دخلنا عليه، فإذا به يبهت ويتلعثم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملى عليّ هذه القصيدة:

يـا خـالـد الـفـضلِ في أشـعـاره الـغُـرَرِ

رغم الأواتي من الأحـــداث والـــغـــيَـــرِ

وبـــاقيَ الـــذُّكـــرةِ المـــثـــلـى بـــكل فمٍ

إذا الـــتـــقـــادم أبـــلـى جِـــدَّةَ الـــذِّكَـــرِ

لما سمعت بمنعاك الذي كرَبَتْ
تأتي مرارته مني على العمُر
طفقت بين زفيرٍ لا تنهنهه
قوى اصطباري ودمعٍ غير منزجر
أصوغ فيك رثاءً كل ضامنةٍ
إشجاء أفئدة الأفراد والزُّمَر

ومنها:

وقد لقيتك حيًا والحياة لما
قد صغتُه فيك موتٌ غيرُ منتظَر
ففرحتي منك بالمحيا يساورها
حزني لموت اللواتي أنجبَت فِكَري

ومنها:

مصيبةٌ طاردتها نعمةٌ عظُمتْ
ونعمةٌ لو نجت من صولة الكدر
وليس يمكن في العيش اشتراككما
فهل تخلّي لشعري ظلمة الحُفَر
والرأي عندك فاختر ما يلائمني
وإن تبرقع وجه الحزم فاستشر

ومن أعز أصدقائه أحمد المشاري، وكان في بمباي، وذلك عام ١٣٣٩هـ فأرسل إليه شاعرنا قصيدة في بمباي يعاتبه فيها، ويشكو جفاه، فأجابه أحمد المشاري:

سلام كوصل الحب للواله الصَبِّ
وإلا كرشف من لمى ثغره العذبِ
تحية مشتاق إلى خير صاحب
خلائقه تذكو على المندل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في
تباريح شوقٍ أذكت النار في قلبي

فـمـا أنـا من يـجـفـو عـلـى الـبـعـد خِـلَّه
ويـــومـــقه إن كـــان مـــنه عـــلـى قـــرب

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر ببغداد، وكان يراسله، وقد نشر عددًا من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبدالرحمن البنّاء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأذكر أن الشاعر حياه ببيتين هما:

تـــفـــضَّلَ بـــنّـــاءُ الـــقـــوافي بـــزورةٍ
عـلـيَّ فـلـن أنـسـى عـلـيـهـا له الـشـكـرا
أتـــانـي وصـــدري من ســـروري مـــقـــفـــرٌ
وعـــاد ومـــنه الأنس قـــد ملأ الـــصـــدرا

فأجابه الشاعر عبدالرحمن البناء:

نـــعم زرتُ صـــقـــر الـــشـــعـــر يـــومًـا بـــداره
فـألـفـيتُ منه الشـعـر طـال عـلـى الشِّـعرى
فـــزاد ســـروري عـــنـــد لـــقـــيـــا ســـروره
فـــطـــرنـــا وأنَّى لي بـــأن ألحق الـــصـــقـــرا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفـــاتـه:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته مَلَّ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئًا عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يخيفه أشد الخوف – هذا مع وجود مكيف في غرفته – وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تنفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمه.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الهزال باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلهف على الموت ويتمناه، ويردد دائمًا قول المعري:

موت يسير معه رحمةٌ

خير من اليسر وطول البقاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلع إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يا قدرةً سجنت بجسمي روحه

ضاق الخناق على السجين المضطهدْ

إن لم تفكي الروح من جثمانه

فتداركي منزور صبري بالمدد

أرجوكِ لا أرجو سواكِ فأنعمي

عجلى عليّ بما ترين من الرشد

ثِقَلُ الحياة ضعفتُ عن حملي له

ضعفًا به لي الشيبُ أعدلُ من شهِد

مات ولكن كيف مات؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٩٦٣/٧/١٤ فقرعت عليه الباب فلم يجبني، فعزوت عدم إجابته لي أنني بالأشهر الممنوع زيارته فيها، وفي مساء ١٩٦٣/٧/٢٤ تقرر سفري إلى اليمن، فذهبت صباح ذلك اليوم إلى بيته لوداعه، غير أنه لم يجبني عندما قرعت بابه، وفي المساء سافرت إلى القاهرة ومنها إلى صنعاء عن طريق عدن، وعدت من اليمن إلى القاهرة

يوم الأحد ١٩٦٣/٨/١٨ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالتعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الذهول حتى أنني لم أستطع النوم ثلاث ليال حزنًا عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيني، ولما علم أنني غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحدًا من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعةً واحدةً في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٨/٦ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحدًا بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ١٩٦٣/٨/٧ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائمًا على ظهره، وإحدى رجليه مثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشيعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحمك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يداك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البائس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتموا باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله بارئ النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلت قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكبرت الله عما يدّعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت المحق وهم المبطلون، سماؤهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطّوا، واهتديت وشطّوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الكويت ١٩٦٨/٣/٢٣

الفــرع الثاني

كتبه: الدكتــور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هـذا خـيـال امـرئ قـد شب مـا اشـتـمـلت
عـلـى المـسـرة حـتـى شـاب أضـلـعُهُ
مـا إن تـنـاول من آمـالـه سـبـبًـا
إلا رأى مـديـة الأيـام تـقـطـعُه
وأي صـادٍ من الأحـرار مـا وقـفت
دنـيـاه عن كل مـا يُـرويه تـدفـعُه

هذهِ أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اختزل كل ما مر به من معاناةٍ في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشتمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من آماله قطعت مدية الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم دنياهم كل ما يرويهم ويبل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عدةٍ، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شكواه المستمرة لما يلاقي من بؤسٍ في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبيسًا لا يرى أحدًا ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلاً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتمّاً جدًا بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلته (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقدم لابن أحمد كأس شايٍ
وودّي أن أمدَّ له خُوانا
يضم من المآكل كل صنفٍ
به الطاهي قد افتَنَّ افتنانا

ومنها:

فأهلاً يا ابن أحمد ثم أهلاً
وسهلاً يا أعزَّ أخٍ غَشانا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالملك الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بصقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالملك الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالملك الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحبًا ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارة صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يوم الخميس لبستَ ثوب خَدوعِ
حتى حسبتك غرَّةَ الأسبوعِ
ما زلت يكسوك التواصلُ بيننا
ثوب المسرة رائق التوشيع
إذ تلبس الأيام - غيرك - حلَّةً
من نسجِها يدُ شملِنا المصدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عدة، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرج اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبالاً باهرًا، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة ألقيت فيها الخطب والأشعار ترحيبًا بمقدمه، وألقى هو عددًا من الأحاديث وحضر شيئًا من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

بالرغم مني كنت أمسِ مقصِّرًا
في واجبي نحو الزعيم التونسي

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مبادرته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

أكذا يكون تواضعُ الكبراءِ
وتلطُّف العلماء بالشعراءِ

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما أشار إليه صقر الشبيب بقوله:

إني هممت بأن أقبِّل أنمُلاً
رُكِّبن في يمنى الزعيم التونسي

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الثعالبي فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الزعيم التونسي من بلاده.

✲✲✲✲✲

ألمحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشبيب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبَّهه البعض بالمعرِّي رهين المحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى ألجأته إلى الموضع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقتات منه. وقد حاول مرارًا الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة، ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدةً يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبية شهريًا، وكانت قصيدته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوعَ والعريَ اللذين هما
شرُّ النوائب إيلامًا وإيجاعا
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباسًا وإشباعا

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
درّاً به مُسكة الحوباء إرضاعا
ومن غلا القوتِ والملبوسِ لم أرَ لي
فيها لما يمسك الحوباء إقناعا

وعندما رد على تهنئة الثعالبي بالعيد قال:

أزعيمَ تونسَ والكويتُ فسيحةٌ
قد ضاق بي منها الفسيحُ الأرحب

إن يُـردِني بـؤسي فلـومـوا مـوطـني
بَـعـدي عـلى تـفـريـطه بي واعـتَـبـوا
حـاولت إدراك الـوظـيـفـة جـاهـدًا
بـالـقـوت من قـومي فـعـز المـطـلب

٢ – العمى، وصقر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألمت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزًا في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

ألـلأعـمى بمـحـيـاه سـرورُ
وهل يـا صـقـر فـيه له حـبـورُ
فـقـلت لـهم عـمى الـعـمـيـان أسـرٌ
وهل في الأسـر يـبـتـهج الأسـيـر

ثم يستنهض همم العميان قائلا:

عـلـيـكم مـعـشـر الـعـمـيـان ألا
يمـسَّـكمُ عن الـعـلـيـا فـتـور
فـقـد يـبـني ضـريـر الـقـوم مـجـدًا
يـقـصـِّر أن يـفـوز به الـبـصـيـر

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تخلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزنًا، وبخاصةٍ وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطه حسين.

وفي قصيدته «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيده في ذلك شيئًا. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.

✡✡✡✡✡

لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهًا حديثه إلى أحد لائميه:

فـإن تـسـعَـدْ بمـجـتـمع الـبـرايـا

فـإني بـانـفـرادي قـد سـعِـدتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العداء، ولا تتيح له شيئًا مما تتيحه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحًا في توجيه حديثه إلى الناس جريئًا في قول الحق، وقد اكتسب شيئًا من عداء بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالي بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أخـاف إذا بـقـيت تـذلُّ نـفـسي

عـلى طـمعٍ لـذي مـال كـثـيـر

فـتـمـنـحه مـدائـحـهـا الـلـواتي

تـعـز عـلى الـفـرزدق أو جـريـر

ولـكـني - كـمـا سُـمِّـيتُ - صـقـرًا

وهل أبـصـرت ذلاً في الـصـقـور

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين.

أسلوبه الشعري

لصقر الشبيب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكاد تعرف قصيدته منذ بداية قراءتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوي بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئًا بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للتزود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

وضمن مطالعاته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصا على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظمًا أم نثرًا».

وكان محبّاً للغة الفصحى حريصًا عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جدًا نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشبيب عن حبه للغة بقوله:

يا أيها اللغة الجميلة إنني

مُغرى الفؤاد بحسنك الفتان

وقوله:

ألــقى جَــنــاني حب غــيــرك مــذ رأت
ســر الجــمــال لــديك عــينُ جَــنــاني
مــا كــان مــني الــقــلب لــولا خــوفه
من أن تُــســائي دائم الخــفــقــان

وهذه الدراية باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقانًا وجودةً وجزالةً، وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.

✡✡✡✡✡

وكان يملأ قصائده بالغريب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه القصائد عددًا كبيرًا من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بك قصيدة إلا وجاء فيها شيءٌ من ذلك. كاستعماله كلمة (السِّبُّ) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في التراب، و(الهنابث) للمصائب، و(الروابث) للموانع، و(ماغَثَ) بمعنى يخاصم، و(لحزٌّ) بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكفي الاطلاع على إحدى قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعتذر في قصيدته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصيدته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكنه استطرد كثيرا – بعد ذلك – في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب، وصعوبة الحصول على قائدٍ يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى ما يقرب من سبعين بيتًا على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلا:

لــهــاتــيــكم الأســبــاب قــلَّت زيــارتي
وإن كــنتُ من شــوقي إلــيكم عــلى جــمــر

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتًا بينما كان الاستطراد كبيرًا، ولم يكن له داعٍ أبدًا، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعترضة ما جاء في قوله:

ســـأبـــقى - مـــثل مـــا أنّي قـــديمًـــا
بـحـبل الـصـبـر مـعـتـصم - حـديـثـا

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعترضة، حتى لتؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:

فـــمن حـــربٍ تـــبَـــرَّحَ - عن فـــنـــونٍ
من الإفـــنـــاء بـــيـــنـــهمُ - الخـــفـــاءُ

ففصل بين قوله تبرح الخفاء بجملة طويلة معترضة وقوله:

قـــدومك ســـرَّنـــا حـــتى أقَـــلْـــنـــا
- به ممـــا جـــنى قـــبلُ - الـــزمـــانـــا

يريد أقلنا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملة معترضة، كما يكثر في أبياته التداخل مثل قوله:

كم قـــلـتُ إن الـــسـيف لـــيس بـــغـــمـــدِهِ
بل إنمـــا هـــو حـــدُّهُ والمـــضـــرَبُ
لـــكن إلى ألـــبـــابـــهم مـــا قـــلـــتـه
مـــا كـــان من أســـمـــاعـــهم يـــتـــســـرب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:

وخُصَّ بـــالـــتـــحـــطـــيم أقلامَ الألى
عـــقـــولـــهم حُبُّ الـــصـــراحـــات سَـــبـــا

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:

بـــني يـــعـــربٍ من فـــاته أمس ســـلَّه
حـــســـامًـــا به من قـــوته يُـــحـــسن الـــذَبّـــا

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فــأصــبــحــنــا نــقــول وقــد رأيــنــا
جَــنى غــرسَ المــتــاعب إذ سَــرَيْــتــا
لــوَ انّــا، لــيــتــنــا، لــولا، وهــاتــا
نــقــول هــوازئًــا هــيــهــات هَــيْــتــا

ومن ذلك قوله:

وكــيف تــخــيَّــروا نــفــرًا تُــنــافي
ســيــاســتُــهم لجــنــســهمُ الــبــقــاءَ
رجــــاء زيــــادة الأمـلاك حــــتى
لأشــبَهَ ســائــســيــهِ الــكُلُّ داءَ

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.

✲✲✲✲✲

وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحدٌ قصيدةً في موضوع معيّن، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أرى الشعر نجوى النفسِ والنفسُ حُرّةٌ
تـخـيَّـرُ مـا تـهـوى من الـوقت لـلـنـجـوى
أنــاديه أحــيــانًــا فــيــأبى إجــابــتي
ومــا ليَ من مُــعْــدٍ عــلــيه ولا عــدوى

✲✲✲✲

أغراض شعره

المطَّلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدرته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرَّق إليها في شعره ومن إسهابه في عدد كبير من قصائده حتى لنرى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيفًا مثله، وكان في أواخر حياته قابعًا في بيته لا يتعداه. ولأنه كان ضليعًا في اللغة مكثرًا من شعر الحكمة. ولكني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، ألا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إن الذي ألهث الأفلاكَ مِقوَلُهُ

والدهرَ، لا رغبًا يرجو ولا رهَبا

لم ينس أن تشمل الأنعامَ رحمتُه

ولا الطيورَ.. ولا أفراخَها الزُّغُبا

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيذاء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتكاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصُّدِ الأولاد لها:

كل طفلٍ بكفه عصفورُ

من أذاها يكاد فيها يبور

وفيها يقول:

أيــهــا الــطــفل أنت عــنــدي عــلــى مــا
سُــمــتَه الــطــيــرَ من أذًى مــعــذور
مــا لأمــرٍ تــمــرٌّ عــقــبــاه أو تحــ
ــلــو لــدى ذي طــفــولــة تــقــديــر
لــستَ أنت الــذي جــنــيتَ عــلــى الــطــيــ
ــر ولــكن جــنــى أبــوك الــكــبــيــر
أنــت لــــولا ولــيٌّ أمــــرك لــم تَــــقْــ
ــرُبْ إلــى الــطــيــر من يــديك شُــرور

وتـطرَّق في قـصـيـدةٍ له من الـطوال إلى الـحديث عن عـنـزٍ أكلت بـعض كـتب أحـد أصـدقائه، وقد كان في البداية شـديدًا على العنز، ولكنه عاد بـحكم طبعه إلى الاعتذار لها والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فلا تــهــمــلــوا حق الــبــهــائم واســلــكــوا
بــهن ســهــولَ الــسُّــبْل والمرتــعَ الــخــصــبــا

ولا حـاجـة هـنـا إلى عـرض كـافـة الأغـراض التي تنـاولـهـا في شـعـره فـهي واضـحـة في الديوان ولكننا نشير إلى بعضـها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد الشـعراء صـياغة أشـعارهم حـولـها، بل سـنـختار أمورًا مثل الـذي قدمناه هـنا عن لقبه. ومثل الذي نشير إليه هنا:

كـان صـقر الـشـبيب مـحبـا لـلخير، ولكنه يسـير في تعبيره عنه وفي تقديمه للـمـحتاجين على طريقته الخـاصـة، فـهو لا يملك من المـال ما يمكن أن يـدفعه لمحتـاج، ولكنه لا يتأخر عن عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لــكم بــالــذي أخــفــيــه وجــهــيَ يــنــطقُ
صــريــحًــا ووجــهــي مــا تــرون فــحــدِّقــوا

أجــيــلــوا بـه الأنــظــار بــضـع دقــائق
لــكم يــنــفــتـح من ســرٍّ نــفــسيَ مُــغــلَقَ
فـمن كــان مــنــكم في الــتــفــرُّس حــاذقًــا
فــوجــهي لـه عن طــبع نــفــسي يــصــدق
فـــإن كـــان حب الخـــيـــر فيَّ ســـجـــيـــةً
فقـولـوا لـيـسـلَمْ ذا الـضـريـرُ وصفّقـوا
وإن كـــــان حب الــــشـــــر فيَّ غـــــريـــــزةً
فصبّـوا على وجـهي الشـتـائمَ وابـصـقوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيذاء الحيوان، كما بينّا قبل قليل، وقصيدته التي قدمها إلى بلدية الكويت شاكيًا أصوات باعة الكيروسين الذين يمرون بين البيوت فيزعجون الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراسهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجع الناس في قيلولتهم، فيندُّ عنهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدق بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعيًا إلى الاهتمام بغذاء الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصيدته التي مطلعها:

غلاءٌ أهـــــلك الــــفـــــقـــــراء جـــــوعًــــا
وعُــــريًــــــا، أهـــــلكَ الـــــلـهُ الـــــغلاءَ

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين، ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.

٭٭٭٭٭

يحس قارئ شعر صقر الشبيب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو - أيضًا - ينصح قومه بالحرص على التكاتف، وينصح أمته العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيرًا بمأساة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه مناديًا حاثًّا مخبرًا بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

****

الشكــوى

أمضى صقر الشبيب حياته شاكيًا متذمرًا لما مر به من مآسي منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقده لبصره، والإعلان عما يتحمله من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولــو أنــني أســطـيعُ وحــدي ازديــارَهُ

لـكـنت إلــيه الــدهــرَ مـتـصلَ الــسـيـر

ولــكــنــني مــا ســرت وحــدي مــرَّةً

فــعـدت ولـم تجـرح جـبـيـني يَـدُ الجُـدْر

كــأن لجــدران الــكـويت جـمـيـعِـهـا

عــليّ تِــراتٌ غــيــر مــنـســيَّــة الــذكــر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ربية في الشهر، فقال:

لا يــدفع الجــوعَ والــعـريَ الــلـذيْن هُـمـا

شــرُّ الــنــوائب إيلامًــا وإيــجــاعــا

خـمـسون في الشـهـر عن مـثـلي فهل لكمُ

في رَدِّ هــذين إلــبــاسًــا وإشــبــاعــا

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بالمحتاجين الذين يحس هو بحاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغني الألى تأبى غرائزُهم
أن يذخَروا نفعَ ما أوتوه سبحانا
كأنما استودعوا أموالهم فغدَوْا
على الودائع حرّاسا وخُزّانا

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته قدم له أبياتا جاء فيها:

إن الكويت أديبها في شقوةٍ
ممتدّةٍ ليست بذاتِ نَفاد

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:

كأني في الكويت على رُواها
سكنتُ مفازةً حُفَّت ببيدِ
ولو أني حصلت على بَلاغي
لما أعملتُ بالشكوى قصيدي

أما قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، فقد تحدث فيها عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أنَّى يَرى وجهَ المسرَّة بارزًا
من لم يزل من أبأسِ البؤساء
يشكو طَواهُ معلنًا لكن إلى
أُذُنٍ - عن الشاكي الطَّوى - صمّاء
قلب الكويت من الشراسة مفعَمٌ
لكن على مثلي من الأدباء

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جـــهَـــدَتـــنـي صـــروفُ دهـــريَ حـــتى
غـــيـــرَ شـــكـــوى صـــروفه لا أجـــيـــدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فها هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو – آنذاك – في البحرين، فيقول له فيها:

فـــلـــيـــتك إذ رحـــلـتَ إلى «أوالٍ»
جـــذبتَ إلـــيك من صـــقـــر زِمـــامَهْ
فـــمُـــنـــيَـــتُهُ الـــتـــرحُّلُ عن بلادٍ
بـــهـــا مَـــشـــقـــاهُ لم يُـــغـــمِـــدْ حُـــسـامَهْ

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنه كابد ما فيه الكفاية، لقد عانى الفقر والإهمال، ولقي تهجمًا شديدًا من كثيرين ناصبوه العداء دون وجه حق، وما كان أمامه إلا أن يعبر عن أحاسيسه بما أنشده من أشعار كانت كلها صوره صادقة لما كان يتحمله من شقاء طوال حياته.

ومن أدَلِّ أشعاره على رغبته في مغادرة وطنه قوله:

لم يَـــحْلُ في قـــومي مـــقـــامي ســـاعـــةً
لـــو أنـــني أســـطـــيع مـــنـــهم هَـــرَبـــا
فـــإن أقـــمتُ في الـــكـــويت مـــرغـــمًـــا
مـــضـــطـــهـــدًا من أهـــلـــهـــا مـــكـــتـــئـــبـــا

وقوله:

فـــإن تَـــضِقِ الـــكـــويت الـــيـــوم عـــني
ومـــا ضـــاقت بـــأمـــثـــالي الـــديـــارُ
فـــكم بـــلـــد لـــقـــومي الـــعُـــرْبِ فـــيه
ســـيـــحـــلـــو لي من الـــسَّـــعَـــة الـــقـــرار

****

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشبيب لما يتعرض له المتنورون عادةً، فأولئك الذين نشؤوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تتفتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشبيب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وخَلّوا في الديانات افتراقًا

يؤول بكم إلى الحرب العَوانِ

ومن ثَمَّ أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ: عبدالعزيز الرشيد «ثم تمالأ هو وأسافلة مثله على قتله، ولكن الشاعر وقد علم بما يبيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيمًا فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكاتف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله ويقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فيا من به آمنت غير مقلِّدٍ

أدِمْ بك إيماني بعيدًا عن الخطَرْ

فكم شبهة دكناء جُبتُ ظلامها

فكدت أضل الخرق فيه إذِ اعتكَرْ

ولـو لـم تـنـر سُـرْجُ الـعـنـايـة لـيـلـهـا
لأفـنـيـتُ فـيه الـعـمـرَ أسـري عـلـى غَـرَرْ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصبونه العداء دون سبب جوهري، بل دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

وممـا يـزيـد الحـزنَ في الـقـلـب ضِـعـفَهُ
ويُـلـهـبُهُ بـين الـضـلـوع فـيـلـتـهبْ
صـدود بـني قـومي إذا قـام مـرشـدٌ
يـذكّـرهـم بـالـشـعـر طـورًا وبـالخُـطَبْ
وفي الـصَّـدِّ مـا يـثـني عـزيمـة من غـدا
لـنـصـحـهمُ تـقـريـبُه الـدهـرَ والخـبَبْ
فـكـيف إذا مـا زنـدقـوه وأسـبَـلت
عـلـى رأسه من مـزن غـيـظـهمُ سُـحُبْ

وهذا الذي (يُزندَق) على حد قوله هو الذي يقول:

تـأمـلت أديـان الـبـريـة كـلـهـا
فـمـا ركـنـت إلا لإسلامـهـا نـفـسي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتفادى الهجاء، أو الإقذاع على الرد على من أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفًا عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويه جبن» تحدث فيها عن الذين يتهجمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إذا مـا كـاتبٌ أضـنـاه حـقـدٌ
عـلـى قُـرَنـائه بـين الأنـام
هـجـاهم ثم سـمّى الـهـجـوَ نـقـدًا
لـيـبـقى خـافـيًـا سـوءُ المـرام

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوي الشريف يشاركهم شعرًا غزيرًا معبرًا، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصيدته «أمع الحياة سعادة؟».

يـــا رب فـــاعفُ فـــلـــيس لي إلا إلى
تـــأمـيل عــفــوك عن ذنـــوبي من مــرَدّ
يـــا من يـــؤمِّلُ عـــفــوه الجـــاني وإن
فـاتت لـكـثـرتـهـا الجـنـايـاتُ الـعَـدَدْ
خــوف الحــســاب عـلى ذنــوبي هــدَّني
وعـلـيك في الـتـأمـين مـنه المـعـتـمـد

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتبادلها مع الأستاذ عبدالملك الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما يفهمه البعيدون عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها «يوم الخميس» تحدث عن لقائه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبدالملك وقد حضَّر لصاحبه ما يعتقد أن الشاعر يحب أن يستمع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يُمضيان وقتًا في تدارسها. وقد ضمت هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم الخميس. وفيها نرى تمكن صقر الشبيب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى إليه جميلاً لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه – بالتأكيد – ليس له أثر سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحذ الفكر لا لتغييبه.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدةٍ له بعنوان «نظرة في السر الإلهي» تحدث فيهاعن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤون الخلق جميعًا، دون أن يعلموا شيئًا عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في بحار الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنعم في جنان اليسر ومن هو يصطلي بنار العُسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر، ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

وإلا جـــرّدوا حـــســـدًا وغـــيــظًـــا
عـلى المــثــرين لــلــحــرب الحــســامـا

فــلـم يــدعــوا بــراحــته غــنــيّــاً
ولـم يــــذَروا عـــــلى أرضٍ سلامـــــا
ولــــكن جَلَّ من أجـــــرى فـــأرضى
بــرايــاه بــحــكــمــته الــنــظــامــا

هذا النظام الذي عجز الحكماء عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:

يــقــول بـكُـنـهــهـا الحـكـمـاءُ ظَـنّـاً
وعــلـم الــكــنه عــنــهم قــد تَــرامى

إن النُّظُمَ قد استعصت على الدراية.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيدته «لحكمة أتينا الدنيا» يبدؤها بنعي السعادة قائلاً:

لــــيس في الأرض من طــــريقٍ يــــؤدّي
ســالــكـيه أو بــعــضَــهم لــلــســعــاده
فــلـــهــا اسمٌ بـــين الأنـــام شـــهــيــدٌ
ومــســمّــاهُ مــســتــحــيلُ الــشــهــاده

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا حريصون على زيادة نسلنا وكأن الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم يكونوا ضدًا له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤهم منه شيء.. إذًا فإن هذا التدفق البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:

أَوجَـــدَ الـــوالـــدَ الـــقـــديمَ لأمـــرٍ
ســابِغ الــكــتْمِ يــقــتــضي إيــجــادَهْ
فـــأتى الـــوالـــدُ الـــقــديمُ إلى الـــدُّنـ
ـــيـا اضــطـرارًا كـمـا أتــتـهـا الجـرادَهْ

ثم ينثني إلى موضوع آخر يبنيه على ما تقدم، مؤكدًا أن كل إنسانٍ يسير في حياته وفق الطباع المركبة فيه.

وفي قصيدته «يا عقل» نداءٌ إلى عقله الذي وَجَدَ أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عُرض عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متَّركًا
ما لم يكن وَفْقَهُ من كل منقولِ
فقلت لو لم يُرِدْ هذا مكوِّنُنا
مني ومن كل معروفٍ ومجهولِ
لما حشا الهام بالألباب قائمةً
بالفرق ما بين مسمومٍ ومعسول

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فأبِنْ
ما غاب من وجه تحريمٍ وتحليلِ
وسُدَّ أذنيَ عمّا القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيل

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يُمحِّص المعقول ويعرضه على المنقول فيأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويُرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزًا للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصقر الشبيب الذي لم يكن شاعرًا فحسب بل كان عالمًا قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدته «ظن جميلا بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد راقت هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأوردها في صدر كتابه «صقر الشبيب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرء لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سُرعان ما يطأطئ رأسه عجزًا.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرء ارتيادُها مهما أوتي من عقل، وفي مطلع الأبيات:

ولله فيما يفعل الله حكمة
يفوت بها كتمانُها العقلَ والحِسّا
فمن حكمةٍ فوق العقول سما بها
أطاف بنا خُشْنَ الحوادثِ والمُلسا
يُطيف بنا سَعْدَ الخطوب ونحسَها
ويمنعُنا تعليلَنا السَّعدَ والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الأنصاري واسعة، تفي بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتقد» فقد شرحها شرحًا وافيًا، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلي دلالاتُها دون أي لبس.

✡✡✡✡✡

هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجرى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأي حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.

✡✡✡✡✡

هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرح فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقرًا قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي

كان يكتمها، فلما جاءته قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:

إن شـــجـــاكم مـــني الأنـــينُ المـــديـــدُ
فــعــذابي بـــالــفــقـــر جـــداً شـــديـــدُ
كـــلـــمـــا قـــلتُ ذات يـــومٍ ســـيـــمـــضي
مـــنـه عـــني اشـــتـــدادُهُ أو يـــبـــيـــدُ
عَنَّ خـــطبٌ يـــقـــول إني كـــفـــيلٌ
أن ســتَـبـلى يـا صـقـرُ وهــو جـديـد

والقصيدة طويلة جدا كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصًا عزيزًا عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمةٌ عبّرت أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم وبالفقر وبالعزلة في وقت واحد:

أنـــا مـــازلت في الـــكـــويت أغـــنّي
كل صـــوتٍ يَـــشـــجى به الجُـــلـــمـــودُ
وهـي تـــزداد قـــســـوةً فـــغـــنـــائي
لـــشـــقـــائي تـــتـــمّـــةٌ ومَـــزيـــد
فـكـأن الـكـويت مـا دمتُ فـيـهـا
قـــفصٌ فـــيه بـــلـــبلٌ غِـــرِّيـــد

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يتربصون به الدوائر ويريدون تشويه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعاديه قد وصفته بما ليس فيه:

وصَـــمَـــتـــني حـــتى بـــجـــحـــد إلهٍ
مـــا تـــمـــشّى له بـــبـــالي الجـــحـــودُ
ويـــقـــيـــني بـــأن ربي - مُـــديـــلي
من ذوي الـظـلـم - عُـدَّتي والـعـديـد[1]

وفيما ذُكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضح من ذلك يؤكد إيمانه العميق.

---

(١) مديلي: ناصري.

القســم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعظم المرحوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.

نمــاذجُ هــذي من قــريــضـي أزفُّــهــا
هـديـةَ من لم يَـقْنَ شـيـئًـا سـوى الـشِّـعـرِ

ومن لـم يـجـد غـيـر الـقـوافي هـديّـةً
فـأهـدى الـقـوافي كـان من بـالـغي الـعُـذر

إلـى روح من لـو عـاش مـا بتُّ شـاكـيًـا
من الـعـسـر مـا قـد كـاد يـأتي عـلـى عـمـري

إلى ســالم الأخلاق والــعــذر كــاســمه
ومــسـلـمِ مــا تحــوي يــداه من الــوفــر

فــلـم نَــشْكُ في أخلاقه قَطُّ عــلــةً
سـوى فـتـكه في المال بـالـنـائل الـغَـمْـر

فـمــا زال حــتى مــات يُـحـيي عُـفــاتَهُ
بـإرداء صـنـفَيْ مـاله الـبـيضِ والـصُّـفـر[1]

فــأمــواله تــشــكــو تــســلُّطَ كــفِّه
وســؤّالُهُ تـقـفـو الـشـكـيَّـة بـالـشـكـر

فـــمـــا فـــرَّقت مـــا بـــين جـــزل نـــواله
وقُـصّـادِهِ شـكـوى الـلُّـجَـيْنِ ولا الـتِّـبْـر[2]

ومـا كـان عن شـكـوى سـوى المـال وحـدَهُ
إذا مـا شـكـا الـشـاكي إلـيه بـذي وقـر[3]

---

(١) العفاة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفر: كناية عن الذهب والفضة.
(٢) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.
(٣) الوقر: ثقل في الاذن.

كـأن قـد حـمت سَـمـعَـيْهِ شـكـوى ثـرائِهِ
عُــفــاةُ أيــاديه بــشــكــرهمُ الــكُــثْــر
فــذاك الــذي لــو لم يــغــيِّــبه قــبــرُهُ
لمــا عــدتُ من بــؤسي أحِنُّ إلى قــبــري
فـقـد خـبُـثت من داء عـسـريَ بـعـدَهُ
حـيـاتي الـتي طـابت بـأيـامه الـغُـرِّ
ولـو لم يـزَلْ حـيّـاً لأتـبع علَّـتي
من العسر يشفيها دواءً من اليُسر

****

الإيمان عون لتخفيف الأعباء[1]

عطفتْ عليَّ البصرةُ الفيحاءُ
والساكنون ربوعَها الكُرماءُ

من كلِّ ذي كرمٍ يَحُلُّ بنفسه
قممَ الثناء المجدَ والعلياء

جُبلوا على حب المكارم والورى
- لولا المكارمُ - والوحوشُ سواء

وجلائلُ الأفعال ألسنةٌ لها
عن حسن ما جُبلوا عليه جَلاء

تلك التي لولا إبانتُها استوَت
في قدرها الكُرماءُ واللُّؤَماء

والدُرُّ لو لم يبدُ سِرُّ جمالهِ
ما كان دون مقامه الحَصباء

الكل يهوى أن يكون لباسُه
مما يحوكُ الحمدُ والإطراء

وبيت يشغَلُ مدحُهُ السُّمُراءَ ما
باتت تُسامر بعضها السُّمَراء

ومن الصعوبة في مكانٍ نيلُ ما
مالت إليه بأهلها الأهواء

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصره فيه على ما كان يشكو منه.

والصعبُ مهما شاقَ دون مناله
يمنى اللئيم من الورى شَلاّء
أنَّى يفوز به لئيمٌ عِرضُهُ
لحطامه من سائليه فِداء
يهوى اقتناء الحمد ثم يعوقُهُ
عنه من البُخل الذميم إباء
فالمقتنون جمال ما نسجَ الثنا
قومٌ لهم بالمنفِسات سخاء[1]
لهُمُ على فقر الفقير إذا غدا
مستعديًا جدواهُمُ إعداء[2]
يجد الرجاء من المقِلِّ حياته
بهمُ إذا ألوت به البخلاء[3]
لهمُ إذا سُرَّ الشحيحُ بمنعه
حاجَ الفقير ببذلهم سَرّاء
متسابقي بذلِ المعونةِ ما أتت
ترجو المعونة منهمُ الفقراء
ومتى يضق ميسور وُجدِهمُ بما
منها لآملِ رفدِهمْ قد شاءوا[4]
عمدوا إلى استخدام جاهِهِمُ له
حتى يرى ما ضاق وهو فضاء
هذا هو الفضل الذي بسلوكه
منهاجَهُ تتنافس النُّبَلاء

---

(١) المنفسات: الأشياء النفيسة.

(٢) استعداه: استنصره واستعانه، والمستعدي الطالب النصرة، وأعداه إعداءً نصره. والجدوى: العطية.

(٣) ألوى بالشيء: ذهب به.

(كــمـــحـــمـــدٍ طه) الـــذي بـــلـــغت به

خـــيـــرَ الأنـــام الـــنـــســـبـــةُ الـــغـــرّاء

من لـــــو شـــــكـــــكـــــنـــــا أنه ممن جَلا

من ديـــــنه ظُـــــلَـمَ الـــضلال ضـــــيـــــاء

عَــنّتْ تُــبــدِّل شــكَّــنــا بــيــقــيــنــنــا

في ذاك مـــنه الـــســـيـــرةُ الحـــســـنـــاء[1]

والـــسُّـــحبُ تـــوقِنُ أن مـــصـــدرهـــا إذا

غـمـرتكَ مـنـهـا بـالحـيـا الـدَّأْمـاء[2]

لـــــله (طه) من طـــــبـــــيبٍ طِـــــبُّهُ

لـــلـــعـــقل والجـــثـــمـــان فـــيه شـــفـــاء

إرشـــادُهُ يـــشـــفي الـــنُّـــهى وبـــعُـــرفهِ

تـلـقى شـفـاءَ جـسـومـهـا الـبـؤسـاء

داوى بـخـيـر الـنـصح عـقـلي وانـبـرى

مـــنه لجـــســـمي بـــالجـــمـــيل دواء

هـــذا هـــو الـــطِبُّ المـــفـــيـــد لمن به

من فـــــقـــــرهِ أو جـــــهـــــله أدواء

مـا كـان لـلـداءَيْنِ في أهـلِـيـهـمـا

- لـــو شـــاع - ذاك الـــفـــتكُ والإبلاء

لـــكـــنه طِبٌّ يَـــعِـــزٌّ وجـــودُهُ

في بـيـئـةٍ نَـدَرَتْ بـهـا الـفُـضَلاء

ويـــقِلُّ أهلُ الـــفـــضل في الـــوسط الـــذي

لـــلـــجـــهل والإمـــســـاك فـــيه ثَـــواء[3]

(١) عنَّ لك الشيء: ظهر أمامك.

(٢) الحيا: المطر. والدأماء: البحر.

(٣) ثواء: طول إقامة.

فالجهلُ والإمساكُ إن عكَفا على
وسطٍ فما للفضل فيه بقاء

وأرى محيطي منها لمّا يَزَلْ
فيه بلاءٌ فادحٌ ووباء

فإذا على قومي جرى من مقلتي
– طوعَ الشجون المجريات – الماء

فلأن ذلك كُلُّ ما أسطيعه
جهد المقصِّر في الخطوب بكاء

من لي بكالفيّاض يشهَرُ فيهمُ
قلمًا جَناه حكمةٌ وحِجاء[1]

فعساه يَبْلُغُ منهم الأسماعَ ما
في العالمين لهم به إحياء

فَلَذاكَ أحرى أن تعود قلوبُهمُ
منه لغالي النصحِ وهي وعاء

حُرٌّ يَخِفُّ عليه من إرشاده
ما لا تُقِلُّ الهضْبةُ الشمّاء[2]

وإذا تولّى المرءَ من إيمانه
عونٌ عليه خفَّت الأعباء

ما انفكَّ يُتبِعُ بالنصيحة مثلَها
كأجلِّ ما تأتي به النُّصَحاء

إقرأ «صدى الشبّان» تعرفْ فضلَهُ
فلفضله إضمارُها إبداء

والزَّهرُ لا تخفى حقيقة طبعِهِ
ما مَرَّ بالآناف منه شَذاء

---

(١) الحجا: العقل.

في كل أسبوعٍ تُعيد رنينها

بالخير من ذاك الصّدى أصداء

إني لأصغي نحوها فيزيدُني

مِقَةً (لطه) ذلك الإصغاء[1]

ولحسبُنا منه نصائحُهُ التي

للخير منها في النفوس نماء

لكن «طه» ما أكتفى حتى انثنى

ولعُرفهِ مع نصحِهِ إسداء

منه تداركني ومن إخوانه

في الفضل سعيٌ نافع وحِباء[2]

حين المِضُّ من الخصاصة أحدقتْ

بي منه – أو قد كادت – الأسواء[3]

فلهم على معروفهم شكري وهل

للعُرف من شُكر الشّكور كِفاء

كَلاَّ ولكن من حقوق جميلهم

أن لا يكون لشكرهم إلغاء

فلذا سأبقى شاكرًا ما لم يَعُقْ

بالصمت جائلَ مِقْوَلي الأرداء

****

(١) المقة: الحب.

(٢) الحباء: العطاء.

(٣) الخصاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبدالله الخلف الدحيان[1]

ما بعد فقدكَ للكويت عزاءُ
أَنَّى وأنت بجسمها الحوباءُ[2]

ما مِتَّ أنت وإن حوتك حفيرةٌ
لفظتك فيها الآلةُ الحدباء

كلاّ ولكن الكويت هي التي
ماتت وماتت ضمنها الأحياء

ما كان موتك غير سُلَّمِ جنةٍ
فيها تدوم لمثلك النعماء

عَجِلَتْ فمدَّتْهُ ليفضِيَ مسرعًا
بك نحوها من ربك الآلاء

أصبحت للفردوس عنا راحلاً
عجلان مذ منها أتاك نداء

فغدا رحيلك للكويت وأهلها
موتًا زؤامًا ما به إبقاء

كنتَ القِوام المعنويَّ لموطنٍ
فدحت عليه ببينك الأرزاء[3]

إن فزت بالمحيا المؤبد بعده
فالبُعدُ منك أتاه وهو فناء

(١) كان المرحوم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار غزيرة يوم وفاة الشيخ عبدالله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يومًا على الوفاة.

(٢) الحوباء: النفس.

وإقـامــة الــعـلــمـاء مــحـيـا شــعـبــهم

وحِـــمـــامُـه أن تـــرحل الـــعــلـــمـــاء

فـــإذا عن الأقـــوام من عـــلـــمـــائـــهم

غـــربت بـــجـــنّـــات الخـــلـــود ذُكـــاء[1]

فــــأبـــــسط إلى الأقـــوام كفَّ مــــودِّعٍ

فــــلـــــقـــــد تـــــنـــــبَّه فـــيـــــهم الإرداء

غـــادرت أمـــواه الـــعـــيـــون جـــواريـــا

أســـفًـــا عـــلـــيك تُـــمِـــدُّهُنَّ دِمـــاء

فـــاعـــجب لأمـــواتٍ أســـالَ دمـــوعَـــهم

حـيٌّ أتـــــــــاه مـن الإلـه دعـــــــــاء

ولـــقـــد بـــكـــتك وقـــد أحـــسَّت قـــبـلـــنـــا

مـــنك الـــفـــراقَ الـــديمـــةُ الـــوطـــفـــاء

قـــد غـــاض مـــاء جـــفـــونـــهـــا حـــتى إذا

أزف الـــتـــرَحُّلُ مـــنك فـــاض المـــاء

أحـــشـــاؤهـــا ذابت بـــنـــار تـــنـــهُّـــدٍ

تُـــدعى الـــبـــروقَ فـــســالت الأحـــشـــاء

حـــتى لَـــخِـــفْـــنـــا أن يَـــعُـمَّ بـــســيـــلـــهـــا

دُورَ الـــكـــويت الـــهـــدمُ والإبلاء

وغـــدا يـــرى الـــغـــيث الـــذي هـــو رحـــمـــةٌ

كلٌّ من الـــســـكـــان وهـــو بَلاء

وكـــذا لـــفـــرط مـــزيـــدهـــا أو نـــقـــصـــهـــا

عن حـــالـــهـــا تـــتـــحـــول الأشـــيـــاء

لـــبـــثت تـــنـــوح وتـــكـــتم الـــســـر الـــذي

نـــاحت له من فـــوقـــنـــا الأنـــواء

---

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حـتى رحـلتَ فـعـاد سِـرٌّ نـواحـهـا
يـوم الـرحـيل ومـا عـلـيه خـفـاء
فـثـنى رحـيـلُكَ كل مـقـلـة مـسـلمٍ
بـالـدمع وهي سـحـابـة غـرّاء
حـتى انـثـنت طـوع الـشـجـون عـيـونـنـا
هي والـسـحـائب في الـبـكـاء سـواء
إن كـان وصـفي أمس عـنـدك شـاعـرًا
فـالـيـوم وصـفي الـنـائح الـبَـكّـاء
أو كـنتُ قـبل نَـواك بُـلْـبُلَ مـعـشـرٍ
فـيـهم قـريـضي سـار وهـو غِـنـاء
فـالـبـعـد مـنك أعـادني بـنـيـاحـتي
وأنـا حـمـامـة أيـكـةٍ ورقـاء
لـو كـان شـعـبي بـالـتـنـاسخ مـؤمـنًا
يـا (صـخـر) أيـقن أنـني (الخـنـسـاء)[1]
مـا عن أبي خـلفٍ لـنـفـسي سـلـوةٌ
مـا لم يـتح لي من عُلاهُ لـقـاء
مـا زلت أخـشى من صـروف مـنـيَّـتي
أيـامَ أدنـو مـنك حـين أشـاء
والـيـوم قـد أصـبـحتُ أسـتـشـفي الـردى
والمـوت في بـعض الـظـروف شِـفـاء
إن كـان داء الخِلِّ نـهـجُ لحـاقه
بـالخل فـالـداء المـمـيت دواء
شـقـيت بك الـغـبـراء يـوم هـجـرتـهـا
ولـطـالمـا سـعـدت بك الـغـبـراء

---

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائمة البكاء على أخيها صخر.

جَنَّتْ عليها بَعد بُعدك ليلةٌ
مُرْبَدَّةٌ أرجاؤها ليلاء[١]

ضَلَّت بحِندِسِها سبيلَ عزائها
إن كان بَعدك للعزاء بقاء[٢]

لما نعَوْكَ إليَّ أحيا قولُهم
فيَّ الشجون فماتت الأعضاء

وإذا برُحْبِ الأرض دائرةٌ على
جسدي تضم إطارَها الآساء

فسجدتُ فوق الترب لا لتعبُّدٍ
لكن لأمرٍ شاءهُ الإغماء

فلبثتُ في الإغماء بضعَ دقائقٍ
فيهن من حسي أستتَبَّ جَفاء

ثم انتبهتُ بحالةٍ مرهوبةٍ
منها غدت ترثي ليَ الأعداء

متمنيًا أن لم أُفِقْ من صعقةٍ
مرت وزعزعها عليَّ رخاء[٣]

نبأٌ أمات الصبر إذ أحيا الأسى
فاعجب لموتٍ طيَّهُ إحياء

فكأنه دمعُ الغمائمِ إذ أتتْ
ولها عليك تلهُّفٌ وبكاء

شق الثرى عن كل روضٍ ميتٍ
منه بجوف الترب طال ثواء

---

(١) جنَّت: أظلمت. مربدة: مظلمة.
(٢) الحندس: الظلمة.
(٣) ريح زعزع: شديدة. وريح رخاء: لينة.

وثـنى المـبـانيَ وهي صـرعى لم تـكـد

من جُـلِّـهـا تـتـمـاسك الأجـزاء

حـتى كـأن قُـوى مَـشـيـدِ بـنـائـنـا

سـأمٌ عـراهـا مـنه أو بـغـضـاء

فـتـجـرَّدت مـنه لـسـكـنى غـيـره

فـإذا الـنـبـات يـدبُّ فـيه ذَمـاء[1]

فـأتـته آويـةً إلـيه فـانـثـنى

نـشَـأٌ بـسـكـنـاهـا له ونَـمـاء[2]

فـالـنـبت يـعـلـو والمـبـاني تـنـحـني

بِـنَـواكَ فـهي الخـفضُ والإعلاء

فـمن المـبـاني في الـبلاء شـكـيَّـةٌ

ومن المـنـابتِ في الـنـمـاء ثـنـاء

فـهـمـا لـفـقـدك يـنظِـمـان مـراثـيًا

فـالـشـكـو يـصـحـبه الـثـنـاء رثـاء

مـا إن رأيـنـا قـبل فـقـدك عـالـمًـا

تـرثـيه قط مـنـابتٌ وبِـنـاء

وإذا غـدت تـرثي المـنـابتُ والـبُـنى

عـادت كـأخـرسِ مـا تـرى الـشُّـعَـراء

وإذا عـيـيتُ عن الـرثـاء ولم تـكن

بـالـعِيِّ تَـعـرفُ مـقـولي اللأواء[3]

فـكـذا غـريب الـفـضل يـأتي نـأيُهُ

وبه لـكل غـريـبـةٍ إدنـاء

---

(١) الذماء: الحركة وبقية النفس.

(٢) النشأ: الصغير الذي ينشأ.

(٣) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

إيهٍ أعبد الله قل لي هل أتت
عنا تصافح سمعَك الأنباء[1]

فعلمتَ أني من نَواكَ بحالةٍ
من مثلها تتمثّل الأسواء

ما بين أحزانٍ إذا أخفيْتها
أضحى لنا بدموعنا إبداء

تبدو وتَخفى بالدموع وبالأسى
هذا لنا سترٌ وتلك جلاء

فكأننا سفُنٌ لنا من حالنا
موجٌ مضت بسكونه نكباء[2]

جزع تمشَّى موغلاً بنفوسنا
وبها تمهِّدُ سُبْلَها البُرَحاء[3]

حتى غدا ولَهُ على أعماقها
بوطائها وغطائها استيلاء

مهما أرادت كَبْتَهُ أو طَردَهُ
عَنَّ الأسى وأعانهنّ حجاء

غضِبَ الوفاء عليهما مستبقيًا
جزعًا له بصوابنا إلواء[4]

إن كان حظك من نواك سعادةٌ
فنصيب قومك من نَواكَ شقاء

فاهنأ أبا خلف بمنزلك الذي
أبدًا يُجَلِّلُ جانبيه صفاء

(١) إيه: كلمة استزادة واستنطاق أي زدني وأخبرني.
(٢) النكباء: كل ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.
(٣) البرحاء: الشدة والمشقة. وخص بها بعضهم شدة الحمَّى.
(٤) ألوى بالشيء إلواء: ذهب به.

فهناك لا حسدٌ ولا حقدٌ ولا
مكرٌ ولا غدرٌ ولا شحناء

وهناك لا كذبٌ ولا غشٌّ ولا
زورٌ ولا كِبْرٌ ولا خُيَلاء

وهناك لا شُحٌّ ولا ذو نعمةٍ
عنها تُذاد بجوعها البؤساء

وهناك لا تلقى ودادًا صَحبُهُ
يتلونون فكلهم حِرباء

وهناك لا كيدٌ ولا ذو حيلةٍ
بشباكها بُلْهُ الورى أُسَراء(1)

وهناك لا جبنٌ ولا ذو صولةٍ
وجَلاً تُحابي رأيَهُ الآراء

وهناك لا ظلمٌ ولا ذو قوَّةٍ
منه تخاف السطوة الضُّعفاء

وهناك لا طمعٌ ولا ذو ثروةٍ
تعنو لوجه ثرائه البُسَطاء

وهناك لا أغراضَ تمنعُ أهلَها
أن ينصروا حقًّا ولا أهواء

وهناك لا نسبٌ به يعلو الفتى
إن خانه حسب ولا أزياء

وهناك لا استهزاء ينسج ثوبَهُ
إلمامُ حادثةٍ ولا إزراء

وهناك لا بؤسٌ تثير رياحُهُ
تُهَمًا على العافي ولا ضَرّاء(2)

(1) البُله: جمع الأبله، وهو الذي لا عقل له.

(2) العافي: طالب المعروف.

وهــنــاك لا حــشــرات في صــور الــورى

مـــنــــهن يـــؤذى مـــنـــطقٌ ورواء[1]

وهـنـاك لا تـقـضي الخـيـانـةُ أن تـرى

ذممًـــا تـــداس كـــأنـــهن حـــذاء

وهــــنــــاك لا مـــلَـقٌ ولا مـــذَقٌ ولا

أشَـــرٌ ولا بـــطَـــرٌ ولا فـــحـــشـــاء[2]

تـلك الـتي قـد كـنتَ تـمـقـتُـهـا ومن

مـــرأى ذويـــهـــا في الأنـــام تُـــســـاء

أصـــبـــحت تـــأمن أن تـــراهـــا مـــرةً

أخـــرى فـــمـــنـــهن الخـــلـــودُ خلاء

مـــا ثـم من كــــدَرٍ ولا عــــكَـــرٍ ولا

عـــيشٍ تـــمـــرُّ بـــصـــفـــوه الأقـــذاء[3]

فـاهـدأ وطب نـفـسًـا فـقـد نـلت الـتي

فــيــهــا يــحفُّ الــســاكــنــين هــنــاء

مـضت الـلـيـالي الأربـعـون وكـلـهـا

مـنـهـا الـدقـيـقـة حِـجَّـةٌ شـهـبـاء[4]

طـالت فـمـا نـدري أضـلَّتْ قـصـدَهـا

فـــغـــدت تـــدور كـــأنـــهـــا أرحـــاء

أم أنـــهـــا افـــتـــقـــدت عُلاك فـــعـــاقـــهـــا

عن سـيـرهـا في بـحـثـهـا اسـتـقـصـاء

أم أنـــهـــا عـــلـــمت بـــبـــيـــنك فـــاعـــتـــرى

أعـضـاءهـا من حـزنـهـا اسـتـرخـاء

✡✡✡✡✡

---

(١) الرواء: المنظر الحسن.

(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشر: البطر أو أشد البطر.

(٣) ثم: هناك. والأقذاء جمع قذى وهو ما يرعى به.

(٤) الحجة: السنة.

يــا من عــلى جــزعي أتــاني لائــمًــا
إن شــئت بي أن تجــديَ الــلَّــوْمــاء
فَــمُــرِ الــشــجــونَ يــدَعْنَ قــلــبي إن يــكن
مــنــهــا إلى قــول امــرئٍ إصــغــاء
فــلــقــد غــدا مــا بــيــنــهــا وكــأنه
كُــرَةٌ تــنــاوب قــذفَــهــا الــلُّــعَــبــاء
أو لا فــدعــني جــازعًــا مــتــلــهــفًــا
واذهــب فــمــا لِــلَّــوْمِ بي إجــداء
فــلــقــلَّــمــا انــتــفــعت بــكــحلٍ - ذَرَّهُ
فــيــهــا الــطــبــيب - المــقــلــةُ الــعــمــيــاء
يــا من إلى الجــنــات ســارع إنــنــا
مــذ ســرتَ في نــار الأسى حَــلْــفــاء
أغــرَتْ بــنــا نــارَ الأسى مــنك الــنــوى
فــلــهــا بــنــا طَــوْعَ الــنــوى إيــراء[1]
خُــطَــبًــا وأشــعــارًا يَــخــال كلامَــنــا
في مــثل هــذي الحــفــلــة الجُــهَــلاء
وكلامــنــا هــذا لــعــمــرُ فــقــيــدنــا
من حــرِّ نــار شــجــونــنــا ضــوضــاء
يــا من بمــنــآه الــتــظَتْ أشــجــانُــنــا
أيــتــاح يــومًــا مّــا لــهــا إطــفــاء
أم هــكــذا نــبــقى فــتــبــقى تــشــتــكي
لــفــحــاتِــهــا الــشــعــراء والخــطــبــاء
إني عــهــدتك لا تجيءُ بــغــيــر مــا
مــنه لمــثــلي في الــورى سَــرّاء

(١) أورت إيراء: اتقدت.

فـــعلام جـــئتَ من الـــرحـــيل بمـــا به

عَمَّ الـقـلـوبَ من الـغـلـيل عَـفـاء

مــاذا أرابَك والـقـلـوبُ جـمـيـعُـهـا

لـــوداك المحضِ الـــصـــريحِ وعـــاء

فـرمـيتَ عن قـوس الـفـراق صـمـيـمَـهـا

بـسـهـام حـزن شـأنـهـا الإصـمـاء

مـا كـنت أحـسـب أن تَـحُـول لحـادثٍ

فـتـحُـولُ مـنك الـغـادةُ الحـسـنـاء

هـذي الـكـويت بمن بـهـا قـد أصـبـحت

نـشـوى تـمـيـد ومـا بـهـا الـصـهـبـاء[1]

عـكست بـنـا الـعـادَ الجـمـيلَ يَـدُ الـنـوى

فـمن الـدواء بـهـا أتـانـا الـداء[2]

لـو لم تُـنِـرْ شـمسُ الـضـحى سُـبُلَ الـورى

لم تُـشْـكِـهِمْ بـأفـولـهـا الـظـلـمـاء[3]

لـو لم تَكُ الـدأمـاء مـحـيـا حُـوتِـهـا

مـا ضـارَهُ أن تـنـضُبَ الـدأمـاء[4]

فـاذهبْ عـلـيك تحـيـةٌ من راحلٍ

بـكَتِ الـكـويتُ رحـيـلَه جـمـعـاء

فـبَـكـاك مُـصـلِـحُـهـا ابنُ عـيـسى عـالمًا

أن الـبـكـاء عـلـى عُلاك وفـاء[5]

وبـكـاك مَـبْـكـى يـوسفٍ أهلُ الـنـهى

فـغـدت تـعـيـد صـداهـم الـدهـمـاء

---

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) العاد: جمع العادة.

(٣) لم تشكهم: لم تزل شكواهم ولم تعتبهم.

(٤) الدأماء: البحر.

(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فـالـقـوم عن تـقـلـيـدهم أو عـلـمِـهِمْ

ممـا بـه يـبـكـون حُلَّ وكـاء[1]

فـالـدمعُ تـنـثـر نـظـمَهُ أجـفـانُـهم

والـشـعـرُ تـنـظم نـثـرَهُ الـفـصـحـاء

فـكـأنك اسـتـودعتَ ألـسـنـةَ الـورى

وعـيـونَـهم دُرّاً فـحـان أداء

****

(١) الوكاء: كل سير أو خيط يشدّ به فم السقاء أو الوعاء.

الحر من يأبى الهوان

أتحب أن تـــلــــقى الإهـــانــــة مَـــرّةً
أخـــرى كـمــا حِـقْــدُ المــديــر يــشــاءُ
لا خــــيــــر في رزقٍ تُـــصـــــادف دونه
مـــا لا تـــطـــيق من الأذى وتُـــســـاء
حـــتى الحـــيـــاة إذا خـــلت من عِـــزّةٍ
داءٌ لمـــثـــلـك والحِـــمـــام دواء
مـــا الحُـــرُّ إلا من تـــأبّتْ نـــفـــسُه
سَـــوْمَ الـــهـــوان فـــهل لـــديك إبـــاء
ولأعْـــذَرُ الـــعـــقلاءِ يـــوســـفـــهمْ إذا
وافـــاهُ عـــذرك والـــتـــرَدُّدُ داء[1]
أتـخـاف غـيـر قـبـول عـذرك إن قـضى
بـــقـــبـــوله مـــنه عـــلـــيه حِـــجـــاء
أيـــرد عـــذرك عـــاتـــبًـــا أو لائـــمًـــا
وكـــمـــا عـــلـــمتَ تُـــقـــاه والآراء

****

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي[1]

أكـــذا يـــكـــون تـــواضـــعُ الـــكُـــبَـــراءِ
وتـــلـــطُّفُ الـــعـــلـــمـــاء بـــالـــشـــعـــراءِ
كلاَّ ولـــكـنَّ الـــتـــواضـــعَ شـــيـــمـــةٌ
لـــزعـــيـم تـــونس نُـــدْرَةِ الـــزعـــمـــاء
وافـــيتَ بـــالـــتـــبـــريك في الـــعـــيـــد امْـــرَءًا
خـــلعَ الـــقـــضـــاءُ عـــلـــيه ثـــوبَ شـــقـــاء
فـــأريـــتَـــه وَجْـــهَ الـــسُّـــرورِ وطـــالمـــا
سَـــتَـــرَتْهُ عـــنـــه ســـواتـــرُ اللأواء[2]
أنَّـى يـــرى وجـهَ الـــمَـــسَـــرَّةِ بـــارزًا
من لـم يـــزل من أبـــأسِ الـــبـــؤســـاء[3]
يـــشـــكـــو طـــواه مـــعـــلـــنًـــا لـــكن إلى
أُذُنٍ - عن الـــشـــاكي الـــطَّـــوى - صَـــمّـــاء[4]
قـــلبُ الـــكـــويت من الـــشـــراســـة مـــفـــعَـــمٌ
لـــكن عـــلـــى مـــثـــلـــي من الأدبـــاء
الـــنـــاصـــحـــين المخـــلـــصـــين بـــنـــصـــحـــهمْ
الـــنـــابـــذين خـــداعَـــهـــا الـــصُّـــرَحـــاء

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي ورأى من تواضعه ما أعجبه.
(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.
(٣) أنى يرى: كيف يرى.
(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسِلُ الصيحاتِ فيها منذرًا
من قسوةٍ طالت على النُّصَحاء

فتعيرُ سَمعَيْها صياحي عَلَّها
تُلفي بذاك مبررًا إقصائي

أما الألى اتخذوا الدِّهانَ شعارَهمْ
فيها فما زالوا من السُّعَداء[1]

تحنو حُنُوَّ الأمَّهات عليهمْ
وهُمُ إليها طُرْقُ كلِّ بَلاء

وترى تقدُّمَها - وهذا شأنها
مع أهلها - من ممكن الأشياء

فأظلُّ فيها ضاحكًا من رأيها
ضحكًا يقطِّعُه مريرُ بكائي

قد عَزَّني فيها البلاغُ لأنني
ما شِبْتُ إخلاصي لها برِياء[2]

من لي بها بلدًا إذا استَوْطَنْتُهُ
أحرزتُ فيه مُسْكَةَ الحَوْباء[3]

ما الرأيُ يا «عبدالعزيز» ففاقتي
في ليلها عني اختفت آرائي

أرني طريقًا للتخلُّص مفضيًا
من حالةٍ في موطني نكراء

ماذا ترى غيرَ الرَّحيلِ فقد أبى
هذا عليَّ ثقيلُ قيدِ عَمائي

---

(١) الدهان: بمعنى المداهنة وقد ورد داهنني مداهنة وهي اظهار خلاف ما يضمر، هذا ومصدر فاعل الفعال والمفاعلة.

(٢) عزني: غلبني وقهرني.

(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحوباء: النفس.

كن لي بــرأيك مــنــقــذًا فــالــرأيُ قــد

يــكــفي لــتــخــلــيصٍ من الــبُــرَحــاء[1]

أو لا فـــــسَلِّ وعَـــــزِّ مـــــني أرملاً

فــجــعَــتْهُ شِــقــوتُهُ بــكلِّ عــزاء

فــلــقــد تــكــونُ الــتــعــزيــاتُ مــريــحــةً

من لم يــجــدْ في الــعــيش غــيــرَ عــنــاء

لا ســيَّــمــا وزعــيمُ تــونسَ نــاظمٌ

مــنــهــا الــنــثــيــرَ بــحــكــمــةٍ ودهــاء

****

(١) البرحاء: الشدة والمشقة او شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجــهلُ داءُ الــشّــعــرِ عــنــدي وحــده
والـــــعِـــــلـم فـي رأيـي أجـلُّ دوائـِهِ
فــالــشــعب من مــالٍ وعــقلٍ لم يــكن
خـــلـــوًا ولا مـن حـــزمِـهِ وذكـــائـه
لـــكن من الــعــلـم الــذي هــو نــوره
في سُــبْلِ مَــحْــيــاهُ إلى عــلــيــائه
وإذا الــبــصــيــر عــداه نــورٌ في الــدجى
حـاكى الـبـصـيـرُ الـعُـمْيَ في ظـلـمـائه
فــأهِبْ بــشــعــبك لــلــعــلــوم فــإنه
يــحــظى عــلى مــا أرتــئي بــشــفــائه
الــشــعبُ عِــلَّــتُهُ افــتــراقٌ مــهــلكٌ
والإتحـــاد لـــديَّ خـــيـــرُ دوائه
لــكن إذا بَــنَتِ الــوئــامَ يَــدُ الحِــجــا
وبــنى الحــجــاءُ الــعِـلمَ من عــلــمــائه
فــالــعـلـم عـنـد الـلُّبِّ يـزكـو والـنـهى
كلُّ اتحـــادٍ راق من إنـــشـــائه[1]
فــالــعـلـم أصلُ الخـيـر في أصــحــابه
والجـــهل أصل الـــشـــر في أُسَـــرائِه

****

(١) النهى: العقول، جمع نهية.

ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

لـــيـــأمَنْ لَـــذْعَ هـــجـــوي كلُّ قـــاصٍ
ودانٍ في الــــورى مـــهـــمـــا أســـاءَ
فـــــــإنـي قـــــــد رأيـت أحـقَّ شـيءٍ
بـــإلـــغـــاءٍ من الـــشـــعـــر الـــهـــجـــاء
لـعـقـلي راضَ طـبـعي الـشـيبُ حـتى
إلــى إذعـــــــانــه رَدَّ الإبــــــــــاء
فـطـبـعي طـوع عـقـلي مـنـذ أبْـدَتْ
بـظـهـري بـسـطـةُ الـعـمـر انـحـنـاء
وشـــيـــبُكَ نـــعـــمـــةٌ إن فـــيـه لـــبّى
لـــعـــقـــلك جـــامحُ الـــطـــبع الـــنـــداء
فـمـنـذ كـبـرتُ داعي الـهـجـو ألـفى
ســـراع قـــصـــائـــدي عـــنه بـــطـــاء
وكـــان الـــعـــقل يـــنـــهى عـــنه قـــبلاً
ولـــيس يـــرى من الـــطـــبع انـــتـــهـــاء
فـــهل قَـــوّى المـــشـــيبُ الـــعـــقل أم هل
به لـــبـــست قُـــوى الـــطـــبعِ انـــحـــنـــاء

✲✲✲✲✲

وأمـــا مـــا نـــطـــقت به قـــديمًـــا
لأجـــزي من تـــمـــنّى لي الـــشـــقـــاء

فمنه أمَتُّ ما مَحياهُ يُثني
من المهجوِّ للكدر الصَّفاء

فأبقيت الذي لا بأس فيه
عليه حَسْبَ ماليَ قد تراءى

وإن يوجع فإيجاعٌ خفيفٌ
كما استذكرتَ بعد البُرء داء

وإتلاف الجميع علي أشهى
فليت جميعَه ولَّى جُفاء[1]

فلست أحب ذكراه ولكن
سوى ما شئتُه التاريخ شاء

ولم أنظِمْهُ حتى الجؤوني
إلى نظميه ظلمًا واعتداء

وسُقم المرء يُلزِمه أنينًا
على حسب التأذّي واشتكاء

وقد يهذي المريض وأيُّ حُرٍّ
تراه منكرًا منه الهُذاء

أساءوا في معاملتي إلى أن
عصيت به ضميري والحجاء

ولم أنطقه مفتريًا ولكن
هُما كَرِهاهُ صدقًا وافتراء

ولم أفحش على أحدٍ بهجوي
ولو أدنت يداه لي الثواء[2]

فهُجْرُ القول ينكره ويولي
إليه الهَجْرَ طبعي والصفاء

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.
(٢) الثواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أينسج منطقي منه غشاءً
لمهجوٍّ الأعادي أو رداء
ونفسي منه تألَمُ ما أحسّت
لأيسره إلى سمعي ارتقاء
ولم تُولِ التفاتَتَها احتقارًا
فتًى يهذي بفحشٍ، وازدراء
أأنطُقُ ما أضيق بناطقيه
كمن جمع الجهالة والغباء
يعدُّ سَماعَه سمعي بغيضًا
لما يلقى إذا سمع الغناء
فلو خيِّرتُ في صممي وفيه
رأيت عليه للصمم اصطفاء
فشعري منذ قلتُ الشعر طفلاً
بريئًا كان من فحشي خلاء
ويوجع من هجوت على اجتنابي
به الإفحاش صونًا واعتلاء
ولم أصدِمْ به يومًا سوى من
أبَوْا إلا مصادمتي التواء
دفاعًا لا هجومًا كان كي ما
أعيدُ به التواءهُمُ استواء
أبت لي غير قول الهجو فيها
أناسٌ أوسعوا نفسي عناء
ومن تُحرِجْهُ تُخرِجْهُ ولو لم
يَرُقْهُ أن يناصبَك العَداء
لزمت رجاء كفِّ الشرِّ حتى
ثَنَوْا مني إلى اليأس الرجاء

فلـيت الـكلَّ مـنـهم من مُـثـيـري
علـيه من مسـاعـيه ثـنـاء
فكـان الـكل مـنـا مسـتـريـحًـا
مـدى المحـيـا خـتـامًـا وابـتـداء
بلاءُ حـيـاتـنـا يـكـفي فـمـا لي
أرى المـؤذيـن زادوهـا بـلاء
صـوابُ الـرأي في أن لا يـضـيـفـوا
لـنـار بلائـهـا إلا انـطـفـاء
وقـد خـفِيَ الـصـواب عـلى نُـهـاهم
فـبَـرِّحْ عـنـه يـا ربي الخـفـاء
وصـيِّـرْ عـفـوك المـرجـوَّ عـنـهم
عـلى مـاضي أذيَّـتـهم جَـزاء
فـأكـرهُ مـا كـرهتُ عـذاب غـيـري
لأجـلي مـا أتى ضـدي وجـاء

✡✡✡✡✡

عـجـبتُ لـعـاشقٍ تـنـغـيصَ عـيـشي
ولـم أعـشق له إلا الـهـنـاء
فـكم رجـلٍ – ولـم أذنب – أرتـني
مـسـاعِـيهِ مـسـاءاتي ولاء
كـأنـهمُ رأوا فـي مُـسـخِـطـاتي
إذا كـثُـرَتْ لأنـفـسـهم رضـاء
وأعـرف سِـرَّ مـا يـأتـيه مـؤذٍ
فـيـأبى عـنـصـري عـنه انـتـمـاء
فـخُـلفُ الـعـنـصـرين الـيـوم داءٌ
تـخـيب إذا طـلـبت له دواء

وأجـــهلُ سِـــرَّ مـــقتٍ، عـــنه كـــانت
أذاة لا أطـــيق لـــــهـــا لـــــقـــاء

رمت عن قــوســـهـــا قــلــبي بــنــبلٍ
جــروح شــبـيــهــهـا تــأبى الـشــفـاء

مــســاعي مــعــشــرٍ والــكل مــنــا
بـــنــســبــته إلى قـــحــطــان فــاء

وأقـــــتَلُ من رمـــاك أخٌ تــــمـــــنّى
له أنت الـــســعـــادة والـــبــقـــاء

فـــــلم أر كـــــالأذيـــــة من قـــريبٍ
رعـــــيت له قــــرابـــــته وفــــــاء

فــــمـــــزدوجٌ بـــقـــلـــبي كل جـــرحٍ
به من يـــــعــــــربيِّ الأصل بــــــاء

لأن الـــــســــــهم مــــنه إليَّ فـــــيه
له شِـــرْكٌ فــيــقــتــلــنــا ســـواء

فـــإن أبـــكى أذاه عـــليَّ عـــيـــني
رأيت لـــهـــا عـــلــيه مـــعي بـــكـــاء

****

الكويت وبغداد[1]

حَســـدت بك الـــزوراءَ غـــيـــرَ مـــلـــومـــةٍ
أرضٌ بـــثـــثت الـــعـــلـــمَ في أبـــنـــائـــهـــا[2]

عـــجِّلْ مـــآبك لـــلـــكـــويت مـــبـــادرًا
أن يـــفـــتِكَ الـــتـــحـــســـيـــدُ في أحـــشـــائـــهـــا

حـــســـدت وقـــد عـــلـــمت بـــأنك زائـــرٌ
دارَ الـــســـلام الـــيـــوم من جَـــرّائـــهـــا

وتحـــاسُـــدُ الـــبـــلـــدان داءٌ مـــعـــضلٌ
مـــذ كـــانت الـــدنـــيـــا عـــلى عـــلـــمـــائـــهـــا

يـــا من به ارْتَـــقَتِ الـــكـــويتُ إلى الـــعلا
حـــتّـــامَ أنت تـــكـــدُّ في إعلائـــهـــا

اســـتـــبق مـــهـــجـــتك الـــكـــريمـــة إنـــنـــا
في حـــاجـــة كـــبـــرى إلى اســـتـــبـــقـــائـــهـــا

إن كـــنت تـــكـــدح لـــلـــمـــعـــالي فـــاتَّـــئِـــدْ
فـــلـــقـــد ســـكـــنت الـــيـــوم في حـــوبـــائـــهـــا[3]

أبـــرزت تـــاريخ الـــكـــويت يمـــيس في
حـــلل الـــصـــراحـــة حـــالـــيًـــا بـــحلائـــهـــا

لم تـــخش لـــومـــة لائـــمـــيك مـــصـــرِّحًـــا
فـــظـــفـــرت من أحـــرارهـــا بـــثـــنـــائـــهـــا

أبـــديت كل حـــقـــيـــقـــةٍ فـــيه كـــمـــا
كـــانت ومـــا دَلَّـــستَ في إبـــدائـــهـــا

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.

(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهنا يراد بها بغداد.

فـاثْـبُتْ عـلى نـشـر الحـقـائق عـالمًـا

أنّ الحـقـائقَ أنت من أُمَـنـائـهـا

✡✡✡✡✡

أمـا نَـواكَ فـأشـعـلت في أضـلـعي

نـارًا إلـيك الـرأيُ في إطـفـائـهـا

أشْـوَتْ نجـيثَ الـبـينِ أسـهمُ سـلـوةٍ

لـولا نَـواكَ عـجـبتُ من إشـوائـهـا[1]

مـذ أسـهمُ الجَـزَعِ المـميـتـاتُ انـثـنت

مـفـتـرَّةً بـحـشـاي من إصـمـائـهـا

إحـيـاءُ نـفـسي عن لـقـائك نـاشيءٌ

قل لي أتـسـلـو الـنـفسُ عن إحـيـائـهـا

تُـصـبي الـيك الـنـفسَ فـيك خلائقٌ

لم تـنجُ حـتى الـعـميُ من إصـبـائـهـا

فـالـشـمس تـسبح في الـسـماء مضـيئةً

رأد الـضـحى بـالـتِمِّ من أضـوائـهـا[2]

كلاّ ولا تـصـفـو قـريـحـةُ شـاعـرٍ

هَبْ أنه «حـسـانُ» مـثل صـفـائـهـا[3]

عِشْ وابْقَ مـحـمـود الخلائق آمـنًـا

أن تـنـثُـرَ الأيـامُ نـظمَ بـهـائـهـا[4]

✱✱✱✱

---

(١) الشوى: اليدان والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماه فأشواه، إشواء: أصاب شواه ولم يصب مقتله. والنجيث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روي عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يثبتها ولم تأت في الديوان.

دنيانا سراب

يَجِدُّ خصامُهم فيها سَفاهًا
وتسمع كالذئاب لهم عُواءَ
وما أنفكَّت لياليهم تريهم
مكارهَ صُنْعِها بهمُ ولاء
فما جفَّت جفون الحيِّ منهم
على موتى أحبَّتِه بكاء
وينسى أنه لا بُدَّ ماضٍ
على الآثار صبحًا أو مساء
فتلقى صُنْعَه فيها نهارًا
وليلاً صنعَ من أمِنَ الفناء
يواصل للتكثُّر من جَناها
تَوارُثَ من نوى فيها الثَّواء
فينعكس المرام عليه حتى
يرى مُنساغَ أنعُمها شَجاء
ويقتل نفسه من حيث يبغي
زيادتها من المحيا عناء
ولم تبرح مطامعُ كلِّ نفسٍ
تزيد بلاءَ محياها بلاء
وهل غيرُ المطامع للبرايا
مناهلُ وِردِها يُردي الظماء

فــلــو هــجــروا المــطــامع لم تُــشــاهِــدْ
لــبــعــضــهمُ عــلـى الــبـعض اعــتــداء
ولم يـــعـــرف بـــنـــو الإنـــســـان هَـــزّاً
لـــرمحٍ أو لـــصـــارمٍ انـــتِـــضـــاء
فلا طـــعنٌ ولا ضـــربٌ عـــلـــيـــهم
يـــجـــرّانِ الإبـــادة والـــعـــفـــاء
وعـــاشـــوا إخـــوةً لا ســـعـي إلا
إلـى مـــحضِ المـــبـــرَّةِ أصـــدقـــاء
مُـــجـــافـــين الخـــيـــانـــةَ والـــتـــعـــادي
مُـــصـــافـــين المـــودةَ والـــوفـــاء
ولـــو كـــانـــوا كـــذلك لاســـتـــطـــابـــوا
ضُـحى المحـيـا ولا ذمّــوا الـعِـشـاء
فــلـم تُــفــجَعْ بــراحــتــهــا نــفــوسٌ
تــمــنت من مــتــاعــبــهــا الــثــواء
ولا أخـــذت مـــآخـــذهـــا شـــجـــونٌ
وأكـــدارٌ طــوت عــنـــهـــا الــصــفــاء
ولـــكن لـم تـــدع لـــهمُ صـــوابًـــا
مـــطـــامع قـــد أبت إلا الـــنـــمـــاء
قـــويُّـــهُمُ عـــلـى ذي الــضــعف يــرجــو
لحـــيـــلـــته المـــدمِّـــرةِ انـــطلاء
فـــإن تـــمت فـــذلك مـــا رجـــاه
وإن فـــشـــلت يـــكـــاشـــفُهُ الـــعَـــداء
فـــتـــذكـــو نـــار حـــربـــهمُ لـــتـــلـــقى
بـــهـــا أنـــوار عـــيـــشـــهمُ انـــطـــفـــاء

يدوس الناسُ هامَ الناسِ سعيًا
وراء فضول دنياهم غباء

أحِرْصُهُمُ على الدنيا ليمضوا
به عنها سراعًا لا بِطاء

يخيَّل حرصُهم إن لم يُجَنّوا
لها حبّاً شديدًا بل قِلاء

كأن الناس منها قد أرادوا
تخلُّصَهم ملالاً واجتواء

أما علموا بأن الحرص داءٌ
وليس سوى القنوع له دواء

فمالي لا أرى لهمُ إليه
- وقد وضَحت معالِمُهُ - اهتداء

ولو قنعوا استراح الكل منهم
وفاتوا ما يسوؤهُمُ وساء

تَخاصُمُهم على الدنيا شديدٌ
مديدٌ لا أظن له انتهاء

إلى أن تُنهِيَ المحيا وغاهُمْ
كما منهم لِعَيْنِ الحرصِ شاء

قد افتتنوا بها إذ لم يشيموا
لها كنهًا كما شاموا الرُّواء[1]

ولو سألوا الحجا عنها وأجلى
لهم عن كنهها الخافي الغشاء

لعزك أن ترى أحدًا يبالي
لها هدمًا يُتاح ولا بناء

(١) الرواء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصامًا قَطُّ فيما
يراه العقلُ آلاً أو هباء[1]
وأصبح زهدُهم فيها بديلا
لعشقٍ بينهم يُجري الدماء

✡✡✡✡✡

ترى زيدًا كعمروٍ عن غرامٍ
بها يبدي احتفالاً واحتفاء
يَوَدُّ بها انفرادًا عنك حتى
أخوك الشِّقُّ ناسيًا الإخاء
يظل الكل منها مستزيدًا
ولو فات الثرى عَدّاً ثراء
ويمضي صَبُّها عنها ولما
يُصِبْ إلاّ كساءً أو غذاء
ويترك كلَّ ما منها تأتَّى
لديه سواهما قسرًا وراء
ولو بهما اكتفى كلٌّ لأضحى
وأمسى الكلُّ يحمدُ الاكتفاء
فليس إلى السلام سواه دربٌ
به السُّلاّكُ يلقون الإواء[2]

✡✡✡✡✡

جحيم الحرب، لو عَمَّ البرايا
قُنوعٌ ما شكَوْا منها التِظاء
ونال الكل ما يحتاج مما
عليه تَشكر الأرضُ السماء

(١) الآل: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.
(٢) أوى: يأوي، أويّاً، وأواءً، عاذ ولجأ.

فخير الأرض يكفيهم ويَثني
إذا قنعوا تَعاديهم وَلاء
ولكن أغْرَتِ الأطماعُ بعضًا
تُجاهَ البعض فاحتكروا الرَّخاء
وكانت منذ أزمانٍ كما قد
علمناه يقينًا لا افتراء
تصيحُ – أن اقنعوا بهمُ – فهاهم
لتستبْقوا مع المحيا الحياء
فما غير القُنوع به تلاقي
حروبُكمُ – إذا عَمَّ – انقضاء
وتدعوهم ضمائرهم إليه
فما سمعوا الصياحَ ولا الدعاء
فمن حربٍ تُبَرِّحُ – عن فنونٍ
من الإفناء بينهمُ – الخفاء
إلى أخرى أشدُّ كما اقتضاه
لهم حرصٌ أضلَّهمُ سواء
أمن حيث السقام يُميتُ تغدو
مِراضُ الحرص تلتمس الشقاء
هُمُ من دهرهم أبدًا بحربٍ
تعذر أن يَرَوْا منها احتماء
فَلِمْ زادوا عليها كلَّ مفنٍ
نفوسهم اختيارًا واشتهاء
تأمَّلْ ساسة الدنيا أأرضَتْ
سياستهم ضميرًا أو حجاء
وغيرَ النفي لا يُلقي جوابًا
لسانك حسب ما ليَ قد تراءى

فَمِلْ عنهم وخَبِّرْ عن شُعوبٍ
أنالوا الساسةَ الحُمقَ احتفاء
وكيف تخيّروا نفرًا تنافي
سياستهم لجنسهم البقاء
رجاء زيادةِ الأملاك حتى
لأشبَهَ سائسيه الكلُّ داء
وهل يسوى ازديادُ الملك بشرى
بصرعى تملأ الأرضَ الفضاء
أعنهم تفتدي الأسلابُ مهما
غَلَتْ ثمنًا لسالبها عزاء
وتطمع نفسه في أن تلاقي
– وقد ذهبت أعزّتُهُ – هناء
تسومهمُ المطامعُ كل شَرٍّ
ولم يرِ مطمعٌ منهم إباء
بني الدنيا القناعةُ لا سواها
لعين حياتكم تغدو جلاء
وأقذارُ المطامعِ معمِياتٌ
وكم منهن قد لقيَتْ قَذاء
وإن لم تقنعوا طُرّاً أعدتم
عليكم ظلمةً منها الضياء

✡✡✡✡✡

سَرابٌ ما عليه غدا التفاني
يزيد سيوفه فيكم مَضاء
كذاك رأت حقيقتَها أناسٌ
لهم عنها الحجا كشف الغطاء

أجل والـــــله دنـــــيــــانـــــا ســــــرابٌ

ومـــخـــدوعـــون من حـــســـبـــوه مـــاء

مـــحـــالٌ أن تَـــرى مـــنه الـــصـــوادي

- وإن خـــالـــته يُـــرويـــهـــا - ارتـــواء

ســــــواءٌ من بـه غـــــاصــــوا ومـن هم

عـــلى أطـــرافه وقـــفـــوا اجـــتـــزاء

****

إنها الدنيا[1]

أبـــــا عـــــيـــــسى أراك أجَـلَّ من أن
يـــســـوقَ إلـــيك أمـــثـــالي الـــعـــزاءَ
وكـــيف أســـوق تـــعـــزيـــتي إلى من
لأدواء الـــعـــقـــول غـــدا شـــفـــاء
يُـــريـــنـــا أوجُهَ الحِـــكَمِ الـــلـــواتي
سـنـاهـا قـد هـدى الـقـومَ الـسـنـاء
مـتى اسـتـعـرضتُ سـيـرتَهُ أجِـدْهـا
كـتـابًـا يـجـمع الحِـكَمَ الـوِضـاء
ولـم أبـــــرح أراهُ خـــــيـــــرَ حُـــــرٍّ
يـرى الـدنـيـا وزِبْـرِجَـهـا هـبـاء
لـــــذا لم تـــــلـــــقه إلا مُـــــجِـــــدّاً
لمـــــا لـــــلـــه فـــيه يـــــرى رضــــاء
وهل يـــغـــتـــرُّ شَـــرواهُ بـــدنـــيـــا
أبت إلا مـع الـــكـــدر الـــصـــفـــاء[2]
ولـم تُـــضـــحِكْ بـــنـــيـــهـــا قطُّ إلا
أعـادت بـعـد ضـحـكـهمُ الـبـكـاء
يـــفـــتِّشُ عن ســـعـــادتـــهـــا ذووهـــا
وقـد خـبـأت لـهم فـيـهـا الـشـقـاء
كـمـا خـبـأت للامـسـهـا الأفـاعي
خلال لـــيـــانـــهـــا الـــداءَ الـــعـــيـــاء

(١) قالها معزياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.
(٢) شروى الشيء: مثله.

نُهَرْوِلُ خلف راحتها ونجري
وراحتُها لنا تَلِدُ العناء

ومن ينظرْ بعين العقل منا
حقيقتَها ويجتنبِ الطِّلاء

فيبصرُ ما طَلَتْهُ له جليّاً
بها يَرْدُدْ إلى الرُّخْصِ الغَلاء

ولم يعمل بها عملاً سوى ما
به يرجو لدى الله الجزاء

فإن يك أحمد المحمود أودى
فَمُودٍ كلُّ من فيها سَواء

فيا رحَماتِ خالقِنا سَعِيهِ
وزيدي يوسفًا فينا بقاء

فإن بقاءه فينا بقاءٌ
لما يُرضي المهيمنَ والحِجاء

مثالُ مكارم الأخلاق فينا
وهادينا إليهن احتذاء

مؤسسُ كل ما تأوي إليه
معارفُنا ورافعُه بناء

وغارسُ كل ما يجني نُهانا
من الثمرات أنفعها غذاء

وربَّ خصومةٍ خَشُنَتْ مجسّاً
ثناها لطفُ حكمته إخاء

مزايا بعضُها تلك اللواتي
تَحُلُّ بذات صاحبها السماء

إذا ذُكِرَتْ عليه الكلُّ أثنى
وإن هو لم يُرِدْ منا الثناء

✲✲✲✲✲

أيـــوسفُ إنـــهـــا الـــدنـــيـــا وإني
كـغـيـري قـد شُـغِـفْتُ بـهـا ابـتـداء
فـلـمـا أن سـبـرتُ الـغـورَ مـنـهـا
وبَـرَّحَ لي تـأمُّـلُـهـا الخـفـاء[1]
رجـعتُ وكل مـا شـاهـدت يُـثـني
إلى الـنـقـصـان من شـغـفي الـنَّـمـاء
إلى أن مَحَّ في قـلـبي هـواهـا
ولاقت نـارُ فـتـنـتـهـا انـطـفـاء[2]
وصـرتُ كـكلِّ حُـرٍّ لا يـبـالي
تـقـلُّـبَـهـا صـدودًا أو لـقـاء
ولم يُـفـرِحْهُ أو يُـحـزِنْهُ فـيـهـا
مُـلِمُّ الخَـطْبِ أحـسَنَ أو أسـاء
وأنتَ بِـكُـنْهِ مـا أخـفَتْ وأبْـدَتْ
أتَمُّ الـقـوم خُـبْـرًا واجـتلاء
لـذا في وصـفـهـا أوْجَـزْتُ قـولاً
إلى سـمـعَـيْكَ قـد رامَ ارتـقـاء
ولـولا جـاريـاتُ الـعـادِ عُـدَّتْ
مـخـاطـبـتي لـشَـرواكَ اجـتـراء
وكـيف يـزيـد شـمس الـظـهـر مـثـلي
ضـيـاءً أو يـزيـد الـبـحـرَ مـاء

****

(١) سبره: استخرج كنهه: وسبر الجرح نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
(٢) مح: أخلق وبلي. وفي أحد الدفاتر روي صدر البيت (إلى أن مات في قلبي هواها).

غلاء وعلاجه[1]

غَلاءٌ أهلَكَ الفقراءَ جوعًا
وعُرْيًا، أهلَكَ الله الغَلاءَ

وزاد الأغنياءُ غنًى ويُبْسًا
كما زدتَ الحصى المنقوعَ ماء

فلستَ ترى غنيّاً عن فقيرٍ
يخفِّفُ محسنًا هذا البلاء

وكان الحَظُّ للمُثرين في أن
يُواسوا اليوم من حُرِمُوا الثَّراء

ولكن الطباعَ دَعَتْ فأصغَوْا
إليها مستجيبين الدعاء

وطبعُ المرء يدعوه إلى ما
يزيد عماءَهُ المُردي عَماء

ونادتهم إلى ما الخير فيه
عقولهمُ فما لبَّوْا نداء

ولو لبَّوْا عقولَهمُ لفازوا
وحازوا - كل ما يجني - الهناء

أبَوْا إلا اقتفاء الطبع حبّاً
لفاني المال واجتنبوا الحِجاء

وقلبُ المرءِ إن يتبَعْ هواهُ
يصيِّرُهُ الهوى قلبًا هواء

---

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

ولــو تــبِــعــوا الــعــقــولَ أزَلْنَ عَــمَّنْ

لَـــــــواهُ هــــــواهُ ذاكَ الالـــــــتـــــــواء

فـــمـــا خَـــلَقَ الـــعـــقـــولَ الـــلهُ إلاّ

لـــيـــهـــدِينَ الأُلى شـــاءوا اهـــتـــداء

فـــمن جـــعل الحِـــجـــاء له دلـــيلاً

فـــذاك هـــو الـــذي فـــاتَ الـــشـــقـــاء

فـــقل للأغـــنـــيـــاء إلى نُـــهـــاكم

عن الأهـــواء وادَّكِـــروا الـــثَّـــواء

فـــكلٌّ مـــنـــكم عـــمـــا قـــلـــيلٍ

ســـيـــتـــرك مـــاله مَـــيْـــتًـــا وراء

ولـــيس بمـــفـــلحٍ من لم يـــقـــدِّمْ

من الأعـــمـــال أحـــســـنَـــهـــا جـــزاء

ومـــا كـــالـــبِـــرِّ من عـــملٍ فـــطـــوبى

لمن لم يـــصـــبـــحـــوا عـــنه بِـــطـــاء

وهل غـــرس الـــفـــتى أجـــدى وأزكى

وأطـــيبَ من مـــبـــرَّتِهِ اجـــتـــنـــاء

جـــمـــالُ الـــبِـــرِّ إن أخـــفـــاهُ طـــبعٌ

فـــعـــنه بَـــرَّحَ الـــعـــقلُ الخـــفـــاء

فـــمـــالَـــهُمُ بـــشـــحٍّ قـــد تـــواصَـــوْا

وقـــد مَـــدَحَتْ عـــقـــولـــهمُ الـــســـخـــاء

وأبـــدَيْنَ المـــزايـــا مـــنـــه حـــتى

لَـــفـــاتَ جـــمـــالُـــهـــا الـــبـــادي المِـــراء

أيـــقـــضي الـــبـــائـــســـون طَـــوًى وعـــريًـــا

ويـــأبى الـــبِـــرَّ مُـــثـــروهم إبـــاء[1]

(١) الطوى: الجوع.

ولم يَتَفَشَّ داءُ البؤس لَوْ لَمْ
يَكُ المُثرون قد منعوا الدواء
ولم يصعُبْ شفاءُ الداءِ لكن
أرى المُثرين قد كرهوا الشِّفاء
وليس بناقصِ الأموال لا بل
يجرُّ لها الزيادةَ والنماء
وكم أقصى الأسى عن باذليهِ
وأدنى من قلوبهم الصَّفاء
فَيُمْنُ البِرِّ محسوسٌ جليٌّ
لعَيْنَيْ متبِعِ البِرِّ اجتلاء
وإن تصعب نوافله عليهم
فبذل الفرض يكفيهم حِباء
زكاة المال كافيةٌ فهَلاّ
رأى المتموِّلون لها أداء
فما فُرضت على ذي المال إلا
لتُلحِقَ بؤسَ ذي البؤس انتفاء
وتَثْني من معيشته سهولاً
مصاعبَها، وزَعْزَعَها رُخاء
ففارضُها أراد بكل شخصٍ
من الفقراء رفقًا واحتفاء
فلو بُذِلَتْ لما أَلْفَيْتَ فينا
مطيلاً من خصاصته اشتكاء
وأصبح كلُّ عاري الجسم طاوٍ
ينال بها الملابس والغذاء
وكان أنينُ بائسنا دعاءً
لمثرينا وشكواهُ ثَناء

كــــمــــا مَــــنْعُ الــــزكـــاة أعــــاد كُلاً

من الــبــؤســاء فــائــضًــا اســتــيــاء

فـــأشـــجـــانـــا صَـــبـــورُهُمُ زفـــيـــرًا

وأوجـــعَـــنـــا جَـــزوعُـــهُمُ بـــكـــاء

فـــمن لي بـــالـــفـــرار الـــيـــوم من لي

فـــإن الأرضَ أســـخـــطَتِ الـــســـمـــاء

فــصــبــرًا أيــهــا الــفــقــراء صــبــرًا

فـــإن الأمـــر حـــائلٌ انـــتـــهـــاء

فـــغِبُّ الأمـــر حـــسْبَ الـــظن يـــأتي

مُـــغـــايـــر مـــا أتى مـــنه ابـــتـــداء

أظُنُّ الـــلـهَ عـــكسَ الحـــال عـــمّـــا

قـــلـــيلٍ من جـــمـــيع الـــقـــوم شـــاء

فـــمـــمـــتـــلئ الـــيـــمـــين الـــيـــوم مـــالاً

غـــدًا من مـــالـهِ يـــشـــكـــو الجَـــفـــاء

ويُـــثـــري بـــعـــدُ من قـــد كـــان قـــبلاً

ثَـــراءُ المـــال عن يـــدهِ تَـــنـــاءى

وإن تَـــضِقِ الـــدُّنـــا عن كـــون هـــذا

لـــســـرعـــة رَدِّهـــا الـــمَـــحْـــيـــا فـــنـــاء

فـــمـــا الأخـــرى بـــضـــيِّـــقَـــةٍ لأنّـــا

مـــتى مـــا نـــأتِـــهـــا نَـــنَلِ الـــبـــقـــاء

فلا يـــســـتـــبـــطيءِ الـــبـــؤســـاءُ يـــومًـــا

يـــرون به انـــعـــكـــاسَ الحـــال جـــاء

فـــعَـــدْلُ الـــله يـــبـــقى بـــعـــدَ هـــذا

ويـــكـــفـــيـــهم تـــوقُّـــعُهُ عَـــزاء

****

من قوافي القريض[1]

كـسَـوْتَ أخـاك ثـيـاب الـثَّـنـا
فـجـاز فـخـارًا بـهنَّ الـسَّـمـا
وأصـبحَ يـسـحبُ أذيـالـهنّ
عـلى ذِروتَـيْ نَـسْـرِهـا والـسُّـهـا[2]
ولـكن أطـلتَ ذيـولَ المـديحِ
وألـبـسـتَـهُنَّ فـتًى ذا عـمى
وطـولُ الـذيـولِ عِـثـارٌ له
وأنت بـسـطتَ له في الـكِـسـا
فـإن لم يـصل لـلـمـدى في الجَـزاءِ
فـأوضحُ عـذرٍ له قـد بـدا
نـظـمتَ الـقـوافي بمـدح امـرئٍ
كـسـاه الـزمـان كـسـاءَيْ هـجـا
فـلـيـتك جـاريتَ فـيه الـزمـانَ
فـإن الـزمـان عـلـيه افـتـرى
ونـهجُ سـبـيلِ الـهِـجـا واضحٌ
إلـيه وإن كـان عـنك اخـتـفى
فـحُبُّ الـفـتى لـلـفـتى مـسـبِلٌ
عـلى مـا به من عـيـوبٍ غِـطـا

---

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جوابًا لقصيدة بعث بها إليه.

(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تَــنْــسِــجَنْ من خــيــوطِ الــثَّــنــا

كـــســـــاءً لـــثــــليَ في ذا الـــورى

وصُنْ مــا اســتــطــعت قــوافي الــقــريضِ

فـــفي صـــونـــهنَّ لـــهنَّ اعـــتِلا

****

لا راحة بلا تعب[1]

يــقــولــون لي يــا «صــقــرُ» مــالك عــاطلاً
وقــد وظَّــفــوا من لم يــقــاربْكَ في الأدبْ
فــقــلــتُ لــهم في رِثَّــةِ الــثــوب مــانعٌ
رُقِــيِّي إلى تــلــك المــنــاصبِ والــرُّتَب
يُــوَلَّى هــنــا المــرءُ الــوظــيــفــةَ جــاهلاً
عــلى شــرطِ أن تُــلــفى ملابــسُهُ قُــشُب[2]
ويُــحــرَمُ مــنــهــا المــرءُ والمــرءُ عــالمٌ
إذا لم تــكن مــنه الملابسُ بــالــنُّــخَب[3]
ولــو عَــقَــلــوا كــان الــتــقــدُّمُ عــنــدهم
على حَسْبِ ما تقضي الفضيلةُ والحَسَب
فــمــا كل مــا راق الــعــيــونَ بَــريــقُهُ
وأعــجــبــهــا مــنه ملاحــتُهُ ذَهَب
فــإن تــنــتــبِهْ من ذا الــســبــاتِ مــعــاشــري
تَــنَلْ خَــيْــرَ دارَيْــهــا وتــسلَمْ من الــعــطب
وإن طــال في لــيلِ الجــهــالــة نــومُــهم
فــمــا شــئت فــيــهم فــافــعــلي أيُّــهــا الــنوب
فــمــا نــام في لــيلِ الجــهــالــةِ مــعــشــرٌ
فــأيــقــظَــهم مــنــهــا قــديمًــا ســوى الــشَّجَب

---

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.
(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشب.
(٣) النخب: الخيال.

ومما يـزيـدُ الحـزنَ في الـقـلب ضـعـفُهُ

ويُـلـهِـبُهُ بـين الـضـلـوع فـيـلـتـهِب

صـدودُ بـني قـومي إذا قـام مـرشـدٌ

يـذكّـرُهُمْ بـالـشّـعـر طـورًا وبـالخُـطَب

وفي الـصَّـدِّ مـا يـثـني عـزيمـةَ من غـدا

لـنصـحـهمُ تـقـريـبُهُ الـدَّهْـرَ والخَـبَب[1]

فـكـيف إذا مـا زَنْـدَقُـوهُ وأسـبَـلَتْ

عـلى رأسه من مُـزْنِ غـيـظـهمُ سُـحُب

تَـسَـنَّـمَتِ الـعـلـيـا مـعـاشـرُ لم تَـزَلْ

تَـجِـدُّ لـهـا والجِـدُّ من سُـبُلِ الـغَـلَب

وحَـلّـوا من المجـد المـؤثَّلِ في ذُرًى

تـكاد سـوامـيـهـا تـنوف عـلى الشُّـهْب[2]

ونـحن قـعـدنـا قـانـعـين بـجـهـلـنـا

وجـهل الـورى فـيه لـهم شَـرٌّ مـنـقـلَب

فـفي صَـعَـدٍ ظـلّـوا بـفـضل نـشـاطـهم

وقد حَـطَّنـا مُـردي الـتـكاسُلِ في صَبَب[3]

وتَمَّ بـفـضل الـعـلم فـيـهم وئـامُـهم

ونـحن كـمـا شـاءت جـهـالـتُـنـا شُـعَب

ومن غـرست يمـنـاه يـومًـا فـسـيـلـةً

فـبـشّـرْهُ من بـعـد المـشـقَّـةِ بـالـرُّطَب

فـمـا لـذةٌ نـيـلـت بـغـيـر مـشـقَّـةٍ

ولا راحـةٌ يـومًـا تـأتَّتْ بلا تـعب

(١) التقريب والخبب: نوعان من السير.

(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعاليها.

(٣) الصبب: الطريق يكون في حدور.

وهل وهب الـــلـهُ الـــوَهـــوبُ لأمـــةٍ

رقـــيّـــاً ولم تَـــمْـــدُدْ إلى ذاك من سَـــبَب

وهل ســـبَبٌ كـــالـــعـــلم يـــوصِلُ أمـــةً

من المجـد مـا حَـبَّتْ وفـوق الـذي يُـحَب

فـإن سَـرَّكُم أن تـبـلـغـوا أوْجَ مـجـدِكم

وتـعـلـوا ذرى الـعـلـيـاء فـالأُهَبَ الأُهَب

ألا وانـزعـوا ثـوب الـتـكـاسل عـنـكم

فـمـا فـاز كـسلانُ الـبـريـة بـالأرَب

ولا تجـمُـدوا يـا قـوم إن جـمـودَكم

مـؤديـكُمُ لـلـويل إن دام والحَـرَب[1]

ودونـكمُ أهْلُ الجـمـودِ وضـدُّهم

ويـكـفي بـهـذين اعـتـبـارًا لمن أرِب

نـهـوضًـا إلى المجـد الأثـيل إلى الـعُلا

كـمـا نـهـضت من قـبلُ أبـاؤنـا الـعـرب

فـهم نـهـضـوا بـالـعـلم والـعـلمُ سُـلَّمٌ

يـؤدي إلى إدراك مـسـتـصـعب الـطَّلَب

فـأشـرقَ في أفْقِ الـتـقَـدُّمِ بَـدْرُهُمْ

مـنـيـرًا ولـمّـا لم نـسِرْ سَـيْـرَهُمْ غَـرَب

وأثـمـر في أرض الأمـانيِّ غـرسُـهم

وعـاد إلـيـنـا بـعـد إثـمـاره حَـطَب

وكـان مـنـالُ الحقِّ بـالـسـيف وحـدَهُ

فـصـار مـنـالُ الحقِّ بـالـسـيفِ والـكُـتُب

وفي وسـعـنـا أن نـنـشـر الـعـلم بـيـنـنـا

إذا لم يكن في الـوُسْعِ أن نُصْلِتَ القُضُب[2]

---

(١) الحرب: فقدان الملك والحرب أيضًا الغضب وكلاهما بفتح الراء.

(٢) نصلت القضب: نجرد السيوف.

فـمـا بـالـنـا عن نـشـرهِ في تـكـاسُلٍ

عـلـى أنه أمـرٌ عـلـى الـكلِّ قـد وَجَب

أنـكـسَلُ في عـصـر الـنـشـاط ونـشـتـكي

إذا أنـشـبت فـيـنـا مـخـالـبَـهـا الـكُـرَب

ونـبـرح في لـيلٍ من الجـهل دامسٍ

وقـد عَمَّ صـبحُ الـعـلـم مَنْ شَطَّ أو قَـرُب[1]

فـوا عـجـبي يـا قـوم إن نَـبْقَ هـكـذا

ولم نُـرْمَ بـالمـوت الـزؤام ولم نُـصَب

ومن يَـرْمِ في غـاب الـهِـزَبْـرِ بـنـفـسه

فـيَـفـرِسُهُ فـيه الـهِـزَبْـرُ فلا عَـجَب[2]

****

---

(١) دامس شديد الظلام. وشطَّ: بعد.

(٢) الهزبر: من أسماء الأسد. وفرسه: افترسه.

لحظّي لا لحظّك[1]

أراك لحبل الوصل أصبحتَ قاطعًا
بلا موجبٍ يدعو إلى القطع أو سَبَبْ

وغادرتني من قطعه في تألُّمٍ
فهل لك في تأليم خِلِّك من أَرَب

أبا صالحٍ إن لم تَسُرَّكَ زَوْرَتي
ففيها سرورُ النفس منِّيَ والطَّرَب

فَزُرْني لِحَظِّي لا لِحَظِّكَ حِسْبَةً
فبعض زيارات الأحبَّةِ تُحتَسَب

وحافظ على ما بينَنا من مودةٍ
فإني أعُدُّ الوُدَّ ما بيننا نَسَب

وأنقذ بوصلٍ منك معتلَّ عهدها
فطولُ النَّوى يرمي المودةَ بالشَّجَب[2]

ولا شيء يخلو من سقامٍ يُبيدُهُ
ولِلْوُدِّ طولُ البين من أقتَلِ الوَصَب[3]

فإن تَكُ عن هُلْكِ المودةِ راضيًا
فإنِّيَ من مَرْضَاك ممتليءُ الغَضَب[4]

وإن تَكُ مثلوجَ الجوانح بالذي
أتيتَ فمنه اليومَ في أضلعي لَهَب

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.
(٢) الشجب: الهلاك.
(٣) الوصب: الوجع والمرض.
(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وإن تَــرَ عــنّي وَجْهَ ســلــواك ســافــرًا
فــوَجْهُ سُــلُــوّي عن لــقــاك قــد احــتــجَب
وهــذي لــيــالي الــصــوم إن لم تَــزُرْ بــهــا
فــقل لي مــتى مــنك الــزيــارة تُــرْتَــقَب

✱✱✱✱

شفاؤك يشفيني[1]

قــالــوا ســـقــامُكَ كــاد يــذهبُ أو ذَهَبْ
فـشـعـرتُ بـاسـتـخـذاء مـا بي من وَصَبْ

ألأنَّ بُـــــرْئي آنَ وقتُ مـــــجـــــيـــــئه
أم جـــاءني قـــبلَ الأوان من الـــطَّـــرَب

لـم أدرِ إلاّ أنَّ شَـــــــــــكْــــــــوي راعَهُ
قــولُ الـبـشـيـر فـكـاد عَـنّي يـنـسـحِب

وإذا شـــفى سَـــقَمَ الـــســقــيم سُـــرورُهُ
بـشــفـاء شِقٍّ الـنـفس مـنه فلا عَــجَب

مـــا زلتُ مـــذ زايَـــلْـــتَـــني ذا عــلَّـــةٍ
كـان اشـتـكـاؤك في زيـادتـهـا الـسـبب

وأتت تُــجِـدُّ مــزيــدَهــا مــنك الــنــوى
حــتى أرَتــني عــلــتي وَجْهَ الــعــطَب

حــــتى إذا بُــــشِّــــرْتُ أنك آخــــذٌ
تــدنــو إلى خــيــر الـشـفـاء وتـقـتـرِب

عــــادت تَلاشى عِــــلَّــــةٌ قــــد آذَنَتْ
نـفسي بمـا نـفسي تـخـاف من الـشَّجَب[2]

✡✡✡✡✡

يـــا نجلَ صـــالحٍ الـــذي لـــولاه لم
أعـلـم بــأنَّ الــوُدَّ يَــرْجَحُ بـالـنَّــسَب

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك أو الحزن.

لا يــحــرم الــلـه الــكــويت وعِــلْــمَــهــا

من شـخـصكَ المحبـوبِ، حُـسْنَ الـمُـنـقَلَب

فــالــعــلـمُ فــيــهــا لم يَــزَلْ وفــؤادُهُ

مـنـذ اشـتـكيتَ عـليك خـوفًا يـضـطَرِب

وأحقُّ من يَــخْــشى عــلــيه عِــلْــمُــهــا

مَنْ غــيــرُهُ لم يَــكْفِ عــنه أو يَــنُب

****

قيمة الكلام

رُبَّ بَـــــــيْتٍ وحـــــــدَهُ فـي أمَّـــــــةٍ
قَـــلَبَ الحـــالـــة رأسًـــا لـــعَـــقِبْ
ولَــــكَمْ من خُـــطْـــبَـــةٍ قـــد أَبْـــدَلَتْ
شَـعْبَ مُـلْـقـيـهـا حـيـاةً بِـشَـجَب[1]

****

(١) الشجب: الهلاك.

على العلم عوِّلوا[1]

أسِـتَّـةَ أعـوامٍ تـدومـين يـا حـربُ
وأكـلُكِ أجـسـادُ الـبـريَّـة والـشُّـرْبُ

وفي بـعض عـامٍ منكِ مـا يـورث الـفـتى
سـآمـتَهُ مـا دام في رأسه لُبُّ

ولـستُ أرى أن الـورى كـلَّـهم غَـدَوْا
مـجـانـينَ لـكن شـاء بَـسْـطَـتَكِ الـرَّبُّ

أتَـوْا من شـنـيعِ الـظـلمِ مـا مَـدَّ بـيـنـهم
من الحـرب مـا يـلـقى به وَفْـقَهُ الـذنب

إذا ظَـلَمَ الإنـسـانُ يـومًـا فـقل له
تَـوَقَّعْ جـزاءً سـيـفُه عـنك لا يـنـبـو

ولم أر مـثلَ الـظـلـم سـاء مـغـبَّـةً
فـحـربُـهُمُ هـذي لـظـلـمـهمُ غِبُّ[2]

بَـنـو آدمٍ إخـوانُـهم، وبـنـاتُهُ
لـهم أخـواتٌ يـشـهـد المـاء والـتـرب

فـلم يَـقـنـعـوا إلا بـكـون جـمـيـعِـنـا
ممـالـيكَ إن يـدعـوا إلى خـدمـةٍ لـبّـوا[3]

وكل ثـراءٍ عـنـدنـا وهـو حـسـبـمـا
يـشـاء تَـعَـدِّيـهم لأيـديـهمُ نَـهْبُ

---

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) المغبة: العاقبة. والغب: العقب.

(٣) تصريفها لبَّوا: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبوا.

ولا ذنب إلا الـضَّـعفُ والـشـاة لم تـكن
لـيـأكـلـهـا لـو خـاف سـطـوتـهـا الـذئب
تـسـنّى لـهـم من قـوَّةٍ مـا بمـثـله
يُـلِمُّ بـغـيـر المـؤمن الـتـيهُ والـعُـجْب
فـأطـغـتـهُمُ قـوّاتـهم فـانـثـنت عـلى
طـغـاتـهمُ مـنـهـا جـهـنمُ تـنـصَبُّ
طـغت حـربُـهم طـغـيـانَـهم فـرمـتـهُمُ
بـنـارٍ أبـادت جُـلَّـهم وهي لا تـخـبـو
وأودت بمـا قـد أثَّـلـوا من ثـرائـهم
فـلـم يـبق مـنه يـابسٌ لا ولا رطْب[1]
كـذلك يـلـقى مَن منَ الـنـاس قـصـدُهُ
بـقـوَّتهِ اسـتـعـبـادُهُ الـنـاسَ والـسَّـلْب
ويُـسـفـر عـدلُ الـله في مـثل هـذه
لـذي الـلبِّ أو عـنه تَـشِفُّ له الحُـجْب
مـصـائبُ هـذي الحـربِ لـلـغـربِ عِـبـرةٌ
سـمـاويـةٌ إن كـان يـعـتـبـر الـغَـرْب
لإحـيـائـكم جـئـنـا يـقـول كـذوبُـهم
ولـيس لـه إلا إمـاتَـتَـنـا إرْب
فـأفـعـالُـهم فـيـنـا يُـنـافـين قـولَـهم
كـمـا يـتـنـافى الـبـغضُ لـلـشيء والحُب
عـذابٌ لـنـا مـا يـصـنـعـون وإن غـدا
يُـمَـوِّهُ ذاك الـصـنعَ قـولُـهم الـعَـذب
لـنـا قـولُـهم يُـبـدي الـودادَ وفـعـلُـهم
يُـنَـبِّئُ أن الـقـولَ أجـمـعَـه كِـذْب

(١) أثلوا: بنوا، واظلوا وهيأوا.

ويـــأبَـــوْنَ إلا أن نُـــصَـــدِّقَ أنَّـــهم
أصـــادِقُ مـــا إن في صـــداقـــتـــهم رَيْب
يـجـوز عـلـيـنـا الخَبُّ في ظـنـكم فـهل
يـــجـــوز عـــلى عَلاّم سِـــرِّكُمُ الخَبُّ
وهـيـهـات أن يـخـفى عـلى الـله مـبـتـلي
سـرائـرِكم شَـخْتُ المـقـاصـد والجَـأْب[1]
وهـــا هـــو يـــجـــزيـــكم عن الأمم الـــتي
لِـمـا سُـمـتـمـوهـا من أذًى عَـزَّهـا الـدَّأْب[2]
فـإن تجـزعـوا أو تـصـبـروا فـعـقـابُـكم
شَـــهِـــدنـــاه في الأولى وأُخـــراكُمُ غَـــيْب
وإن تَـــرْمِـــكُمْ أُخـــراكمُ بمـــثـــيـــلـهِ
فـمـا كل صـدعٍ عـنـه لا يَـبْـعُـدُ الـرَّأْب[3]
عـلى الـظـالمـاتِ الجـائـراتِ نـفـوسـكم
إذا كـان عَـتْبٌ فـلـيَـقَـعْ ذلك الـعَـتْب
فـلـم يَـدْهَـكُمْ إلا نـتـاجُ صـنـيـعِـكم
فـهـذا لِـمـا ألـقـحـتُـمـوهُ هـو الـعَـقْب
ومن أسـعَـروا نـارًا لـتُـحـرِقَ غـيـرَهم
بـهـا أحـرق الـلـه الـذين لـهـا شَـبّـوا
وثـبـتـم عـلـيـنـا ظـالمـين لـضـعـفـنـا
فـمـاذا عـلـيـكم جَـرَّهُ ذلك الـوَثْب
لمن بـعـدكم يـأتي سـتـبـقَـوْنَ عِـبـرةً
تُـجَـدِّدُ ذكـراهـا الأحـاديثُ والـكُـتْب

(١) الشخت: الدقيق النحيف. والجأب: الغليظ.
(٢) عزها: غلبها.
(٣) الرأب: الإصلاح.

لـــئلاّ يـــنـــامـــوا في لـــيـــالي غـــرورهم
كـمـا نِـمـتُمُ حـتى رداكُمْ دَعـا: هُـبّـوا
فـقـمـتم ولـكن بـعـدمـا أحـدقَت بـكم
مـتـالفُ مـا مـنـهـا إلى مـوئلٍ دَرْب

☆☆☆☆☆

بـني يـعـرُبَ الـغُـرَّ المـيـامـينَ دهـرُكم
لجُـهّـالهِ سـهلُ الأمـور به صَـعْب
وكم مَـسَّـكم كـربٌ فـكـاد يُـمـيـتُـكُمْ
ولـولا فُـشُـوُّ الجـهلِ مـا مـسَّـكُمْ كَـرْب
لـقـد طـال في لـيل الجـهـالـة نـومُـكم
ونُـوَّمُ هـذا الـلـيل أجـمـعُـهم تَـبّـوا[1]
فلا تُـلـهـكم أحلامُـكم في مـنـامـكم
فـتـأويـلـهـا مـوتٌ يـعمٌّ به خَـطْب
وهُـبّـوا سـراعًـا من عـمـيق مـنـامـكم
فـحـسـبُـكُمُ مـا مَـرَّ مـنه بـكم حَـسْب
فـقـد أخـذت عن شُـهْبِ عـلمٍ بـلـيـلـكمُ
تَـشِفُّ لمـسـتـهـدي طريقِ الـعُلا الـسُّحْب
فـقـد طـال مـا كـانت دلـيلاً لحـائـرٍ
إلى قـصـده في لـيـله المـظـلمِ الـشُّـهْب
وأفـضلُ شيءٍ تـقـصـدون هـو الـذي
لمـظـلمِ هـذا الجـهلِ عـنـكم به جَـوْب[2]
فـمـيـلـوا إلى إطلاع فـجـر مـعـارفٍ
تَـعُـمُّـكُمُ أنـوارُ طـلـعـتِه واصْـبُـوا[3]

---

(١) تبوا: خسروا وهلكوا.
(٢) الجوب: القطع والخرق.
(٣) صبا: مال شوقًا.

ولا تــبــخَــلــوا بــالمــال عــنــد شــرائــكم

من الــعــلم مــا خِـصْـبًـا يــعــودُ به الجَـدْبُ

فــإنــفــاق هــذا المــال في الــسُّــبُل الــتي

تــؤدّي إلى نــشــر الــعــلــوم هــو الـكَـسْب

عــلى نــشــر أنــوارِ المــعــارفِ بــيــنــكم

وفي الــنَّشْءِ مــنــكم فــلــيــكن ذلك الــدَّأْب

لــتَــحــيَــوْا حــيــاةً صَــفــوُهــا مــا به قــذًى

ويــصــبحَ أمــنًــا من أعــاديــكمُ الــرُّعْب

على العلم يـا قـومي على الـعـلم عَـوِّلوا

فذاك هــو الــدِّرْعُ الحــصــيــنــةُ والــعَــضْب[1]

فــلــو صــنــتم بــالــعــلم حــوزةَ مــجــدكم

لَـكَفَّ أكُـفّـاً نــحــوهــا امــتــدَّتِ الــرَّهْب[2]

ولــــكــــنــــكم فــــرَّطــــتُمُ زمــــنًــــا به

ومن لم يــحــد عن نــهج تــفــريــطهِ يَــكْبُ

فــإن عَــوَّقَ اســتــعــدادَكم ضــيقُ مــا مــضى

فــمــســتــقــبل الأيــام مــتّــسِعٌ رَحْب

خــذوا الــعُــدَّةَ المثلى من الــعلم تُــصبــحــوا

وبُــعْــدُ الــعُلا عــنــكم بــهــا مــنــكمُ قُــرْب

وظُــنّــوا جــمــيلاً بــالــعــلــوم وإن جَــنَتْ

على الــغــرب مــا مــنه به انــقــصَمَ الــصُّلْب

فــلم تَــنْــكُبِ الــغَــرْبَ الــعــلــومُ وإنمــا

نَــواكِــبُهُ الــطــغــيــان والــتِّــيهُ والــشَّــغْب[3]

---

(١) سيف عضب: قاطع.

(٢) الرهب: الخوف.

(٣) الشغب: التهييج.

حـيـاةٌ له كـانت فـصـارت بـظـلـمه
له حَـيَّـةً مـنـهـا عـلـيه قـضـى الـلَّـسْبُ[1]

ولا خـيـرَ إلا وهـو مُـدركُهُ إذا
طـغـى أهـلُهُ الـعـكسُ الـسـمـاويُّ والـقَـلْب

فـإن بـالمـنى فُـزتم فلا تـظـلـمـوا الـورى
كـمـا ظَـلَـمَ الـغـربُ الـورى أيـهـا الـعُـرْب

فلا قـيـد مـثلُ الـعـدل لـلـنِّـعَم الـتي
يُـواتـين من شـابـوا من الـنـاس أو شَـبّـوا

وهل لـبـست أثـوابَ نـعـمـاءَ أمَّـةٌ
فـدام لـهـا مـنـهـا إذا ظَـلَـمَتْ ثَـوْبُ

ومـا نَـزْعَـهـا أخـشى فـحـسبُ وإنمـا
أخـاف انـقلابًـا كلُّ أسـيـافه قُـضْبُ[2]

كـمـا نـعـمـة الـغـرب انـثـنت وهـي نـقـمـةٌ
بـهـا مـنه هـيل الـلُّبُّ وانـخـلـع الـقـلب

****

(١) اللسب: اللدغ.
(٢) قضب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيوفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لـقـد طـال مـني الـمُـكْثُ في مـظـلـمِ الأسى
إذا انجـاب عـنـي غـيـهبٌ جـاء غـيـهَبُ
ومـا زالت الأيـامُ تـرمي صـروفُـهـا
فـؤادي بمـا مـنه أخـاف وأَرْهَبُ
إلى كم وقـلـبي لـلـشـوائب مـسـرحٌ
إلى كم وقـلـبي لـلـنـوائبِ مـلـعَب
إلى كم سـروري وجـهه مـتـجـهِّمٌ
إلى كم مُـحَـيّـا راحـتي مـتـقـطِّبُ[1]
إلى كم جـهـامٌ من رجـائي سَـحـابُهُ
وحـتى مـتى بـرقُ الأمـانيِّ خُـلَّب[2]
لمـاذا يـعـاديـني الـزمـان ويـعـتـدي
عـليَّ بمـا مـنه الـتـصـبُّـرُ يُـسْـلَب
كـأنَّ زمـاني عـاشِقٌ وكـأنـني
له عـاذلٌ والـعـذلُ لـلـصَّبِّ مُـغْـضِبُ
أقـاسي من الأحـزان مـا لـو أقَـلُّهُ
يمسُّ نجـومَ الأفقِ مـا لاح كـوكب

---

(١) المحيا: الوجه.
(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخلب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولــو حَلَّ بــالــبــحــر المحــيطِ أقَلُّ مــا

يــعــانــيه قــلــبي مــا جــرى فــيه مَــرْكَبُ

أبِــــيتُ إذا مــــا بتُّ ممّـــا أُجِـــنُّهُ

عــلى مــثل مــشــبــوبِ الــغَضى أتــقــلَّب(١)

وتُصــبحُ إن أصــبــحتُ نــشــوى مــحــاجــري

ولــيس لــهــا إلا من الــسُّــهْــدِ مَــشْــرَبُ

أمــا لــلــيــالي الــصــائلاتِ بــهــدنــةٍ

فــقــد أوشــكت نفسـي الــنــفــيســةُ تَــعْــطَبُ

تحــاربــني حــتى كــأنِّيَ مــجــرمٌ

إلــيــهن جــرمًــا أو كــأنِّيَ مُــذنب

ولم أجــتــرم جــرمًــا ســوى أنــني فــتًى

أريــد الــذي تَــزويهِ عــني وأطــلُب(٢)

تــريــدُ الــلــيــالي الجَــرْيَ مــني كــمــا جَــرَتْ

وذلك مــا عــنــه أَحــيــدُ وأهْــرُبُ

تَــجَــنَّبْتُ مــا تــرضى الــلــيــالي وتــشــتــهي

ومــثــلــي لمــا تــرضــاه قــد يــتــجــنَّب

ظــمــئتُ وحــاولت الــورود فــلــم أجــد

من الــورد مــا يــصــفــو فــمن أين أشــرب

ألا لــيت صَــدْرَ الــغــيب مــا زال كــاتــمي

كــمــا يــكــتم الأســرار حُــرٌّ مُــهَــذَّبُ

فــمــا ليَ إلا الــلــه في الــدهــر مــطــمعٌ

ولا لي إلا الــلــه في الــدهــر مــأْرَبُ

(١) أجنه: ستره. والغضا: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزويه: تقبضه وتطويه.

هـــو الـــدهـــرُ أَمّـــا يـــومُهُ فـــهـــو أَرْقَمٌ
يـــصـــول وأمـــا لـــيـــلـه فـــهـــو عَـــقـــرَبُ
وإنـي وإن ضـــاق الـــزمـــانُ بِـــوُسْـــعِهِ
عَـــلَيَّ فـــلـي في الـــصـــبـــر مـــا هـــو أَرْحَبُ

****

للحق عاقبة الأمور[1]

مـــا دمتَ في أبــنـــاء يـــعـــرُبَ ســـالمًـــا

ممـــا عـــلـــيكَ من الحـــوادث نَـــرْهَبُ

فـــالـــدهـــرُ أعـــيـــادٌ لـــهم أيـــامُهُ

طُـــرّاً وجَـــدّي جَـــدُّهُمْ إذا أُنْـــسَبُ

فَـلِـذاك لـــمّـا أن بـعـثتَ مـهـنِّـئًـا

بـالـفـطـر طِـرْسَكَ ظَـلْتُ مـنه أَعـجَب[2]

الـدَّهْـرُ عِـيـدي كـلُّهُ مـا لم يَـزَلْ

يـفـتـرُّ عن مَـحْـيـاكَ فُـوهُ الأشْـنَب[3]

الـفـطـرُ والأضـحى كِلا عِـيـدَيْـهـمـا

إن عُـدَّ عِـيـدُكَ لـيس شـيـئًـا يُـحْـسَب

إني لأصـــدُقُ والـــقـــريضُ أجَـــلُّهُ

مـا كـان من أخلاف صِـدقٍ يُـحْـلَب[4]

هـذي مـسـاعـيكَ الـنـفـيـسـةُ شُـهَّـدٌ

إن قـام لي فـيـمـا أقـولُ مـكـذِّب

حـسـبي بـهن مـصـدِّقًـا وبـكل من

يـنـمـيه في هـذي الـبـريَّـةِ يَـعْـرُب

مـا زلتَ تـمـحض كلَّ قـومٍ مـنـهم

نُـصـحًـا يَـرُدُّ إلى الـهـدى من نَـكَّـبـوا[5]

---

(١) قالها رداً على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) يفتر: يضحك ضحكًا حسنًا.

(٤) الأخلاف: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

تُـــغـــري بـــتَـــطلابِ المـــعـــالي زاهـــدًا
فـيـهـا فـيُـضـحـي وهـو فـيـهـا أشْعَبُ[1]
وإلى أثـــيلِ المجـــد تُـــدني نـــائـــيًـــا
عــنه فــيــغــدو طَــوْعَ نُــصــحِكَ يَــقْــرُبُ
ولَــكَمْ حــويتَ فــضــائلاً لــو جُــسِّــمَتْ
ألــفــيتَ شــمسَ الــظــهــر فــيــهــا تــغــرُب
ومــنــاقــبًــا أوتــيــتَــهــا عن حــصــرهــا
بــالــعَــدِّ يَــرجِعُ خــائــبًــا من يــطــلُب
وخــلائــــقًــــا كـــــالـــــروض إلا أنه
بــســوى شـــهـــورِ ربـــيـــعِهِ لا يُــخــصِب
يـــزهـــو بـــآذارٍ وخِـــدْنَـــيْهِ فـــإن
ولَّـــيْنَ جَفَّ وهـــذه لا تَـــشْـــسَبُ[2]

٭٭٭٭٭

أزعـــيمَ تـــونُسَ والــكــويتُ فــســيــحــةٌ
قــد ضــاق بي مــنــهــا الــفــســيح الأرحب
إن يُــرْدِني بــؤسي فــلــومــوا مــوطــني
بــعــدي عــلــى تــفــريــطه بِيَ واعــتِــبــوا
حـــاولتُ إدراكَ الـــوظـــيـــفـــةِ جـــاهـــدًا
بـــالـــقـــوت من قـــومي فــعَـــزَّ المــطــلب
مــنــحــوا الــوظــائف كل من ضــاقت بــهم
ذرعًـــا لجـــهـــلـــهمُ فـــبـــاتَت تَـــنْـــدُب
وأنـــا وشـــكـــلي في بلادي مـــعـــوزٌ
أبـــدًا بـــكل وظـــيـــفـــةٍ مُـــتَـــجَـــنَّب

(١) أشعب بن جبير اشتهر بالطمع وله في ذلك أخبار.
(٢) تشسب: تهزل وتخف.

مـــا كـــنت لـــو أني ارتـــديتُ ملابـــسًـــا

حـسُـنَتْ عـلـى نَـيْلِ الـوظـيـفـةِ أُغْـلَبُ

يَـــرقى بِـــبِـــزَّتِهِ الـــفـــتى لا عِـــلْـــمِهِ

أسـمى الـوظـائفِ في الـكـويت ويَـكْـسِبُ

وأجَلُّ أثـــوابي الحـــســـانِ يـــفـــوتُهُ

ثـمـنًـا لـعـسـري مـا يـحـوكُ الـعَـنْـكَبُ

كم قـــلتُ إن الـــســـيف لـــيس بـــغـــمـــده

بل إنمـــا هـــو حـــدُّهُ والـــمَـــضْـــرِبُ

لـــكنْ إلى ألـــبـــابِـــهم مـــا قـــلـــتُهُ

مـــا كـــان من أســـمـــاعـــهم يـــتـــسَـــرَّب

شَـحّـوا عـليَّ بِـنَـزْرِهِمْ وطـفـيـفِـهم

حـــتى وفـــاتي من حـــيـــاتي أطْـــيَبُ

لا تـتـركـوا بـعـدي مَلامَ مـعـاشـري

فـعـسى الملامَ يُـقـيـمُـهم ويُـهَـذِّب

ودعـوا مـقـال: الـسيفُ أضحى سـابـقًـا

لـلـعَـذْلِ إذ جَـدَثي لـشـخـصي يـحـجب[1]

إن فـــاتـــني ثَـــمَـــرُ الملام فـــلم يَـــفُتْ

من قـد يـجيء به الـقـضـاء الأغـلب

فـــلـــربمـــا يَـــنْـــشـــا أديبٌ بـــائسٌ

فـيـهم فـيُـعْـوِزُهُ الـبَلاغُ فَـيَـعْـطَبُ

وكـــذا إلى أن لا يـــظل بمـــوطـــني

أدبٌ بـه يـســمـو ولا مـتـأدِّبُ

فَـيَـشُقُّ مَـشْـقـاهُ عـلى نـفـسي وإن

رَفَـتَتْ عـظـامي في الـتـراب ويَـصْـعُبُ

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العذل».

قـــلـــبي يـــهـــيمُ بـــكلِّ وادٍ من هـــوى
وطـــني وفـــيه نـــارُ بـــؤسي تَـــلْـــهَبُ
من لي بمـاء الـيُـسـر يـطـفئ مـا ذكـا
مـنـهـا فـفـيـهـا مـا بـرحتُ أعَـذَّب
إن كـان تـخـلـيـدي بـنـارِ مَـفـاقِـري
عـدلاً فـأين الـفـضلُ عـني يَـذهب
آمـنت بـالـقـاضي عـليَّ بمـا به
مـني الـتـبـصُّـرُ بـعـد صـبـري يُـسلَب
عن حـكـمـةٍ لـله فـيـنـا حـكـمُه
يمـضي وعـنـا وجـهُـهـا مُـتَـغَـيِّب
لـيت اعـتـقـادي أنـهـا مـوجـودةٌ
لسُفـور صـفـحـتـها الجـمـيلـةِ مُوجِبُ
فـلـعل رؤيـةَ ذي الـمَـفـاقِـرِ وجـهَـهـا
لـعـزائِه من حـيثُ ولَّى تَـجْـلُب
عـبـدَالـعـزيـز وأنتَ أعـلـمُ عـالمٍ
وأجلُّ من خـبَـروا الأمـور وجـرَّبـوا
هل لـلـقُـنـوطِ إذا تـمـكَّنَ داؤهُ
فـغـدا بـصـاحـبه يـعـيثُ ويـلـعب
غـيـرُ المـنـيـةِ من دواءٍ نـاجعٍ
فـأُشَـمِّـرُ الأذيـالَ عـنه أُنَـقِّبُ
أم أن داءَ الـيـأس لم يُـخـلَق له
طِبٌّ به يُـلـوي ولا مـتـطَـبِّبُ
إن يَـذْوِ نَـبْتُ قـريـحـتي فلأنَّهُ
من مـاء دمـعي وهـو مِـلْحٌ يـشـرب

مَن ذا يُــفَــرِّقُ بــين عــيــني والــبُــكــا
وصَدوقُ مَـخْـمَـصَـتي يقـول سَـتَـشْـجَبُ[1]

يــا مَن به غــصَّتْ مَــطــامعُ من نَـــمَتْ
بــاريسُ إذ جــاءت لــتــونُس تَــغْــصِبُ

إن غَــرَّبــوكَ فــســعــدُ مــصــرٍ أســوةٌ
فــيه لمجــدكَ والــمَــهــيبُ مُــغَــرَّب[2]

والحق مـــهـــمــا تَــضْــطَــهِــدْهُ قُــوّةٌ
يَــظْــهَــرْ وفي يمــنــاك مــنه مُــشَــطَّب[3]

فــاهــدأ فــحَــقُّكَ غــالبُ قُــوّاتِــهم
إن عـــاجلا أو آجلا يُـــتَـــرَقَّب

لــلــحقِّ عــاقــبــةُ الأمــور وإن أبَــوْا
وبــســيــفه ســببُ الــقُــوى مُــتَــقَــضِّبُ

****

(١) تشجب: تهلك.
(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيمًا مجاهدًا ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.
(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لـــقـــد كـــان الحـــلـــيبُ لـــنـــا إلـــيه
طــــــريقٌ واضـحٌ ســــــهلٌ رحـــــيبُ

ومـــذ أصــــبـــحت لا فَـــلْسٌ ولا مــــا
دُوَيْنَ الـــفَـــلْسِ نـــاكَـــرَني الحـــلـــيب

فـــلـــستُ أرى إلـــيه الـــيـــوم دربًـــا
وكـــانت حـــسب مـــيـــســـرتي الـــدروب

وأي الـــيـــســـر في شـــروى بلادي
رأى اســـتـــمـــرارَهُ حُـــرٌّ أديب

فـــيـــا نـــفـــسي عن الـــلـــبن اصـــطـــبـــارًا
وإن أصـــبـــاك مـــنه إلـــيه طـــيب[1]

فـــإن أضـــحى ومَـــدعـــاهُ بـــعـــيـــدٌ
فـــكم أضـــحى ومَـــدعـــاهُ قـــريب

وهـــاتـــا عـــادةُ الأيـــام فـــيـــنـــا
تُـــرَدِّدُهـــا الحـــوادثُ والخـــطـــوب

ولا تـــنـــســـى زمـــانًـــا كـــان فـــيه
يـــواتـــيكَ الحُـــوَيـــلِبُ والحَـــلـــوب

فـــكم لـــبنٍ مـــزجـــنـــا الـــشـــايَ مـــنه
وبـــاقـــيه تـــركـــنـــاه يـــروب

فـــأصـــبح بـــين إبـــريـــقي وبـــيـــني
يـــســـيـــر مـــســـارعًـــا كـــوبٌ رَغِـــيب

---

(١) أصباك: شاقك.

وإذ شـمسُ الـضـحى أذْكَتْ لـظـاهـا

وصـار لُـعـابُـهـا فـوقي يـذوب

أهَـبْتُ بـرائبٍ مـا هـال إلا

وهـان لـدى تَـحَـسِّـيهِ الـلـهـيب

فـكـانت شـربـتـان بـكل يـومٍ

أصـيـبُـهـمـا يـلـذُّهـمـا الـشَّـروب

✲✲✲✲✲

لـعلَّ مـصـيـبـةَ الحـرمـان وعظٌ

به وافت تُـنَـبِّـهُـنـا الـذُّنـوب

فـكم شـاةٍ حـلـبـنـاهـا وعـنـزٍ

ولم تُـشـبِعِ صـغـارَهـمـا الـشُّـخـوب

حـلـيب الأم لـلـمـولـود قـوتٌ

وأخـذي مـنه غـيـرَ الـفـضـلِ حُـوب

وإني الـيـوم من مـاضي صـنـيـعي

إلـى ربي لـيـغـفـرَهُ أتـوب

✲✲✲✲✲

لـو انـعـكـست أمـور الخـلـق حـيـنًـا

وزَحـزحَ نـائبَ الـعـكْسِ الـمُـنـيبُ

لـرقَّت لـلـبـهـائم من ذويـهـا

ولانت بـعـد قـسـوتـهـا الـقـلـوب

وطـال من الـقُـسـاة لمـا جَـنَـوْهُ

عـلى الحـيـوان من قـبلُ الـنـحـيب

ولم نـسـمـع خـوارًا أو ثـغـاءً

يُـرَدِّدُهُ كـمـا تـقـضـي الـكـروب(١)

---

(١) الخوار للبقر. والثغاء للغنم.

فليس صياحُهُ إلا دعاءً
به يمضي التألُّمُ أو يثوب[1]
على من قلبه منا عليه
كما لا يشتهي قاسٍ صليب
فما الحيوانُ للإنسان إلا
شبيهٌ في مشاعره ضَريب[2]
نُحِسُّ كما تُحِسُّ الأمرَ يأتي
به العيش البغيضُ أو الحبيب
حقوقُكَ أيها الحيوانُ عنها
أطال منامِيَ المرعى الخصيب
وإذ زال انتبهتُ فنال شكري
على التنبيه مرعايَ الجديب
وهاتا نقمةٌ كبرى يراها
منافرَها لو انجلَتِ الغيوب
إحالةُ لينِ عيشِ المرء يُبْسًا
إذا وعظته حيّاها اللبيب
ففيضُ مَعينِ يُسْرِ المرءِ مهما
به نُسِيَ الحقوقُ هو النُّضوب
لأن عليه من أعطاه يسرًا
رقيبٌ ليس يُهملُه حسيب
تذكر يا أخا النسيان رَبّاً
كما تأتي يُعاقبُ أو يُثيب
وطالِعْ عدله في كلِّ شيءٍ
به تلقاك سِلْمٌ أو حُروب

---

(١) يثوب: يرجع.
(٢) الضريب: النظير والمثل.

بـــعـــينٍ من حـِــجـــائِكَ فـــهي عَـــيْنٌ
إذا انـــفـــتـــحت تـــكـــشَّفَ مـــا يُـــريب
فـــإن تـــنـــظـــر بـــهـــا يَـــظـــهَـــرْ جـــلـــيّـــاً
لك المـــأمـــولُ مـــنه والـــرهـــيب
فـــلـــم نُـــعْطَ الحِـــجَـــا إلا دلـــيلاً
إلى مـــا الخـــيـــرُ فـــيه بـــنـــا يُـــهـــيب
فـــإن تَـــسْـــتَـــهْـــدِ عـــقـــلَكَ فُـــزْتَ أوْ لا
فـــأنت بـــتـــركه مِـــمَّنْ يَـــخـــيب
عـــلـــى حـــسب اتِّـــبـــاع الـــعـــقل كلٌّ
غـــدا في الأمـــر يـــخـــطئُ أو يُـــصـــيب

****

الخطب هو الخطيب[1]

يــعــاني الــغَــرْبُ مــا تــنــبــو الجُــنــوبُ
بــهِ وولـــــيـــــدُهُ مـــــنــه يَـــــشـــــيبُ
حــــروبٌ خـــاضـــهـــا فــســَـلُــوهُ مـــاذا
بــه تـــــــركت من الأثــــــر الحُـــــروب
ولم يُــلْــفَحْ مُــحَــيّــا الــغَــربِ لــو لَمْ
يـــجِئْ من نـــار هـــيـــجـــاءٍ لـــهـــيب
فـــجَــوْرَ الــغــربِ جَــرَّ عــلــيه مــا قــد
أبـــادتْ قـــلـــبَهُ مـــنه الـــنُّـــدوب
ذَووُهُ الــــيــــوم بـــين ممـــيت عـــرْيٍ
وجـــوعٍ مـــا شـــكـــا شـــرواهُ ذيب[2]
وكـــانت أنـــعم الـــدنـــيـــا عـــلـــيـــهم
كــمــا شــاءوا ســحــائــبُــهــا تَــصُــوب[3]
فــصـــارت كــلُّـــهــا نِــقَــمًــا شــجــاهــا
له بـــحـــلـــوقـــهـم طـــرّاً نُـــشـــوب[4]
تحـــوَّلَ فـــيـــهمُ مَــشـــقىً وضـــنـــكـــاً
لـــبـــغـــيـــهِمُ نـــعـــيـــمُـــهُمُ الـــرَّغـــيب
فــأصــبح مــصــدَرَ الــبــسَــمــات فــيــهم
وصـــــادِرَهُ عـــــويلٌ أو نَـــــحـــــيب

---

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواه: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

ومن لم يُوسعِ النَّعْماءَ شكرًا
فبشِّرْهُ بنائبةٍ تنوب
إذا نعَمُ المَعاشرِ أبطرَتهُمْ
ففيضُ معينِهنَّ هو النُّضوب
أسالوا أمسِ أدمعَنا اعتداءً
فسال اليومَ دمعُهُمُ الصَّبيب
ومهما جئتَ من عدلٍ وشَرٍّ
إليك يردُّهُ العَدْلُ الحَسيب
أتاهم واعظًا ما حَلَّ فيهم
وهل عِظَةٌ كما تُملي الخُطوب
خطيبُ الناس خَطْبُهُمُ فمهما
تكلَّمَ بينهم سَكَتَ الخطيب
فهل من سكرةِ البَطَرِ المعَفِّي
صَحَت منهم على الوعظ القلوب[1]
فتابوا خوفَ أن تأتي عليهم
عواقبُ ظلمهِمْ أم لم يتوبوا
فثالثةُ الأثافي - إن أصرّوا
على ماضي صنيعِهِمْ - قريب[2]
فإن حَرْباهُما رَمَتا مَضيغًا
أدَقَّتْهُ النواجذُ والنُّيوب[3]
فما رَمَتاهُ ممضوغًا فمنه
دَنَتْ للبَلْعِ آكلةٌ شَروب

(١) المعفي: المزيل للآثار.
(٢) الأثفية: ما يوضع عليها القدر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفيتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأثافي أي بالشر كله. كأنهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأثافي.
(٣) المضيغة: كل لحم على عظم والجمع مضيغ ومضائغ. والمضيغ أيضًا الممضوغ فعيل بمعنى مفعول.

طـــويلاً أُمـــهِـــلـــوا حـــتى تـــأذَّتْ
من المـسـتـضـعـفـين بـهم شُـعـوب
وأطـــغـــاهم نـــعـــيمُ الـــعـــيش حـــتى
دَهَـــتْـــنـــا من شُـــرورهِمُ ضُـــروب
وخِـــلْـــنـــا أنـــهمْ جُـــنّـــوا وأَن لَمْ
يَـــظَلَّ بـــهمْ لـــيـــرقـــاهُمْ أريب
أإهـــمـــالاً بـــدا الإمـــهـــالُ فـــيـــمـــا
أراهُمْ – من ظـنـونـهِمُ – الـكَـذوب[1]
فـجـاروا حَـسْبَ مـا ظـنّـوا إلى أن
دهـاهُمْ غِبُّ جَـوْرهِمُ الـعَـصـيب[2]
هـــو الإمـــهـــالُ لا الإهـــمـــالُ جـــاءت
لـتـشـرَحَ مـتْـنَهُ لـهمُ الـكُـروب
ذنـــوبٌ أكـــثـــروا مـــنـــهـــا فـــوافتْ
تُـريـهمْ كـيف عُـقـبـاهـا الـذُّنـوب
ومـــا تـــفـــعـــله تـــلق الـــله يـــجـــزي
به وفـــقًـــا يُـــعـــاقبُ أو يُـــثـــيب
عـــجـــبتُ لـــكلِّ مَن في الـــله مـــنّـــا
يُـــخـــامـــرُ قـــلـــبَهُ شَكٌّ مُـــريب
ومـن آثـــــــارهِ فـي كـلِّ أمـــــــرٍ
لـمُـعْـمِلِ فـكـرهِ عـجبٌ عـجـيب
عِـــظـــاتٌ بـــالـــغـــاتٌ كل يـــومٍ
تُـــوافي لا تَـــغِبُّ ولا تَـــغـــيب[3]

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.
(٢) غب جورهم: عقبى ظلمهم.
(٣) لا تغب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بـــأفـــئـــدةِ الأُلى ارتـــابـــوا وشَـــكّـــوا
إلى الإيمـــان داعـــيـــهـــا يُـــهـــيب[١]
فـطـالِـعْـهـا بِـعَـيْنِ حِـجـاك تُـصْـبِحْ
وداجي الـشكِّ عـنك بـهـا مَـجـوبُ[٢]
فـــؤادُ المـــرء إن يُـــمْـــرِضْهُ شَكُّ
فـمِن هـذي الـعـظـاتِ له طـبـيب
تـــأمَّلْ مـــا تـــرى في كلِّ خـــطبٍ
به الأيـــام تـــذهب أو تـــؤوب
فـإن خـطـوبَـهـا حـلـوًا ومـرًا
بـهنَّ لـربِّه يـصلُ الـلَّـبـيب
وهل وهَبَ الحـجى الإنـســانَ إلا
لـيـعـرفَهُ به الـلـهُ الـوَهـوب
أرى من يـقـتـفي مـنـا حـجـاهُ
إلى الإيمـان مـنـهـجُهُ لَـحـوب[٣]
ولم أر مـا خلا الإيمـان شـيـئًـا
به لـلـنـاس عـيـشُـهُمُ يـطـيب
فـهـذا الـعـيشُ راحـتُهُ - لمن لم
يَـعِـشْهُ مـؤمـنًـا أبـدًا - لُـغـوب[٤]
مـتى آمـنتَ لا يَـحْـزُنْكَ أمـرٌ
به دنـيـاك تـخـطئ أو تـصـيب
فـلـم يَـجـزَعْ ولـم يَـهـلَعْ فـؤادٌ
من الإيمـان ثَـمَّ لـه نـصـيب

(١) يهيب: يدعو.
(٢) مجوب: مكشوف مأخوذ من جاب الشيء قطعه كما يجاب الجيب.
(٣) اللحوب: الوضوح. لحب الطريق لحوبًا وضح، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.
(٤) لغوب: تعب وإعياء.

وما قَلَّتْ لمن يقفو حِجَاهُ
إلى إيمانه منا الدُّروب

إليه كلُّها الأشياءُ طُرْقًا
لعين العقل إن نظَرَتْ تثوب

فما شيءٌ إذا فكّرتَ فيه
لخالقه بفكرك لا يُنيب

غَضارةُ كل شيءٍ إن تَسَلْها
به تُخبِرْ ويخبِرْكَ الشُّحوب[1]

فسل ما رمت من شيءٍ تَجِدْهُ
إليه هاديًا لك إذ يُجيب

****

(١) الغضارة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع[1]

ستبقى على الأحقاب حُقْبًا إلى حُقْبِ
خيالاً على رغم المنى وحدةُ العُرْبِ
وأيُّ أمور الناس وحَّدَ بينهم
إذا لم توحِّد بينهم شِدَّةُ الخَطْب
ولا خَطْبَ يُبلي صبرَ كل أخي نُهًى
كريمٍ ويطوي القلبَ منه على نَدْب
كهذا الذي يُضحي ويُمسي محوِّلاً
فلسطينَ من كربٍ شديدٍ إلى كَرب
وها نحن شَتّى لم يحوِّلْ مصابُها
تباعُدَ ذات البين منا إلى قُرب
ولو ألَّفَتْ ما بيننا يَدُ خَطبِها
كتأليفِ كفٍّ مثلُهُ الشعبُ ذو الإرْب
ورحنا جميعًا أو غدَوْنا لنصرها
لما طال منها المكث في الحادثِ الصَّعب
ولو تَمَّ من قبلُ اتحادُ بني أبي
أخافَ العدا منها المحَيّا الذي يُصبي
ولا حَلَّها أو حَلَّ أرضًا سَواءَها
لنا كاشحٌ مستشعرٌ نيّةَ الغصب
ونلنا احترام (الإنكليز) وغيرهم
على يَدِ صِدقِ الخوفِ أو كَذِبِ الحُبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فليس لنا منهم صحيحُ مودةٍ
يكفكفُ عنا سَيْلَ شَرِّهِمُ المُربي[1]
ولكننا رغمَ الحوادثِ لم تكن
لِتُدركَ صدعَ الشملِ منا يَدُ الرَّأْب[2]
على علمنا أن ليس غيرَ اتحادنا
لنا مَعْقِلٌ يَخسي عيونَ بني الغَرب[3]
وقد ندَّعي قرب الوئام فينبري
علينا لسانُ الحال يَشهدُ بالكِذْب
فلو لم يكن منا بعيدًا لأبصَرَتْ
له آيةً عينا فلسطين في الذَّبِّ[4]
إذا لم يَلُحْ في الذَّبِّ عنها فإنه
سيبقى على الأيام في حُجُبِ الغيب
عجبتُ لنا هل يلتقي عامُ سِلْمِنا
إذا لم توحِّد بيننا سَنَةُ الحرب
وليس لأشتات القوى من مؤلِّفٍ
كموجعةٍ من صحبها كلَّ ذي قَلْب
فيا أمة العُرب التي طال نومُها
على كل ما يُفضي إلى موتها هُبّي
فإن تَجِدي أُولى المنام لذيذةً
فإني أرى عقباه قاصمةَ الصُّلْب
أظَلَّكِ إبّانُ الهُبوب وأنتِ من
أضاليلِ أحلامِ الكرى بعدُ في لِعْب

---

(١) المربي: الزائد.

(٢) الصدع: الشق. والرأب: الاصلاح.

(٣) خسأه، يخسئه: طرده وجعله يرتد، ويخسي مخففة من يخسئ.

(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فـقـومي انـظـري شـرقَ الـبلاد وغـربَــهـا

ومـــا أدركـــاه الـيـــوم من مـــرتعٍ خِـــصْب

فـقـد أخـصَـبـا حَـسْبَ الـتـيـقُّظِ مـنـهـمـا

وألـقــاكِ بـعـد الخِـصْبِ نـومُكِ في الجَـدْب

ومـا بـعـد جَـدْبِ الـشـعب غـيـرُ حِـمـامِهِ

إذا لم تُـــزِلْ مــكـــروهَهُ يــقـظـةُ الــشــعب

وإن لـم تَـشِـمْ مـنـهـا تـبـاشـيـرَ فـجـرِهـا

فلسطينُ في التخليص من خَطبها الصلْب[1]

فـيـقـظـةُ أقـوامي سـتـبـقى دفـيـنـةً

بـتُـرْبِ الـكـرى حـتى يـعـودوا إلى الـتُّـرْب

ومن لـم يـــنــبِّـــهْـــهُمْ أنـــينُ ذويـــهِمُ

لـدمعِ يـتـامى بـيـنــهم دائمِ الـسَّــكب

ونَـــوْحُ ثَـــكـــالى الأمـــهـــات يَـــمُـــدُّهُ

عـلى شَـجْـوِهِ مـا للأيـامى من الـنَّـدْب[2]

فـــلـــيس لـــهم حـــتى المـــمـــاتِ تَـــنَـــبُّهٌ

وإن لـم تـــصـــدِّقـــني فـــسَلْ كُلَّ ذي لُبِّ

وهل قـيـمـةٌ عـنـدي لجـسـمي إذا اعـتـرى

يَـــدِي مـــرضٌ إن لم أكـــافـــحْهُ بـــالـــطِبِّ

وهَـبْـنـا انـتـبَـهـنـا بـعدمـا تـنـتـهي الـعِدا

وتَـــفْـــرُغُ من قـــتلٍ هـــنـــاك ومن سَـــلْب

فـمـاذا يُـفـيـدُ الإنـتـبـاه سـوى الـبُـكـا

لإهـمـالـنـا في وقـتـهـا نجـدَةَ الـصَّحب

لـعَـمْــرُ أبي مـا (الإنــكـلـيـزُ) بمــنـتَهٍ

لـــهم مـــطـــمعٌ إلا بِـــنـــاهٍ من الـــرَّهْب

(١) شام: نظر.

فـإن تَـصْـدِمـوهُمْ كـفـكَـفـوا من شُـرورهِمْ

وإلا أتَـوْا مـنـكم عـلـى الـشَّـخْتِ والجَـأْب

فـلـيـست فـلـسـطـينُ بـآخِـرِ حَـسـوَةٍ

تَـبُلُّ صـدى الأعـداء بل أول الـشُّـرْب

وإن لم تُـغِـصّـوهُمْ بـهـا وتُـروهُمُ

مـرارةَ مـا ظـنّـوا من الـسـائغِ الـعَـذب

لـيـلـفِظَ مـنـهـا مـا أراد ازدرادَهُ

فَمٌ عـادُهُ بـلعُ الـلـذيـذ من الـنَّـهب

تَـحَـسَّـوْكُمُ حـتى يَـرَوْا أنـهمْ رُوُوا

ولا ريَّ ما شـامـوا الـثُّـمـالـة في الـقَـعب[1]

☆☆☆☆☆

وددْتُ بـجَـدعِ الأنفِ لـو كـنتُ مـبـصـرًا

قـديـرًا عـلـى حـمل الـقـنـاة أو الـعَـضْب

لأشْـرَكَ من بـاتت فـلـسـطـينُ هَـمَّـهُمْ

من الـقـوم في طـعنِ الـطـغـاةِ أو الـضَّـرب

فـلـستُ أرى الـقـولَ المجـرَّدَ مـقـنـعًـا

وإن كـان عـذري غـيـرَ خـافٍ عـلـى رَبّي

فـلـيس الـفـتـى من يُـغـمِـدُ الجـبنُ سـيـفَهُ

ويـنـكُصُ إن عَنَّ الجـهـادُ عـلـى الـعَـقْب[2]

ولـكنْ فـتـى الـفـتـيـان عـنـدي هـو الـذي

يُـعَـدُّ من الإقـدام في الأسُـدِ الـغُـلْب

تَـطـايَـرُ عـنه في الـنـزال عُـداتُهُ

تـطـايُـرَ ريشٍ في زعـازعِهِ الـنُّـكْب

---

(١) شاموا: أبصروا. الثمالة: البقية من الطعام والشراب. والقعب: القدح الضخم.

(٢) عنّ: ظهر.

كـمــا جــاء «فــوزيٌّ» الــعلا و«ســعــيــدُهــا»
من الـعـملِ المـعـطيـهِمـا رِفـعـةَ الـشُّـهْب[1]
وكلُّ كَـــمِيٍّ ضَـــمَّهُ عُـــلَـــمـــاهُـــمـــا
لإعلاء صـوت الحق رغـمًـا عـلـى الـشَّـغْب[2]
فــقــد أعـــربـــوا في جُـــرأةٍ عـــربـــيـــةٍ
إلى الـيــوم لم تُــخْلِ الـطـغــاةَ من الـرُّعْبِ

****

(١) إشارة إلى رجلين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.
(٢) الكمي: الشجاع ولابس السلاح.

حققوا بثورتهم الآمال[1]

لقد أنعشَتْ مصرُ رجاءَ بني العُرْبِ
فأثنى عليها منهمُ كلُّ ذي لُبِّ
غدتْ من بني العُرْبِ الكرامِ جميعِهم
مناطَ عُرى الآمال في السِّلْمِ والحَرْب
رأوْا منذ ثارت كلَّ أمرٍ أتت به
ليَعرُبَ فيه وجهُ منفعةٍ يُصبي
فمِن كلِّ مَن ناميه يَعْرُبُ ما لَها
مَحَلٌّ لعُربٍ منذ ثارت سوى القَلب
كما عن قلوب الكلِّ أفواهُهم غدت
مترجمةً صدقَ المودَّةِ والحُبِّ
عتبتُ عليها قبل ثورتها لما
رأيتُ لها إذ ذاك من موجِبِ العَتْب
وهل يرتضي المحبوبُ حُبَّ مُحِبِّهِ
إذا لم يعاتبه المحِبُّ على الذنب
فردَّت إلى حمدٍ عتابيَ كلَّهُ
لمصرٍ مساعي أُسْدِ ثورتها الغُلْب
مساعٍ أقرَّتْ أعينَ العُرب كلِّهم
فذو البعد منهم في اغتباطٍ وذو القُرْب
ففي كل يوم نجتلي مُنْيَةً لنا
بسعيٍ لهم عن طيب عنصرِهِمْ يُنبي

---

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحــدَثُ مــا سَــرّوا الــنــفــوسَ بــكــونه
وإعلانِهِ الــدســتــورُ ذو الــدفعِ والجَــلْب
فلا بَــرِحَتْ مــصــرٌ بــهم وهـي مــصــدرٌ
لــفــرحــة أسلافِ الــعــروبَــةِ والــعَــقْب
فــأيُّ كــرام الــعُــرْبِ مــا سُــرَّ قــلــبُهُ
ودســتــورُهــا الــشــعــبيُّ يُـعْـلَنُ لــلــشــعب
ومــا الــشــعبُ إلا بــعضُ أمَّــةِ يــعــرُبٍ
عــلى حــالــتَيْ رهبِ الحــوادث والــرَّغْب
تــبــسَّمَ عــنــهم ثــائــرين فــحــقَّــقــوا
بــثــورتــهم آمــالَــنــا مــبــسمُ الــغــيب
وكم كَنَّ صــدرُ الــغــيب رفــعًــا بمــثــلــهم
لمن كــان مــثلَ الــعُــرْبِ يــشــكــو من الــنَّــصْب
وعــنــد اشــتــداد الحــاج تَــرفَعُ عــنــهمُ
يد الــلــه مــا يــضــفــو عــلــيــهم من الحــجب
فــعَــدلٌ وخــصبٌ واتحــادٌ بــديــلــةٌ
من الــفُــرقــةِ الــنــكــداءِ والــظــلمِ والجَــدْب
وإنــا لــنــرجــو أن يــتــوَّجَ ســعــيُــهم
بــنــزعــهمُ من جــنــبــنــا شــوكــةَ الجَــنْب
فــقــد كُــرِبَتْ مــنــا الــقــلــوبُ ولم يــكن
سوى نــزعــهــا يــشــفـي الــقــلــوبَ من الــكــرب
تــأذّى بــنــو قــومي فــســرَّ أذاهُمُ
أنــاسًــا أقــامــوهــا طــريــقًــا إلى الــسَّــلْب
ولــو لم يَــســرَّ الــكــلبُ بــالــعَــقْــرِ رَبَّهُ
لمــا زَفَّ بــعــد الــعــقــر خــيــرًا إلى الــكــلب
وهــا هي حــتى الــيــوم مــوضعُ عَــيْــنــهِمْ
بمــا تــشــتــهي من جَــزلِ مــالٍ ومن ذَبٍّ

جـــرائـــمُـــهـــا اللاتي نَـــمَتْ وتَـــعـــدَّدَتْ

يَــراهُنَّ أهلُ الــغــرب بــالــعــكسِ والــقَــلْب

فـمــا نـشـتـكي من صـنـعـهـا يـشـكـرونَهُ

لـــهـــا بـــلـــســـانٍ من مـــعـــونـــتـــهِمْ رَطْب

ولـــو لم يـــريـــدوا رميَ قـــومي بـــكلِّ مـــا

يُـــطِـــيـــبـــون من شَـــخْتِ الأذيَّـــةِ والجَـــأْب[1]

لمـا أسـكـنـوا يـومًـا فـلـسـطـينَ عُـصـبَـةً

عـلـى الـقـتل غـدرًا قـد رَبَتْ وعـلـى الـنَّـهْب

وشَـدّوا الـقُـوى مـنـهـا بـتـسـلـيـحِـهم لـهـا

إلى أن غـــدت تحـــكي به ذَنَبَ الـــضَبِّ

وسَـدّوا عـلـيـنـا طُـرْقَ تـسـلـيـحـنـا فـلم

نَـنَلْ بـــرضـــاهـم من سِـنـــانٍ ولا عَـــضْب

ســـمـــاؤُهـمُ كـــانت صـــواعقَ فـــوقـــنـــا

وفــوق بــنـي صـــهـــيــون ممــطــرةَ الــسُّــحْب

لَــهُمْ أبــعــدوا عن أرضِـنــا أهلَ أرضِــنــا

بـأيـدي قـوًى تِـنِّـيـنُـهـا دائبُ الـلَّـسْب[2]

لـتـبـقى رحى اسـتـعـمـارهم في ديـارنـا

تـدور من الـغُــدْرِ الـيـهــودِ عـلـى قُـطْب

فـــكلُّ فـــؤادٍ يـــعـــربيٍّ قـــد انـــطـــوى

لـصـنـعِـهِمُ الـوحـشيِّ هـذا عـلـى نَـدْب[3]

عـلـى ظُـلـمـنـا من سـاسـة الـغـربِ لا أرى

سـوى مُـقـدِمٍ طـوع الـهـوى بـطلٍ نَـدْب[4]

---

(١) الشخت: الدقيق والنحيف. والجأب: الغليظ.

(٢) اللسب: اللدغ.

(٣) الندب بفتح النون والدال: الجرح وسكنها للشعر.

(٤) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

ويـــــأبَـــوْنَ إلا أن نُـــــصَـــــدِّقَ أنـــــهم

لـــنـــا أصـــدقـــاءٌ مـــخـــلـــصـــون بلا رَيْبِ

بمـــا أســـمـــعـــونـــا من كلام مـــودةٍ

تُـكـذِّبُهُ الأفـعـال في الـوَهْـدِ والـهَـضْب[1]

لِـــيـــانٍ مـــقـــالٍ قـــد يَـــغُـــرُّ لـــوَ انَّهُ

يــجيءُ بلا لــدغٍ من الــعــمل الــصُّــلْب

نــفــاقٌ أتى اســتــعــمــارهم دارعًــا بهِ

وخَبٌّ فـبـعـدًا لـلـنـفـاق ولـلـخَبِّ[2]

أبـالـسِّـهْمِ مـسـمـومًـا تـريـد إصـابـةً

لمـا بـين أضلاعي من الـكِـبْـدِ والخِـلْب[3]

وتـــزعم لي مـن بَـــعْـــدُ أنك وامِـــقي

وهل مِـقَـةٌ تـدني إلى مـنـقـضي الـنَّـحْب[4]

بَـنـو يـعـربٍ يـا غـربُ لـيسـوا كـمـا تـرى

مـجـانـينَ حـتى يـأخـذو مـنك بـالـكِـذْب

وإن لم تُـغَـيِّـرْ في فـلـسـطـين مـا جَـنَتْ

يـداك بـرَدِّ الـصَّـدعِ مـنـهـا إلى رَأْب

فـغـيـرُ مُـحـالٍ أن تـرى من حـسـابـنـا

عـسـيـرًا متى وافى تَـقُلْ مـشـفـقًـا حَسْبي

وإن تَـرَهُ صَـعْـبًـا عـلـيـنـا فـكم ثـنى

إلى الـسَّـهلِ صـنـعُ الـله مـا كـان من صَعْب

✲✲✲✲✲

(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهضب: الجبل المنبسط.

(٢) الخب: الخداع.

(٣) الخلب: حجاب القلب.

(٤) وامق: محب، والمقة: الحب. منقضي النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَــتْــنــا من الــغــربِ الــرُّمــاةُ بِــشَــرٍّ مــا
به يــنــثــنــي الأمنُ الــعــمــيم إلى رَهْبِ
بمــجــمــوعــةٍ من كلِّ من نَــبــذَتــهُمُ
ديارُ الورى نبذَ الشِّباع نوى القَسْب[1]
لــكــيــمــا يَــرَوْا مــنــهــا أداةً خــبــيــثــةً
ملازمــةً نــشــرَ المــفــاســد والــرُّعْب
فــمــا مَــرَّ يــومٌ لم تَــثِب فــيه حَــسْبَ مــا
يــشــاءُ لــهــا الــطــبع الــغَــدورُ من الــوَثْب
وقــد أمِــنَتْ مــنــا لــطــولِ احــتــمــالــنــا
عــواقبَ مــا تــأتــيه من عــملِ الــذَّنْب
ويــا طــالمــا غَــرَّ الــتــغــاضي مــشــاغــبًــا
فــأوغل حــمــقًــا في الــتــحــرُّشِ والــشَّــغْب
إلى أن تــلــقّــاهُ الــخــصــيمُ مــجــازيًــا
بمــرغــمــةٍ مــنه الــمُــعــيــطسَ في الــتُّرْب[2]
وفي حُــمْقِ إســرائــيل لم أَرَ مــعــشــرًا
تــكــشَّفَ عــنه الــعــصــرُ أو ورقُ الــكُــتُب
عــصــا الــسُّبْلِ أَلــقــتــهــا من الأرض حيثُ لا
أمــانَ لــعــادٍ من زعــازعِــهــا الــنُّــكْب
وظــنَّتْ جــوازَ الــعــيــش بــين ضــيــاغمٍ
صــحــاحٍ لــذؤبــانٍ مــحــرَّشَــةٍ جُــرْب
كــأنَّ أُســودَ الــغــابِ تُــدرك مــثــلــهــا
من الــغــاب في ســهــل المــرابضِ والــرَّحْب

---

(١) القسب: الثمر اليابس.

(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الأنفس. وارغمه جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

أطــاعت من المــغــوينَ كلُّ مــغــرِّرٍ
بـهـا يـبـتـغي مـنـهـا وسـائلَ لـلـكَـسْبِ
ولم يَــغْــنِهِ من شــأنــهــا مــثلُ مــا بهِ
يـظلُّ من الـشـرقـين في المـرتَعِ الخَـصْبِ
ولــو فــكَّــرَتْ خــافت تَــبَــوُّأ مــنــزلٍ
ممـيتٍ لـهـا ممـا غـدا حُـسْـنُهُ يَـسْـبي
ولم يَـغـوِهـا مـغـوٍ لـهـا بـنـزوله
ولـو جـاءهـا الإغـراء من سـاحـرٍ طَبِّ
ولـكن عسى اسـتـئـصـالُ شـأفَـتِـهـا دَنـا
فـكم من عـذابٍ قـد تـولَّـدَ من عَـذْبِ
ومــا طــيــران الــنــملِ إلا علامــةٌ
عـلى أنه مـنه دنـا قـاسمُ الـصُّـلْبِ
وأكــبَــرُ ظــني أنه حُمَّ مــوتُــهــا
بـأيدٍ شـدادِ الـطعنِ في الحـربِ والـضَّرْبِ
طـوالٍ مـتـيـنـاتِ الـقـوى يـعـربـيـةٍ
عـلـيـهـا يـتوبُ الـغـاصـبون عن الـغَـصْبِ
بـهنَّ سـيـرمـيـهم جـمـالٌ وصـحـبُهُ
فـقل في جمـالٍ مـا تـشـاء وفي الـصَّـحْبِ
بـنـا سـلـكـوا دربًـا إلى كلِّ مـا به
يـعـود لـنـا المجـدُ المـنـيفُ عـلى الـشُّـهْبِ
وغـايـةُ هـذا الـدربِ غـيـرُ بـعـيـدةٍ
فـأمـثـالُـهم تـدنـو بـهم غـايـةُ الـدرب
فَـزِدْ من حـيـاتي في حـيـاةِ جـمـالـنـا
وأصـحـابهِ الـغُـرِّ المـيـامـين يـا ربِّي
فـمـحـيـاهُمُ مـحـيًـا لآمـال يـعـربٍ
وأبـنـائِه في الـشـرق كـانـوا أوِ الـغَـرْبِ

أُحـــيِّـــيــهِمُ طُــرّاً وأرجــو بــقـــاءهم

نجـوم هـدًى لـلـعـرب في مـظـلـمِ الخَـطْب

أطَـلْتُ عـتـابي قـبلُ والـيـوم أشـتـهي

من الحـمد مـا يحكيه في الطول أو يُربي[1]

فـيـعـتـاقـني عن ذاك ضـعفٌ به رمى

قـوى جـسـدي رامٍ ممـيتٌ من الـشَّـيْب

وهل ضـعفُ جـسمِ المـرء يـتـرك عـزمَهُ

قـويّـاً يـواتي لـلـحـصـول عـلى الإرب[2]

****

(١) يربي: يزيد.

(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني[1]

يُـــخَـــيَّلُ لي أني ثـــقـــيلٌ عـــلى الأُلى
أزور من الـصِّـيـدِ الأُلى وَدَّهُمْ قـلـبي[2]

لـذلك من شـاقـوا فـؤادي يَـرَوْنَـني
قـلـيلَ الـلـقـا بـالـرغم من كـثـرةِ الحُب

ومن يـتـخـيَّلْ ثِـقْلَ زورته يـكن
لمـنـزلِه حِـلْـسًا حِـذارَ أذى الـصَّـحْب[3]

ومـا ليَ في دفع الـتـخـيُّلِ من يَـدٍ
فـأغـدُوَ مـنـهم طـوعَ ودّي عـلى قُـرْب

إذا عَـنَّتِ الـعـاداتُ يـوجِـبْنَ وصـلَـهم
أبى أن أراهُ تـاركًـا نـحـوَهُمْ دَرْبي

فـلم ألْقَ من صـحـبي الـكـرامِ مـهـنِّـئًـا
بـذا الـعـيدِ من مَـلْـقـاهُ لي شـائقٌ مُـصْـبي

قـعـدتُ وحُـبّي أن أقـوم مـؤديًـا
حـقوق صـحـابي الـغُـرِّ يـشـتـدُّ في جَـذْبي

فـلم يَـسْـتَـحِلْ كـونُ الـتـخـيُّلِ صـادقًـا
كـمـا جـاز مـنـه أن يـوافيَ بـالـكِـذْب

فـإن كـان ذا صـدقٍ أرحتُ أحـبَّـتي
وإن كـان ذا كـذبٍ فـيـا حَـسْـبَهُ رَبّي

---

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبرًا ويراد بهم هنا الكبار العظماء.

(٣) يقال فلان حلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المتاع وما يوضع تحت لبد الدابة.

فــهل في قــعــودي عن أدائيَ واجــبًــا
علــيَّ به الــعــادات يــحــكُــمْنَ من عَــتْبِ

أجِــبْــنِيَ يــا فــخــرَ الــكــويت ومن به
حوت رغم تصغير اسمها أعظَمَ الشُّهْب

فمــا أنــا عن فــتــوى ابن عــيــسى بمــائلٍ
ولو جشَّمَتْني السيرَ في مسلكٍ صَعب

أرى طــاعــتي إيّــاه مــفــخــرةً عــلى
مــفــاخــرِيَ اللائي أدَلَّ بــهــا تِــرْبي[1]

فــيــوسفُ هــاديــنــا وهــادي هُــداتِــنــا
إلى غــايــتَيْ شَــخْتِ المــكــارم والجَــأْب[2]

فــلــولاه لم أعــرف طــريــقي إلى الــعُلا
ولم أقضِ حتى اليوم من وصلها إرْبِي

سجايــاه أعجبن النــفوسَ نــفاسةً
ولم نَــلْــقَهُ يــومًــا بــهنَّ أخــا عُــجْب

كــأن لم يــكن يــدري مــحــاسنَ نــفــسهِ
وقــد راح مــســحــوًرا بــهــا كلُّ ذي لُبِّ

ولــو كــان شــعــري كفءَ وصفِ خِلالِهِ
لمــا كــان إلا وصــفَــهُنَّ به دأبي

فَــحَــســبِيَ فــخــرًا أن أكــون مــواظــبًــا
بــشــعــري عــلى وصــفي خلائــقَهُ حَــسْبي

ولــكنَّ شــعــري لم يــكن كفءَ وصــفِــهــا
ولــو كــان مــنــظــومًــا من الــلــؤلــؤ الــرَّطْب

****

---

(١) أدل على أقرانه: تعاظم عليهم واجترأ. الترب: النديد الذي سنه مثل سنك.

(٢) الشخت: النحيف الدقيق. والجأب: الغليظ.

المرء حسب السجايا[1]

أثـنى عـلـيك مُـحِـقّـاً مـقـولُ الأَدَبِ
يـا من نمـاهُ لخـيـرِ الـرُّسْلِ خـيـرُ أبِ
فـكم نـظـرتَ إلى الآداب تـنـعـشُـهـا
وأهـلِـهـا نـظَـراتِ المـشـفِقِ الحَـدِبِ
وكم عـطـفتَ إلى الآداب مـنـحـرفًـا
عـنـهنَّ عـطفَ سـديـد الـرأي ذي الـدَّرَب[2]
فـصـار يـسـكنُ لـلآداب مـنـجـذبًـا
لـهـا انجـذابَ أخي الأطـمـاع لـلـذَّهَب
وكـان قـبلُ عن الآداب مـبـتـعـدًا
ولا ابـتـعـادَ صـحـيحِ الجِـلْـدِ عن جَـرِبِ
فـلـو حَـبَـتْكَ الـكويتُ الـشـكر مـنـصـفـةً
صـاغـتهُ مُـحْـكِـمَـةً من جَـوْهَـرِ الـشُّـهُب
فـأنت أنت إذا آدابُـهـا نَـبَـسَـتْ
أفـواهُـهُنَّ بـشـكـوى نـازلِ الـنُّـوَب[3]
عـنـايـةٌ مـنكَ بـالآداب دائـبـةٌ
ولا سـآمـةَ والإسـامُ في الـدَّأَب
سـجـيَّـةٌ فـيك حب الـعـلم راسـخـةٌ
رسـوخَ حُبِّ ذويه مـنك في الـعَـصَب

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بك بن السيد خلف باشا النقيب.
(٢) الدرب: التجارب.
(٣) نبست: نطقت.

أجـــبت في رفـــعِكَ الآدابَ دعـــوتـــهـــا
ومن ســـوى طـــبـــعه نـــاداهُ لَمْ يُـــجِبِ
والمــرء حَـسْبَ الـسَّجـايـا فـيه تـنـعـتُهُ
بـالحـمـدِ أو ذَمِّـهـا الـنُّـعَّـات في الـعُـصَبِ
مـا الـطـبعُ لـلـجِـدِّ مـيـالاً بـصـاحـبه
كـالـطـبع في المـرء مـيـالاً إلى الـلَّـعِبِ
فــطــبعُ ذي الجِـدِّ يُــولــيهِ ويُــتــحــفُهُ
من حــمــدِ كل أُلي الألــبــاب بـالــنُّــخَبِ
وطـبعُ ذي الـلَّـعِبِ المـمـقـوتُ مـرتـسمٌ
في عِـــرضِـهِ نُـــدَبٌ مـــنه عـــلى نُـــدَبِ
كلٌّ يُـريـدُ مـعـالي المجـد يَـكْـسِـبُـهـا
والـــطـــبعُ يـــغـــلـــبُهُ مـــنه عـــلى الأرب
وإن تَـكُنْ سُـبْلُ أهلِ الجـهلِ مـتـعِـبَـةً
ولـــيس في سُـبُلِ الـلُّـعّـاب من تَـعَبِ
فـــالـــنـــبعُ مـــا نـــال إلا من صلابـــتِهِ
في كل غـاشـيـةٍ فـضـلاً عـلى الـغَـرَبِ[1]
هل حـاز قَطُّ أثـيلَ المجـدِ غـيـرُ فـتًى
لم يـكـتـرث في طـريق المجـد بـالـنَّـصَبِ
من خـاف من خـطـر الـرَّجّـاف يُـهـلـكُهُ
فـكـيف قُلْ لي لَهُ بـالـلـؤلـؤِ الـرَّطِبِ[2]
ومن يَـخَفْ من عـوادي الـنـحل عـاديـةً
فـغـيـرُ ظـافـرةٍ كـفّـاهُ بـالـضَّـرَبِ[3]

---

(١) النبع والغرب: نوعان من الأشجار.
(٢) الرجاف: البحر.
(٣) الضَّرَب: العسل الأبيض.

يـا من بـحـبَّـةِ قـلـبي الـيـوم قـد سـكـنَتْ

له المحــبَّــةُ سُـكـنى غـيـرِ مُـنْـقَـلِبِ

لـو لم تـكن لأَبَـرِّ الـرُّسْلِ مـنـتـمـيًـا

لـكـنت من بِـرِّكَ المـوصـول في عَـجَب

لـكن فـرعَكَ من أزكى الجـذور بـدا

والطيب في الجذر يُبقي الطِّيبَ في الشُّعَب

والـفَـرْعُ كـالأصل في طـيب الـثـمـار أمـا

يـأتي الـفـسـيل كـمـثل الـنَّـخْلِ بـالـرُّطَب

وأصــلُكَ الأصلُ إذ أضـحت وشـيـجـتُهُ

مـوصـولـةَ الـسـببِ الأقـوى بـخـيـرِ نَـبي[1]

بـخـيـرِ من بـهُـدى إرشـاده رَشَـدَتْ

هـذي الـبـريـةُ من عُـجْمٍ ومن عَـرَب

بـخـيـر من هـتـكت أنـوارُ بِـعـثـتِهِ

من كل ديـجـورِ جـهلٍ أكـثَفَ الحُـجُب[2]

بـخـيـرِ من مـدحـتي عـلـيـاءَهُ قُـرَبٌ

تـعـتـدُّهـا مـهـجـتي من أفـضلِ الـقُرَب

وكـيف أمـدحُ من جـاءت مـدائـحُهُ

من بـارئ الخـلق في الأسـمى من الـكـتُب

مـا قَـدْرُ مـدحك يـا «صـقـر» الـذي وردت

في مـدحه مـعـجـزاتُ الـمِـقْـوَلِ الـذَّرِب[3]

أيٌّ من الحق مـا جـال الـبـصـيـر بـهـا

بـلـحظِ نُـهْـيَـتِهِ يـومًـا فـلـم يُـنِب[4]

---

(١) الوشيجة: ما يشد به ويوصل.

(٢) الديجور: الظلمة.

(٣) المقول الذرب: اللسان الفصيح.

(٤) النهية: العقل.

أتــيــتــنــي يــا أبــا «نــوري» بــعــارفــةٍ
فــقــلــت لا بــدع غــيثٌ جــاء من سُــحُب
لــكن بــلــوغُ مــدى مــا تــقــتــضــيه لــكم
من واجب الـشـكـرِ عنه الـعَـجْـزُ يَقْـعُدُ بي

****

العلمَ العلمَ

نَشْءَ الكويتِ صِلوا بالجد والدَّأَبِ
ما يَستجِدُّ من الأيام والحِقَبِ
لا شيءَ كالعِلْم يُدني نَفْسَ صاحبهِ
من الحياة ويُقصيها عن الشَّجَبِ(1)
وليس كالعلمِ للعلياءِ من دَرَجٍ
وليس كالعلم للنَّعماء من سَبَبِ
لم يُبدِلِ الجَدْبَ خِصْبًا غيرُ مُمْطِرِهِ
للناس من هذه الأفرادِ والعُصَبِ
ولا يمينَ اجتنت إلا ببسطتهِ
ثمارَ نازحةِ الخيرات عن كَثَبِ
الشرقُ والغربُ قد نالا به رُتَبًا
جَلَّتْ عن الوصفِ بالأشعار والخُطَبِ
لولا العلومُ لما أبصرتُمُ أحدًا
يرقى إلى الرتبةِ العلياء في الرُّتَبِ
ولم تَرَوْا أمَّةً في الناس ساحبةً
كما تريد ذيولَ المجدِ والذَّهَبِ
وليس للطَّلَبِ المطلوبِ آونةٌ
كهذه فابذلوا المجهودَ في الطَّلَبِ
وثابروا واستحثّوا كلَّ من فَتَرَتْ
منكم عزيمتُهُ أو مال لِلَّعِبِ

---

(1) الشجب: الهلاك.

حتى نرى الوطن المحبوبَ مشتملاً

من مجدكم بثياب المفخَرِ القُشُبِ

يا أيها النَّشْءُ ماكانت جدودكُمُ

يَرضَوْنَ إلا بسبقِ الناس والغَلَب

ولا سبيل إلى سبقٍ ولا غلبِ

لعادلٍ عن سبيلِ العلم مجتَنِب

فأتعبوا في التماس العلم أنفُسَكم

تُثْنوا إذا انجلَتِ العُقبى على التَّعَب

لولا متاعبُ غُرّاسِ النخيلِ لَما

جَنَتْ أكُفُّهُمُ شيئًا من الرُّطَب

من يعرفُ الغايةَ المثلى تَطَلَّبَها

مهما رأى سُبْلَها ترميه بالنَّصَب[1]

ما كان حبلُ عُلا من نحنُ نَسْلُهُمُ

- لو لم نكن نحن جُهّالاً - بمنقضِب

ولا اتِّصالَ له إلا بعلمكمُ

فعن سوى أخذه كونوا ذَوي نَكَب[2]

تعلّموا تُرجِعوا ما انبتَّ متّصلاً

فمن يَرُمْ مطلبًا بالعلم لم يَخِبِ[3]

فليس بالعلم كسرٌ غيرَ منجبرٍ

وليس بالعلم ناءٍ غيرَ مقترِب

ما لي أبثُّ مزاياهُ وليس على

وجوهها الفاتناتِ الحسنِ من حُجُب

(١) النصب: التعب والإعياء.

(٢) النكب: العدول والنكوص.

مـــــا كُنَّ قَطُّ إلى الإبــــــرازِ في عَــــوَزٍ
فــقـــد بـــرزنَ بـــوجهٍ غــيــرِ مـــنــتـــقِبِ
وصــفــحــة الــشـمـس تـغـنـي كل ذي نـظـرٍ
عن وصـــفــهـــا بـلــســان الــقـــائل الــذَّرِبِ
لــكنْ تَــغَــنّي الــفــتى بــالحــسن يُــطــربُهُ
وقـــد تـــغـــنَّـــيتُ أبـــغي لـــذَّةَ الـــطَّـــرَبِ

****

بين العري والسغب

ذكــرتُمُ كلَّ شيءٍ كــان مــقــتــضــيًــا
إصلاحَــكُمْ ونــســيــتُمْ خــادمَ الأَدَبِ
وقــد ألــوذُ بــركنِ الــصــبــر مــنــتــظـرًا
نــحــوي الــتــفــاتــكمُ المرجُــوَّ عن كــثَب[1]
لــو كــان ســالفُ عــهــدَيْــنــا لحــاضِــرنــا
أبــقى من الــصــبــر ركنًــا غــيــرَ مــضــطــرب
مــا زلتُ من فــاقــتي في من قــضى ومــضى
أشــكــو الإقــامــة بــين الــعُــرْيِ والــسَّــغَب[2]
فــهل من الــعــدل أن أبــقى تُــنــاوبُــني
أيــدي الــنــوائب إعــســاري وتــلــعبُ بي[3]
ألــــيس مــن واجــب الآداب أخــــذُكُمُ
بــكفِّ خــادمــهــا الــمُــشــفي عــلى الــعَــطَب

****

(١) عن كثب: عن قرب.
(٢) السغب: الجوع.
(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللعب به.

اتحاد مصر وسوريا[1]

بين (شكري) و(جمالِ) العَرَبِ
خيرُ حِلْفٍ موصلٍ للأرَبِ

أتْبَعاهُ باتحادٍ صارفٍ
– مثلَ ما نهوى – صروفَ النُّوَبِ

اتِّحادُ سَرَّ جِدّاً كلَّ من
قد نماهم يعربُ الحُرُّ أبي

اتحادٌ مجدُ أقوامي رأى
لرَحاهُ منه أزكى قُطُب

اتحادٌ حين بُشِّرْتُ به
قلتُ للقلب الحزينِ الحَرِبِ

يا حزينًا للتنائي بيننا
قد تدانينا فصفِّق واطرَبِ

اتحادٌ ما لضاديٍّ إلى
معقلٍ إلاه من منقَلَب

فلعدنانٍ إليه كلِّها
كلُّ شوقٍ مثله من يعرُب

فهو المنجي لهم في عالمٍ
مُسْبِعِ الأرجاء طُرّاً مُذْئِب

فيه لا ينجو من الفَرْسِ سوى
بارزِ النّابِ حديدِ المخلَب

(١) قالها في ١٩٥٨/٢/٢٢.

واتحـــادُ الـــقـــوم أقـــوى مـــا ثَـــنى

لـــهُمُ أمـــنًـــا شـــديـــدِ الـــرَّهَبِ

كـــالـــذي الحُـــرّانِ جـــاءانـــا به

مُـــدْنِـيًـا مــنـا جــمـيلَ المـطـلَب

نـــأملُ الأجـــملَ مـــنه كـــلّـــمـــا

قـــد تَـــنَـــمَّى فـــهـــو الـــيـــومَ صَـــبي

فَـلِـشـكـري خـيـرُ شـكـرٍ مـثـله

لجـــمـــالٍ مُـــعـــتـــلـي الـــقـــدر الأبي

اســتـضـيـئي بـهـمـا يـا أنـفـسًـا

تُـــهْنَ في ظـــلـــمـــاء ظُـــلْمِ الأجـــنـــبي

فـــكِلا الحُـــرَّيْنِ بـــدرٌ طـــالعٌ

في بـني الـضـاد لـكـشف الـغـيـهب[1]

وظلامُ الـــظـــلم مـــنـــجـــابٌ بمـــا

أرسَلاه من ســـنًـــا مـــلـــتـــهِب

بـعـضُـنـا الـيـوم يـهـنّي بـعـضَـنـا

بك يـــا عـــيـــدُ ومـــا من عَـــجَب

خـيـرُ عـيـدٍ أنت عـنه ارتـفـعت

لـــعـــيـــون الـــعُـــرب حُـــجْبُ الحِـــقَب

أيُّ عـيـدٍ مـشـبهٌ مـا ضـمَّـنـا

بـعـد تـشـتـيتِ الـزمـانِ المـذنب

أنت عـيـدٌ طـولَ مـحـيـانـا لـنـا

وإذا مـــتـــنـــا فـــعـــيـــدُ الـــعَـــقِب[2]

بك أرضـــانـــا زمـــانٌ طـــالمـــا

قـد رمـانـا بـالـمُـشِتِّ المـغـضِب

(١) الغيهب: الظلمة.

(٢) العقب: العاقبة، وهنا يريد من يعقبنا ويأتي بعدنا.

يــا رئــيــسَــيْــنــا مُــرانــا نــأتــمــرْ

بـــعـــدَ هـــذا وادعُـــوانـــا نُـــجِب

لــكُــمـــا الــوحــدةُ لم تــتــرك ســوى

كلّ مـــــصـغٍ من فــــتًى أو أشـــــيَب

ويـــقـــول الـــكل عَـــمَّنْ عـــنــكــمـــا

ثـــقـــلـت مـــنه الخـــطى لم يُـــصِب

جـئـتـمـانـا - بـعـد عـيشٍ يـشـتـكى

خـــبـــثَهُ الـــكل - بـــعـــيشٍ طَـــيِّب

بـــكـــمـــا الـــيـــوم تـــأتت وحـــدة

قـــوبـــلـت مـــنـــا بـــألـــفي مـــرحب

قـد لمـسـنـا الـكُـنْهَ مـنـهـا صـادقًـا

لا خـــيـــالاً إن تـــراءى يـــكـــذِب

وحـــدة فـــيـــهـــا رأيـــنـــا بـــردى

نـــيلَ مـــصـــرٍ وهي شـــطـــرا حَـــلَب

لم نُـــعَـــوِّلْ قَطُّ في المحـــيـــا عـــلى

شـبـهـهـا حـصـنًـا ولم نـنـجـذب

وحـــدة لا نـــتـــمـــنّى فـــوقـــهـــا

غـــيـــر أن تـــبـــقي بـــقـــاء الـــشـــهب

مـــشـــرقيُّ الـــعُـــرب يـــلـــقى مـــســـهلاً

مـــثـــلـه فـــيـــهـــا أخـــاه المـــغـــربي

أمـــطـــرَتْـــنـــا سُـــحُبٌ مُـــلـــبِـــسَـــةٌ

يـــابسَ المحـــيـــا اخـــضـــرارَ الـــعُـــشُب

وإذا شِـــمْـــنـــا رأيـــنـــا مـــدَدًا

قـــافـــيًـــا آثـــارَ تـــلـك الـــسُّـــحُب

فـــإذا الـــسُّـــحْبُ تلاقت فـــالـــمُـــنى

ثَم مـــا مـــنــهـــا اطَّـــبى أو يَـــطَّـــبي[1]

وحــــدةٌ لـــيس ســـواهـــا دافـــعًـــا

عـــنـــكم الـــطـــمّـــاعَ جَمَّ الـــشَّـــغَب

إنـه كـــــان ولم يَـــــبْـــرَحْ كـــمـــا

كـــان من قـــبلُ مَـــخـــوفَ الـــكَـــلَبِ

مـــا رأى شـــعـــبًـــا ضـــعـــيـــفًـــا مـــرةً

وعـــلـــيـه لم يُـــغِـــرْ أو يَـــثِب

وهـي في الـــــذود أراهـــــا إن عــــدا

أُهْـــبَـــةً تَـــفْـــضُلُ كُلَّ الأُهَب

كم لـــنـــا شـــعبٌ حـــبـــيبٌ يـــشـــتـــكي

مـــنه شـــرّاً بـــالـــلـــســـان الـــمُـــعـــرِب

اذكـــروا شـــعـــبَ عُـــمـــانٍ والـــذي

يـــتـــلـــقى من مـــبـــيـــدِ الـــشَّـــجَب

وفـــلـــســـطـــينَ الـــتي مـــا تـــركت

دمـــعـــةً من أدمُـــعي لم تُـــســـكَب

وفـــرنـــســـا والـــذي تـــطـــرحُهُ

فـــوق إخـــوانٍ لـــنـــا من عَـــطَب

دون مـــا ذنبٍ ســـوى مـــطـــمـــعه

الـــمُـــرِيـــنـــاهُ بـــثـــوبَيْ أشـــعَب[2]

لـــيس الاســـتـــعـــمـــارُ عـــنـــكم يـــرعـــوي

مـــا رأى صـــدعًـــا بـــكم لم يُـــرْأب[3]

إنـه الـــذئبُ الـــذي إن ســـنـــحت

فـــرصـــةٌ يـــظـــهـــرْ وإلا يـــخـــتـــبي

(١) أطباه يطبيه: استماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطمع. والمريناه: الذي يرينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لـــو رأى الـــوحـــدةَ هـــذي مـــا رمى
أحـــدًا مـــنّـــا بـــإحـــدى الـــكُـــرَبِ
فـــإلى الـــوحـــدة يـــا قـــومي لـــكي
تـــأمـــنـــوا شـــرَّ كـــثـــيـــرِ الـــرِّيَب
لم يَـــنَـــلْـــنـــا من بـــعـــيـــدٍ شـــرُّهُ
قـــبل أن نُـــشْـــتَتَ أو عن كَـــثَب[1]
أمـتي الـدهـرَ عـلـيـهـا اعـتـمـدي
وعـــلى صَـــوْنِ نـــواحـــيـــهـــا ادأبي
نـقـمـةٌ كـبـرى عـلى اسـتـعـمـارهم
إن رآهـــا تـــتـــلـــظّى يَـــذُب
وعـــلـــيـــنـــا نـــعـــمـــةٌ في دعـــوتي
نـــحـــوهـــا ســـابَقَ شِـــعـــري خُـــطَـــبي
طـــالمـــا رحتُ أغـــنِّـــيـــكم بـــهـــا
قـــبلَ شـــيـــبي لـــيـــتـــني لم أشِب
كِـــبَـــري عن أن أغـــنّي مُـــوهِنٌ
بـــأســـاهُ قـــوَّتي والـــوَصَب
لـــكنِ الـــوحـــدةُ سَـــرَّتـــني كـــمـــا
سُـــرَّ بـــالـــغـــيث فـــؤادُ المجـــدِب
وشَـــفَت مـــني الـــقـــوى فـــاتّـــجـــهت
كـــلُّـــهـــا خـــلف الـــقـــوافي الـــغُـــيَّب
ولَـــكَمْ قَـــوَّتْ ضـــعـــيـــفًـــا فـــرحـــةٌ
فـــرأى الـــراحـــةَ بـــعـــد الـــتَّـــعَب

✱✱✱✱

---

(١) عن كثب: عن قرب.

شهر آب[1]

أ عَـبْـدَ المحـسنِ الـقـاضي بـعـدلٍ
وفـصلٍ في الـقـضـيَّـةِ والخِـطـابِ
إلى عـلـيـائكَ الأشـواقُ تـدعـو
فـأنـهضُ للإجـابـة جِـدَّ صـابي![2]
فـيَـقـعُـدُ بي اشـتـدادُ الحَـرِّ عن أنْ
تـكـونَ زيـارتي لكَ من جـوابي
فـأقْـعُـدُ قـائلاً حـسـبي جـوابًـا
لـصـوتِ الـشَّـوقِ دمـعي واكـتـئـابي
ويـكـفي بـعضُ أجـوبـتي إذا مـا
شِـمـاسُ جـمـيـحـها عَـزَّ اقـتـضـابي[3]
فـإن نـامتْ عـيـونُ الحَـرِّ يـومًـا
أَرَتْكَ إلـيكَ أشـواقي انجـذابي
ومـا بـيـني وبـيـنَكَ ألفُ مـيلٍ
فـأقـنعُ مـنكَ في ذاكَ الجـواب
وهل أرضى بـذاكَ وأنتَ مِـمَّنْ
يـحـاولُ هِـمَّـةً مسَّ الـسَّـحـاب

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.
(٢) الصابي: المشتاق.
(٣) الشماس: الجموح. عز: غلب. والاقتضاب: الاختصار.

وأمّــا الــيــومَ تجــذبُــني فــيــأبى

من الحَـــــرِّ انجـــــذابي شَـــــرَّ آب[1]

وكـــنتُ إذا نـــويتُ وَجَـــدْتُ عـــزمي

لِـــمـــا أنـــوي من الـــصُّمِّ الـــصِّلاب

وذلكَ في شـــهـــور الـــعـــام طُـــرّاً

إذا اسـتـثـنـيتُ مـنـهـا شـهـرَ «آب»

يُـــذيبُ الحَـــرُّ عـــزمي فـــيه حـــتى

يَـــهِمَّ الـــذَّوْبُ مـــنه بـــانْـــصِـــبـــاب

****

(١) آب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى الممتنع من أبى يأبى وذلك منعًا لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبدالمحسن البابطين بهذه القصيدة:

أصـقـرٌ من حـوى الـعـلـيـا فـأضـحى
فـريـدًا في الـشـيـوخ وفي الـشـبـاب

أتـــاني مـــنك نـــظمٌ كـــالـــلآلي
فـــزال به من الأحـــزان مـــا بي

أتى فـــقـــرأتُه فـــثـــمـــلتُ مـــنه
فـــيـــالـــله ذلك من كـــتـــاب

لـعـمـرك مـا سـمـعـنـا قـبل هـذا
بـأن الـلـفظ يُـسـكِـر كـالـشَّـراب

وقـــالـــوا أنتَ في الـــشـــعـــراء فـردٌ
ولـــكن في الـــكـــويت بلا ارتـــيـــاب

لـقـد بَـخَـسـوك حـقّكَ يـا أديـبًـا
ومـــا كـــانـــوا بـــذاك عـــلى صـــواب

فـإنك شـاعـرُ الـدنـيـا جـمـيـعًـا
ومـا ذا صـاحِ بـالـشيء الـعُـجـاب

فـــكم مـــعـــنى أتـــيتَ به غـــريـــبًـــا
وكم أعـــجـــبتَ قـــومًـــا في خـــطـــاب

وكم أنـــهـــضتَ شـــعـــبًـــا من خـــمـــولٍ
فـــهم لـــولاك كـــانـــوا في تَـــبـــاب

ألا يـا سـيِّـدَ الـشُّـعـراء عـطـفًـا
عـــلى صبٍّ مـــشـــوقٍ ذي اكـــتـــئـــاب

قـطـعتُ إلى الـلـقـا تـسـعـين مـيلاً
وفـــيـــهـــا ذقتُ أنـــواعَ الـــعـــذاب

وقد أعياك عنّي قطعُ ميلٍ
وبالتحقيق يقصرُ عن حسابي
وما زرتُ الكويتَ لأجل شيءٍ
سوى أني إلى الأحباب صابي
ومن عجبٍ جعلتَ الحَرَّ عُذراً
وما حَرٌّ يردُّ عن الصحاب
إذا لم تأتني وأنا قريبٌ
فسيّان بعادي واقترابي
وما لي عنك من عذرٍ مبينٍ
وكيف وأنتَ في شرخِ الشّباب
وحاشا أنْ تهبَّ عليك منّي
– وإن حصلَ الجفا – ريحُ العتاب
أتيناكمْ بتمُّوزٍ وفيه
لكم عزمٌ من الصُّمِّ الصِّلاب
فكيف قد انثنَى يا خِلُّ عني
وهلاّ عاد صلبًا في غيابي
ألا رفقًا بعزمكمُ لكيلا
يهمُّ من الحرارة بانصباب
وقال الناسُ ما للشيخ صقرٍ
أعَدَّ الوصلَ بركانَ انقلاب؟
لقد ساءت ظنونُ القوم فينا
وقالوا الزورَ يا عالي الجناب
فقمتُ أغالطُ الأعداءَ كيلا
تزيدَ شماتةُ الأعدا مُصابي

أمـــا والـــله لـــو يـــا صـــقـــرُ تـــدري

بمـــا في الـــقـــلب من فـــرط اضـــطـــرابي

لـــطـــرتَ إلى الـــلـــقـــا بـــجـــنـــاح عـــزمٍ

ولم تـــســـتـــثنِ عـــنـــا شـــهـــر آب

ومـــا أنـــا عـــنـــدكمْ في شـــهـــر آبٍ

ولـــكـــن جـــاء آبٌ في إيـــابي

فـــهـــذا مـــا جـــرى فـــاحْـــكُمْ بـــعـــدلٍ

فـــإنك في الـــقـــضـــيَّـــةِ لا تحـــابي

****

نُبْ يا شعر عني[1]

لـعـبـدِ المحـسنِ الحُـرِّ الـلُّـبـابِ
تحـمَّلْ مـا تُـطـيقُ من الـعِـتـابِ
وأفـصِحْ في الـعِـتـاب ولا تَـلَـجْـلَجْ
كـدأبِكَ في مـعـاتـبـةِ الـصِّـحـاب
ونُبْ يـا شِـعـرُ عـنـد الـشَّـيْخِ عـنّي
مـنـابَكَ في نـوائـبيَ الـصِّـعـاب
فـعن قـوسِ الـتـهـكُّمِ قـد رمـاني
بـسـهمٍ لم يـكنْ لي في حـسـابي

...

بـعـثتَ لـنـا بـهـا صـهـبـاءَ فـاقتْ
فـلـيس لـهـا ضـريبٌ في الـشَّـراب
لـهـا حَـبَبٌ بِـدُرِّ الـبـحـر يُـزري
ولـكن تحـتـه سمُّ الحُـبـاب[2]
من الـهـزءِ الـسِّـمـامَ دسَـسْتَ فـيـمـا
لـنـا أهـديتَ من راحِ الجـواب
فـلـو أنّـا عـلـى غَـفَلٍ عَـبَـبْـنـا
بـهـا لم نَـصْحُ من سُـكْـرِ الـمُـصـاب[3]

(١) ولما وقف الشاعر على جواب القاضي عبدالمحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، ردَّ عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.
(٢) الحباب: الحية.
(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبلَ أن نَحْسُو أطَلْنا

تأمُّلَنا بمنظرِها العُجاب

فأنْبَأنا تأمُّلُنا رُواها

بما فيها لنا قد كنتَ خابي[1]

فيا ابنَ سَمِيٍّ خِلِّ الله كنّا

نظنُّكَ غيرَ مَرهوبِ الخِلاب[2]

فقلْ لي ما دعاكَ إلى صنيعٍ

مثيرٍ فيك شكّي وارتيابي

لعلَّكَ قد جهلتَ أمِنْ نُضارٍ

صديقُكَ صيغَ أم هو من تُراب

فجئتَ عن الحقيقة منه تجلو

بذاك الصنعِ مَسْدولَ النِّقاب

لتصبحَ منه – تُرْبًا – في ابتعادٍ

وتصبحَ منه – تِبْرًا – في اقتراب

وذلك عند أهلِ الحزم مَعْ مَن

غدا مثلي يُعَدُّ من الصَّواب

فإنَّ حقيقتي عن كلِّ مَن لَمْ

يُجالِسْني طويلاً في احتجاب

ومَعذورٌ على فحصي ولكن

ودِدْتُ بأنه صافي الخِضاب

ليسبُرَ غَوْرَ كُنهي دون علمي

بشيءٍ من مثيراتِ اضطرابي

فعلمي بابتلائكَ كُنْهَ نفسي

يؤلِّفُ بين قلبي واكتئابي

(١) الخابي: المخفي مخففة من الخابئ. والرواء: حسن المظهر.

(٢) الخلاب والمخالبة: الخداع والمخادعة بلطيف الكلام.

لأني بـــعـــد فـــحـــصكَ لـــستُ أدري
أحـــظّي الـــوصلُ مـــنك أم اجـــتـــنـــابي
ومـــا بي حـــين أُفـــحَصُ من هـــنـــاةٍ
فـــلم تُـــشْـــدَدْ عـــلى عـــيبٍ عِـــيـــابي[1]
فـــأخـــشى عن مَـــعـــيبِ الـــكُـــنْهِ مـــني
يـــكـــون عـــلى يَـــدِ الـــفـــحصِ انجـــيـــابي
ولـــكـــني أخـــافُ الـــفـــحْصَ يُـــخـــطي
فـــيُـــبـــدي الأُسْـــدَ في صُـــوَرِ الـــذئـــاب
وكم أبْـــدَى من الـــمَـــبْـــلُـــوِّ كُـــنـــهًـــا
ضَلالُ المـــبـــتَـــلـــين عـــلى انـــقلاب
ومـــا بِكَ حـــين تَـــبـــلـــو من غـــبـــاءٍ
فـــأخْـــشَى أن تجـــورَ ولا تَـــغـــابي
وكـــيف وأنتَ أذكـــانـــا فـــؤادًا
وأبـــعَـــدَ من قَـــضَى من أنْ يُـــحـــابي
ولـــكـــنّي أحـــاذِرُ ســـوءَ حظٍّ
إلى تـــشـــويه كُـــنـــهي جِـــدُّ صـــابي
وذلك من ظـــنـــوني مـــا عـــلـــيه
بمـــا قـــد جـــئـــتَهُ وقَعَ انـــتـــخـــابي
فـــإنْ قَـــرْطَـــسْتُ من هـــدفي كُلاهُ
بـــســـهمِ الـــظنِّ فـــالإقـــصـــادُ دابي[2]
ومـــا فَـــوَّقْتُ من ظـــنِّي ســـهـــامًـــا
إلى غـــرَضٍ فـــكنَّ من الـــنَّـــوابي[3]

---

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنَّه فلم يخطئنه والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوَّق السهم: جعل له فوقا. والفوق: مشق رأس السهم.

وإنْ أشــوَى الحــقــيــقــةَ ســهمُ ظَــنّي
فــمــا كُلُّ الــســهــام من الــصِّــيــاب[1]

ولــولا مــا انــطــوى قــلــبي عــلــيه
لمجـــدك من ودادٍ مـــســـتَـــطـــاب

لأهـــمـــلتُ الـــعـــتـــابَ ولم أحـــاولْ
به إنـــعـــاشَ طـــرفكَ وهْـــو كـــابي[2]

يـــعـــاتبُ إن كَـــبَـــوْتَ صـــحـــيحُ وُدٍّ
ويـــغـــضي عـــنك ذو الـــوُدِّ الـــكِـــذاب

ومـــأمـــولٌ لـــديك الـــعـــفـــوُ إمّـــا
تَـــجِـــدْ مـــني اشـــتـــدادًا في خـــطـــابي

فـــإنَّ شـــدائـــدَ الأيـــام أعْـــدَتْ
مـــقـــالي الـــيُـــبْسَ وهْـــو من الـــرِّطـــاب

تـــروح عـــلـــيَّ أيـــامي وتـــغـــدو
بمـــا من دونه وخْـــزُ الحِـــراب

يـــحـــمِّـــلُـــني رزايـــاه زمـــانٌ
عـــلى أحـــرارِهِ جَمُّ الـــضِّـــبـــاب[3]

فـــأرزحُ كـــلَّ يـــومٍ تحت رزءٍ
جـــديـــدٍ حَـــمـــلُه مُـــعْـــيي الـــهِـــضـــاب

فـــمن رزءٍ شـــديـــدِ الـــوقْـــعِ مـــاضٍ
يـــريكَ الـــشَّـــيْبَ في فَـــوْدِ الـــغُـــراب[4]

(١) أشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلا.
(٢) الكابي: الذي يكبو أي ينكب على وجهه.
(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.
(٤) الفود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إلى رزءٍ أشدَّ عليَّ وقعًا
وأحرقَ للفؤاد من الشِّهاب

كأني كنتُ للأرزاء ظهرًا
وطيئًا فهي منه على اعتِقاب[1]

فما أنفكُّ من عُظْمى لعُظمى
من النكبات مشدودَ الحِقاب

أمن حَجَرٍ عليَّ فؤادُ دهري
فكم أشكو وما يرثي لما بي

فلا تعجبْ إذا ما اجتزتُ هَمّاً
لشَيْبي قبلَ مَرّي بالشَّباب

كما تجتازُ أسهُمُهُ لقلبي
فتُصميهِ وما خَرَقَتْ إهابي[2]

فما سَيْرُ افتنانِ الهَمِّ بِدعًا
إلى عِمران قلبي بالخراب

وحسبُكَ أنني أعمى مقِلٌّ
مضاعٌ في الكويت بلا طِلاب

وما استعذبتُ لي فيها مقامًا
وكيف وقد أقمتُ على عَذاب

وكم عنها وَدِدْتُ إلى سواها
بِجَدْعِ الأنفِ أن تسعى ركابي

ولكن حال ما بيني قضاءٌ
أصمُّ وبين مودودِ الهِباب[3]

---

(١) هي على اعتقاب: يتلو بعضها بعضًا.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

يَــكُــرُّ عــلـيَّ «أيــلــولٌ» مُــغــيــثًــا

فــيُــخــمــدُ بَــرْدُهُ نــيــرانَ «آب»

ولــكن مــا لأيــلــولٍ ســبــيـلٌ

إلى مــا في الــضــلــوع منَ الــتــهــاب

فــيــمــضي مــثــلــمــا يــأتي حــمــيــدًا

وجــمــرُ أسى فــؤادي غــيــرُ خــابي

فــمــمّــا كــان يُــوهي الــصــبــرَ حــتى

تــداعَى حــبلُ صــبــري بــانــقــضــاب

مــقــامــي صِــفْــرَ كفٍّ في أنــاسٍ

تَــعُــدُّ الــمــعــســرينَ منَ الــكلاب

يُــقَــوَّمُ بــالــثــيــاب المــرءُ فــيــهمْ

وإن زُرَّتْ عــلــى لــؤمٍ وعــاب[1]

فــمــوصــولٌ قــشــيبُ الــثــوب مــهــمــا

تــغــلــغلَ من خَــنــاهُ في شِــعــاب

ومــهــمــا كــان من جــهلٍ مُــبــيــرٍ

عــمــيمِ الــضُّــرِّ مــلآنِ الــوِطــاب

ومــهــمــا كــان عن غــدرٍ ومــكــرٍ

بمن آخــاهُ مُــنــجــابَ الــضَّــبــاب

وأمــا طــاهــرُ الأذيــالِ يــبــدو

بــأطــمــارٍ فــمُــجْــتَــنَبُ الجَــنــاب

وهَــبْــهُ كــان من أدبٍ وعــلــمٍ

غــزيــرِ الــبــحــرِ جــيّــاشِ الــعُــبــاب

---

(١) زرت: ضمت وجمعت. والعاب: العيب.

وهَبْهُ للسَّجايا رائقاتٍ

زواهرَ فائقاتٍ ذا احتقاب[1]

فليس السيفُ عند القوم سيفًا

بشفرتهِ ولكن بالقِراب[2]

ويَفْضُلُ حين يُكسَى البغلُ جُلاً

لديهم عاريَ الخيْلِ العِراب[3]

فلو أني استطعتُ لبِعتُ فيهمْ

حُلى أدبي الكريمةَ بالثياب

لأسمعَ مقبلاً أهلاً وسهلاً

من النائي وذي النسب القُراب[4]

وتَفْقِدُ مدبرًا أذنايَ منهمْ

سماعَهما مقالَ: إلى الذَّهاب[5]

هنالك تطَّبيني لاجتماعي

بشعبي - لاعتزاليهِ - الطوابي[6]

لما بي قد ذهلتُ فمن ذهولي

مزجتُ الصّابَ بالنُّطَفِ العِذاب[7]

أردتُ الشَّهْدَ من قولي عتابًا

بلا مزجٍ من الشكوى بصاب

ولكن قد أبى ما شئتُ ممّا

أكابدُهُ من الأحزان آبي

---

(١) احتقبه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السالمة من الهجنة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

فـــإن أخْـــلِطْ وأخـــبِطْ فـــاعفُ واعـــذُرْ
على خـلْـطي وخـبـطي في كـتـابي
فـلـيس يـلـومُ من يـشـقى شـقـائي
لـبـيبٌ حـين يـنـطقُ بـائـتـشـاب[1]

✱✱✱✱

(١) الائتشاب: الاختلاط، اي حين ينطق بالقول المشوب بالكدر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أشـــــــمسٌ أشـــــــرقتْ أم ذي لآلـي
بـحُـسن الـنـظم صـيـغتْ في كـتـاب
نـــعم هـــذا كـــتـــابٌ من خـــلـــيلٍ
تحـــــاملَ فــــيه فـي ردِّ الجـــــواب
تـــوّهمَ أنـــني أدمـــجتُ فـــيـــمـــا
أتـــاه مـــا يـــؤولُ إلـى انـــقلاب
فـــمـــا كـــان الـــتَّـــهـــكُّمُ قطُّ دأبي
ولا سـيَّـمـا الـتّـهـكُّمُ بـالـصِّـحـاب
ومـــا من مـــوجبٍ لـــلـــهُـــزءِ حـــتى
أوجِّـــهُهُ لمـــثـــلك في خـــطـــابي
لـــقـــد شـــوَّشْتَ نـفـسَك في ظـنـــونٍ
وسـاوسَ صـرتَ مـنـهـا في اضـطـراب
فَـهَبْ بـعضَ الـظـنـونِ تـصـيبُ لـكنْ
بـعـيـدٌ مـا ظـنـنتَ من الـصَّـواب
شَـنَـنْتَ الـغـارةَ الـشَّـعـواءَ حـتى
أتـــيتَ من الـــقـــريضِ بـــألف بـــاب
فـــمـــا بـــيـــني وبـــيـــنك قطُّ شيءٌ
من الأحـــقـــاد يـــا ســـامي الجـــنـــاب
لـــعَـــمْـــرُ الـــلـه أني عـــنك راضٍ
وراضٍ بـــابـــتـــعـــاد واقـــتـــراب
فـــمـــا أحـــلى عـــتـــابَكَ في فـــؤادي
وإن عـــدُّوه من قِـــطَعِ الـــعَـــذاب
تـــقـــولُ وكـــيف عـــيـــشي في أنـــاسٍ
(يَـــرَوْنَ الـــمُـــمْـــلـــقـــينَ من الـــكلاب)

نـــــعـمْ إنَّ الـــــمُــــقِلَّ بـــــكلِّ دارٍ

وإن حـــاز المـــعـــالي بـــاكـــتـــئـــاب

وأكـــثـــرُ مَنْ تـــراهُ منَ الـــبَـــرايـــا

وإن قَـــرُبـــوا ذئـــابٌ في ثـــيـــاب

فـــذو الآدابِ كـــالـــمَـــجْـــذومِ فـــيـــهمْ

فـــيـــجـــتـــنـــبـــونه شَـــرَّ اجـــتـــنـــاب

وهل أبـــصـــرتَ ذا أدبٍ بـــعـــيشٍ

هـــنيءٍ من شـــيـــوخٍ أو شـــبـــاب

فـــإنَّ جـــمـــيعَ من تـــلـــقـــاه مـــنـــهمْ

يـــعـــيشُ بـــقـــومه عَـــيْشَ اغـــتـــراب

وإنْ تـــنـــظـــرْ إلى مُـــتَـــقَـــدِّمـــيـــهمْ

تَـــرَ الـــتـــاريخَ يـــقـــضي بـــالـــعُـــجـــاب

فـطِبْ نـفـسًـا فـنـحنُ قـد اسْـتَـويـنـا

بمـا نـشـكـوه من هـذا الـمُـصـاب

ألا تـــعـــســـًـــا لـــدهـــرٍ من قـــديمٍ

إلى الأوبـــاش والجُـــهّـــال صـــابي

يـــحـــاربُ ذا الـــكـــمـــال بـــكلِّ أرضٍ

فـــيـــصـــمي الـــلبَّ في وَخْـــزِ الحِـــراب

عـــــدوٌّ لا يـــــهـــــادنُ في حـــــروبٍ

ولا يـــصـــغي لـــعـــذلٍ أو عـــتـــاب

فـــمـــا لك يـــا غـــضـــنـــفـــرُ في عـــرينٍ

أطـــلتَ به المـــقـــامَ عن اكـــتـــســـاب

فَـــثُـــرْ وجُبِ الـــدُّنـــا بـــثـــبـــات جـــأشٍ

فـــأرضُ الـــله واســـعـــةُ الـــرِّحـــاب

وكن كـــالـــبـــدر أو كـــالمـــاء يـــحـــلـــو

ويـــلـــطفُ بـــالمجيء وبـــالـــذهـــاب

****

ريح من عتاب[1]

عـلـيك أثـرتُ ريـحًـا من عـتـابي
لـتـمـري مـنك أخلافَ الـسَّـحـابِ[2]
لـعـلـمي أنَّ مُـزْنكَ لـيس يـسـقي
إذا استُسقِيتَ غيرَ الـمُسْتـطاب
وهـا هـو ذا هَـمَى فـوقي إلى أنْ
أزالَ من الـصَّـدا كلَّ الـتـهـاب
وأنـبَتَ في وِهـادِ الـنـفس مـنّي
كَلا الـسَّـلوى الحـمـيـدةِ والـروابي
ولـولا تـلـكُمُ الأرواحُ ثـارتْ
لمـا جـادتْ سـمـاؤك بـانـسـكـاب
ولم أسـمعْ لـرعـدك من دويٍّ
بـأفْقِ الـشـعـر مـنك ولا اصـطـخـاب
ولا شِـمْتُ الـقـوافي مُـبْـرِقـاتٍ
يُـضِـئنَ إلى صَـوابيَ لي شِـعـابي[3]
ولا أصـبـحتُ من غَـرَقي لخـوفي
إذا لم يـصحُ أفـقُكَ في اضـطـراب
فـإنك فِـضْتَ حـتى صـرتُ أخـشى
رجـوعَ الأمـرِ فـيه إلى انـقلاب

---

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعتذر فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.
(٢) مرى الناقة يمريها: مسح ضرعها لتدرّ. والخلف: الضرع وجمعه أخلاف.
(٣) شامه: نظر إليه.

فـــــإن الـــــعَـــــذْبَ إمّـــــا زادَ يُــــرْجِعْ
عُــــذوبـــــتَه المـــــزيـــــدُ إلى عَـــــذاب
فــحــســـبي من حَــيًــا إنْ دام يَــغْــرَقْ
صــديــقُك مــنه في الــلُّــجَجِ الــعِــذاب
فــيــــا ابنَ سَـــمِيِّ خِلِّ الـــلـه أمـــسِكْ
فـــإني من مُـــفــيــضِكَ في عُـــبـــاب
ولـــــيس لـــــديَّ في غـــــرَقي – إذا لم
تُـكَـفْـكِفْ مـا أفـضتَ – من ارتـيـاب

****

عذرك يكفيني

أحـــاولُ أن يـــكـــون عـــلـى الــكــتـــابِ
من المـــنـــثـــور مُـــشـــبِـــهَهُ جـــوابي
فــيــقــعــدُ بي خـــمـــودُ الــذهن عــمّــا
أريـــدُ من الــنــثــيــرِ المــســتــطــاب
فـــإن تَـــعْـــذُرْ فـــحـــســـبي ذاك أوْ لا
فــأحــمــدُ كــان مــحــمــودَ الــعِــتــاب

****

كن لي هكذا

أبـــوحُ بــعـــيب مـــحـــبـــوبي ولــــكن
إلـــيه حــــين أخـــلـــو بـــالحـــبـــيبِ
لـــيـــنـــفِيَ عـــيـــبَهُ عـــنهُ ويُـــضـــحي
بـعـيـدًا مـا اسـتـطـاع من الـمَـعـيب
وأُبْــــــرِزُ مــــــا له فــــــيه اعــــــتلاءٌ
وفـــخـــرٌ لـــلـــبـــعـــيـــد ولـــلـــقـــريب
فـــــكن لي هــــــكــــــذا أبــــــدًا وإلا
فـمـا أنـا إن صـحـبـتُك بـالـلـبـيب

****

صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب

بـــني يـــعـــربٍ من فـــاتَهُ أمسِ سَـــلُّهُ
حـسـامًـا به عن قـومه يُـحـسِنُ الـذَّبّـا
فـــمـــا فـــاتَهُ أن تـــمـــنح الـــيـــومَ كـــفُّهُ
فـلـسـطـينَ مـا يمـحـو به ذلك الـذَّنـبـا
فـجـودوا بـكُـثْـرِ المـال والـقُلِّ واذكـروا
هـــنـــالك أرحـــامَ الـــعـــروبـــة والـــقُـــربى
فـلـو نـابـكم مـا نـابـهم وثَـبـوا عـلى
ذوي الـظـلمِ من أعـدائـكم أُسُـدًا غُـلْـبـا
وخـاضـوا غِـمـار الحـرب خـوضَـكُمُ لـهـا
ولم يَـعـدَمـوا في عـونـكم مـا لَـهم حَـربـا
وسَـحّـوا عـلى مـشـبـوبِ نـار خـطـوبـكم
كـمـا يـقـتـضي مـحـمودُ أخلاقـهم سُـحْبـا
فـهم من عـلـمـتم بـالـوفـاء لـقـومـهم
وإخـوانـهم مـهـمـا شـكـوْا حـادثًـا صـعـبـا
فلا تُـــعـــدِمـــوا أهل الـــوفـــاء وفـــاءَكم
وراعـوا يـتـامـاهم وأرعـوهم الخـصـبـا
أقـــاربُـــكم بـــالأمس أرضَـــوْا بـــبـــذلـــهم
نـفـوسَـهُمُ مـجـدَ الـعـروبـة والـرَّبّـا
فـــأرضـــوهـــمـــا عـــنـــكم بـــبـــذلِ رغـــائبٍ
بـهـا يـنـثـني مُـرُّ الحـيـاة لـهم عَـذبـا

فطوبى لمن قد ألحَقَ اليوم ما لَهُ

من الخطب ما يُنسي به قومَهُ الخَطْبا

بني يعربٍ ما زلتم كلما دَجا

من الأمر ليلٌ تَطلُعون به شُهْبا

فلوحوا كما كنتم تلوحون أنجمًا

يَجُبْنَ ظلامَ الكربِ أجمَعَ والكَرْبا

عَنَتْكُمْ جميعًا ألسُنُ الحال عندهم

بقولٍ مؤداه صِلوا الأهلَ والصَّحْبا

فلبّوا سراعًا بالمعونة وابذلوا

جهودَكمُ فالفوزُ منكم لمن لَبّى

أعينوهمُ بل آثروهم لتُشبِهوا

بإيثارِكُمْ أجدادَكم في العُلا العُرْبا

فكم آثَروا بالوُجْدِ محتاجَ وُجْدِهِمْ

وأذكُرُ منهم حاتِمَ الجودِ أو كعبا

ولم أنْسَ في الإيثار أصحابَ خيرِ مَن

إلى خلقِهِ من ربهم حَمَلوا الكُتْبا

فإن تقتدوا في فعلكم بفعالهم

تَطِبْ لكمُ أُولى الحياتين والعُقبى

وإياكمُ والشُّحَّ فهو بخِدنِهِ

إلى كلِّ ما يخشى النُّهى سالكٌ دَرْبا

فإن مات فالإثمُ العظيمُ وإن يَعِشْ

فليس له من غَمزِ أقرانِهِ مَخبا

هو الشُّحُّ في الدارين ليس بجالبٍ

إلى أهله إلا الندامة والعَيْبا

فكونوا على بُعدٍ من الشُّحِّ واحذروا

أوائل ما يأتي به الشح والغبا

✡✡✡✡✡

ألم ينظُرِ المُثْري الشحيحُ إلى الأُلى

قضَوْا قبله – من كل ذي ثروةٍ – نَحْبا

أساروا إلى بطن الثرى بثرائهم

أم استَصحَبوا منه سوى كفنٍ ثَوْبا

✡✡✡✡✡

بني يعربٍ هُبّوا إلى بذل وُسعِكُمْ

فأجدَرُ يومٍ تبذلون به هَبّا

وشُنّوا على المثري البخيلِ مَغارَكم

بكلِّ مقالٍ واملؤوا قلبَهُ رُعْبا

فمن لم يكن في فعله الخيرَ راغبًا

فلا بأس أن تلقاه يفعلُه رَهْبا

وما نفعُ مالٍ عاقَهُ عن قضائه

حقوقَ العُلا ذو جِنَّةٍ ظنَّها لُبّا

أفي مثل هذا اليوم يمنعُ عَوْنَهُ

فلسطينَ من تحوي جوانبُهُ قَلْبا

فلسطينُ من لم يعترفْ طائعًا بما

علينا لها من مِنَّةٍ يعترفْ غَصْبا

فقد أثبتَتْ أن العروبةَ لم تَزَلْ

تُطيق على الأعداء – مهما قَوُوا – وَثْبا

وإن لهيبَ العُرْبِ ضمن رمادهم

يهولُ نفوسَ الظالمين إذا شَبّا

وضَمَّتْ إلى فخر العروبة مثلَهُ

بكلِّ دَمٍ زاكٍ على أرضها انصَبّا

فـمـرحى «لـفـوزيٍّ» الـعُلا و«سـعـيـدهـا»
وصَحـبِهِمـا الـمُعلـينَ أعلامَـها القُشْبـا
فـقـد رفـعـوا شـأنَ الـعـروبـة فـاعـتـلى
بـهم وجَلَوْا عن شمس عليائها الحُجْبا
وألـقَـوْا عـلـيـهـا خـيـرَ درسٍ مـفـادُهُ
إذا شـئتَ أن تحـيـا فلا تُـغـمِـدِ الـعَضْبـا

****

الله يأبى

يـريـد الـذي في الـغـربِ أن يـفـنيَ الـعُـرْبـا
جـمـيـعًـا ولـكن الـذي في الـسَّـمـا يـأبى
فـلـــو أمــكن الإفــنـــاءُ أفـــنى ولـم يَـــدَعْ
من الـعُـربِ لا فـردًا يـعـيشُ ولا شَــعْـبـا
وهـــذا عُـــمــــانٌ والجــــزائــــرُ شــــاهــــدٌ
جــهـادُهُـمـا المـيـمـونُ أن لم أقُلْ كِـذْبـا
ومـا بـرحت من فـعـلِهِ الـنُّـكْـرِ تـشـتـكي
فـلسطـينُ مـا أغـرى بـهـا الـكَرْبَ فـالـكَرْبا
فـــهل عــــربيٌّ بـــعــــد هــــذا مُـــؤَمِّلٌ
من الـغـرب إنـصـافًـا إذا اسـتـرشَـدَ الـلُّـبّـا

****

بين الجد والهزل[1]

عنز تأكل الكتب

كُلـوا عَـنْـزَكُمْ من قـبلِ أن تُـفـنِيَ الـكُـتْـبـا
وتُـحـدِثَ أمـرًا ثـانـيًـا يُـسـخِطُ الـصَّـحْـبـا

وأرضـوهُمُ مـنـهـا بـنـاضجِ لحـمِـهـا
عـلى أُرُزٍ يـغـدو له (حَـشْـوُهُ) حَـجْـبـا

ولا يمـسـحـوا الـراحـاتِ إلا بـشَـعـرهـا
إذا مـا قـضَـوْا من أكلِ مـطـبوخِـهـا الإرْبـا

ولا تَـتَّـخِـذْ من جـلـدهـا غـيـرَ جـوربٍ
ونـعلٍ كـمـا يـقـضـي الـهـوانُ إذا أربى

فـإنك إن تـفـعلْ بـهـا مـا ذكـرتُهُ
تَـعَفْ كلُّ عـنـزٍ مـثلَ فـعـلـتـهـا رَهْـبـا

ولا تـخشَ فـيـهـا يـا حـسـينُ ملامـةً
فلا لـوْمَ في أمِّ الـتُـوَيْسِ ولا عَـتْـبـا

وسـائلْ بـطـونَ الـقـوم عـمّـا أقـولُهُ
يُـجِـبْـنَكَ إنَّ الحقَّ هـذا ولا رَيْـبـا

ومـا خـيـرُ عـنـزٍ تجـعلُ الـكـتْبَ مَـرتـعًـا

---

(١) كانت للوجيه الفاضل المرحوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها لملا حسين بن عبدالله.

ولم تقطعوا عنها الشعير ولا العُشْبا

يُعِيضُكَ عنها - إن أبحتَ لصحبنا

حِمى لحمها والشحمِ - معطيكُما سِرْبا

✡✡✡✡✡

فلا تَذَكَّرْ منها الحليبَ وطِيبَهُ

إذا مزجوا بالشاي منه لك القَعْبا

ولا ما يسُرُّ القلبَ من حركاتها

زمانَ تُجيدُ القفزَ والطَّمْرَ والوَثْبا

فكلٌّ قريبٍ العهد بالعيش مثلها

له حركاتٌ كلُّها يُطربُ القَلْبا

فقد ملأ الله الصغار ملاحةً

لنبذلَ عن حُبٍّ لها الرِّفقَ والحَدْبا

فحُبُّ صغار النسلِ جدّاً مخفِّفٌ

- على من يربيها - من المهنةِ الأَعْبا

ولم يرِ لولا الحسنُ حُبّاً ولم يجد

سوى الحُبِّ يشفي داء أتعابِهِ طِبّا

وما خَصَّ هذا الأمرُ بل عَمَّ كلَّ من

يُرَبِّي صغارًا في الخلائق أو رَبَّى

ولولا افتتانُ الأمهاتِ بحسنهم

تمنَّينَ من أحضانهنَّ لهم سَحْبا

فلا طفلَ إلا وهو في عين أمِّهِ

يفوق جمالاً دائرَ الشُّهبِ والقُطْبا

وسِيّانِ أمٌّ ما ابتغت قَطُّ ملبسًا

---

(١) السب: شقة كتان رقيقة.

ومن تبتغي ما عاشت الثوب والسِّبّا[1]

وقلبُ وليدِ الإنسِ كان كغيرِهِ

بحسن الذي تأتي به أبدًا يُسبى

كذلك لطفُ الله في الخلق لم يَدَعْ

من الخفضِ من توليهِ حرفتُهُ نَصْبا

وهذي صغارُ المَعْزِ تملأُ كَثْرَةً

فنزِّهْ بها الطَّرفَ (المطبَّة) والدَّرْبا

لتنسى بها تلك التي كلما جرَتْ

بباليَ ذكراها تصوَّرتُها ذِئبا

وما الفرق بين الذئبِ والعنزِ إن غدت

وراحت – سوى إفسادها مثله – تأبى

ولم يَقْسُ إنسانٌ على الذئبِ مَرَّةً

لَوِ الذئبُ لم يُتلِفْ صِحاحًا ولا جُرْبا

فمن ضَرَّنا كنا عليه – ولم نكن

بمعتبري نوعٍ ولا غيره – إلْبا

فنحن لأهل النفعِ حزبٌ بطبعنا

وبالطبع ما زلنا على ضدِّهِمْ حِزبا

فإن أعقبَتْ تيسًا لكم أو عُنَيزَةً

فأتبع بتلك الأم ذَيّالِكَ العَقْبا

فما خَبُثَتْ إلا ليَخْبُثَ نسلُها

فهل كلبةٌ جاءت بما يَفْضُلُ الكلبا

فيا ربما تعتاض أغْزَرَ درَّةً

وأخفض صوتًا عندما تبصر الأبّا

وأكثَرَ للكتْبِ الكرام تَجِلَّةً

وأيسرَ تنقيبًا عن القَتِّ إذ يُخْبا

وأسكَنَ للحَلابِ منها قوائمًا

إذا ما دنا من ضرعها يبتغي الحَلْبا

فلا رَكْلَها يخشى ولا كَسْرَها الإنا

ولا نبشَها – ما دام يحلبُها – التُّرْبا

✡✡✡✡✡

ألا ما لهجوي مازحًا دَبَّ عقربًا

إلى العنز حتى حاذرتْ موتَها لَسْبا[1]

لِيَ الويلُ مما قلتُ فلأطْوِ كلَّ ما

نشرتُ من المَهْجا وإن قلتُهُ لِعْبا

وما لِيَ ألهو بالهجاء إذا اتَّقى

شبيهَ فؤادِ العنز من وقعه نَدْبا

أتوب إلى أُمِّ التُّوَيْسِ من الذي

تَظَنَّتْ به إن دام أن تَقْضِيَ النَّحْبا

فإنيَ قد أحسستُ مُشْجي ثُغائِها

تُصَعِّدُ فيه الشَّكْوَ محزونةً غضبى

فأصغوا إليها تفهموا ما تقولُهُ

ففهمُ الذي تعنيه لا يُعجِزُ اللُّبّا

ولا تحسَبوا أن البهائم لم تكنْ

لتُحسِنَ صَدعًا بالمقال ولا رَأبا

فكم أوضحَتْ ذي العنزُ غامضَ قصدِها

بمنطقها المعهودِ (أمباعُ أو أمْبا)

وهل لغةُ الإنسان تسمو إبانةً

---

(١) اللسب: اللدغ.

علـى لـغـةِ الحـيـوان سـاءَلَ أو أنـبـا
ومن يـتـأمَّلْ صـوتَهُ في ارتـفـاعه
وفي الخـفضِ يَـعْـلَمْ أنـني لم أقُلْ كِـذْبـا
وسَلْ - إن شـككتَ - الـبـعضَ مـنه فـإنه
مـجـيبٌ بمـا لا شكَّ فـيه ولا رَيْـبـا
ولـيس سـؤالُ المـرء حـيـوانَهُ سـوى
دراسـتِه مـحـيـاهُ إن نـام أو هَـبّـا
فـمن زاوَلـوهُ أَخـبَـروا أنه يَـعي
من العَـينِ ما تـوحي رضًى كـان أو عَـتْبـا
ومن يَـدْرِ حـتى وحْيَ عـيـنـيك لم يـكن
لـيـجـهل سـهلاً خـصَّهُ لا ولا صَـعْـبـا
فـهـمتُ عن الـعـنـزِ المـقـال الـذي به
تَـذُبُّ الأذى عـنـهـا وعن نـوعـهـا ذَبّـا
وهـاكم مـؤدّى مـا أبـانَ خـطـابُـهـا
ورُبَّ خـطـابٍ عن أخـيه ثـنى خَـطْـبـا
ألا خِـفْتَ فـيـنـا الـلـهَ من نـظمِ كِـلـمـةٍ
تَـضَـمَّنَ مـنـهـا كلُّ بـيتٍ لـنـا كَـرْبـا
فـوالـلـه لـو كـنـا أنـاسًـا وكـنـتمُ
بـهـائمَ كـنـا فـيـكم نـتـقي الـرَّبّـا
ولم نَـجْـزِكُمْ مـهـمـا أتـيـتم إسـاءةً
إلـيـنـا عـلـيـهـا مـثلَ قـولِكَ أو ضَـرْبـا
وقـمـنـا لـكم بـالـعـذر عن كل هـفـوةٍ
على مثـلـهـا تجـزونـنـا الـضَّرْبَ والـسَبّا
وكـيف نجـازيـكم عـلى الـسـوء مـثـلَهُ
ولم تُـرزَقـوا فـهـمًـا يُـمـيـزُ ولا إربـا
ولم نُـرْعِـكُمْ إلا مـراعيَ خـصـبـةً

ولم نَـرْضَ إلا بـالـتَّـمـيـرِ لـكم شُـرْبـا

ولم نـتَّـخِـذْ من أرضِـنـا لجُـنـوبـكم

مـرابضَ إلا سـهـلَـهـا الـنـاعِمَ الـرَّحْـبـا

ونـحسنُ صنـعًـا مـا اسـتـطـعنـا ولم نَـرُحْ

نَـجُـرُّ به الأذيـالَ فـخـرًا ولا عُـجْـبـا

ولـكن نـرى الإحـسـان من شـكـرِ واهبٍ

لـنـا مـنـكم شَـخْتَ المـنـافع والجَـأْبـا

ومن لم يَـصُنْ بـالـشـكـر نـعـمـةَ رَبِّهِ

عـلـيه فلا يـأْمن عـلى الـنـعـمـة الـسَّـلْبـا

✡✡✡✡

عـلى أنَّ إكـرام الـبـهـائم زائـدٌ

لـنـا كلَّ رزقٍ من فـوائـدهـا يُـجْـبى

فـإكسـابُـنـا الـصُّـنْعَ الجـمـيلَ بـهـائـمًا

مـلـكـنـا نَـواصـيـهـا يـعـودُ لـنـا كَـسْـبـا

ولم نـسـتـسغ لحم الـبـهـيـمـة سِيَّـمـا

إذا أظـهـرت مـنـهـا لـنـا الألـفـةُ الحُـبّـا

فـكـيف بـهـاتـيكَ الـتي من ثُـدِيِّـهـا

رشـفـنـا - ولـو في عـمـرنـا مـرةً - شُـخْـبـا

فـهـاتـيك مـثلُ الأم تـبـقى وكـلُّـنـا

يـحـوكُ لـهـا من كل مـكـرمـةٍ ثَـوْبـا

✡✡✡✡

ولـكنَّ حُـبَّ الـذاتِ أبـنـاءَ آدمٍ

عـلـيـكم أبى وَصْلَ الـعـدالـةِ والـقُـربى

وهل نـرتجي أن تـبـصـروا خـلف حُـبِّـكُمْ

ذَواتَـكُمُ شـمـسًـا من الـعـدلِ أو شُـهْـبـا

ومن يَـمْـتَـلِـكْهُ مـثـلَـكم حُبُّ ذاتِهِ

يُـغـادِرْ جـمـالَ الـعـدلِ عن عـيـنـهِ غَـيْـبـا

فـلـولا غـيـابُ الـعـدلِ يـا «صـقـر» عـنـكمُ

لما قلتَ فينا اليوم ما يقصِمُ الصُّلْبا

كـأنّـا بـنـاتِ الـتَّـيْسِ نمـنـعُ فـوزَكم

بمـرجـوِّكم أُولى الحـيـاتـين والـعُـقـبى

ونـحن لـديـكم إن مـكـثـنـا لـيـالـيًـا

ثـنى المـكثُ مـنـا كلَّ قـلبٍ بـكم صَـبّـا

لأنّـا دواني ألـفـةٍ والـهـوى لـهـا

ولـيـدٌ وتـلك الأم لا تـلـد الـشَّـوْبـا[1]

فـنـولـيـكمُ صَـفْـوَ الـودادِ ووُدُّكُمْ

نـشـاهـده حـتى لجـنـسـكمُ خَـبّـا[2]

فـأيُّـكُمُ يُـبـدي الـودادَ لـغـيـرهِ

إذا لم يـجـد رهـبًـا لـديه ولا رَغْـبـا

ولـو بـعـضـكم لـلـبـعض أخـلص وُدَّهُ

لمـا اسـتـشـعـرت يـومًـا قـلـوبُـكُمُ رُعْـبـا

فـمـا الـرُّعْبُ إلا ابنُ الخـصـام الـذي أتى

نـتـيـجـة بـغضٍ لم يـزل لـكمُ دأبـا

ولا بُـغْضَ لـولا قـلبُ كلِّ أخٍ غـدا

به من أخـيه الجَـوْرُ مـسـتـحـدثًـا ثُـقْـبـا

ولا جَـوْرَ إلا أصـلُهُ الـطـمـعُ الـذي

حـيـاؤكمُ فـيه عـلى وجـهه كُـبّـا

كـأن لم تـروا في أخـذه المـوتَ مـنـكمُ

(١) الشوب: الخلط.

(٢) الخب: الخداع.

حكى الطائر العجلان في لقطه الحَبّا

ومن عجبٍ تصديقُكم أن كُلَّكُمْ

سيلقى من العيش الهناءَ الذي أصبى

ولن تبلغوهُ والقناعةُ لم تُضئ

دُجى الطمَعِ المُردي مشاةً ولا رَكْبا

فلا تأملوا دون القُنوع تساويًا

يعمُّ بخيراتٍ الدُّنا العُجْمَ والعُرْبا

فأنفُسُكم تأبي القنوعَ كأنما

على قالَبِ الأطماع سائرُها صُبّا

وكم قد زعمتم أنكم فوقنا نُهًى

وما كلُّ ذي زعمٍ بتحقيقه يُحْبى

فإن كان فحلاً ذلك الزعمُ عندكم

فبالطمَعِ المُزري بكم عندنا جُبّا

ولو صحَّتِ الدعوى تساوت ثيابُكم

ولم تُلحِقوا المأكولَ فَرْقًا ولا الشُّرْبا

وكنتم كأن الرزق رمحٌ لديكمُ

وكلٌّ يُريهِ القَسْمُ فيه له كَعبا

وعشتم وكلُّ الأرض دارٌ وأنتمُ

بها أسرةٌ تأبى تفاوُتَها القُربى

فلو لم يكن هذا التفاوتُ بينكم

لما جال فيكم ماردُ الشَرِّ أو خَبّا[1]

وغيرُ صحيحِ العقل خَلْقٌ بعقله

ولما يُفِدْهُ الخيرُ يفخَرُ أو يَعْبا

ويحزنني ذو الفقر يُكبِرُ ذا الغنى

(١) خب: عدا نوعًا من العدو.

ولـو لم يَـجُـدْ يـومًـا بمـا يُـشـبِعُ الـضَّـبّـا

فـأُضــمِــرُ كــرهًــا لــلــغــنـيِّ ومــالِهِ

وإن مـات فـاكسِـرْ خـلـفهُ الـكـوزَ والحُـبّـا[1]

وأُكــثِــرُ لــلــثــانـي احـتـقــاري وأنــثــنـي

وجـاحِمُ سُـخـطي صُـنـعُهُ في الحـشـا شَبّـا

أتُـــرخـي أمـــام الأغـــنـــيـــاء تـــأدُّبًــا

عـلى مـا تـرى من بـخـلـهم عـيـنُه الـهُـدْبـا

ولـــو لـم يـكـن أمـــثـــالـهم سَـلَـمًـا لـــهم

لمـا وطـئـوا تلاً من الـيُـســر أو هَـضْـبـا

فـلـو حَـرَّمَ الـنـاسُ احـتـرامَ ذوي الـغـنى

إذًا لـم يُـواســوا الـنــاس بـذلاً ولا وَهْــبـا

وأبــطَلَ مَن مــلــبـوسُهُ الخــيشُ شــرعــةً

بـهـا يـسـرقُ الأرزاقَ من يـلـبسُ الـعَـصْـبا[2]

رأوا من رُخـاءِ الــعـيشِ فــيـهم مــنــاهلاً

يَــفِــضْـنَ لــكلٍّ إن تحـــسَّى وإن عَــبّــا

ولم يــنــفـرد بــالخـفض شــعبٌ وعـيــنُهُ

تـرى الموت في جيش الـطَّوى غـازيًـا شَـعبا

وهــيــهــات. فــالإنــســان لـو قـلبُ خِـدْنِهِ

يـذوبُ، حَـسَـا مـنه – ولـم يـخـجَلِ – الـذَّوْبـا

لـيـنـقضَّ صـقـرًا خـاطـفًـا رزقَ غـيـرهِ

تـعـلَّم حـتى أتـقن الحَـوْمَ والـلَّـوْبـا[3]

ولم يــكـــفِهِ أن يــخـــطِف الـــرزقَ وحـــدَهُ

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لاب لوبًا: حامَ حول الماء وهو لا يصل اليه.

(٤) الحوباء: النفس وهنا قصرها للقافية.

فيخطفَ قبل الرزقِ من جسمه الحَوْبا(٤)

فتبكي اليتامى والأيامى ولم يكن

يبالي على الصرعى لأدمعها سَكْبا

ولله سَيْبٌ فيهمُ لو تناصفوا

كفاهم معًا أن يطلبوا غيرَهُ سَيْبا[1]

✡✡✡✡✡

فلا سعِدت عنزٌ تمنَّت أباكمُ

لها والدًا يومًا وتَبّاً لها تَبّا

لأن أباكم آدمًا كان نسله

ولمّا يزل فيه نرى العيب فالعَيْبا

فما مَرَّ حينٌ لم يُبِنْ من عيوبه

لمن عاصروه من أوائلنا ضَرْبا

كأن امتدادَ الدهر أعدى عُداتِكم

لإبداءِ ما أدناه يغمركم ثَلْبا

فها هي تنمو ما تمادى زمانُكم

وتكثرُ حتى شانَتِ الشرقَ والغَربا

ومن شَرٍّ هاتيك العيوب شراسةً

تشقون عن كبْدِ الضعيف بها الخِلْبا

ولو لم تكن منهم لما كنت راميًا

بنبل الأذى شرواي لا الأُسُدَ الغُلبا

وما زلتَ كالصخر الأصمِّ صلابةً

علينا ولولا ضعفُنا لم تكن صُلْبا

وأقبِحْ من الطفلِ الصغيرِ بقسوةٍ

---

(١) السيب: العطاء.

فكيف بها من مكتَسٍ رأسُه شَيْبا
تُكَبِّرُ ظُلمًا هفوتي عند صاحبي
ليجعلَ لحمي بعد ذبحي لكم نَهْبا
وما هفوتي عند القياس ببعضِ ما
أتيتَ إليَّ اليوم معدودةٌ ذَنْبا
لتجعل حقّاً باطلَ الأمر جاهدًا
مُجِدّاً أرى في شخصِكَ البطلَ النَّدْبا
وما زال عكسُ الحق دأبكمُ فمِن
دَبَى شرِّكم أيُّ المراتعِ ما أدْبَى
فلا حُذِيَ الأظلافَ مِثْلَكِ شاعرٌ
تقيهِ أذى شوكِ الطريق أو الحَصْبا
ولا نَبَتَ القَرْنانِ منه بهامةٍ
يُخيفان من يأتي له ناويًا حَرْبا
ولا صارتِ الأذنانِ منه مَذَبَّةً
يَذُبُّ بها ما طار يؤذيه أو دَبّا
ولا سَرْبَلَ الضافي من الشعرِ جسمَهُ
ليأمَنَ في المشتى أذى ريحِهِ النَّكبا
ولا اجتَرَّ مسرورًا بجِرَّتِهِ إذا
أراد التذاذًا أو أحسَّ به سَغْبا
ولا اكتَنَفَتْهُ المعزُ يومًا بروضةٍ
على ما أتت من رِيِّها تشكر السُّحْبا
منوِّرَةِ الأعشاب تحسبُها سمًا
وتحسب فيها أنجمًا زهرَها الرَّطبا
إذا شبعت من عشبها العنزُ واحتوى

لـهـا مَـرْبِضٌ في سـفحِ ربـوتِـهـا الجَـنْـبـا

وداعَبَ عــطــريُّ الــنــســيم أُنَــيْــفَــهــا

ونــادت فــلــبّــاهــا من المــعــز من لَــبَّى

أحــسَّتْ كــمــا تــهــواهُ ثَمَّ ســعــادةً

تـفـوتُ يَـدَيْ من شـاب مـنـكم ومن شـبّـا

لـكي مـا تـنـالـوا مـثـلـهـا سَلَّ بـعـضُـكم

عـلى بعضِكم من حَيْفِهِ سيفَهُ الـعَضْبـا

كـأن الـفـتى يـغـدو سـعـيـدًا إذا انـثـنى

إلى جيبه ما في جيوب السِّوى غصبًا[1]

وهــيــهــاتَ مــا نــفسُ أمـرئٍ بـكـنـوزهِ

تـصـادف يـومًـا من سـعـادتـهـا جَـلْـبـا

عـلى حَـسْبِ مـا يـزدادُ مـالُكَ وجـهُـهـا

يـزيـدُ لـيُـخـفي عـنك مـشـهـدُهُ الـنَّـقْبـا

ســكــيــنــةُ نـفسِ الحيِّ مــنــا ومــنــكمُ

ســعـــادتُهُ لا مـــا به يملأ الجَــيْــبــا

ولم نَــرَ مــنــكم ســاكنَ الــنـفس هــادئًـا

سـواءً رعى خـصب المـراعي أوِ الجَـدْبـا

وحــرمــانُــكم أن تــهــدأوا أوَّلُ الجَــزا

عـلى ظلـمـكم دُهْمَ الحـيـاوين والـشُّـهْبـا

ومـــا تَــخْــبَــأُ الأخــرى أمَــرُّ مــذاقــةً

لــكل امــرئٍ من ظــلــمهِ تــركَ الـتَّـوْبـا

فـإن لم تـخـافـوا الـلـه فـيـنـا وتَـرْفُـقـوا

(١) السِّوى: الغير.

فلا تـأمـنـوا من سـوء مـا جـئـتمُ الـغِـبّـا

فــإن الـــذي ولاكُمُ الـــيـــوم أمـــرَنـــا

وأجـرى لـكم أقـواتَـنـا لـبَـنًـا عَـذْبـا

سـيـجـزيـكم عـنـا غـدًا مـثلَ فـعـلِـكم

فلا تـأمـنـوا عـكسَ الجـزاء ولا الـقَـلْـبـا

كـذا خـاطـبـتـني الـعـنـزُ وهي مُـحِـقَّـةٌ

وذكـرى حقـوقِ الـعـنـزِ أنـسـانِيَ الـشَّـغْبـا

فلا تُـهـمـلـوا حَقَّ الـبـهـائم واسـلـكـوا

بـهنَّ سـهـولَ الـسُّبْلِ والمـرتَعَ الخِـصْـبـا

****

يا أشقائي العرب[1]

دَعُوا الجزائرَ تلقى الويلَ والحَرَبا
ثم ادَّعوا أنكم ما زلتمُ عَرَبا

لو لم نزل عربًا لم تلقَ إخوتُنا
مِن دوننا كل ما قد آدَ أو كَرَبا[2]

ولم نجِد بينهم مَن عن معونتِهم
بالنفسِ والمالِ لا بالقولِ قد هَرَبا

وأصبح الكلُّ منّا جَهْدَ طاقتِه
مخفِّفًا عنهم الأشجانَ والتَّعَبا

مشاركًا لهمُ في كل نازلةٍ
تَستبذلُ الجُهْدَ منه صالَ أو وَهَبا

أمَا ويَعْرُبَ لو ظَلْنا بَنيهِ رأت
مِنّا فرنسا شجًا في حلقها نَشِبا

وما أحسَّت وقد جاءت بفعلتها
فينا فتًى ضدَّها لم يستَحِلْ لَهَبا

أيعرُبيّون من أفعالهم بَعُدَتْ
عن فعلِ يعرُبَ فيما جَلَّ أو حَزَبا

ظننتُ ظنّاً شجاني أن رابطَنا
بيعرُبَ المعتلي قدرًا قد انقضَبا

---

(١) قيلت في ١٩٦٢/١/٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

أو أنّ مــوصــولَهُ المحضَ الــرفــيعَ دَنــا

مـنه الـوضـيعُ من الأنسـاب فـانـتـشـبـا[1]

لـو لم يـكن ذاكَ ظَـلْـنـا مُـشـبِـهـينَ له

- مـهـمًا تـقـلَّبَتِ الـدنـيـا بنـا - حَـسَـبا

ظَنٌّ شــجــاني وأبــكــاني عــلى نــسبٍ

زَهَتْ بــرفــعــته أجــدادُنــا حــقــبــا

لا صــدَّقَ الــلهُ مُــشْــجي ظِــنَّــتي لأرى

مـا أوجَعَ الـقـلبَ مـنـهـا بـاطلاً ذهـبـا

فــإن تــكــذيــبَــهــا أشــهى الأمــورِ إلى

قـلبٍ عـلـيه بـهـا مُـدْمي الأسى جَـلَـبـا

☆☆☆☆☆

لِمْ لا تــرانِيَ هــذا الــوقتَ مــنــطــويًــا

عـلى شـجـونٍ يُـبِدْنَ الـصَّبْـرَ مـكـتـئـبـا

والأذنُ تــســمـعُ مـا عن نـفعٍ مـعـشـرِهـا

يُـلـهي ويشـغلُ، فـاسمع تَـحْـزَنِ الـصَّخَبا

مــا للإذاعــات بــين الــعُــرْبِ دائــبــةً

تــبثُّ ملءَ الـشـروقِ الـلـهـوَ والـطَّـرَبـا

كــأنــهــا حــســبَتْ أهلَ الجــزائــرِ في

مـا يـقـتـضي طـولَ بَثِّ الـلـهـوِ والـدَّأبـا

إن لـم يَكُ الــكلُّ مـنّــا وقتَ مــحــنــتــهم

لـطِـيبِ لـذاتِه جـمـعـاءَ مـحـتـسِـبـا

مُــوَجِّــهًــا من قــواه الــكُلَّ يُــنــجـدُهم

حــتى يــرى كلَّ صــدعٍ عــنــدهم رُئِــبـا

---

(١) انتشب: اختلط.

فـــأيُّ وقتٍ نُـــواسي مـــنــــهمُ أسَـــرًا
تـكـابـدُ الآنَ ضَـنْكَ الـعـيش والـشَّـجَـبـا
أكـان يـعـرُبُ يـرضـى الـلـهـوَ وهـو يَـرى
من قــومهِ أحـــدًا قــد سِيءَ أو نُـــكِـبــا
عن الجــزائـر يُـشــجي الـقـلبَ مـنـبِـؤهُ
حـــتى يـــغـــادِرَهُ أســـوانَ مـــضــطــرِبــا
فــمــا الـــذي أيُّـــهــا اللاهـــونَ أطـــرَبَـــكُمْ
أعـنـدكم غـيـرُ مـا يُـشـجي الـقـلـوبَ نَـبـا
حـتى مـتى لا يـكـون الـلـهـوُ مُـطَّـرَحًـا
مـا بـين كُـلِّـكُمُ لا الـبـعضِ مـجـتـنـبـا
وفي الجـــزائـــر من يـــرجــو بــنــجــدتــكم
رَدَّ الـــذي ضـــاق من أمـــرٍ وقــد رَحُـــبــا
خَـلّـوا إلى المجـد هـذا الـهـزل وادَّكـروا
دَمَ الـكـرامِ الـذي مـا انـفَكَّ مـنـسـكـبـا
حِـــيـــالَ دمعِ الــــيــــتـــامى والأراملِ من
قــومٍ هُمُ أنــتمُ إن تــذكــروا الــنَّــسَــبــا
شُـــنّـــوا مَـــغـــارَكُمُ من كلِّ نـــاحـــيـــةٍ
عـلى (دويـكـيل) حـتى يـرعـوي رَهَـبـا
لا تحـسـبـوا الـقُضْبَ لـلـموتـور أسـلـحةً
فـــحـــسبُ، إن جَـــدَّ في أوتـــاره طَـــلَـــبــا
بَلِ الــــسلاحُ كـــثـــيـــرٌ غـــيـــرُهُنَّ وكم
بـبـعـضه قَلَّ مـوتـورُ الـورى الـقُـضُـبـا
فـــأعـــمِــلـــوا كلَّ مـــا فـــيه أذيَّـــتُهُ
فـــكل مُـــؤذٍ سلاحٌ لـــلـــذي غَـــضِـــبــا

كـيـمـا يُـصَـدِّقَ مـنّـا كلُّ مـفـتـخـرٍ
إذا عَـزا نـفـسَه يـومًـا إلى ابنِ سَـبـا
أخلاقُ يـعـرُبَ مـا كـانت بـفـائـتـةٍ
يـومًـا درايـتُـهـا الأفـرادَ والـعُـصَـبـا
لـو فـاتهُ الـعِـزُّ لم يـقـبَلْ به بـدَلاً
له ولـلـقـوم طـرّاً مـا عـدا الـعَـطَـبـا
فـإن نـكن مـثـله في طـبـعه صَـدَقَتْ
مـنّـا ادعـاءاتُـنـا إذ نَـدَّعـيه أبـا
إذا انـتـمى لأبٍ نجلٌ فـشـيـمـتُهُ
تُـقَـرِّرُ الأمـرَ إن صـِدقًـا وإن كَـذِبـا
يـا من جُـدودُهُمُ كـانـوا الـشـمـوسَ - إذا
دَجَتْ حـوادثُ هـذا الـدهـرِ - والـشُّـهُـبـا
والـنَّـبْعُ من جُـرأةٍ تَـثـنـي صلابـتُهُ
أمـامـهم في الـوغى أبـطـالَـهـا قَـصَـبـا
شَـبَّتْ مـطـامعُ (ديـكـولٍ) جَـهَـنَّـمُـهـا
وقـد أراد لـهـا من بـعـضـنـا حـطَـبـا
فـجـاهـدوه - وإن شَقَّ الجـهـادُ - إلى
يـومٍ يُـريهِ بـهـا أعـوانَهُ حَـصَـبـا
أراحـةُ تَـطَّـبـيـكم والجـزائـرُ لم
تَـبْـرَحْ تُـكـابـد من جـورِ الـعِـدا نَـصَـبـا
وتـسـتـطـيـبـون خِـصْبَ الـعـيشِ في زمنٍ
يـلـقى الأشـقّـاءُ فـيه المـوتَ والـسَّـغَـبـا
قـد أمَّلَ الـكُلُّ مـنـهم صِـدْقَ نُـصـرتـكم
إيـاهم في جـهـاد المـعـتـدي كَـلِـبـا

ولـو نـهـضـتُمْ كـمـا رَجَّـوْا لمـا حَـبَـسَتْ

عـنـهـم ذئـابُ فـرنـسـا الـنـصـرَ والـغَـلَـبـا

لـو آنـسـوا صِـدقَ فـعلِ الـعُـربِ ضـدَّهُمُ

لم تـلق مـنـهم لحقِّ الـعُـرب مـغـتـصِـبـا

مـا كـان بـالـصَّـقْـرِ «ديـكـولُ» تُـجـاهَـكُمُ

بل كـان - لـولا تـراخي بـعضِكم - خَـرَبـا[1]

فـطَـهِّـروا كـل أرضٍ من ديـاركمُ

من كُلِّ من لم يـكن ضِـدَّ الـعِـدا صَـلُـبـا

تَـرَوْا (دويـكـيل) عن ظـلـمٍ يـواصـلُه

إلى الـعـدالـة مـضـطـرّاً قـدِ انـقـلَـبـا

ويـنـثـني الـكُلُّ من قُـصّـاد ظـلـمِـكُمُ

بـرغـمِه مـنـصـفًـا عن قَـصْـدِهِ رَغِـبـا

لم يـتَّـخـذ دَرْبَهُ في بـحـر نـعـمـتـكم

حُـوتُ المـطـامع - لـو لم يـوجـدوا - سَـرَبـا

من لي بـيـعـرُبَ أشـكـو المـنـتـمـين له

وكلَّ طِـبْعٍ لـهم عن طَـبْـعِهِ غَـرُبـا

كـيـمـا يُـعَـلِّمَ مـنـهم كلَّ مـنـتـحلٍ

- إذ يـنـتـمي نـسـبًـا قـد فـاته - الأدبـا

سَـلُـوا بـيـعـرُبَ من عُـشّـاقِ سـيـرتِهِ

رواتَـهـا الـصـادقـين الـقـولَ والـكُـتُـبـا

هل جـاء يـعـرُبُ إن مـكـروهـةٌ صَـعُـبَتْ

بمـا سـوى الجِدِّ في تـسـهـيلِ مـا صَـعُـبـا

حـتى يَـرُدَّ إلى سـهـلٍ صـعـوبـتَـهـا

لـكلِّ من قـد أتـاه يـشـتـكي الـنُّـوَبـا

---

(١) الخرب: ذكر الحبارى.

يــســتــوعبُ الجِـدَّ مـنه الجـهـدُ عن كـرمٍ
في الــذَّبِّ عــمَّن عــلــيه ظــالمٌ وثَــبــا
وفـي إغـــاثـــة من رَجَّى إغـــاثَـــتَهُ
ممن مُـحَـيّا الحَـيـا عـنـهم قـد احـتـجـبا
مـــا جــاء في أحــدِ الأمــرين من عــملٍ
إلا وجَــهْـدُ الـقـوى فـيه قـد انـتـصـبـا
والجِــدُّ إن لم يمــثِّلْ جُــهْــدَ صــاحــبهِ
فـيـمـا عـلـيه من الإنجـاد قـد وجـبـا
فـمـا هـو الجِـدُّ إذ تُـولـيه تـسـمـيـةً
فَـسَـمِّه أيـنـمـا أبـصـرتَهُ لَـعِـبـا
خـيـرُ الـنـفـوس الـتي تـهـتمُّ مـصـلـحـةً
لـقـومـهـا كلَّ شيءٍ عـنـدهم حَـزَبـا
فَـيُبصِرُ الخِصْبَ بعد الجَدْبِ قاصدُها
كـمـا اشـتـهى عـنـدهـا والأمنَ مَن رُعِـبا
تــأبى مُــروءَتُــهــا إلا تَــقَــدُّمَــهــا
بـالجـهـد مـهـمـا لـهـا داعي الـعُلا نَـدَبا
تــظلُّ من بــاهــراتِ المجــدِ فــاعــلــةً
مـا غـيـرُهـا مـنه مـبـهورُ الحِـجـا عـجَـبا
ســددت أذني فلا الأشــعــارَ أســمــعُــهــا
تـعـني الجـزائـرَ مُـذ حـينٍ ولا الخُـطَـبـا
فــإن مــا قــيل في إخلاص قــائــلهِ
قـد كـاد يـبـعث فِيَّ الـشكَّ والـرِّيَـبـا
فــصــادقُ الــقــول مــا يــدنــو به أملٌ
نــاءٍ ويُــنْــئي من الآلام مــا اقــتــربــا

ونحن لم نَرَ حتى الآن ضجَّتَنا
كانت لتحقيقها أمالَنا سَبَبا

ما خُلَّبُ البرقِ مَرْجُوٌّ كصادقِهِ
مهما استثار من الإعجاب أو خَلَبا

والسُّحْبُ مُمْطِرُهُ – ليس الجهامُ – به
لنا الثرى يُخرج الأشجارَ والعُشُبا

مجرَّدُ القول أو شِبْهُ المجرَّدِ لا
تلقى الجزائر فيه القصد والأربا

فأسعفوها بأفعالٍ يُعِدْنَ لها
ما من مَعِينِ رَخاء العيشِ قد نَضَبا

****

لن يراني القوم إلا مذنبا

مـــا زلتُ أشـــكـــو من زمـــاني نُـــوَبـــا

تُـــغـــادر الـــطـــفلَ الـــرضـــيعَ أشـــيَـــبـــا

لـــكلِّ من يـــحـــكي الـــصَّـــفـــا فـــؤادُهُ

صـلابـــةً أو كـــان مـــنه أصـــلَـــبـــا

وأســـرع الـــقـــوم عـــتـــابًـــا لـــو سَـــرَتْ

رِقَّـــتُهُ بـــجـــامـــدٍ لأعـــتَـــبـــا[1]

فـــلم أجـــدْ لي مُـــشـــكـــيًـــا أو مُـــعـــتِـــبًـــا

ولـم أجـــدْ عـــليَّ مـــنـــهم حَـــدَبـــا

كـــأنـــني أصـــبـــحتُ لـــيـــثًـــا كـــاشـــرًا

عن عُـــصُلٍ مـــجـــتـــمِـــعًـــا كَيْ يَـــثِـــبـــا

وكـــان لا لـــومٌ عـــلـى من قـــد نـــأى

بـــنـــفـــسه يـــخـــافُ لـــيـــثًـــا أغـــلَـــبـــا

والـــكلُّ يـــهـــوى أن يـــكـــونَ بـــادئًـــا

إيـــذاءَ ذاك الـــلـــيثِ أو مـــعـــقِّـــبـــا

فـــمـــا تـــرى في الـــقـــوم عن إيـــذائِهِ

من أمـــكـــنـــتهُ فـــرصـــةٌ مُـــنَـــكِّـــبـــا

فـــلـــيـــتَـــهم إذ مـــنـــعـــوني خـــيـــرَهم

لم يُـــركـــبـــوني من أذاهمْ مـــركَـــبـــا

---

(١) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لم يَــحْلُ في قــومي مــقــامي ســاعــةً

لــو أنــني أســطــيعُ مــنــهم هَــرَبــا

فــإنْ أقــمتُ في الــكــويت مــرغــمًــا

مــضــطــهَــدًا من أهــلــهــا مــكــتــئــبــا

أشــكــو ولا مُــشْــكِيَ مــنــهم فــالــقــضــا

عــلــيَّ أن أهــــرُبَ مــــنــــهم قـــد أبى

وكـــيف يــســـطـــيعُ فـــرارًا من غـــدا

يــشــكــو الــوَثــاقــينِ الــعَــمَى والــوَصَــبــا

حَـــقِّيَ مـــــنـــــهم أن أُلَـــقّى راحـــــةً

فــمــا لــقــومي ألحَــقــوني نَــصَــبــا

إن كـــان ذنـــبي عـــنـــدهم صـــراحـــتي

فــلــن يــراني الــقــومُ إلا مُـــذْنِــبــا

وكـــيف عـــنـــهــا أنـــثـــني ولم تـــكن

تــخــلُّــقًــا بل خُــلُــقًــا بي رُكِّــبــا

مَعْ أنـــهـــا لـــو لم تـــكن ســـجــيَّــتي

لم آلُ في تــخــلــيــصِــهــا تَــسَــبُّــبــا

فــإن قــلــبي حــســنُــهــا اســتــمــالَهُ

فــمــالَ كلَّ الــمَــيْلِ قــلــبي وَصَــبــا

فــلــيَــعــملِ الــقــومُ عــلى أذيَّــتي

إن كـــان إيــذائي عــلــيــهــا وجَــبــا

فــلن يَـــروني عن صـــراحـــتي ولـــو

رأيتُ فــيــهــا مــصــرعي مُــنْــقَــلِــبــا

وكـــيف يـــا قـــومُ أقـــولُ عن فـــتًى

أعـــرف عـــنه كِـــذْبَهُ: مـــا كَـــذَبــا

أم كـيف قـولي عن فـتًى يَـصْـدُقُـني
شَبّ عــلـى الـكـذْب فلانٌ ورَبـا
وعن فـتًى خَـرَّبَ: ذا مُـعَـمِّـرٌ
وعن فـتًى عَـمَّـرَ: هـذا خَـرَّبـا
وعن فـتًى أطْـنَبَ: هـذا مـوجِـزٌ
وعن فـتًى أوْجَـزَ: هـذا أطـنـبـا
وعن فـتًى غَـرَّبَ: ذا مـشـرِّقٌ
وعن فـتًى شَـرَّقَ: هـذا غَـرَّبـا
إن كـان ذا يـرضـيـكمُ فـإنـني
أبـقى لما يـرضـيـكمُ مـجـتـنِـبـا
فـلـيس في اسـتـطـاعـتي إرضـاؤكم
فـأمـطِـروني من أذاكم صَـيِّـبـا
فـإن لي صـبـرًا عـلـيـكم مـسـعِـدًا
مـا لم تجـرِّدوا عـليَّ الـقُـضُـبـا[1]
فـإنَّ لـي في أن أعـيش رغـبـةً
ولـو كـمـا تـرونـني مـعـذَّبـا
ولْـتَـعـلـمـوا أن الأذى مـا لم يَـصِلْ
لـلـمـوت بي أعُـدُّهُ مـدَرِّبـا
لـله دَرُّ مـعـشَـري مـا بـيـنـهمْ
لا يـشـتـكي إلا الـصـريحُ الـكَـرَبـا
أمّـا الـذي نـافقَ فـهْـو عـنـدهمْ
مـقـدَّمٌ مـسـمـوعُ قـولٍ مُـجْـتَـبَى
ولم أزل آمُلُ مـنـهم نـهـضـةً
حـتى لَـخَـلَّـتـني غـدوتُ أشـعَـبـا[2]

(١) مسعد: معين ومساعد.

فَلْيَضحَكَنَّ من رجائي كلُّ مَن

أوتيَ قلبًا ليس فيه مِن غَبا

فما رجائي معشري أن ينهضوا

وأن يمدَوا للمعالي سَبَبا

إلا كما أرجو لعيني أن ترى

على عماها في سماها الشُّهُبا

وأيُّ خيرٍ يُرتجى لأمةٍ

ما بينهم نورُ الصَّراحاتِ خَبا

✡✡✡✡✡

أقول للعِلْمِ الذي قد جاءنا

فلم نقلْ أهلاً له أو مرحَبا

يا أيها العلمُ ارتحِلْ عن بلدةٍ

قد ضاق عنك رحبُها وقد نَبا

واستصحِبِ الشِّعرَ فما نحتاجه

ولا تَذَرْ يا عِلْمُ فينا الأدبا

وخُصَّ بالتحطيم أقلامَ الأُلى

عقولَهمْ حُبُّ الصَّراحاتِ سَبى

وأَوْسِعَنْ أسفارَهمْ مَحْوًا إلى

أن لا أرى من تلك فينا كُتُبا[1]

فهذه الأخلاقُ لا تُعجِبُنا

ولا ترى منا لهاتا معجَبا

وأنت يا جهلُ أقِمْ مكرَّمًا

واتَّخِذِ الألبابَ منا ملعَبا

---

(١) الأسفار: الكتب.

أفسدْ وعِثْ خَرِّبْ ودَمِّرْ لن تَرى

تقطيبَ شعبٍ للعلوم قَطَّبا

ولا تَخَفْ من العلوم صولةً

فقد فَلَلْنا نابَها والمِخْلَبا

وأصبحتْ عنّا إلى حيثُ الأُلى

تُعجِبُهُمْ من الأنام مَهْرَبا

وغيرُ بَدْعٍ إن قَلَوْناها وإنْ

أقمتَ أنتَ بينَنا محبَّبا

فأنت قد رضيتَ عن نِفاقِنا

والعلمُ أبدى للنفاق الغَضَبا

والعِلمُ يقضي بالمساواةِ التي

تنفي عن الجائع منّا العَطَبا

وأنتَ بالأَثْرَةِ تقضي هازئًا

بكلِّ شاكٍ من طَواه الحَرَبا[1]

ونحن لا نرضى لذي مَتْرَبَةٍ

يشكو الطَّوى من مالنا أن يَنْصَبا

سِيّانِ مَن عاش ومن ماتَ طَوًى

إذا غَدَوْنا وافرين النَّشَبا[2]

☼☼☼☼☼

وإن نُخَصِّصْكَ بكلِّ معهدٍ

أرخَصَ فيه شائدوهُ الذَّهَبا

---

(١) الأثرة بفتح الثاء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء هنا للشعر. والحَرَب: الضيق.

(٢) الطوى: الجوع. والنشب: المال الأصيل.

ولم نَـدَعْ لـلـعـلمِ في أرجـائِهِ
فرعًا تخاف بطشَهُ أو منصِبا
فالعلمُ قد يرضى بِطِمْرٍ ملبسًا
وأنت لا تلبسُ إلا القَشِبا[1]
ونحن لا يروقُنا إلا الذي
يختارُ للظاهر منه السَّلَبا[2]
فلو رأينا نُصُبًا مرتديًا
حُلَّةَ ديباجٍ عبدنا النُّصُبا[3]
وقلتُ والجهلُ يَشُبُّ نارَهُ
ويجعلُ الألباب فيها حطَبا
أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُوقِدًا
أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُلْهِبا
إن أنت أتبعتَ النُّهى عواطفًا
منا وأخلاقًا نراها نُخَبا
فقالَ لا تعجلْ فذا من أربي
وإنني منكمْ سأقضي الأرَبا
فصفِّقوا يا قومُ للجهل معي
أحَدَّ تصفيقٍ ومِيسُوا طَرَبا
فكلَّما الجهلُ غَدا مُحَرِّقًا
منا لنا غيرَ العنا ما جَلَبا
فليس يشكو غير ذي عواطفٍ
سليمِ لُبٍّ في الحياة التَّعَبا

(١) الطمر: الثوب البالي. والقشيب: الجديد.
(٢) السلب: الثياب السود.
(٣) النصب: الأصنام.

والجهلُ - والحمدُ لَهُ - مُريحُنا

من كلِّ ما نُضمرُ منه الرَّهَبا

والشَّعبُ طوعٌ للهوى والهُزْءُ إنْ

بكلِّ شعبٍ لم يكن منشَعِبا

وكلُّ مَن موطنُهم ما بينهمْ

ألقى إخاءً جَلَّ أن ينقضِبا

فأصبحوا يرونه أُمّاً لهمْ

جديرةً بالبِرِّ منهم وأَبا

وكلُّ من واصَلَ - طوعَ عقلِهِ

وعلمِهِ لكي يعيش - الدَّأَبا

وكلُّ من لم يَخْشَ - في تَطلابِهِ

معارفًا يعلو بهنَّ - اللَّغَبا[1]

فالهُزْءُ منا بهمُ متمِّمٌ

لجهلنا رضًا علينا لَزِبا[2]

وإن يَلُمْنا لائمٌ فلنحثُوَنْ

في وجهه حتى يكفَّ التُّرُبا

ولنرفعِ الأصواتَ منّا قَحَةً

نقولُ عنه: احتاجَ أن يؤدَّبا

فذاك ممّا يُحزِنُ العلمَ الذي

خِفنا على الراحة منه الشَّجَبا

وحقُّه يا قومُ أن نُحزِنَهُ

حتى ولو عَنّا تولّى خَبَبا

---

(١) اللغب: التعب والإعياء الشديد.

كي لا نـــــــراهُ أبـــــدًا عن أرضـــــنــــا
إلا بــعــيــدًا شــاحــطًــا مــغــتــرِبــا
فــــإنـــنـــا غـــيـــرُ أمـــيـــنـــينَ - إذا
عــاد - عــلـى راحــتــنــا أن تُــسْــلَــبــا

****

لنمسِ في الوطن أحبابا

وشَــرُّ أغــربــةِ الــتـفــريقِ من جــعــلــوا
للارتـــزاقِ من الـــعِـــمّـــاتِ أســـبــــابـــا
بــاسم الــديــانــة رَدُّوا جـمـعَـكم فِـرَقًـا
والــدينُ جــاء لــصــدعِ الــشّـمْلِ رَءّابــا
سَــعَــوْا يــبــثّــون روحَ الخُــلْف بــيــنــكمُ
لــيُــدركــوا مــنــكمُ بــالخُــلْفِ آرابــا
قــد أَعْــرَبَتْ لــكمُ عن ســوءِ نــيَّــتِــهمْ
لـو تـفـطـنـون مـسـاعي الـقـومِ إعـرابـا
إن يُـعْـجِبِ الـسـعيُ مـنـهم بـيـنـكم نَـفَـرًا
رمـاكمُ بـهمُ «الـتـامـيـزُ» إعـجـابـا[1]
فــإن ســعــيَــهُمُ الــشــؤومَ أغــضَبَ منِ
أبـنــاءِ عـدنــانَ كلَّ الـصِّـيـدِ إغـضــابـا
قـد حـاولـوا فـيـكم تـنـفـيـذ مَـكْـرِهِمُ
بــاسم الــديــانــة خَــدّاعــين خُلاّبــا
إن انـطـلَتْ يـا لـقـومي مـنـهمُ حِـيَلٌ
عـلـيـكمُ فـالـبـثـوا في الـذُّلِّ أحـقـابـا
يـا أحـبطَ الـلهُ مـسـعى مـعـشـرٍ فـتـحـوا
عــلــيــكم من ممــيت الخُــلْفِ أبــوابــا

(١) التاميز: نهر في بلاد الإنجليز.

وأوهَمـوكم بـأنّ الـدينَ يُـلـزِمُـكُمْ
أن تَـدخُـلـوهن آحـادًا وأسـرابـا
حَـتّـامَ يُضْـحِكُ مـنـا الخُـلْفُ من شَـحَذوا
لأكـلِـنـا من بـني «الـتـامـيـز» أنـيـابـا
بـنـا سَـيُـنْشِبُ أنـيـابَ الـعـدوِّ - كـمـا
نـخـشى - تَـفَـرُّقُـنـا إن دام إنـشـابـا
فـلـتـنف وحـدتُـنـا الـمُـثـلى تَـفَـرُّقَـنـا
ولـنُـمْسِ في الـوطن المحـبـوب أحـبـابـا
ولـنـتَّـبِعْ مـا به الـدينُ الـصـحـيحُ قـضى
ولـنـعـتـزل من ذوي الـعِـمّـاتِ أنـصـابـا[1]

****

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين[1]

أرضى وأغضَبَ تصريحُ المقال كما
تقضي الصراحةُ إرضاءً وإغضابا
أما المُحِقّونَ عَمّا قد حوى فَرَضوا
وأوسعوا رَبَّهُ حَمْدًا وإعجابا
والآخرون عليه أنزَلوا سَخَطًا
هذا لأنَّ أخاهُ فيه ما حابى
نافِقْ وداهِنْ وإلا لم تَلِجْ أبَدًا
إلى السلامة من إيذائهم بابا
خَلِّ الصراحةَ أو لا فانتصِبْ هدفًا
لِنَبْلِهِمْ لا يرى في الرَّمْيِ إغبابا[2]
ويْلُمِّها أمَّةً تلقاك مُعْرِبَةً
عن بُغضِها الوطنيَّ الحُرَّ إعرابا
ما ذنبُهُ عندها إلا صراحتُهُ
فيما يقول وإن لم يَغْدُ كَذّابا
أوقفتموه على جمرِ الأذى سَفَهًا
لما انبرى لانصداع الشَّعْبِ رَءّابا[3]

---

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تقصيرهم في حق صقر الشبيب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.

(٢) أغب: جاء يومًا وترك يومًا.

شَنَّ المَغارَ على العاداتِ فاسدةً
واجتَثَّ منهنَّ أوتادًا وأطنابا
بئس الجزاء تلقى منكم رجلٌ
في نصحكم لم يَزَلْ إن غاب أو آبا
جَدَّدْتُمُ ما «سَنِمّارٌ» جنت يَدُهُ
إذ أغرَبَتْ في ابتناء القصرِ إغرابا[1]
أراقكم ما جزى «النُّعمانُ» عامِلَهُ
إني أرى صُنْعَهُ أضحى لكم دابا[2]
أَصُنْعَ «نُعمانَ» أحببتم مَغَبَّتَهُ
حتى انثنيتُمْ له في الصنعِ أضرابا
نَقَمْتُمُ من أخي الإصلاحِ صيحتَهُ
بكم ليوقظَ أفكارًا وألبابا
طابُ المنامُ لكم عن كلِّ موصلةٍ
إلى العُلا وله الإيقاظُ قد طابا
فجاء يوقظُكم منه مخافةَ أن
يُنسيكمُ النوم أخلاقًا وآدابا
فقمتُمُ والكرى غاشٍ عقولَكُمُ
له تُحِدّون أظفارًا وأنيابا
تمهَّلوا ريثما تستيقظوا تضَعوا
مكان سُخطِكُمُ حُبّاً وإعتابا
أقول والحزنُ يُذكي النار في كبدي
للحاسمين من الآداب أسبابا

(١) سنمار: الذي بنى قصراً لأحد الملوك وهو النعمان بن المنذر فكافأه بأن ألقاه من فوقه فقتله.
(٢) دابا: دأبا، عادة.

لِـتُـكـبِـروا عـلـمَهُ أن تُـلْـحِـقـوهُ أذًى

أو تُـكـسِـبـوهُ فـظـيعَ الـسَّبِّ إكـسـابـا

رُدّوهُ إن زَلَّ بـالـحـسـنى فـذاك فـتًى

مـذ كـان نـعـرفُهُ لـلـحق طَلاّبـا

هَلاّ نـقـلـتم إلى الـنـقـدِ الـشـريف خُـطًى

نـزيـهـةً ولَـجْـتُم مـنه أبـوابـا

فـذاك أدنى إلى الـنـفعِ المـؤمَّلِ من

أن تَـركَـبـوا الـسَّبَّ أكـوارًا وأقـتـابـا

إن الـسِّـبـابَ سلاحُ الـعـاجـزين فـمن

يـسـتلُّ مـنه حـسـامًا في الـوغى خـابـا

سـلـوا الجـبـان إذا مـا راح يـحـمـلُهُ

هل اقـتـنى مـنه إلا الـذَّمَّ والـعـابـا(١)

****

(١) العاب: العيب.

خير من تخيرت[1]

علـى غـيـرِ صـافي الـهـوى مـا انـطـويتْ
وطـوعَ سـوى أمـرِهِ مـا جـرَيْتْ
وأنـتَ ولا شـكَّ عـنـدي كـذا
كَ وإن كـنتَ أُوهِـمْتَ أنّي جـنـيْت
وإن غَـيَّبَ الـوهمُ عـنك الـصـواب
فـعَـمّـا قـلـيلٍ أراكَ ارعـويت
فـمـا لـلـودادِ غـدا بـائـنًـا
عـلى أُسٍّ شـكـوى عـلـيه بـنـيت
تَـوَهَّمَ مـا يـتَّـقي فـاشـتـكى
إليَّ كـمـا الـيـوم مـني اشـتـكـيت
وقـال أرى أحـمـدًا قـد أتى
سـوى كلِّ مـا كـنتُ مـنه اشـتـهـيت
فـقـلتُ الـتـسـرُّعُ ضِـدُّ الـصـواب
فَـخَلِّ الـتـسـرُّعَ فـيـمـا رأيت
ظـنـنتَ فـخـفتَ وكم أخـطـأتْ
ظـنـونٌ جَـنى غـرسِـهـا كـان لَـيْت
لـعَـمْـرُ أخي أحـمـدٍ مـا نـوى
من الأمـر مـا تَـتَّـقي أو نـويت

(١) كان الأستاذ أحمد البشر من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وإني مُـــريكَ وشــــيـــكًـــا جَـــلِيًّ

حــقــيــقــة مــا كــنتَ فــيه امــتَــرَيْت

ســــأُطْـــلِعُ فـــجـــرَ عـــتـــاب يُـــزيلُ

دُجى لـــــيلِ ظَنٍّ به قــــــد ســــــرَيت

فـــقـــال الـــعـــتـــابُ إذًا ســـيُـــعـــيـــدُ

به الـــيـــوم حَيًّ شـــكـــوكي كَـــمَـــيْت

فـــقـــلتُ أجَلْ فـــالـــعـــتـــاب المحَكُّ

لمن أبْـــتَـــلِي في الـــورى وابـــتَـــلَـــيْت

فـــقـــال الـــعـــتـــابُ يـــســـيـــرٌ فـــسُـــمْهُ

صـــديـــقَكَ حـــتى أقـــولَ اكـــتَـــفَـــيت

فـــقـــلتُ ســـأفـــعلُ حـــتى تـــقـــولَ

صـــدقتَ ونـــعمَ الـــصَّـــفِيُّ اصـــطَـــفَـــيْت

فــــــإنِيَّ مـن قـــــــلـــــــبه نـــــــازلٌ

بـــحـــيثُ أردتُ وحـــيثُ ارتَـــضَـــيْت

فـــعـــاتـــبتُ لا أبـــتـــغي غـــيـــرَ ذاكَ

فـــأَوْهَـــمْتُ أمـــرًا ســـوى مـــا ابـــتَـــغَـــيت

أهــــجـــوًا أســــومُ أخًـــا بـــســـــوى

سُلافَـــةِ أخلاقه مــــا انـــتَـــشَـــيْت

وإن شـــئتُ راحـــةَ نـــفـــسي عـــمَـــدتُ

إلى راحِ آدابه فــــاحـــــتَــــسَــــيْت

أسُـــمّـــاً ظـــنـــنت كـــؤوسَ الـــعـــتـــابِ

ولـــيس بـــهـــا مـــنه إلا الـــكُـــمَـــيْت

أســـأت الـــظـــنـــون إلى أن نـــســـبت

لـــلـــفـــظيَ مـــعـــنًى له مـــا عَـــنَـــيْت

وما كنتُ أحسَبُ أن تَستريبَ
ولو بمريبِ المقال أتَيْت
لأنك تعلم أني امرؤٌ
لصحبي وإن غدروا بي وَفَيْت
وأنت لعمريَ مِن خيرِ مَن
تَخَيَّرْتُ من معشري وانتقَيْت
ليَ الويلُ من سوء حَظٍّ قضى
عليَّ بذنبٍ له ما جَنَيْت
إذا ساء بي الظَنُّ من صفوتي
فهل يَحْسُنُ الظَنُّ مِمَّن قَلَيْت
وهَبْني عثرتُ بعُرضِ طريقٍ
عليه إلى خير شأوٍ سَعَيْت
أليس إذًا واجبي أن تقول
لَعًا لك حتى تراني استَوَيْت(١)
ومن ذا إذا ما عثرتُ يُقيلُ
عِثاري ويُنهِضُني في الكويت
سوى من بهم يعتلي واعتلى
من الشَّعْرِ أو طِينِها كلُّ بيت
إذا عَزَّني غيرُ حَوْضِ اللئام
فلا كنتُ إن كنتُ منه استَقَيْت
وكيف اغتباطي بِرِيِّي إذا
تذكَّرْتُ أنِّيَ منه ارتَويت
ألم تَرَني حين غاضَ الكرامُ
وفاض اللئامُ ببيتي انزويت

(١) لَعًا لك: دعاء يقصد منه طلب إزالة آثار العثار.

فبعدًا لطولِ حياةٍ بها
أراني بهم من حِمامي احتَمَيْت
فليس تُساوي الحياةُ امتنانَ
لئامِ بلادٍ إليها انتَمَيْت
فلم أرَ أشنَعَ من لؤمهم
وألذَعَ من نارهِ ما اصطَلَيْت
إذا قلتُ ذا يستحقُّ الندى
وبرهنتُ كَيْ لا يقولوا افتَرَيْت
أجابوا ألم تَدْرِ من أمرِهِ
بما هو كيْتَ - اعتلالاً - وكَيْت
وقالوا كما يقتضي لؤمُهم
بهِ عكسَ ما كنتُ منه دَرَيْت
لكيما يُجيزَ لهم شُحُّهُمْ
على من لحالتِهِ قد رَثَيْت
فعن رِفدِهِمْ زُورُهُمْ نائبٌ
ودعني وجَرِّبْ تجدْ ما ادَّعَيْت
وهل بسِوى الشوكِ من عَوْسَجٍ
تؤوبُ إذا جئتَهُ واجتَنَيْت
فحالُ مساكينِهم بينهم
فُوَيْقَ منايَاهُمُ أو تُحَيْت
فلو عَجَّلَ اللهُ عدلَ الجزاء
أحيطوا بنارٍ وجيدوا بِزَيْت
ولكنهم أُمهِلوا فاستطابوا
خبيثَ غوايَتِهم، لا غَوَيْت
ولم يَفْرُقوا بين إمهالِهِم
وإهمالِهِم فابكهِمِ إن بَكَيْت

أهَــبْتُ إلى الــرُّشْــدِ جــهــرًا بـــهم
فــلم يــســمــعــونِيَ حــتى وَهَــيْت
فـــغـــادرتُــــهم واقـــفـــين عـــلى
شَــفــا هُــوَّةٍ تــلــتــظي وانــثَــنَــيْت
فــلــو كــنتَ شــاهــدتَــهُمْ واقــفــينَ
هـــنـــاك هـــزأتَ بـــهم وازْدَرَيْت
فــأصــبــحتَ من فَــرْطِ تــغــريــرِهم
بــأنــفــسِــهِم عــجَــبًــا قــد قَــضَــيْت
وصِـــحْتَ بمـــا شـــارفـــوا قـــائلاً
عن الــقــوم يــا هــولُ كــيف اخــتَــفَــيْت
ومن سَــدَّ عَــيْــنَيْ حِــجــاهُ الــهــوى
فــهــيــهــات أن يــجــتــلي مــا اجــتَــلَــيت
فــيــا يُــسْــرُ إن كــنت بي صــانــعًــا
كــذا، فــإلى مــنــزلي لا اهــتــدَيت
فـــمـــا خـــيـــرُ يُـــسْـــرٍ أراني به
ظَــلَــمْتُ كــمــا ظَــلَــمــوا واعــتــديت
تــبـــاركتَ مُــمْــهِلَ أمــثـــالـــهم
عــلى ســوءِ أعــمــالــهِم واعــتَــلَــيت
شـــكـــوتُ إلى بـــعـــضـــهم غِـــرَّةً
زمــانًــا حَــدا بي إلى مــا اجــتَــوَيْت
فــلــمــا تَــبَــيَّــنْــتُــهُمْ رُحْتُ من
شَــكــاتي لــهم شــاكــيًــا واغــتــدَيت
ولـــولا اغـــتـــراري بـــهم لم أكن
إلــيــهم بــشــكــوى الــزمــان انــبَــرَيْت

****

العزلة

عَـــرَتْـــنـي وحـــشـــةٌ من كلِّ حُـــرٍّ
وعـــبـــدٍ في الـــبـــريـــة فـــانـــفـــرَدْتُ
فـــخـــالِطْ من تـــشـــاءُ ولا تَـــلُـــمْـــني
فـــإني عـن مَلامـــتِكَ ابـــتـــعَـــدْتُ
فـــإن تَـــسْـــعَـــدْ بمـــجـــتـــمع الـــبـــرايـــا
فـــإني بـــانـــفـــرادي قـــد سَـــعِـــدْتُ

✱✱✱✱

إلى محتكر الجنة

إن كـــان لا يَـــظْـــفَـــرُ بـــالجَـــنَّـــةِ
إلا امـــــرُؤٌ مـــــثـــــلُكَ ذو جِـــــنَّـــــةِ
ممن يَـــــصُـــــبّـــــونَ عـــــطـــــايـــــاهُمُ
بِـــجَـــيْـــبِكَ الـــفـــارغِ ذي الـــفُـــسْـــحَـــةِ
والـــنـــار يـــصـــلـــى جـــمـــرَهـــا من غـــدا
به انـــحـــرافٌ عـــنك بـــالـــمِـــنْـــحَـــةِ
فـــلـــيس في الجـــنـــة لي رغـــبـــةٌ
فـــأعط من شـــئتَ بـــهـــا حِـــصَّـــتي
ومـــا ســـوى الـــنـــارِ الـــتي تَـــلْـــتَـــظي
- إن لم تـــكن فـــيـــهـــا مـــعي - مُـــنْـــيَـــتي

****

ذكرى كريم[1]

مـــا تـــذكـــرتُ ســـالـــمًـــا قَطُّ إلا
وتَـــجـــارَتْ لـــذكـــرهِ عَـــبَـــراتي

عـاصـيـاتٍ تَـجَـلُّـدي طـائـعـاتٍ
لي شـجـونًـا كـالـنـار مـلـتـهِـبـات

ذاك مـــا تـقـتـضـيه ذكـــرى كـــريمٍ
قـــد أطـــابت حـــيـــاتُهُ لي حـــيـــاتي

شـــئتُ أو لم أشَـــأْ كـــذاك ســـأبـــقى
حَـسْبَ ظـنّي المـصـيبِ حـتى ممـاتي

مـــا عـجـيبٌ عـلـيه طـولُ بُـكـائي
واشـتـعـالي بِـمُـلـتـظي الـزَّفَـرات

بل عـــجـــيبٌ أن لا تُـــذيبَ وتُـــبـــلي
مـــهـــجـــتي بـــعـــد ســـالمٍ حَـــسَـــراتي

كـــنتُ في مـــوطـــني الـــكـــويتِ بـــنـــارٍ
أصـــطـــلـــيـــهـــا في ســـائـــر الأوقـــات

فـــاســـتـــحـــالت بِـــبِـــرِّهِ المـــتـــوالي
مـــثل مـــا أشـــتـــهي إلى جَـــنّـــات

---

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محبًا للشاعر وينعم عليه كثيرًا. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثم لـمّـا قـضى اسـتـحـالت شُـجـونًـا

كـاويـات حَـشـايَ بل مـحـرِقـاتِ

فـعـلـيه أزكى الـتـحـيـة مـني

ومن الـلـه أوفـرُ الـرَّحَـمـاتِ

****

الحُرُّيثني على تاريخ الكويت[1]

كَسَا عبدُالعزيز الشهمُ أضفى
ثياب الفخرِ موطنَهُ الكُوَيْتا

بِبَثٍّ نفيسِ روحِ العلمِ فيها
وإحياءِ الحِجاءِ وكان مَيْتا

فمرحى لابنِ أحمدَ إذا أعادت
مساعِيهِ مُجَلِّينا سُكَيْتا[2]

فحَلْبَةُ كلِّ فضلٍ من تُجاري
بها يا نجلَ أحمدَ قد شَأَيْتا[3]

سَرَيْتَ ونحن في ليل التواني
نيامٌ للعلوم وما وَنَيْتا

فأجناكَ السُّرى أحلى جَناهُ
وأطيبَه كما منه اشتهَيْتا

فأصبحنا نقول وقد رأينا
جَنى غرسِ المتاعب إذا سَرَيْتا

لَوَ أنّا، ليتنا، لولا، وهاتا
تقول هوازنًا هيهاتَ هَيْتا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد.
(٢) السكيت: آخر خيل الحلبة. والمجلي: أولها.
(٣) شأي: سبق

لــــكلِّ مــــؤرخٍ فــــضلٌ إذا مـــا

سعى يا ابنَ الرُّشَيْدِ كما سَعَيْتا

ألم تَجْلُ الحقائقَ ناصعاتٍ

سَوافِرَ مُنْسِيًا لَوّاً ولَيْتا

وإبداءُ الحقائقِ كُلُّ حُرٍّ

به شوقٌ إليه كما رأيتا

فتاريخُ الكويتِ الحُرِّ يُثني

به خيرًا عليك وإن أبَيْتا

بنيتَ على الحقائقِ منه أُسّاً

فما نخشى تداعِيَ ما بَنَيْتا

وأجْنَيْتَ الأُلى نظروا إليه

بإنعامٍ أطايبَ ما جنيتا

وأجريتَ الصراحة فيه صِرْفًا

ولم تمزِجِ سُلافتَها الكُمَيْتا

كأنّي بالذي يتلوه جهرًا

يقولُ لمن وعَاهُ هَلِ انْتَشَيْتا

لِيَسْقُطْ كلُّ تاريخٍ إذا لم

يكن مجرى ذويه كما جَرَيْتا

فلا شُلَّتْ يمينٌ منك خَطَّتْ

نفائسَ ما جمعتَ وما وَعَيْتا

ولا حَطَمَتْ لك الدنيا يراعًا

به عن كلِّ سَفسَفةٍ نَأَيْتا

ولا ثَلَّتْ من العلياء عرشًا

عليه مذ حَداثَتِكَ استَوَيْتا

فـــأنت أجَـــلُّـــنـــا نُـــصـــحًـــا ونـــفـــعًـــا

لمن لا تجـــتـــبي ومن اجـــتَـــبَـــيْـــتـــا

وأطْـــوَلُـــنـــا وأصـــفـــانـــا إذا مـــا

دَجَـــا خـــطبٌ ذبـــالاتٍ وزَيْـــتـــا

عـلى الـقِـدْحِ الـمُـعَـلّى في المـعـالي

وكلِّ مـــؤثَّلِ المجـــدِ احـــتـــويـــتـــا

فـــأيُّ ســـنـــامِ مـــكـــرمـــةٍ تـــعـــالتْ

وأنت عـــلى ذُراهُ مـــا اعـــتـــلَـــيْـــتـــا؟

كـــمُـــلتَ فـــلـــستُ أســـألُ فـــيك ربِّي

ســـوى إســـهـــاب عـــمـــرك لا رَدِيـــتـــا

فـــإن حـــيـــاتَك الـــمُـــثـــلى حـــيـــاةٌ

لأوطـــانٍ رَقَتْ بك إذ رَقَـــيْـــتـــا

****

من عاداتي وشيمي

أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً
يكون بها حولي صديقٌ أحادِثُهْ
يَبِيتُ كلانا سِرُّهُ لصديقهِ
بغير احتشامٍ أو حبيبٌ أعابثُه
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسِفْرٌ جليلُ النفع تشفي مباحثُه
فذلك رَيْحاني وراحي وراحتي
وداعي سروري حين آسى وباعثُه
فيا قاصدي بالخُبْثِ ما أنا بالذي
يُخابِثُ فاقصِدْ في الورى من تُخابِثُه
فَوَقْتي بكُتْبي والحبيبِ وإخوتي
له شُغُلٌ عن رَدٍّ ما أنت نافِثُه
من الجهلِ إنفاقي من الوقتِ لحظةً
بِنَبْثي ثَرى أمثالِ ما أنتَ نابِثُه
على أنني والحمدُ لله لم يَلُثْ
قميصي على غيرِ الفضيلةِ لائِثُه[1]
وبرهانُ فضلي أنني عنك معرضٌ
وقلبُكَ في أمري به عاثَ عائثُه

(١) لاثه: لفَّه وعصبه.

أخـذتُ عـلى نـفـسي أكـيـدَ عـهـودِهـا
لـصـفـحي عن الجـاني ومـا أنـا نـاكِـثُه
وأقـسـمتُ أني لا أكـافيءُ حـاسـدًا
عـلى حـسـدٍ والحَـلْفُ غـيـريَ حـانِـثُه
ومـا راثَ في عَـوْني عـلى دفعِ مـحـزنٍ
إذا اسـطـعتُ عن قـلب امـرئٍ قَطُّ رائـثُه
ومـا زلتُ مـسـطـيـعًا لحَـصْـدِيَ مـا بهِ
من الـشـوكِ مـا يـؤذي الـذي هـو حـارثُه
ولم أسـتطع صـرفَ الأذى عن حَشـا امـرئٍ
تـولت حـشـاه في سـكـوتي فـوارثه[1]
فلا يـنـتـظـرْ مـني الإجـابـةَ شـاتمٌ
ولـو أنه كـالـدهـر جَـمَّتْ حـوادِثُه
بـشـيءٍ سـوى حُـسْنِ المـقـالِ وإنه
لـطـبعُ أبي قـبـلي وإني لـوارثُه
وإن لم أجِـدْهُ شـافـيًا قـلبَ كـاشـحي
فـإني طـويلُ الـصـمتِ راعـيهِ مـاكِـثُه
وهل يُـتـحِفُ المـسكُ الأنـوفَ بـغـيـرِ مـا
يـطـيبُ إذا مـا ثَـتْهُ يـومًـا مَـوائـثُه[2]
إذا اسـتَـوْعَـرَ الإنـسـانُ أخلاقَ صـاحبٍ
تـولَّت خـلـيـلي في خَلاقي دمـائـثُه[3]
ومـا حُـلْتُ عن خِـدْنٍ أمـالَتْ يـسـارَهُ
إلى فـاقـدٍ من ذا الـزمـانِ كـوارثُه

(١) فرث كبده: ضربها وهو حي.
(٢) ماث الشيء في الماء يميثه: أذابه.

فــقــد عَــلِمَ الأخــدانُ أنّي وفــيُّــهُم
وأن ودادي دائمُ الــعــهــدِ لابــثُه

وأنّي لا يَــخــشى الــعــدوُّ بــوادري
إذا انــحصَّ عن ريشِ الــعــدُوِّ أثــائــثُه[1]

فــمن ســوءِ قــمــعي لــلــعــدوِّ أمــانُهُ
ومن حُسنِ صُــنعي لــلــصــديق مَــغــاوِثُه

وإني عــلى مــا بي من الــلِّــينِ لا الــذي
تُــصَبُّ عــلى رأس الــظــلــوم هَــنــابِــثُه[2]

وإنّيَ في ذَبّي عن الحق تــنــثــنــي
أجــادلُ ظــلــمٍ عــنه وهي أبــاغِــثُه[3]

ومن لم يُــفَــرِّقْ بــين حَقٍّ وغــاصبٍ
فلا لَمَّ في الــدارين مــنه مَــشــاعِــثُه

ويــا نــاقِــدي إن لَمْ أَخَفْ بــطشَ ظــالمٍ
بفيكَ على الــنــقــدِ الــنــقــيــدِ كَثاكِثُه[4]

أَأُحْــجِمُ عن فَــكّي لــذي الــضــعفِ حَــقَّهُ
إذا قَــيَّــدَتْهُ من ظَــلــومٍ روابــثُه[5]

إذًا لا تــمــادت بي من الــعــيش فــســحــةٌ
ولا أمــهــلــتــني في حِمامي حَــثــاحــثُه[6]

وإني عــلى بــؤسي مــتى ألقَ بــائــسًــا

---

(١) انحص الشعر: سقط. والأثائث: جمع أثيث وهو الملتف الكثير.

(٢) الهنابث: الدواهي.

(٣) الأبغث: جمعه أباغث طائر من طيور الماء، وهنا يريد طيرًا أصفر من الرخم بطيء الطيران.

(٤) الكثكث: التراب، وجمعه كثاكث.

(٥) الروابث: الموانع.

(٦) الحثاحث: السراع.

فَفَلْسي لكيسي كالعدُوِّ يُماغِثُه[٧]

ويُطربُني شكرُ الضعيفِ أُعينُهُ

على أمرِهِ لا مِزْهَرٌ ومَثالِثُه[١]

وما طاب لي يومًا من الزادِ طعمُهُ

وذو رحمٍ لي ضامرُ البطن غارِثُه[٢]

فيا طاعمًا والجوعَ يشكو قريبُهُ

أماتَكَ من داءِ السَّراحِينِ ضابِثُه[٣]

وما خيرُ مَحْيا مُسْهِلٍ وحميمُهُ

تَهاداهُ من نهجِ الحياةِ أواعِثُه[٤]

ولا رَوِيَتْ نفسُ الذي الماءُ عندهُ

إذا لم يَرِدْهُ جاهدُ اللُّوحِ لاهِثُه[٥]

وإنّي لَذو عِرْضٍ بعيدٍ من الذي

يَسُبُّ صِلالَ السِّبِّ وهيَ براغِثُه[٦]

ويا ربّما آذاهُ فِيَّ مقالُهُ

مُدى التَّيْسِ في التُّرْبِ الذي هو باحِثُه[٧]

****

(١) المزهر: آلة من آلات الطرب. والمثالث: مفردها المثلث وهو ثالث أوتار العود.

(٢) غارث: جائع.

(٣) السراحين: الذئاب. والضابث: القابض قبضًا شديدًا.

(٤) الأواعث: الطرق العسرة.

(٥) لاحه العطش أو السفر لوحا: غيره.

(٦) الصلال: الحيات. السِّبُّ: الثوب، وقد شبه براغيثه بالحيات، كناية عن شدة لسعها.

(٧) يشير إلى المثل كالباحث عن حتفه بظلفه، وذلك أن شاة أو ثورًا كان يراد ذبحه، وحفر بظلفه فظهرت مدية.

لن يعيث[1]

لــكلٍّ ســهــامِ مــوجــعــةٍ فــؤادي
أراهُ في الــكــويتِ غــدا نَــجِــيــثــا
إلى كم أســتــجــيــرُ ولا مــجــيــرٌ
وكم ذا أســتــغــيثُ ولا مُــغــيــثــا
كــأني بــيــنــكم ذئبٌ خــبــيثٌ
وكلٌّ يــكــرهُ الــذئبَ الخــبــيــثــا
فــإن يُــغــضِــبــكُمُ نُــصــحي فــإني
بِسَــيْــري في الــنــصــيــحــة لن أريــثــا
ســأبــقى مــثلَ مــا أنّي قــديمًــا
بــحــبل الــصــبــر مــعــتــصمٌ، حــديــثــا
حــثــيــثًــا سَــيْــرُ نُــصــحِــكُمُ إلــيــكمْ
فــســيــروا بــالأذيَّــة لي حــثــيــثــا
فــإني أرتجي لــكمُ انــتــبــاهًــا
ولــو حــبلُ الــرَّجــا أمــسى رَثــيــثــا
ثِــقــوا أن الأذى مــنــكمْ بــصــبــري
عــلــيــكم حــين أنــصحُ لن يَــعــيــثــا
إلى أن أطــمــئنَّ بــنُــجْحِ ســعــيي
وأُجــنــيــكمْ جَــنى غــرسي أثــيــثــا[2]

---

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

سأنزلُ في قلوبكمُ مكانًا
إذا انجابَ الكرى عنكم دَميثا[1]

ولو أسمعتموني اليوم قولاً
جريرٌ قبلُ أسمَعَهُ البَعيثا[2]

فَرُبَّ نصيحِ أقوامٍ شتيمٍ
أصاروهُ لحمدِهِمُ وَرِيثا[3]

****

(١) دميث: لين.
(٢) البعيث: شاعر كان بينه وبين جرير هجاء.
(٣) الشتيم: الشديد الخلق مع قبح الوجه.

حالهم أدهى وأبرح

دَعَتْنِيَ حاجاتي إلى مَدْحِ معشَرٍ
فجئتُ إليهم طوعَ حاجِيَ أمْدَحُ
فكنتُ كأني من عُبوسِ وجوهِهم
تُجاهَ مديحي جئتُ أهجو وأقدَح
يخافون إرفادي لأن نفوسَهم
بهنّ إلى إمساكِها الطبعُ يَجْنَح
وإن خيَّبوني أشفقوا من قصائدٍ
تُثيرُ كميناتِ العُيوبِ وتَفْضَح
فما بين إرفادي ومنعيَ حالُهُم
من المنع والإرفاد أدهى وأبْرَح
على أنني ما زلتُ – مذ كنتُ – قاليًا
من الشعرِ ما الأعراضُ تَخشاهُ يَجْرَح
ولكن مريبُ القوم يُرديهِ خيفةً
تَظَنِّيهِ حيثُ الأمنُ يُمسي ويُصبِح
فيا ليت أن اللهَ ما كان مُحْوِجي
إلى غيرِهِ ممن يَشُحُّ ويسمَح

****

أمع الحياة سعادة؟

مـا كـنتُ أغـبِطُ مـذ أربْتُ سـوى الـذي
مـا كـان قَطُّ ولن يـكـون مـدى الأبَـدْ
أمّـا الألى كـانـوا فـلـستُ بـغـابطٍ
مـنـهم عـلـى شيءٍ يـفـوزُ به أحَـد
من كـان لـيس بمـسـتـحقٍّ غـبـطـةً
حـتى وإن قـال الـورى عـنه سُـعِـد
أمَعَ الحـيـاةِ سـعـادةٌ؟ لا والـذي
جـعل الحـيـاةَ لأهـلـهـا أُمَّ الـنَّـكَـدْ
ولَـدت حـيـاتي مَعْ شـقـائي كلَّ مـا
أبـلى عـلـيـهـا الـصَّـبْـرَ مـني والجَـلَـد
فـإذا جـزعتُ فـكلُّ نـفسٍ لم تـكن
إلا لـتَـجْـزَعُ حـينَ تُـقْـرَنُ بـالجـسَـد
مـا إن تَـرِثُّ مـصـائـبي في مَـحـبِـسي
إلا أتت أخـرى لـتـخـلـفَـهـا جَـدَد[1]
يـا قـدرةً سَـجَـنَتْ بـجـسـمي روحَهُ
ضـاق الخـنـاقُ عـلى الـسجـين المضـطهَد
إن لم تَـفُـكّي الـروحَ من جُـثْـمـانه
فـتـداركي مـنـزورَ صـبـري بـالـمَـدَدْ
أرجـوكِ لا أرجـو سـواكِ فـأنـعـمي
عَـجْـلى عـليَّ بمـا تَـرَيْنَ من الـرَّشَـد

(١) الجدد، بفتحتين: القاسية الصلبة.

ثِـقْلُ الحـيـاة ضـعـفتُ عن حَـمـلي له
ضـعـفًـا بهِ لي الـشـيبُ أعـدلُ من شَـهِـد
قـــد آدَنـي عِبْءُ الحـــيـــاة ومن رأى
عِبْءَ الحـيـاة لـذي مـشـيبٍ لم يَـؤُد[1]
وا رحـمـتـا لـلـشِّـيبِ مـنـا إنـهم
من حـمل أعـبـاء الحـيـاة لـفي كـمَـد
طـوبى لمن حَـطَّـتْهُ عـنه يَـدُ الـردى
إن لم يُـرَدَّ إلـيه أخـرى أو يَـعُـد
فـضلُ المـنـيّـة غـيـرُ مـنـكـورٍ عـلى
ذي شـيـبـةٍ وجَـدَ الحـيـاة كـمـا أَجِـد
مُـذ شِـختُ لم أحـمَـد حـيـاتي سـاعـةً
فـسـلـوا سـواي من المـشـايخ هل حَـمَـد
لـو كنتُ أحسُـدُ مـا رميتُ - سـوى امرئ
قـد شـاب شـيـبي يـوم يَـرْدى - بـالحسَـد
هـذا عـلى جـهـلي بمـا نـلـقـاهُ من
بـعـد الـردى ممـا هـنـاك لـنـا يُـعَـد
يـصـبـو إلى مـجـهـولِ أمـرَيْهِ الـذي
مـعـلـومُ أمـرَيْهِ له جِـداً جَـهَـد
والمـرء ذو أملٍ يـبـشِّـرُهُ إذا
سـاءته حـالـتُه بـأخـرى تَـسـتَـجِـد
وكـذا مـدى المحـيـا إلى الـيـوم الـذي
مـا كـان من مـحـيـاهُ مـشـفـوعًـا بـغَـد
فـإذا انـتـهت دنـيـاه بَـشَّـرَهُ بمـا
تُـخـفـيه أُخـراه له ممـا يَـوَد

(١) آدني: أثقلني.

فـــتـــراهُ من آمـــالِهِ مـــهـــمـــا قَـــسَتْ
حـــالٌ عـــلـــيه يُـــحِسُّ أنهُ مُـــطَّـــرَدْ
مـــــا إن أتـى ألمٌ لـــــقـــــلبٍ جـــــارحٍ
إلا أتـى أملٌ فـــــداوى أو ضَـــــمَـــــد
فـــلـــذا أرى آمـــالَـــنـــا مـــعـــدودةً
من رحـــمـــة الـلـه الـتي لـيـست تُـحَـد
وكـــذا أرى الآلام في إيـــقـــاظِـــهـــا
مَن عن تَـــعَـــرُّفِ لـطفِ خـالِـقِهِ رَقَـد
فـــجـــمـــيعُ آمـــالي وآلامي إذًا
نِـعَمٌ تـشـابَهَ خـيـرُهـا حـتى اتَّـحَـد
ولـــعلَّ مَـــشـــقـــايَ المـــلحَّ أتى جَـــزا
فـعلـي وقـولي الحـائـدَيْنِ عن الـسَّـدَد[1]
كم مـــرةٍ قـــارفتُ ذنـــبًـــا قـــاصـــدًا
وجـــزاءُ ذنبِ المـــرءِ مُـــشْقٍ إن قُـــصِـــد
وعـسى المـعـجَّلَ من جـزائي مُـنـقِـذي
ممـا يـؤجِّـلُه ليَ الـعَـدلُ الـصَّـمَـد
أخـــشى عـــدالـــتَه وأمـــا فـــضـــلَهُ
فـإلى سـوى تـأمـيـلِهِ لا أسـتَـنِـد
لـــو لم أؤمِّلْ فـــضـــلَهُ لـــتـــطـــايـــرَتْ
لمخـافـتي من عـدلِهِ نـفـسي بَـدَد[2]
يـا أيـهـا الـعـمـر الـذي أنـفـقـتُهُ
فـيـمـا تَـبَـيَّنَ زيـفُهُ لمـا نُـقِـد

---

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

لم يبقَ لي إلا تَذَكُّرُ ما مضى

متندِّمًا فَسِرِ الهُوَينى واتَّئِد

فعسى طويلَ ندامتي يقضي على

سودِ الذنوب وجمعِهنَّ المحتشِد

يا ليت أنّي كنتُ أنقُدُ كلَّ ما

قد كنتُ آتيهِ وعمري ما نَفَد

أو حين آذَنَ بالنَّفادِ أخذتُ في

إصلاح ما أسلفتُه مما فسَد

يا ربِّ فاعفُ فليس لي إلاّ إلى

تأميلِ عفوِك عن ذنوبي من مَرَدّ

يا مَن يؤمِّلُ عفوَهُ الجاني وإن

فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَد

خوفُ الحسابِ على ذنوبي هَدّني

وعليك في التأمينِ منه المعتمَد

وَخْزُ الضميرِ – ولستُ مَن يقوى على

وخزاتِه – أوهى القوى مني وَهَد

قاسيتُ في محياي منه شِدَّةً

وأخاف بعد الموت أن ألقى أشَدّ

يا أيها القبرُ الذي أنا وافدٌ

حتمًا عليه ككلِّ مَن قبلي وَفَد

ماذا أعَدَّتْهُ القبورُ؟ أراحةً

أم ضِدَّها أم بَيْنَ بين لمن وَرَد

قل لي وأفصِحْ إنني مستخبِرٌ

عن ذي الأمورِ مُذِ اكتهلتُ فلم أُفَد

فـــعـــسى جـــوابَكَ أن يُـــبَـــرِّدَ غُـــلَّـــةً
كـــانت ولم تـــبـــرَحْ بـــقـــلـــبي تَـــتَّـــقِـــد

هـــيـــهـــاتَ مـــا أرجـــوهُ مـــنك وكلُّ ذي
مَـــحْـــيـــا، جُـــمـــودَكَ عن جـــوابي قـــد جَـــمَـــد

ولأنتَ أعـــذَرُ من ســـألتُ فـــلـــم يُـــجِـــرْ
يـــومًـــا جـــوابًـــا مـــقـــنـــعًـــا في ذا الـــصَّـــدَد

من قـــام يـــطـــلـــبُ مـــا اســـتـــحـــال مَـــنـــالُه
شـــروى قـــيـــامي يـــائـــسًـــا مـــنه قَـــعَـــد

لم أدر مـــا تـــحـــوي الـــقـــبـــورُ لـــنـــا إذا
مـــا صـــخـــرُهـــا يـــومًـــا عـــلـــيـــنـــا قـــد نُـــضِـــد

أمّـــا ظـــواهـــرُهـــا فَـــهُـــنَّ مـــظـــاهـــرٌ
مـــا مِـــزْنَ مـــنـــا مـــهـــمَلاً من مـــســـتـــعِـــدّ

ووراءهـــا مـــا لـــيس يـــعـــلـــم كـــنـــهَهُ
من جَـــدَّ في الـــتـــنـــقـــيب عـــنـــهـــا واجـــتـــهـــد

ســـبـــحـــانَ من حَـــجَـــبَ الخلائقَ كُـــلَّـــهـــا
عن عـــلـــمِهِ وبه تـــوحَّـــدَ وانـــفـــرَد

****

يا فهد القوافي[1]

لو كنتُ مِمَّن في طبيعتِه الحَسَدْ
لحَسَدتُ دون الناس شاعرَنا فَهَدْ
فقريضُهُ السامي المحلِّ منبِّهٌ
ما كان من حَسَدٍ بنفسٍ قد رَقَد
لكن براني الله خِلْوَ القلب من
حسدٍ به مَحْيا ذَويهِ قد فَسَد
فلذاك أغبِطُهُ ولم أحسِدْ ومَن
غبَطَ المبرِّزَ ليس يَعذِلُهُ أحَد
جَرَتِ القوافي منه في خَلَدي كما
يجري لذيذُ البرءِ في مُضْنى الجَسَد
أو مثلَ ما يجري زلالٌ باردٌ
متداركًا أحشاء حَرَّانِ الكَبِد
زاملتُهُ ظلمًا بدعوايَ التي
إن يرضَها أُصْبِحْ بها مِمَّن سَعِد
متخيِّلاً أني له في نظمِهِ
ما راقني من محكَماتِ الشِّعرِ نِدْ
ولَكَمْ حسبتُ الزورَ يأتيني بِهِ
مُلْهي التخيُّلِ أنَّهُ حَقٌّ وَجِدٌّ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فـإذا انـتـبـهتُ ثـنـى انـتـبـاهي كلَّ مـا
نَـظَـمَـتْهُ من خـيـرٍ يَـداهُ لي بَـدَد[1]
وأعـودُ بـعـدُ مـصـدِّقًـا من وحـيـهِ
أن سـر نـفـسي كلُّ زورٍ يَـسْـتَـجِـد
ولـقـلَّـمـا كـشَـفَتْ خـيـاليَّ الـكَـرى
لي يـقـظـةٌ فـكَـرايَ هـذا مُـطَّـرِد
فـإذا ادَّعَـيْتُ حـقـوقَ غـيـري في الـورى
فـعـلى تَـخَـيُّـلِيَ انـتـقـادُ المـنـتَـقِـد
فـتـخـيـلُّي مـا زال يـدفـعُـني إلى
دعـوى أمـورٍ لـيس لي فـيـهنَّ يَـدْ
وعـلى ادعـائي قـد أرى لي عـاذرًا
شَـرواهُ إن جـارَ ادَّعـائي أو قَـصَـد
فـلـقـد يَـلَـذُّ ليَ ادعـائي رتـبـةً
غـيـري بـهـا قـد خُصَّ دوني وانـفَـرَد
وإذا تُـخُـيِّلَ جَـرُّ دعـوى لامـرئٍ
فـيـهـا مَـسَـرَّتُهُ فـعـنـهـا لم يَـحِـد
إني أعُـدُّ خـيـالَ كُـنْهٍ سَـرّني
من نـعـمـة الـله الـتي لـيـست تُـحَـد
وتـخـيُّـلي نَـيْـلي نـفـيسَ الأمـرِ إن
أخـطـأتُ مـنه الـكُـنْهَ لي حَظٌّ يُـعَـد
ولـطـالمـا أدنى تَـخَـيُّلُ نـعـمـةٍ
من غـبـطـةٍ قـلبُ امـرئٍ عـنـهـا ابـتَـعَـد
وحـقـائقُ الـدنـيـا خـيـالاتٌ إذا
مـا جـال فـيـهـا الـفـكـر عـفـوًا أو جَـهَـد

---

(١) البدد: الفرق.

هَنَأْتُكَ يا فهدُ القوافي واثبًا

من مقولٍ لك ما تخطّاهُ السَّدَد

فيهنَّ تفتخرُ الكويتُ مقلَّةً

منهنَّ تاجًا فوق هامتها انعقَد

فَبِغُرِّ آدابِ ابنِهِ إن لم يَنَلْ

فخرًا فماذا يُكسِبُ الفخرَ البلد

ما رمتُ أن أوفيكَ حقًّا مُطْرِيًا

إلاّ وعَمّا رمتُ بي عَجْزي قَعَد

فإليك جُهْدَ مقصِّرٍ لم يَرْضَهُ

لكَ لو لأنفَسَ منه حُسْنًا قد وَجَد

وكفى على صدقِ الودادِ وصفوِهِ

جُهْدُ المقصِّرِ شاهدًا مهما شَهِد

****

عليك بإحدى الحسنيين

أتـــتـــركُــني مـــا بـــين يـــأسِيَ والـــرَّجـــا
ومن أحَـــدِ الـــضـــدَّيْنِ عـــنـــدكَ لي بُـــدُّ
وكلٌّ بـــــنـــــاءٍ شـــــادَهُ لـيَ مـــــعـــــقِلاً
جـمـيلُ اصـطـبـاري بـين هـذين يَـنْـهَـدُّ
عـلـيك بـإحـدى الحُـسْـنَـيَـيْنِ مـبـادرًا
كـمـا تـقـتـضي مـنك الـنـجـابـةُ والمجدُ
فـإن تـعـتـذرْ فـالـعـذرُ يـلـقى قَـبـولَهُ
لـديَّ وإن تُـسـعِفْ فـمِـنّي لك الحَـمْـدُ

****

زحام

مـــا في الـــصَّـــفـــاةِ لـــذي عَـــمًى
مـــثـــلـي أمـــورٌ تُـــحْـــمَـــدُ
كم مَـــرّةٍ قـــد ضَـــمَّـــني
فـــيـــهـــا زحـــامٌ أنْـــكَـــدُ
كـــادت بـه عن جُـــثَّـــتي
نـــفـــسي الـــعـــزيـــزةُ تُـــفْـــقَـــدُ

****

لا تؤذوا الصريح

إذا نَـــجَمَ الـــصـــريحُ بـــأرض قـــومي
فـــــإن جـــــزاءَهُ مـــــنـــــهم نَـــــآدُ[1]
أروني في الـــكـــويتِ فـــتًى تجـــلَّت
نـــصـــائـــحُهُ كـــمـــا يُـــوحي الـــفـــؤادُ
فـــلم نُـــلْـــحِـــقْهُ جـــهلاً مـــا يُـــخَـــلّي
مَـــحـــاجِـــرَهُ يُـــحـــالـــفُـــهـــا الـــسُّـــهـــادُ

****

(١) النآد والنآدي: الداهية. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال[1]

أيـــرفعُ رأسَهُ الـــعـــربيُّ يـــومًـــا
إذا امــتَــلــكتْ فــلــســطــينَ الــيــهـودُ
وهــل عُـــــــذْرٌ لــه إن لــم تجــــــدهُ
بــأغــلـى مــا لـــديه لـــهــا يَـــجــود
وراءَ الخَـــــطْبِ هــــذا أيُّ خَـــــطْبٍ
تُــصــان له الــنــفــوسُ أو الـــنُّــقــود
أبَـــعْـــدَ الـــيـــوم يــومٌ فـــيه تـــزكـــو
لـــبــاذلـــهـــا من الـــعـــرب الجُـــهــود
بـــني الـــعُـــرْبِ الألى مـــا عُـــدَّ مـــنـــهم
فــتًى عن نــصــرِ مــعــشــرِهِ يَــحــيــد
أمـــا كـــانـــوا وبـــعــضــهمُ لـــبــعضٍ
إذا حُـمَّ الـــعِـــدا ركنٌ شَـــديـــد
أمـــا أدّى تـــعـــاونُـــهم إلى مـــا
يـــعـــمُّـــهُمُ به الـــعـــيشُ الـــرَّغـــيــد
ولـــو لم نـــفــتـــرق من بـــعــدُ جـــهلاً
لمـــا عُـــدْنـــا وســـائـــدُنـــا مَـــسُــود
نُـــجَــــدِّدُ مـــدحَـــهم والمـــدحُ عـــارٌ
عــلــيــنــا - لــو تــأمَّــلْــنــا - عَــتــيــد

(١) نشرت في السجل الأغر ١٧ شوال ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الأول ١٩٣٧ العدد ٧٧ وتكملتها في العدد

فَلِمْ نُطري الجدود على عُلاهم
ولم نفعلْ كما فعلَ الجُدود

فإمّا أن نكون قد افترينا
إذا رحنا بذكرهمُ نُشيد

فلم يَخْضَرَّ من شرفٍ ومجدٍ
لهم ما بين أهلِ الأرضِ عُود

ولا كانوا وقائدُ كلِّ شعبٍ
جنيبٌ خَلْفَ قائدهم مَقود

ولا خَفَقَتْ لهم في كلِّ أرضٍ
بغير مجرَّدِ الدعوى بُنود[1]

ولا كانوا من الإقدام قِدْمًا
بحيثُ تهابُهم حتى الأسُود

ولا كادت عُداتُهُمُ - إذا ما
أتاها أنهم غَضِبوا - تَبِيد

ولا كانوا زمانَ الجَدْبِ سُحْبًا
على العافي بما يُغْني تَعود

وإمّا أن نكون بني سِواهم
وحَذْوُ الجَدِّ يحذوهُ الحَفيد

إذا انتَسبتْ إلى أصلٍ فروعٌ
فأخلاقُ الفروعِ هي الشُّهود

أمِنْ أخلاقِ يَعْرُبَ - إن دَعَتْهُ
إلى الجُلّى معاشرُهُ - الصُّدود[2]

(١) البنود: الأعلام.
(٢) الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

ومن أخلاقهِ شُحٌّ عليهم
بما يحويه أم ذَبٌّ وَجُود

فلو كُنّا بنيهِ أبصَرَتْنا
فلسطينٌ نُواسي أو نَذود

أيَعْرُبُ من بنيه عُرْبُ يَوْمي
لعَمْرُ أبيكَ ذا شيءٌ بعيد

وظنّي أنه لو شُقَّ عنه
ليشهد ما أتيناه - الصَّعيد

لقالَ إليكمُ عني إليكمْ
فليس لكم إلى نَسَبي صُعود

وزادَ فقال ما فيكمْ - وهذا
- صنيعكُمُ - لإنسانٍ وليد

فإن نَمَتِ القُرودُ شكولَ ناسٍ
فعُرْبُ اليوم نامُوها القُرود

أقولُ مقالتي هذي وإنّي
لعُرْبِ اليوم في الدعوى نَدِيد

فلو صَدَقَ ادِّعائي مِتُّ مما
روى لي عن فلسطينَ البَريد

أحاديثٌ لها تنشَقُّ مِمَّن
لهم رُوِيَتْ قلوبٌ أو كُبود

فمن إخواننا فيها قتيلٌ
ومن إخواننا عنها طريد

وآخَرُ منهمُ في السجن كادَتْ
على ساقَيْهِ أن تأتي القُيود

وما جَبُنَتْ فلسطينٌ ولكن
عليها للعِدا كثُرَ الجُنود
«تكاثرتِ الظباءُ على خِراش
فما يدري خراشٌ ما يصيد»
وها هيَ تستعينُ بنا فحتّى
متى عن أن نُعينَ بنا جُمود
إذا ما نحن لم نُسعِف ذَوينا
ويُوفِ عَديدَهُمْ منّا عَديدُ
فَنَعْضُدُ صيدَهُمْ منا بِصيدٍ
تُديلُ من الطُّغاةِ وتَسْتَقيد
فليس العُجْمُ تُعْذَلُ إن تَراخَتْ
بنَجدَتِها ولا تُلْحى الهُنود
فإن مَتّوا بدينِهِمُ إليهم
ونِعْمَ الرابطُ الدِّينُ الفَريد
ففيما بيننا لغةٌ ودينٌ
وفيما بيننا النَّسَبُ الأكيد
وَهَلْ أسٌّ لجامعةِ البرايا
سوى هاتا وسقفٌ أو عَمود[1]
ملوكَ العُرْبِ إنَّ الأمرَ جِدٌّ
وإنَّ الله مطَّلِعٌ شهيد
سيَسألُ – وهو أعلمُ – ما صنعتُمْ
لمن شيطان ظالِمِهِمْ مَريد

---

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أس ما جمع البرايا   وألف والسقيفة والعمود

ولكن وجدته في كراساته مضروبًا عليه ومغيرًا إلى ما أثبته (الرومي).

فهل للَّهِ عندكُمُ جوابٌ
لصَرْفِ عذابهِ كافٍ مفيدُ

أفكَّرتم ملوكَ العُرْبِ فيما
يخفِّفُ عن ذويكم ما يَؤود[1]

أقاربُكُمْ يُعاث بهم فسادًا
وأنتم عن معونتهم قُعود

فكم عانَتْ فلسطينٌ خطوبًا
يَشِيبُ من الصبِيِّ لَهنَّ فُود

وليس لدائها هذا دواءٌ
إذا ما طاشَ رأيكُمُ السَّديد

وليس الرأي إلا أن تقوموا
فإن قمتم فأمرُكُمُ رشيد

فلم يُعْوِزْكُمُ مالٌ وجُنْدٌ
بمثلهما لكم تُورى الزَّنود

فإن شعوبَكم أجنادُ صِدْقٍ
وظِلُّ المالِ فوقكمُ مَديد

وإن عاقت قيامَكُمُ أمورٌ
فمصدرُ كلِّها أن لا تُريدوا

وأما صَرْفُ قولكمُ فمِنْهُ
على الإخفاق أضجَرَنا الرَّديد

فكم كَلِمٍ بَذَرْتُمْ منه بَذرًا
فما احلَوْلى لنا منه الحَصيد

فَعَدّوا عن مجرَّدِ كلِّ قَوْلٍ
فما سَعِدَتْ لِلازِمِهِ الجُدود[2]

(١) يؤود: يثقل.

أمُنْبَتٌّ من الطغيان يومًا

بِحَدٍّ مجرَّدِ القولِ الوريد

أجُبْنًا عن مصادمةِ الأعادي

وما بَرِحَتْ مظالمهمْ تَزيد

ألم يَدْرِ الذي يخشى المنايا

مِن الجُبناءِ أنْ عَزَّ الخلود

وأنَّ بيوتَ من ذَلّوا وهانوا

برغم أنيقِ محياهم لُحود

وأنَّ الموتَ في طُرُقٍ تؤدي

إلى قَمْعِ الطُّغاة وما تَكيد

هو العيشُ الذي اكتَنَفَتْ ذويه

جِنانُ الخُلْدِ والذِّكْرُ الحَميد

أنَجْبُنُ عن جهادِ خصومِ سوءٍ

مُجاهِدُهُم شهيدٌ أو سَعيد

وقد أجْرَوْا فظائعَ لو دَرَتْها

درايتَنا الجبالُ غَدَتْ تَميد

نُحَوْقِلُ كلّما قالوا ذَوُوكُمْ

تَفَشّى فيهمُ الجَهْدُ الجَهيد[1]

ونأبى أن نقومَ لهم بأمرٍ

يقومُ بمثله البَشَرُ المَجيد

لماذا أطْلَقَ الأفواهَ مِنّا

ولم يُطْلِقْ سواعِدَنا الرُّكود

أفي يوم الوغى تُغْني سيوفٌ

تَصِلُّ ولا تُزايلُها الغُمود

---

(١) نحوقل: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا دَوَتِ الرُّعودُ بغيرِ قُطْرِ
فهل تُجْدي ذَوي المَحْلِ الرُّعود
إذا ما الفعلُ لم يَعْضُدْ مَقالاً
فلا كان النَّثيرُ ولا النَّضيد
أقولُ لمُدَّعي وُدِّي إذا ما
أرادَ مساءَتي الخصمُ العنيد
مُطيقَ مَعونَتي: إن لم تُعِنّي
فأنتَ لكاشحي لا لي وَدُود
ويا مَن ذادَنا عن منهَلَيْهِ
ولي أملٌ بِورْدِهِما وَطيد
وبي ظمأٌ لفَرْطِ البُخْلِ منه
وقد طابت له مني العُهود
أتبكي إن أمُتْ عَطَشًا ولَوْ لَمْ
تُحَلِّئْني لأحياني الوُرود[1]

*****

وأنتم يا بَني «التاميزِ» قولوا
أما لشنيع ظلمكمُ حُدودُ
نَعَيْتُمْ ظُلْمَ غيرِكُمُ عليه
أأظْلَمَ منكمُ يَحوي الوُجود
وعِبْتُمْ كلَّ غَدْرٍ ثم جِئتمْ
بغدرٍ لم يجئ شَرواهُ سِيدُ[2]
صنيعُكُمُ تَكَشَّفَ عن وحوشٍ
لها صُوَرُ الأناسِي والجُلود

(١) حلأه: دفعه عن ورود الماء.
(٢) شرواه: مثله، والسِّيد: الذئب.

أتَـخْـدَعُ بَـعْـدَ هـذا الـيـومِ مـنـكمْ

مـواثـيقٌ تـؤكَّـدُ أو وُعـود

وأنـتم أيُّـهـا الـنُّـوّابُ عَـمَّن

أرادوا الـسِّـلْمَ في الـدنـيـا يَـسُـود

عَلامَ «الإنـكـلـيـزُ» بَـغَـوْا وجـاروا

وأنـتم عن مـفـاسـدهم رُقـود

أطَـبَّـقْـتُمْ مـبـادِئـكم عـلـيـهم

وصَحَّ الـوعـدُ مـنـكم والـوعـيـد

وإلا فـالمـبـادئُ مـا دَهـاهـا

أأبـطَـلَـهـا لـكم وضْعٌ جـديـد

أعُـصْـبَـةَ هـذه الأممِ انـتـبـاهًـا

فـمـثـلك لا يـنـاسِـبُهُ الـهُـجـود

أنَـوْمًـا والـطُّـغـاةُ تَـحُشُّ نـارًا

لـهـا مَنْ سـامَـهم عَـدْلاً وَقـود[1]

ألم تـتـألَّـفي قـبلُ اخـتـيـارًا

وقـمعُ الـبـغي مـقـصـدُكِ الـوحـيـد

لـيـفـنى الـبـغيُ أجْـمَعَ لا عُـمـورٌ

تُـقـيمُ لـه الحُـروبُ ولا زُيـود

وقُـولي لـي أحُـرٌّ كلُّ عُـضْـوٍ

عـلـيه انـضَمَّ مـبـنـاكِ الـمَـشـيـد

أمِ الأعـضـاءُ فـيكِ - كـمـا اقـتـضـاهُ

مُـشـاعُ الـظـلـمِ - للأقـوى عَـبـيـد

****

(١) حش النار: أوقدها.

أفي الصحيفة دُرٌّ؟[1]

إن شَجاكم منّي الأنينُ المَديدُ
فعذابي بالفقر جِدّاً شديدُ
كلما قلتُ ذاتَ يومٍ سيمضي
منه عني اشتدادُهُ أو يَبِيدُ
عَنَّ خَطْبٌ يقول إني كفيلٌ
أن ستَبلى يا «صقرُ» وهو جَديد
بعدَ خطبٍ لِناجِذَيْهِ جُروحٌ
في فؤادي اندِمالُهنّ بعيد
فالخطوبُ الجوارحُ القلبَ عندي
كلَّ يومٍ عَديدُهُنَّ يَزيد
فكأن الخطوب كن نعاما
ضِمْنَ قلبي بَدا لَهُنَّ هَبيد[2]
ولوَ انَّ الخطوبَ أبقَيْنَ صبرًا
لي إليه من جَورهِنَّ أعود
ما شكوتُ الزمانَ ما بين مَنْ هُمْ
لزماني طرّاً عليَّ جُنود
أنا أدري أن الشَّكِيّةَ منها
لستُ إلاّ شَماتَهم أستفيد

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالعزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

غـيـرَ أنَّ الخـطـوبَ أفْـنَـيْنَ صـبـري

آكلاتٍ والـصـبـرُ ذُخـري الـوحـيـدُ

وإذا بَـزَّتِ الخـطـوبُ جـلـيـدًا

ذُخـرَهُ اضـطُـرَّ لـلـشَّـكـاةِ الجَـلـيـد

زفَـراتُ الحـزينِ مـا تَمَّ مـنـهُ

ـنَّ اخـتـيـارا من الحـزين الـصـعـود

جَـهَـدَتْـني صـروفُ دهـريَ حـتى

غـيـرَ شـكـوى صـروفِهِ لا أُجـيـد

كلُّ صـوتٍ مـا لم يـكن بـأنـينٍ

لم يُـجِـدْهُ ذو الـعـلّـةِ المجـهـودُ

مـا مـقـالي المحـرِّكُ الـشَّـجْـوَ في نـفـ

ـسِكَ مـني انـبـعـاثُهُ مـقـصـود

بل كـثـيـرًا مـا كـنتُ أهـواهُ يـأتي

يُـطـرِبُ الـسـامـعـينَ مـنّي الـنـشـيـد

بـيـد أن الـذي يَـزِفُّ من الـشِّـعـ

ـرِ سـرورًا يـأبـاهُ حُـزني المـديـد

ومن الـصـعبِ أن يـفـوه بمـا يـبـ

ـعثُ غـيـرَ الـكـآبـةِ المـفـؤود

مـا شـجـتك الخـنـسـاء لـو لم يُـصِبْـهـا

في أخـيـهـا عـادي الـزمـانِ الـعـنـيـدُ

بل حـبـا بـالـسـرور – مـنك فـؤادًا

أحـزَنَـتْهُ أنّـاتُـهـا – الـتـغـريـد

وبـنـاتُ الـهَـديلِ لـو لم يُـذِبْـهُ

ـنَّ حـنـينٌ إلى الـهَـديلِ تَـلـيـد

مــا رأيتَ الــغـصــونَ - مــهــمـا يُــرَجِّــعْ

ـنَ نُــواحًــا عــلـى الــغـصــون - تَــمـيـدُ

لا تُـــؤَمِّلْ لـــديَّ مـــطـــرِبَ شِــــعــــرٍ

فــلــســانـي عن قــصــدِهِ مَــصــدُود

لـم أحــاول ســوى الــشَّــكــاةِ فَــعَــدَّى

عن سـبـيـلي شـيـطـانُ بـؤسي الـمَـريـد

فــتــراه عن غـــايــتي دون عــلــمي

لِيَ نــحــوَ الــشَّــكــاةِ مــنهُ يَــذود

فــتــراني أشــكــو وقــصــدِيَ أنّي

لــلــتــهــاني إلى صــديقٍ أقُــود

فــتــجيءُ الــصــديقَ مــنّي الــقــوافي

حــاملات شــكــواي والــيــومُ عِــيـد

فــيُــريــني مــنه الــتــطــيُّــرُ صَــدّاً

خــافــيًــا فــيه بِــشــرُهُ المــعــهــود

فــتــراني أشــكــو وقــصــدِيَ وعْــدٌ

لــلــمُــوالي أو لــلــمُــعــادي وعــيـد

وكــــذا لا يــــزالُ عَــــوْضُ يُلاقي

غــيــرَ مــا رامَ أو نــوى الــمَــحــدود[1]

فــالــتــمِسْ لي ســعــادةً من إلــهي

حــين يــحــويكَ للإلهِ الــسُّــجــود

فــلــعلَّ الــدُّعــاءَ مــنكَ يُــنــافــيـ

ـهِ تــمــامًــا دعــائِيَ الــمَــردود

---

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبدًا. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول: ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فيُلَقّى الدعاءُ منك قبولاً
فتراني ونَحْسُ جدّي سُعود
فبحسبي سؤالُ رَبِّيَ خيرًا
لِيَ مِمَّنْ سؤالُه المجهود
فلقد يَفْضُلُ الصلاةَ دعاءٌ
كلَّ حينٍ لرفعِهِ تجديد
في صلاةٍ يذِلُّ فيها ويَعْنُو
- للذي صاغ شخصَه - الصَّنديد
فارم عبدَالعزيزِ بالسُّؤْل فقري
فسؤال التَّقِيِّ سهمٌ سَديد

✵✵✵✵

رُبَّ ليلٍ سهرتُ تحت دُجاهُ
أبدَأُ الفكرَ تارةً وأُعيد
باحثًا فيه عن طريقِ خلاصٍ
من همومٍ يشيبُ منها الوليد
قد هَداها إلى فؤادي احتياجي
كلَّ ما دونَهُ الحياةُ تؤود
فيُوَلّي الدُّجى وكلُّ طريقٍ
خلتُ فيه الخلاصَ لي مسدود
فأُقَضِّي النهارَ ما بين كُتْبٍ
أنا صَبٌّ بما وَعَتْهُ عَميد
فإذا الليل عادَ عُدْتُ إلى ما
كنت فيه والناسُ حَوْلي رُقود
وأخيرًا رأيت أن ركوب الـ
ـبحرِ فيه لِفاقَتي تشريد

فــإذا الــبَــحْــرُ مَــوْتُ مَنْ نــورُ عَــيْــنَــيْـ
ـهِ – شــبــيــهي من الــورى – مَــفــقــود
فــأنــا الــيــومَ في الــكــويت أقــاسي
من شــقــاءٍ مــا لا يــطــيق الحــديــد
بــين مــثــرٍ يــرى الــســمــاحــة عــارًا
فــهــو طَــوْعَ الإمــســاك عــنه يــحــيــد
لــيس يُــصــغي إلى شَــكــاتِيَ مــهــمــا
زارَ سَــمْــعَــيْهِ بــالــشّــكــاةِ الــقــصــيــد
لا يُــلــينُ الــمُــقِلُّ مــنه بــشــكــوا
هُ فــؤادًا به اســتــبَــدَّ الجُــمــود
ومُــقِلٌّ يَــوَدُّ إســعــادَ مــثــلي
في الــبــرايــا لــو ســاعــدته الجــدود
فــلــكلٍّ من الــفــريــقــين من بُــخْـ
ـلٍ وبــؤسٍ أن يُــســعِــداني قُــيــود

✡✡✡✡✡

لــستُ أدري أفي الــصــحــيــفــة دُرٌّ
زَفَّهُ لي عــبــدُالــعــزيــزِ الــرَّشــيــدُ
مــســتــثــيــرًا تــعــجُّــبي إذ أتــاني
وهــو عــقــدٌ – ولم يُــثَــقَّب – نــضــيــد
أم أمــانٍ قــضــى عــلــيــهنَّ يــأسي
من يــســاري وفُــرْشُــهُنَّ مُــهــود
قــد تَــبَــدَّلْنَ بــالمــمــاتِ حــيــاةً
فــازدهــاني مــنــهن عُــمْــرٌ رَدِيــدُ
أم زُهــورٌ يَــرُقْنَ حُــسْــنًــا وريّــاً
كــلَّ أنــفٍ وكــلَّ طَــرفٍ يَــرود

بل ثـــنـــاءٌ أجـــادَ نـــسجَ قَـــوافٍ
– ضُمُّـنَـتْهُ – ذاك الـصَّنـاعُ الـمُجـيـد
وبــحَــسْــبي مــعــزِّيًــا عن حـظـوظٍ
شَفَّ نـفـسي مـنـهنَّ عـني الـصـدود
إن شَـروى عـبـدِالـعـزيـز من الـصِّـيـ
ـدِ بـذكـري بـين الأنـام يُـشـيـد
أيُّـهـذا المـذيعُ بـين الـبـرايـا
ذكـرَ مَن ملْءُ عـيـشِهِ الـتَّـنْـكـيـد
كـيف لان الـفـؤادُ مـنك بـأرضٍ
أنجـبَـتْكَ الـلَّـيـانُ فـيـهـا فَـقـيـد
ولـعَـدوى الـبلاد بـالـيُـبْسِ والـلَّـ
ـينِ بـنـيـهـا تـغـلُّبٌ مـشـهـود

✡✡✡✡✡

أنـا مـا زلتُ في الـكـويتِ أُغَـنِّي
كلَّ صـوتٍ يَـشْـجى به الجُـلْـمـود
وهيَ تـزداد قـسـوةً فـغـنـائي
لـشـقـائي تـتـمَّـةٌ ومـزيـد
فـكـأنَّ الـكـويتَ مـا دمتُ فـيـهـا
قـفصٌ فـيه بـلـبلٌ غِـرِّيـد
أيـأسـتـني من أن تَـرِقَّ لحـالٍ
شـاب مـنـهـا عـلى شـبـابي الـفُـود[1]
جَـهِـلَتْ حـقِّيَ الـكـويتُ فـلم يُـو
لِ الـتـفـاتًـا مـنـهـا إلـيه الجِـيـد

---

(١) الفود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الفاء لضرورة القافية.

وعــلى جَــهْــلــهــا المــضِــرِّ بــحــقّي

تــتــلــظّى عــلــيَّ فــيــهــا الحُــقــود

فــكــأني عــمّــا لَــهــا من حــقــوقٍ

طــاردٌ طَــوْعَ مــطــمــعي لا طَــريــدُ

فــبــهــا الــيــوم بــين كــيْــدٍ وأيْــدٍ

تــلــتــقــيــني ثــعــالبٌ وأُسُــود[1]

فــنــصــيــبي مــنــهــا الــتــوقُّعُ للإيـ

ـــذاء يــومي ولــيــليَ الــتــســهــيــد

وصَــمَــتْــني حــتى بِــجَــحْــدِ إلهٍ

مــا تــمــشّى له بــبــالي الجُــحــود

ويــقــيــني - بــأن ربّي مُــديــلي

من ذوي الــظــلمِ - عُــدَّتي والــعــديــد[2]

فــرجــائي عَــوْنُ الإله عَــتــادي

إذ عَــتــادُ الــقــوم الــقُــوى والــنُّــقــود

ومــفــازي في عــاجــلي إن تــوانى

فــهْــوَ في آجِــلي لــديَّ أكــيــد

أنــا لــولا الإيمــانُ بــالــلــه وافَى

نــارَ مَــحــيــايَ من هُــبُــوبي الخُــمــود

فــانــتــحــاري - لــولا يــقــيــني - خــيــرٌ

من حــيــاةٍ لا تــرتــضــيــهــا الــقُــرود

كــيف يــحــيــا لــولا الــيــقــينُ ضــعــيفٌ

نــابَــذَتْهُ عُــمــورُهــا والــزُّيــود

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكرة له عليهم.

لستُ أدري لِمَ الكويتُ نَبَتْ بي
وقَريضي تاجٌ لها وعُقود

ومن البِدْعِ أنني لستُ أهوى
صَرْمَها وهيَ للأديبِ تَكيد

فكأن الأديبَ فيها مقيمٌ
حَشْوَ أطمارِهِ النزيهةِ سِيد

ربما سَوَّلَتْ ليَ النفسُ مَنْأَ
ها إلى ما تُقيمُ فيه الصِّيد[1]

فثناني عن أن أغادرَ أرضي
عهدُ حُبٍّ لها لديَّ عَهيد

لا تسَلْني أنا أحِبُّ بلادًا
أُسُّ تَعسي مُذ كنتُ فيها وَطيد

فجوابي على سؤالِكَ لا المَنْـ
ـقودُ عندي ولا هو الموعود

إن سِرَّ الغرام بالشيءِ ما كا
نَ لشَمْلِ الأسى به تَبْديد

وغَدا فيه للسرورِ حياةٌ
وسروري في موطني مَوْءود

فإذا بانَ سِرُّ حُبٍّ مُحِبٍّ
تَيَّمَتْهُ تَهائِمٌ أو نُجود

فغرامي بموطني دونَ فهمي
سِرَّهُ حال من شقائي سدود

---

(١) الصِّيد: جمع أصيد، وهو من يرفع رأسه كبرًا، وهنا يريد بالصيد العظماء.

بـــا بلادًا فـــيـــهـــا الـــفـــقـــيـــرُ يُـــعـــانـي

مـــــا يـــــعـــــانـي في نـــــارِهِ نَـــــمـــــرود

لـــيتَ فـــيكِ الجُـــدودُ أسْـــعَـــدْنَ أوْبًـــا

لـــيـــتَـــهـــا فـــيك مـــا نَـــمَـــتْـــني الجُـــدود

فـــالأســـاسُ الـــذي عـــلـــيه شـــقـــائي

قـــام أنّي بـــفـــاقـــتي مَـــصْـــفـــود

فـــيكِ والـــفـــقـــرُ عـــنـــد أهـــلـــيكِ ذَنْبٌ

مـــا لـــسُـــبْلِ اغـــتـــفـــارهِ تـــمـــهـــيـــد

فـــلـــفـــقـــري ظَـــلَـــلْتُ فـــيكِ كـــأني

دون جُـــرْمٍ طـــريـــدُ جُـــرْمٍ شَـــريـــد

****

تَسَلَّيْ يا نفسُ

كــنتُ لــو لم أعَــلِّلِ الــنــفسَ مِــمَّنْ
غَــيَّــبَتْ مــنــهمُ الجــســومَ الــلُّــحــودُ
غــيــرَ أني أقــول لــلــنــفسِ مــا ضــا
قَ عــلــيــهــا خــنــاقُــهــا المــشــدود
إن هــذا الــوجــودَ يــا نــفسُ يمــحــو
هُ ســواهُ عَــمّــا قــلــيلٍ وُجُــود
وزمــانُ الــوجــودِ هــذا إلى جَــنْــ
ـبِ زمــانِ الــوجــودِ ذاكَ زَهــيــد
فــلــعلَّ الــذي يُلاقي شــقــاءً
مــســتــمــرّاً هُــنــا، هــنــاكَ ســعــيــد
فــلــئن كــنتَ في دُنــاكَ قَــعــودًا
مــثــقلاً بــالــشــقــاءِ مــنه الــقُــتــود
طــاويًــا مِن دُنــاهُ بــالــعِبءِ مــا لَم
تَــنْــأَ مــنه عــلى الــطَّــواةِ الجُــدود
فــمن الــعــدلِ بــعــد طَيٍّ مَــداهُ
يــحــملُ الــثِّــقْلَ أن يُــراحَ الــقَــعــود
وعــلى عَــدْلِ من كــمــا شــاء كــنّــا
كلُّ شيءٍ كــمــا عــلــمتَ شَــهــيــد
فــإذا مــا رأيتَ مــقــصــودَ نَــعــمــا
ءٍ تَــوالى عــلــيه مــنــهــا وُفــود

ثم أبصرتَ حولَ ذاك مُقِلاً
قد عَداهُ في الدهر عيشٌ رغيد
فشبيهانِ بائسٌ وغنيٌّ
في وجودٍ به استحالَ الخلود
ثم لم يعلمِ المقيمون فيهِ
أقصيرٌ مقامُهم أم مَديد
وهَبِيهِ يطولُ فالطولُ منه
عن ثمانين غالبًا لا يَزيد
وهي تمضي كما استمرَّت أو استَحْ
لَت خيالاً تخيَّلَته الرُّقود
فإذا ما انقضت تَساوى النقيضا
نِ سعيدُ الحظوظ والمنكود
بل ترين الفقيرَ أحسنَ حالاً
حين يغدو بالنفْسِ كلٌّ يَجود
ذاك أنَّ الفقيرَ ينحلُّ عنه
قيدُ حزنٍ بقلبه معقود
وحليف الثراء ينجابُ عنه
ظِلُّ أُنْسٍ من فوقِه ممدود
وهَبِي أن ذلك الرأيَ منّي
في التسَلّي ينالُه التفنيد
أينالُ التفنيدُ أن يتساوى
في التراب المحدودُ والمجدود
إنَّ هذي القبورَ فيها ملوكٌ
سبَقونا إلى البِلى وعَبِيد
فتسَلَّيْ يا نفسُ أو فأريني
ما بِه فات عَبْدَهُ المعبود

واسـألي الـدودَ والـبِـلى مـا اسـتـبـاحـا

مـنـهـمُ، يـخـبـرِ الـبِـلى والـدُّودُ

اسـتـبـاحـا تـفـاوُتَ الـقـومِ حـتى

لا سِـمـاتٌ لـهـم ولا تحـديـد

فـالـورى في قـبـورهـم لـيس فـيـهـم

حـاسـدٌ مـيـزَةً ولا محـسـود

لـو تَـقَـرّى المـاضـين فـكـرةُ مُـثْـرٍ

يـزدهـيـهِ ثـراؤُهُ المحـشـود

فـهـو طـوعَ الـغـرور يمـلـكُ عِـطْـفَـيْـ

ـهِ اخـتـيـالاً - إذا مـشـى - الـتَّـأويـد

فـكـأنَّ الـفـتى لـفَـرطِ الـتَّـبـاهي

في حُلاهـا اخـتـالت فـتـاةٌ رُودُ

لأُديلَ الـتـواضُعُ الـدَّهْـرَ من كِـبْـ

ـرٍ لـوجه الـغـنى بهِ تَـسـويـد

إنَّ كلَّ الـذين بـالمـال غُـرُّوا

غـافلٌ عن مـآله أو بـلـيـد

كـيف يمـشي فـوق الـصـعـيد اخـتـيـالاً

مـشـيـةً يـجـتـويه مـنـهـا الـصَّـعـيـد

من دَرى أن جـسـمَهُ من طـعـامٍ

لـلـصـعـيـد الـمُـقِـلِّهِ[1] مَـعـدود

أيُّـهـذا الـمُـدِلُّ بـالمـال مـهلاً

إن أمَّ الـمَـنـونِ بـعـدُ وَلـود

وهي حـبـلى يـكـاد يـحـبـو إلـيـهـا

(١) المُقِلّه: الذي يقله. أي يحمله.

في ذَراكَ الــمَــخــاضُ والــتَّــولــيــد

فــإذا مــا أتت وحــتــمًــا ســتــأتي

بــولــيــدٍ به الــبــشــائــرُ ســود

مِن نَــعِيٍّ به يُــسَــرُّ الــمُــعــادي

ونُــــواحٍ به يُــــســــاءُ الــــوَدود

بَــزَّ مــنكَ الــبــشــيــرُ بُــشــراهُ قَــسْــرًا

وهــي ممــا أتــاهَكَ الــتَّــجــريــد

لا تُــعــالجْ بــالمــال كــسْــرَ فــؤادٍ

من فــقــيــرٍ فــمــا لمــالٍ عــهــود

وهَبِ المــوتَ قــد تــأتَّــاكَ حــيــنًــا

حــاصــدًا أيُّــهــا الــهــشــيمُ الحَــصــيــد

فــلــيــالــيكَ شــيــمَــتــاهــا قــيــامٌ

بــالــفــتى تــارةً وأخــرى قُــعــود

وتــأمَّلْ فــإن أحــوالَ من حَــوْ

لَكَ طُــرّاً لــقَــوْلَــتي تــأيــيــد

فــلــئن كــان وِرْدُكَ الــيــومَ رِفْــهًــا

كلُّ حــوضٍ عــنه الــفــقــيــرُ مَــذُود

فــلــقــد تَــطْــرُقُ الــعــوادي بمــا يَــنْـ

ــبَتُّ فــيه ممــا تــروحُ الــوريــد

فــإذا بــالحِــيــاضِ مــنــهــا يُــواتي

مــاضيَ الــفَــقْــرِ كــيف شــاءَ الــوُرود

وإذا بــالــصَّــدِي الُــمــلِحِّ تــلــظَّى

مــن حــديثِ الإمــلاقِ مــنــه وَقُــود

كم رأيــنــا من بــيتِ يُــسْــرٍ مــنــيعٍ

ظلَّ مــا ظَلَّ وهــو عــالٍ مَــشــيــد

ســاكِــنــوهُ لم يَــشْــكُــهُمْ مــنــذ حَــلّــوا

جـــانِـــبَـــيْهِ مـن ريحِ أُنْسٍ رُكـــود

كلُّ شيءٍ ممـــا يُـــجِـــدُّ ســـرورًا

وارتـيـاحًـا في سـاحـتَـيْهِ عَـتـيـد

ثـم لمـــا طَــــغى ذَوُوُه وتـــاهـــوا

خَـرَّ مـنه الـذُّرى وخـانَ الـعَـمـود

فـإذا الـبـيتُ عِـبْـرَةُ الـدهـرِ يـشـفي

واعـظًـا مـنه ركـنُهُ الَـمـهـدُود

وكـأنّي من صِـفـرِ كَفّ تـأتّى

عـنه حـيـنًـا مـا يـشـتـهي ويُـريـد

مـــر حـــين لـه ولـم تـــر فـي كَـ

ـفَّـيْـه ممّـا به يُـعـاشُ زنُـود

كلُّ زنـــدٍ يُـــوري بـــكفٍّ سِـــواهُ

هـو في راحـتـيهِ كـابٍ صَـلُـود

كـابَـدَ الـعُـرْيَ والمجـاعـةَ حـتى

مُـنْـيَـتـاهُ عـبـاءةٌ وثَـريـد

كـلـما الـلـيل جن جن طـواه

صـائـحًـا مـا لمن صَـحِـبْتُ هُـجـود

وإذا مـا غَـدا غَـدا يُـسـمِعُ الـصُّ

ـمَّ قـلـوبًـا قـمـيـصُهُ الَـمـقـدود

ثم لمـا أن أَوْشَكَ الـيـأسُ يمـضي

حـكـمُهُ في رجـائه ويَـسـود

أدركـته مـغـيـثـةً رحـمـةُ الـلـ

ـهِ فـأضـحى يـخـضَـرُّ مـنه الـعُـود

فـرأى يـابِسَ المـعـيـشـةِ رطـبًـا

وذمـيمَ الحـيـاةِ وهْـوَ حَـمـيـد

أوحد الظباء

يَــــروعُ فــــؤادي بـــالجَـــفـــا من أوَدُّهُ
إذا لم يَــــرُعْ مـــنه فـــؤاديَ بُـــعْـــدُهُ
وبُــعــدُ حــبــيب الــنــفس يــقــتلُ وحــدَهُ
فــكــيف إذا مــا ظــاهَــرَ الــبُــعْــدَ صَــدُّه[1]
فــمــا سَلَّ ســيــفًــا صــارمًــا من صــدودهِ
فــكــان ســوى قــلــبي المــعــذَّبِ غِــمــدُه
ولا شَــحَــذَتْ أيــدي تَــنــائــيه صــارمًــا
فَــقَــدَّ ســوى أحــشــاءِ صــبــرِيَ حَــدُّه[2]
ومَن كــان بــالــظــبي الــنَّــفــورِ غــرامُه
فـــأتـــعسُ جَـــدٍّ في الـــبـــريَّـــةِ جَـــدُّه
تــلَــوْتُ بِــعَــيْــنَيْ مــســمَــعي صــورةَ الــبَــهــا
بـــلـــفظٍ له مـــنه تـــكـــوَّنَ عِـــقْـــدُه
فـــآمَن قـــلـــبي أنَّهُ أوحَـــدُ الـــظِّـــبـــا
جَـــمـــالاً وأنْ قـــد عَـــزَّ فـــيـــهنَّ نِـــدُّه[3]
غـــزالُ صـــريمٍ في الـــكـــويتِ كِـــنـــاسُهُ
وقَـــيْـــصـــومُهُ بـــين الـــضـــلـــوع ورَنْـــده
فمن روضِ حُسْنِ الصَّبْرِ في القلبِ رَعْيُهُ
ومن مـــا عَـــزائي في الجـــوانح وِرْدُه[4]
تَـــواصَلَ مـــنه الـــوصلُ لي قـــبلَ عـــلـــمِهِ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

بـأني عـلى حُـكمِ الـصَّـبـابـةِ عَـبْـدُهُ

فـلـمّـا درى أَوْرى لَـظى الـهـجـرِ واغـتـدى

يُــعــذِّبُــني فــيــهــا كــأنِّيَ ضِــدُّه

وأشــفَـعُ من شــعــري إلــيه بــشــافعٍ

عــلى كلِّ ظــبيٍ غــيــرِهْ عَــزَّ رَدّه

وأُرسِــــلُـهُ مَـعْ كلِّ نَــــدْبٍ إخــــالُهُ

يَــهــونُ له حــتى من الــبَــدْرِ قَــوْدُه[1]

فــيــرجِعُ مــنه خــائبَ الــسَّــعْيِ قــائلاً

غَــزالُكَ هــذا لــيس يُــمــكِنُ صَــيْــدُه

ســعَــيْــنــا له في كلِّ مــنــهجِ حــيــلــةٍ

لــصَــيْــد ظــبــاءِ الإنسِ كــنّــا نُــعِــدُّه

وقــلــنــا إذا لم تــشف صَــقــرًا بــزورةٍ

فــمن وَجْــدِهِ الــذاكي ســيَــحــويه لَــحْــدُه

فــقــالَ دَعُــوهُ يَــدَّعي الحُبَّ كــاذبًــا

وكــيف إلى الأعــمى تَــسَــرَّبَ وُجْــدُه

طــريقُ الــهــوى لــلــمــرء رؤيــةُ عــيــنِهِ

ونــهجُ هــوى صــقــرٍ عَــمــاهُ يَــسُــدُّه

وإن لم يَـمُتْ في الحب صـقـرٌ كـمـا ادَّعى

فَـمُـسْـتَـحِـكمُ الإعـسـارِ سـوفَ يَـهُـدُّهُ

****

---

(١) صفدتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.

ذكرى مولد الرسول (ﷺ)

رَفَعَ الـــلـهُ مـــجـــدَ بـــيتِ الـــضّـــادِ
وذَوِيـــهـــا مـــنهُ بـــخـــيـــرِ عِـــمـــادِ

فـــعـــلـــيـــهِ مع الـــصَّلاةِ سلامٌ
فـيه يُـمْـلـيـهِـمـا جـمـيلُ اعـتـقـادي

سَـيِّـدَ الـرُّسْلِ كـلَّـمـا رُمْتُ مَـدْحًـا
لـك أرجـــو بـه صـلاحَ مَـــعـــادي

وتـــأهَّـــبْتُ لـــلـــدُّنُـــوِّ إلـــيـهِ
بـــقـــوافٍ مـــا مِـــلْنَ عن إنجـــادي

صَـــفَّـــدَتْـــني يَـــدا قُـــصـــوريَ عـــنهُ
فـأنـا عـنهُ مِـنـهُـمـا في صِـفـاد[1]

لـيس في حَـلْـبَـةِ الـثَّـنـاء عـلـى مَـجْـ
ـدِكَ أهلاً لـلـجـرْيِ مـثلُ جِـيـادي

وكـفـاني بـالـعَـجْـزِ عـذرًا مـبـيـنًـا
وعـلـيـه يـومَ الـلـقـاء اعـتـمـادي

فـاعفُ واصـفَحْ فـأنت لـلـعـفـو والـصَّـفْـ
ـحِ لمـثـلـي في الـنـاس خـيـرُ جَـواد

هـــذه لـــيـــلـــةُ الـــوِلادِ وفـــيـــهـــا

---

(١) يريد: يغبر ويسود.

(٢) الإسعاد: الإعانة والمساعدة.

(٣) مبير: مهلك.

(٤) بسل: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

لك يـــشــــدو بمــــدحـــــةٍ كلُّ شــــاد

ولِــعَــجْــزي عــنه جَــعْــلَتُ إلى الــصَّــمْــتِ بــرغــمي بــينَ الــشُّــداةِ اســتــنــادي

أنـــا مـــا زلتُ من هـــمـــومِيَ أسْــــري

تحت لـــيلٍ يَـــرْبَـــدُّ كلَّ ارْبِـــدَادِ[1]

وَرَضِيُّ الــقــريضِ لــلــشــاعــر الــمَــهْــمــومِ مـــا كـــان قَطُّ ذا إســـعـــاد[2]

فـــإذا مـــا أذِنْتَ لي بـــالـــتَّـــشَـــكِّي

من هـــمـــومٍ عَـــلَيَّ ذاتِ احـــتِـــشـــاد

فَـــشَـــكـــاتي إلـــيكَ من كلِّ مُـــغْـــوٍ

ومُـــضِلٍّ بـــاغي المـــقـــالـــةِ عَـــادِ

قـــد أضَـــلُّـــوا بـــاسمِ الـــديـــانـــةِ ممَّن

جـــــهِـــــلـــــوا كلَّ رائحٍ أو غـــــاد

كم أمــاتــوا لــكي يــعــيــشــوا نــفــوسًــا

لم تَـــزَلْ بَـــعْـــدُ حَـــيَّـــةَ الأجـــســـاد

فــادْعُ يــا خــيــرَ مُــنــقِــذيــنــا عــلــيــهِمْ

بـــزوالٍ يَـــعُـــمُّـــهُمْ ونَـــفـــاد

مـــا لجُـــرحِ الـــعـــروبـــةِ الـــيـــومَ - إلاّ

أن يَــزولــوا عن وجــهِــهــا - من ضِــمــاد

لم يـــكن قـــومُكَ الـــكـــرامُ عـــلى جـــهْــلٍ مـــبـــيـــرٍ لـــولا هُمُ في تـــمـــاد[3]

أَوْهَـــمـــوهُم بـــأنَّ وِرْدَ حِـــيـــاضِ الـــعِــلْمِ بَــسْلٌ ديــنًــا عــلى كلِّ صــاد[4]

فــغَــدا الــقــومُ مــنــهمُ في اقــتــرابٍ

(١) عز: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.

ومن العلمِ كُلِّهِ في ابتعاد

وإذا العِلمُ لم يَشِعْ بين قومٍ
شاعَ فيهم هَلاكُهُمْ باطِّرادِ

كلَّما قام مخلصٌ ينصحُ النّا
سَ ويهديهمُ سبيلَ الرشاد

مُتَوَخٍّ نَشْرَ العلومِ وإطلا
عَ شموسِ العلومِ فينا الهَوادي

كاشفٌ عن فوائدِ العلمِ مبدٍ
كلَّ ما الجهل معقبٌ من فساد

طالبٌ أن يُحارَبَ الجَهْلُ بالعِلْـ
ـمِ مُجِدٌّ في نُصحِهِ ذو اجتهاد

كَفَّرَتْهُ عمائمٌ قَرَّبَ الجَهْـ
ـلُ إليها مِنّا بَعيدَ المُراد

فهي تخشى إذا استَنَرْنا عُقولاً
فَوْتَ خافي أغراضِها والبَادي

تَتّقي أن يُحَرِّرَ العِلمُ مَنْ ألـ
ـقَوْا إليها لجهلِهِم بالقِياد

وانقيادُ السَّوادِ منّا إليهـ
ـنَّ لعَمري من مهلكاتِ السَّواد

وقدِ انقادَ جاهلاً فَاجْرِ يا دَمْـ
ـعِي عليه حزنًا وَذُبْ يا فُؤادي

فَرَّقَتْنا تلك العمائمُ حتى
أيأسَتْنا من أُلْفَةٍ واتّحاد

---

(١) العسجد: الذهب.

وإذا عَـــزَّ الاتِّـــحـــادُ بَـــنـي الـــعُـــرْ

بِ عَـدَتـهـمْ عن الحـيـاةِ الـعَـوادي[1]

أصـبحَ الـيـومَ حـامِـلـوهـا عـلـيـنـا

لـلـزمـانِ الـعـادي من الأجـنـاد

قـسَّـمـونـا بـاسم الـديـانـةِ أقـسـا

مًـا لـيَحْـظَوْا بـالـعسجَدِ الـمُستَفـاد[1]

ثم قـالـوا كـذلكَ الـدِّينُ والـدِّيـ

ـنُ بِـوادٍ والـكلُّ مـنـهم بِـوادِ

أبِـلَـيْلِ الـتـفـرُّقِ الـدِّينُ يَـبْـغي

مِن ذويهِ دوامَ مُـرْدي الـرُّقـاد

لا لـعَـمـري بل الـديـانـةُ تـقـضي

بـاجـتـمـاع الأحـزابِ والأفـراد

مـا أتى الـدِّينُ نـقـمـةً وهـلاكًـا

بل حـيـاةً ورحـمـةً لـلـعـبـاد

أحَـيـاةُ الأقـوام مـا اسـتـثـمـروهُ

من بـذورِ اجـتـمـاعـهم والـوِداد

أم تَـرَوْنَ الحـيـاةَ فـيـمـا جَـنَـوْهُ

من مَـجـاني شَـتـاتِـهم والـتَّـعـادي

أيُّ شـعبٍ إذا تَـنـافَـرَ لم يَـشْـ

ـكُ انـتـقـاصَ الحـيـاة بـعـدَ ازديـاد

فـإلى الـوحـدة الحـمـيـدة عُـقْـبَى

نَـادِ يـا مُـصـلحَ الـعـروبـةِ نَـاد

---

(١) ورى الزند وريًا: اتقد.

(٢) النآد: الداهية.

(٣) الرقاق الحداد: يريد بها السيوف.

فهي بعدَ الإله خيرُ كفيلٍ
بــبلوغِ المُنى وخيرُ عَتاد[٢]
هل رأيتم لأمةٍ في المَعالي
قبلَ جَمْعِ القلوبِ وَرْيَ زِناد[١]
نحنُ أبناءُ يعربٍ لو عَقَلْنا
إخوَةٌ في الرجوع للميلاد
والمَعَدِّيُّ يَعْرُبيٌّ على حا
لَيْ رَخاءٍ من دهرنا واشتداد
وعلى الإخوةِ الكرام التَّصافي
لا التنافي كسائرِ الأضداد
فعَلامَ افتراقُنا وإلى ما
نحنُ نشقى منه بكلِّ نَآدِ[٢]
جاءنا الدِّينُ جامعًا لا مُشتِّتاً
فاجمَعونا فالجَمْعُ أصلُ السَّداد
وانقُدوا كلَّ قائلٍ بافتراقٍ
تعلموا زَيْفَهُ لدى الانتقاد
فهو إمّا يُعَكِّرُ الماء حتى
يتسَنّى له طريقُ اصطياد
أو غَبيٍّ والكلُّ من ذا وهذا
ليس إلا إلى المهالِكِ حَادِ
فانصحوهم فإن أنابوا وإلا
فتَوَقَّوْا أخطارَهُم بالجهاد

(١) صقر قريش هو عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

(٢) طير الأيادي يكنى به عن النقود.

جَـــــرِّدُوا كلَّ مِـــــقْـــــوَلٍ ويَــــــراعٍ

لـــستُ أدعـــو إلى الـــرِّقــاقِ الحِــداد[٣]

وأبــيــنــوا لــلــنَّشْءِ مــا هُمْ عــلــيهِ

من ضلالٍ وحِـــــطَّــــةٍ وعِـــــنــــاد

فـــعـــلى كلِّ ذي حِـــجًى وبـــيــانٍ

تَـــبِـــعـــاتُ الحـــيــاةِ في الأولاد

وبـــقـــاءُ المـــضَــلِّــلِــينَ شـــقـــاءٌ

لِـبَـنـيـنـا، وبَـعْـدُ في الأحــفــاد

ولـــكلٍّ مـــنــا ومـــنــهم ولا شَـ

ـكَّ جَــزاءُ الإلهِ بـــالمـــرصـــاد

فـــهـــو عَـــدْلٌ وعَـــدْلُهُ لا يُـــســاوي

بـــين أهلِ الإغـــراءِ والإرشـــاد

إنمـا كـانتِ الـعـمـائمُ عُـنْـوا

نَ المـــعـــالي والمجـــدِ في الأجـــداد

يـوم كـانـوا مـلـوكَ هَـدْيِ الـبـرايـا

في دمـــشقٍ وبـــعـــدُ في بـــغـــداد

وبلادٌ زَهَتْ بـــصـــقـــرِ قـــريشٍ

يــومَ تحــلــيــقِهِ بــتــلك الــبِلاد[١]

فَـثَـنَـتْـهـا غُـواتُـنـا الـيـوم لا عـا

شوا فخاخًا لصيد (طَيْرِ الأيادي)[٢]

نـــافَـــسُـــوا كُلَّ أيِّمٍ ويـــتـــيمٍ

وكـسـيـرِ الـرِّجـلـينِ والأعـضـاد

في ســؤالِ الــزكــاةِ والــرِّفْـــدِ من كُـ

ـلِّ مُـــزَكٍّ وكُـلِّ ذي إرفـــاد[٣]

أقـويـاءٌ عـلى الـتَّـكَـسُّبِ لـو شـا

وُوا لــكــانــوا كــســائــرِ الأمْــجــاد

ومِـن الــــعــــارِ والأثــــامِ عـــــلى مَن

لم يُــغِــثْهُ الــزَّمــانُ بــاســتــعــداد

أن تــــراه كــــغــــيــــره من ذوي الــــعــــا

هــــات في مَــــدِّهِ يَــــدَ اســــتِــــمــــداد

لا تــلــومــوا عــلــى الــعــمــائمِ من صــا

لَ بــجــنــدٍ من الــقَــوافي الــشِّــداد

رفَــعــوهــا عــلــى الــرؤوس لــكــيــمــا

يــضــعــونــا بــعــد الــرُّبــا في وِهــاد

فــبــأيــدي الــعِــدا لــكلِّ غــراسٍ

من عُلانــا كــانــوا أداةَ حَــصــاد

نــحن لــولا شُــرورُهُمْ مــا غــدَوْنــا

لــســيــوف الــعِــدا من الأغــمــاد

كــلــمــا صــالَتِ الأعــادي عــلــيــنــا

مَــهَّــدوا بــالــشِّــقــاق طُــرْقَ الأعــادي

مــا وجــدنــا وقــد بــحــثــنــا طــويلاً

غــيــرَهُمْ لــلــبَلاءِ من قُــوّاد

افــتَــقَــدْنــا مــجــدَ الجُــدود فــأنــبــا

نــا فــصــيــحًــا لــســانُ كلِّ افــتــقــاد

أنَّ ركنَ المجــدِ الــذي شــيَّــدوهُ

هَــدَمَــتْهُ عَــمــائِمُ الأوغــاد

وعــجــيبٌ أن نُــحْــسِنَ الــظَنَّ حــتى

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سابغ طويل، والضوافي: السوابغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكساء.

نَـــتَـــظَـــنّـــاهُمُ مِنَ الـــزُّهّـــاد

ادَّعَـــوْا أنـــهم لـــتـــثـــبـــيتِ دينِ الـ

ـــلَّه فـــيـــنـــا كـــانـــوا من الأطْـــواد(١)

فـــهَلِ الـــدينُ رَدُّ كلِّ جَـــمـــيـــعٍ

مِن بـــنـي قـــومِـــنـــا إلى آحـــاد(٢)

مـــثل مـــا يـــشـــتـــهي الـــعَـــدُوُّ إذا مـــا

شـــاءَ وضْـــعَ الأغلال في الأجـــيـــاد

وهَلِ الـــدينُ بَـــذْرُ كلِّ شِـــقـــاقٍ

مـــثـــمـــر الـــبُـــغْضِ مُـــعْـــقِبِ الأحـــقـــاد

أم تـــراهـم من ادِّعـــائِـــهِـمُ الخَـ

ـلاّبِ جَـــرّوا ضَـــوافِيَ الأبْـــراد(٣)

لـــيَـــذُرّوا في عَـــيْنِ كلِّ غَـــبِيٍّ

وبـــلـــيـــدٍ مـــنّـــا أضَـــرَّ رَمـــاد

إن آيَ الـــتـــنـــزيلِ لـــو قـــرؤوهـــا

آمِـــلي الـــوعـــدِ خـــائـــفي الإيـــعـــاد

لـــغَـــدَوْا بـــيـــنـــنـــا وبَـــيْنَ الـــتَّـــنـــافي

والـــتَّـــجـــافي سَـــدّاً من الأسْـــداد

وأعـــادوا ذوي الـــشـــمـــاتـــة بـــالـــعُـــرْ

ب جـــمـــيـــعًـــا وهُمْ من الحُـــسَّـــاد

رَبِّ فـــالـــطُفْ بـــنـــا وأيـــقِظْ ذَويـــنـــا

من مـــنـــامٍ عـــلـــيـــهمُ ذي امـــتـــدادِ

****

---

(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

كلاهما في ازدياد[1]

كلَّما زرتُكم أمَرتُم بشيءٍ
مثلُهُ يقتضي مزيدَ الودادِ

ولكم منِّيَ المودَّةُ كانت
مثلَ شكري كِلاهُما في ازدياد

ثم صاروا إلى تَناهٍ عن الإنـ
ـماءِ مُعْيٍ قصائدي وفؤادي

فإلى كَم من الجميل تُوالو
نَ أمورًا بها ملكتم قيادي

ما تركتم من منزلٍ في فؤادي
لسواكم من حاضرٍ أو بادِ

جئتُ للرِّفدِ وحدَهُ فإذا بي
منك أحظى بِمُرفِدِ وبِهاد

منذ حرَّضتَني على بذلِ جِدِّي
في تلقّي الفصحى وبذلِ اجتهادي

كان شغلي جميعُه في نهاري
بل وليلي تطلُّبًا للضّاد

ولقد ذقتُ طعمَها الحلوَ حتى
ليس إلا منالُها من مرادي

ولك الفضلُ ليس لي أن تَأَتّى
لِيَ ما رُمْتُ من لُغى الأجداد

✡✡✡✡✡

صَغَّرَ اسمَ الكويتِ من كان سَمّى
قبلَ مأتاكَ يا أبا الأمجاد

وحِجابُ الغيومِ إذا ذاك يُخفي
منك نَزْرَ الأشباهِ والأنداد

وَلَهُ الجهلِ بالمغيَّبِ عنه
حين سَمّى الكويتَ عُذْرٌ بادِ

لو درى أنها ستُشرقُ شمسًا
مثلَها اليومَ في سماء البلاد

تتعالى هذا العُلُوَّ وتُزْهي
كلَّ راءٍ بنورها الوَقّاد

لحَباها التكبيرَ غيرَ مُحابٍ
وتفادَى التصغيرَ كُلَّ التَّفادي

فَلْتَعِشْ للعُلا وللمجدِ يا (سا
لِمُ) سيفًا تخشى شَباهُ العَوادي

لم تَفُزْ قبلَكَ الكويتُ بمن لَمْ
يَرَ فيها يومًا من الأعياد

مثلَ يومٍ يَتِمُّ للضَّادِ فيه
من ظهورٍ ما تَمَّ وقْتَ إياد

حَقَّقَ الله ما تُحِبُّ فقلبي
من هواها قد هام في كلِّ واد

ستراني مُزَوَّدًا من جَناها
مثل ما تشتهي بأطيبِ زاد

فغرامي يزدادُ منها بِحُسْنٍ
لم تَنَلْ مثلَه وجوهُ الخِراد

لـــو أحَسَّ الجَـــمـــادُ مـــنه بـــشيءٍ
لـــرَأيَـــنـــا به جـــنـــونَ الجَـــمـــاد

****

(١) المين: الكذب.

يا خيالي

خيال حقيقتي بَعدي ستبقى
تُذَكِّرُ بي صِحابيَ والأعادي
فما بُغضي وإن فَنِيَتْ عظامي
بفانٍ ما رَأَوْكَ ولا وِدادي
وبين هواهمُ إيّايَ مَيْنًا
ومَقْتِهِمُ عِظاتٌ للسَّواد(١)
فَجَدِّدْ فيهمُ حُبّي وبُغضي
ككلٍّ مذكِّرٍ بين العباد
عسى تجديدُكَ الضِّدَّيْنِ يغدو
وفيه لمعشري عِظَتا رشاد
فلم يثمر سوى هذَيْنِ غرسي
مَسَاعِيَ طولِ عمري في بلادي
أبى تقديرَها وطني فصاحتْ
أغَبْنٌ مذ غُرِسْتُ إلى الحصاد
أيُجزى غارسي غَبْنًا طويلاً
أشَدَّ عليه من خَرْطِ القَتاد
وكانت صيحةً ذهبت ضياعًا
كما لو أنها انبعثتْ بِواد
فدَعْني أشتكي مكروهَ غَبْنٍ
جناهُ عليَّ للوطن اجتهادي

وعِشْ لا غَــبْنَ يُــوجِعُ مــنك قــلـــبًــا

وهـل وجَـعٌ لــــــطِـــــرْسٍ أو مِــــــداد

بـــرزتَ إلى الـــوجـــود بـــغـــيـــر حِسٍّ

فــيــا لــيــتي شــبــيــهُكَ من جَــمــاد

فـــــلـــــولا الحِسُّ لم يــــألَمْ لخَـــطْبٍ

مُـــمِضٍّ يـــا خـــيـــالي من فـــؤادي

وهل هـــذا الـــوجـــودُ ســـوى خـــطـــوبٍ

مُـــمِـــضّـــاتٍ جـــديـــدٍ أو مُـــعـــاد

وُجـــــودٌ وَدَّتِ الــــعُــــقَـلاءُ أن لــــو

بَــقُــوا في الــغــيبِ عــنه والــبِــعــاد

تَـــمَـــنَّــوْا أنـــهم لا شيء ظَـــلّـــوا

مــدى مـــا لـــلـــوجـــودِ من امـــتـــداد

فــمــنه لِلأُلى يــحـــوي جــمــيــعًـــا

تــكــوَّنَ مــصــدَرُ الــنُّــوَبِ الــشِّــداد

ووَجْهُ الــسِّـــرِّ فـــيه مـــا اجــتَـــلَـــتْهُ

أنـــاسٌ عــــنــه تــــســــأَلُ كُلَّ هــــاد

أطَـلْتُ تــطـلُّــعي طَــوْعَ اشــتــيــاقي

إلى ذاك المحَـــيّـــا الـــغَـــيْـــرِ بـــاد

فــــــلـم أرَهُ وعـــــنـه لم يُــــــتَـحْ لي

سُـــلُـــوٌّ الــيـــائــســِينَ من الـــمُــراد

****

إلى لوّامي في العزلة

إذا وَجَدَ الفتى يومًا سرورًا

بمجتمعِ الورى أو بانفرادِ

فعنهُ لا يميل وإن تَوالى

عليه لَوْمُ أَلْسِنَةٍ حِداد

وكم يومٍ سُرِرْتُ به وحيدًا

وما سَرَّتْ مخالَطَةٌ فؤادي

فعن لَوْمي إلى عُذري وإن لم

تَرَوْا لي في انفراديَ من سَداد

فما يُجدي الملامُ وقد تنافى

تمامًا مع مرادكمُ مُرادي

إذا بي عُزلَتي أفضَتْ لِغَيٍّ

فإن الغَيَّ منهاجُ الرشاد

وهل شَكَرَتْ أو استبْقَتْ صلاحًا

نفوسٌ ما شَكَتْ مَضَضَ الفساد

إذا ما الخيرُ لم يُسْبَقْ بشَرٍّ

به كان الفتى نَزْرَ اعتِداد

وما في النوم من طعمٍ لذيذٍ

لعينٍ لم تَذُقْ طعمَ السُّهاد

وفضلُ الماءِ لا يبدو لمن لم

(١) المحيا: الوجه.

يَـــــرِدْ مـــــنه زُلالاً وهـــــو صـــــادِ

فـــإن نــفــسي أضَــلَّــتــني صــوابي

فــمــا لي غــيــرَهــا من بَــعْــدُ هــادِ

فـــمـــا هِيَ في يَـــدَيْ هـــادٍ ســـواهـــا

إلى مـــا شـــاء تـــاركـــةٌ قـــيـــادي

ولـــيـــستْ في الحـــيـــاةِ إلى دلـــيلٍ

ســوى تجــريــبــهــا ذاتَ انــقــيــاد

فـــعـــمّـــا ســـاء من أمـــرٍ لمـــا لَم

يَــسُــؤْهــا سَــيْــرُهــا بي في اطِّــراد

ولـــيس لـــتَـــرْكِ أمـــرٍ أو لـــزومٍ

له مـــثلُ اخــتــيــار الــنــفسِ حــادِ

وهل حَــسُنَ الــقــرارُ عــلى الــروابي

لمن لم يــخــبُــروا قُــبْحَ الــوِهــاد

دعــوا نــفــسي وعُــزْلَــتَــهــا إلى أن

تــرى فــيــهــا مُــحَــيّــا الــضُّــرِّ بــادِ[1]

وحــيــنــئــذٍ تــكــون كــمــا أردتم

مــلازِمَـــةَ المجـــامعِ والـــنّـــوادي

****

العزلة

وجدتُ الإنفرادَ يُريحُ نفسي
فملتُ بجملتي للإنفرادِ
فررتُ من اجتماعاتِ البرايا
وبي منهنَّ موجِعةُ الفؤاد
ولا تَنْقِمْ عليَّ البُعْدَ عنهم
فنفسي استعذَبَتْ ثَمَرَ البِعاد
وخُذْ لكَ غيرَ منهاجي سبيلاً
فلستُ لعاذلٍ طوعَ القِياد

****

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

الفضل فضل البادي[1]

شُكري أكرِّرُهْ لعبدِ الهادي
فعليَّ منه اليوم فضلٌ بادِ
سَبَقَتْ زيارتُهُ مَحَلّي زَوْرَتي
لمحَلِّهِ والفضلُ فضلُ البادي
ما كنتُ أحلُمُ أن أفوزَ بزَوْرَةٍ
منه لِهُونِ مكانتي ببلادي
لكنْ حَداهُ إليَّ فَرْطُ مروءَةٍ
وكفى بها نحوي له من حادِ
إن الكويتَ أديبُها في شِقوةٍ
ممتدَّةٍ ليست بذاتِ نَفاد
فكأنه فيها لطولِ شقائهِ
في نارِهِ «فرعونُ» ذو الأوتاد
فهَلِ الأديبُ كذا بكلِّ مكانةٍ
«مِصْرٍ» عرينِ الأُسْدِ أو «بغدادِ»
إن كان هذا فالمؤَدَّبُ حَقُّهُ
تطويقُ لَبَّتِهِ بِحَيَّةِ واد
كيلا يعودَ يبثُّ من آدابِهِ
شيئًا بمجلسِ معشرٍ أو ناد
هيهاتَ ما تلك البلادُ مُضِيعَةٌ
حَقَّ الذي يُعْلي لواءَ الضَّاد

لــكــنــمــا وطــنـي – ولــستُ بــقــائسٍ
بــلــدًا به – عن مُــشـــبِــهي بِــرُقــاد
مــا كـــان حَــقّي أن أُطــيلَ بمــوطــني
ذي الــرِّيِّ شــكــوى ذي الأُوامِ الــصّــادي
لـــو قـــام للأدبـــاء فـــيـه مُـــقـــدِّرٌ
يـــضـعُ الـــهـــجـــينَ وراءَ كُلِّ جَـــواد

****

(١) تربط الشاعر صقراً بحافظ وهبة صداقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالمملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيراً، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

قيوده عماه[1]

أحافظَ وهبةٍ قد كِدْتُ آتي
إليك مُسلِّمًا لولا قيودي

مَجيئي للسلام إليك حَقٌّ
ولستُ أُجيزُ عن حَقٍّ قُعودي

ولكنْ بي قيودي مائلاتٌ
إلى ما أشتهي عنه مَحِيدي

فبي مالَتْ قيودي مُرغِماتٌ
لإخلالي بواجبِيَ الأكيدِ

قيودٌ لو بها شُدَّتْ أُسودٌ
لخاف من المها ضاري الأُسُود

وقِدْمًا قد رَسَفْتُ بها طويلاً
لمودُودِ الزيارةِ أو وَدُودِ

وكنتُ بها على الرَّسَفانِ أقوى
فأضعَفَ طولُ حُمليهِنَّ عودي

فها أنا لا أطيقُ بها حِراكًا

---

(١) أودى به: ذهب به.

(٢) عضده: أعانه.

(٣) الصبب: الموضع المنحدر.

(٤) صدف عن الشيء: عدل عنه ومال. والصدى: شدة العطش.

(٥) الرواء: حسن المنظر.

(٦) البلاغ: الكفاية، أي ما يكفي.

وإن هي لم تُصَغْ لِيَ من حديد
وحَسْبي بالعَمى قيدًا مُمِضّاً
فبالصبرِ الجميل أذاهُ مُودي[1]
فكيف به إذا عَضَدَتْ أذاهُ
على الإنسان عاثِرَةُ الجُدود[2]
لعَمري لم أُرِدْ ماءً لغيري
يَطيبُ الطعمُ منه لدى الوُرود
فلم تَمزِجْهُ أيدي سوءِ حَظّي
بِمُغْرٍ عنه نفسي بالصُّدود
أحُومُ عليه حَوْمَ الطيرِ عَطْشى
فمن صَبَبٍ أظَلُّ إلى صُعود[3]
وأَصْدِفُ بعدَ طولِ الحَوْمِ عنه
وفي نفسي صداها ذو وَقود[4]
فها أنا لم أزَلْ – والكُلُّ راوٍ –
على ظَمَأٍ مُضِرٍّ بي مُبِيد
كأني في الكويتِ على رُواها
سكنتُ مفازةً حُفَّتْ بِبِيد[5]
شكوتُ إلى كثيرٍ من بَنيها
بأشعاري من البؤسِ الشديد
ولو أني حصلتُ على بَلاغي
لما أعلَمتُ بالشكوى قَصيدي[6]
فما أشكو على طولِ اشتكائي
ولو بالتافهِ النَّزْرِ الزَّهيد

(١) بعل بالشي بعلاً – كفرح فرحًا –: ضجر وتبرم ولم يدر كيف يصنع فيه.

فكنتُ كأنني أشكو احتياجًا
بَعِلْتُ به إلى صُمٍّ رُقودِ[1]
وما ذنبي سوى أني بنصحي
صريحٌ في النثيرِ وفي النَّضيدِ
فهل حَظُّ الأديب بكلِّ أرضٍ
كحظي غيرُ مأمولِ السُّعود
وهل نَحَسَتْ سِواي فتًى صريحًا
صراحتُهُ بإرشادٍ مُفيد
أفِدْني تستفِدْ خلعي رداءً
عليك من الثنا أضفى البُرود

☆☆☆☆☆

أحافِظَ كلِّ مكرمةٍ ومَجدٍ
طريفٍ حين يُذكَرُ أو تَليدِ
شكوتُ إليك والمنحوسُ يشكو
بلاياهُ إلى الحُرِّ السَّعيد
فإمّا أن يكون له مُعينًا
على إيراءِ مِقْدَحِهِ الصَّلود[2]
وإما أن يُعَزِّيَهُ وحَسبي
عزاءٌ منك بالقولِ السَّديد
أردتُ بِكِلْمَتي هذي اعتذارًا
ولستُ بها لشَكْوٍ بالمُريد
ولكنَّ الأنينَ يشوبُ قسرًا
به أقوالَهُ واهي الوَريدِ
أحافِظُ قد أضاعتني بلادي

(١) السفع: السود، جمع الأسفع.

على حفظي لها حُسْنَ العُهود

فمحمودُ العُهودِ لديَّ باقٍ
لغير بِلًى بمنظرِه الجديد

وبالمذموم أفضى من فؤادي
تَناسيهِ إلى النَّسْيِ الحَميد

أُريها من وجوهِ النُّصحِ بيضًا
بحكم هوًى لها عندي عَهيد

ولم تبرَحْ تُلاقيني بِسُفْعٍ
مخيفاتٍ من البغضاءِ سُودِ(۱)

ولستُ على إدامةِ بَخْسِ حَقي
وطولِ الغَمْطِ بالرَّجُل الجَليد

فهل لي في سِواها عن حِماها
بديلٌ من قريبٍ أو بعِيد

طَرِيدَ ضَياعها عنها سأمضي
فأيُّ الأرضِ أصلَحُ للطَّريد

فبالأقطار أَدْرَى أنت منّي
وبالأحرارِ فيها والعَبيد

سئمتُ إقامتي ما بين قومٍ
عليَّ بهم ذَكَتْ نارُ الحُقود

وما بذرتْ يَداي بُذورَ سوءٍ
فمن بَذري أقولُ أتى حَصيدي

رشيدُهُمُ يُجامِلُ بانتقاصي
وقصد إساءتي غيرَ الرَّشيدِ

فما عُذْرُ الذَّكيِّ إليَّ منهم
فإني عارفٌ عُذْرَ البَليد

****

(١) العتيد: الحاضر المعد. عتد الشيء، وعتاده: أي عتادةً، أراد بها المصدر.

لحكمة أتينا الدنيا

لــــيس فـي الأرضِ مـن طـــريقٍ يُـــؤدّي
ســالــكـيهِ أو بـعـضَـهمْ لـلـسـعـادَهْ
فــلـــهـــا اسمٌ بـــين الأنــامِ شـــهـــيـدٌ
ومُـسـمّـاهُ مُـسـتـحـيلُ الـشّـهـادَه
مـــا رأيـــنـــا إلا شـــقـــاءً عـــتـــيـــدًا
لـــبـــني الأرضِ كُـــلِّـــهِمْ أو عَـــتـــادَه[1]
وعـــلـى الـــعـــلـمِ بـــالـــشّـــقـاء تـــرانـا
نـــتـــمـــنّى من الـــبـــنـــينَ الـــزِّيـــادَه
أمُـــحِبٌّ أولادَهُ الـــوالـــدُ المـــســـ
ـــكـــينُ أمْ كـــان مُـــبـــغِـــضًـــا أولادَه
إنْ يـــكُنْ والـــدُ الـــبـــنـــين مُـــحـــبّـــاً
فـــلـــمـــاذا قـــد فَكَّ بـــاب الـــولادَه
وهـــو بـــابٌ مُـــذْ مَـــرَّ مـــنهُ إلى الـــدُّنـ
ـــيـــا تـــمـــنّى في وجـــهِهِ إيـــصـــادَه
أفـــيَـــرضـى المُـــحِبُّ أن يـــنـــظُـــرَ المحـ
ـبـوبَ يـشـكُـو من الـشّـقـاء اشـتـدادَه
أو يـــكُن حـــاقـــدًا يُـــريـــد انـــتـــقـــامًـــا
فـــســـلُـــوهُ مـــاذا نَـــمـــا أحـــقـــادَه
إنّـــمـــا يـــحـــقِـــدُ الحَـــقـــودُ عـــلـى منْ

(١) الحياوين: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

قـــــدْ راَهُمْ بــــين الــــورى أضْـــــدادَه

وبَـــنُـــوهُ في عـــالمِ الـــغـــيبِ لم يـــأ

تُـــوا بـــأمــــرٍ يــسُـــوءُ مـــنه فُـــؤاده

وإذًا لــــيس عن هَـــوًى أو لــــبُـــغضٍ

رامَ ذُو الـــتَّـــسْلِ نــــســــلَهُ وأرادَه

بـل لأمــــــرٍ أرادهُ الـــــلـهُ تَـــــمّتْ

مِن بــنِــيه إلى الــوُجُــودِ الــوِفــادَه

وإذا مـــــــــا أراد ربُّك أمـــــــــرًا

بـــــدأ الأمــــرَ قــــادرًا وأعـــــادَه

أُوجِــدَ الــوالــدُ الــقــديمُ لــســرٍّ

ســابغِ الــكــتْمِ يــقــتــضي إيــجــادَه

فـــأتى الـــوالـــدُ الـــقـــديمُ إلى الـــدُّنـ

ـيـا اضـطـرارًا كـمـا أتَـتْـهـا الجَـرادَه

ثُمّ أغـــراهُ بــــالـــتــــنــــاسُل إغــــرا

ءً إلـــيه ألْـــقى اضــــطــــراراً قــــيــــادَه

فـتَـلَـقّى الـوُجـودُ مِـنّـا مَـسـوقًـا

فَـمَـسُـوقًـا كـمـا تَـلَـقّى جَـمـادَه

وتَـــلَـــقّى أعـــلى الحَـــيـــاوينِ والأدْ

نَى وأزهـــــارَ نــــبــــتِهِ وقَــــتــــادَه[1]

فـتـرانـا نـحـيـا ونـهـلِكُ مِـثلَ الـزْ

زرعِ لاقى مـن بــــاذرِيـهِ حَـــصــــاده

بـــذرُوهُ ولم يَـــشَـــأْ ثُم قـــامـــوا

بـحـصـادٍ - ومـا اشـتـهـاهُ - أبـادَه

وأرانـــا مُـــنـــذُ الـــولادةِ حــتّى الـ

ـــــــمـــــــوتِ في لا إرادةٍ أنـــــــدادَه

لــو مــلــكتُ الــتّــصــرُّفَ الحُــرَّ لم أخْـ

ـضَعْ لـطـبـعي وقـد عـلِـمتُ فَـسـادَه

لا ولا مِـــلتُ عن طـــريقِ حِـــجـــائي

بـــعـــد عِـــلـــمِي صلاحَهُ ورَشـــادَه

لـــــيس لـي مِنْ إرادةٍ في مـــــقـــــالٍ

قِـــيل عـــنِّي أســـاءَهُ أو أجَـــادَه

مـــا أراهُ مـــؤهِّـــلـي لـــثـــنـــاءٍ

تـــقــتــضــيه لِــمن أجــادَ الــعــادَه

أو أراهُ مُـــبـــرِّرًا لانـــتـــقـــادي

من مُــمِــرٍّ لمَنْ أســاء انــتِــقــادَه

وكــقــولي جــمــيعُ فِــعــلي فــمــا تــمْـ

ـــلِكُ كــفِّي انــحلالَه وانــعِــقــادَه

إنّـــمـــا كـــانتِ الإرادةُ لـــلـــمُـــو

دِعِ - مــا شــاء - من طِـبــاعٍ عِـبــادَه

فـــإلى طـــبـــعه المُـــركّبِ فـــيه

أُعْــزُ إســرافَ مُــســرفٍ واقــتــصــادَه

لا يُــطــيقُ المخــلُــوقُ تــبــديل طــبعٍ

بـــســـواهُ وإن أطـــال جِـــهـــادَه

قــســوةُ الــصّــخــرِ لم تُــعِـدْهـا لِـيـانًـا

لــطــمـــاتُ الأمـــواجِ مـــنْهُ صِلادَه

لا ولا الــصّــخــرُ قــد ثــنى لــيِّنَ المــا

ءِ قَـــســـيّـــاً وقـــد أدام جِلادَه

كــان هــذا لحِــكْــمــةٍ واكــتــنــاهُ الـ

ـكُنهِ منـهـا أعـيـا الحِـجـا واجـتـهـادَه

ذاك مـــا لا أحُـــولُ عـــنهُ اعـــتـــقـــادًا
تـــاركـــاً كُلّ نـــاظـــرٍ واعـــتـــقـــادَه

****

(١) عراه يعروه: غشيه. والغير: الحوادث.

(٢) يعز عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كوّن الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيد تكوينه. والرفت مصدر رفته يرفته رفتًا: كسره ودقه أو جعلها جمع رفات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(١) رمَّ: صار رمة. ودثر: قدم وصار دارسًا.
(٢) الدكناء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

أدِمْ بك إيماني

أمَنْ كـوَّنَ الـكـونَ الـعـظـيمَ بمـا بهِ
من الـمدهـشـاتِ الحـائـراتِ بـهـا الـفِـكَرْ
وسَنَّ نـوامـيـسًـا عـلـيـهن قـد جـرى
قـرونًـا ملايـيـنًـا ولم تَـعْـرُهـا غِـيَـرْ[1]
وأودعَ فـيـنـا من لـطـائفِ صُـنـعه
ومُـحـكَـمِهِ مـا الـعقلُ من بـعـضِهِ انـبـهَـر
يـعـزُّ عـلـيه أن يُـعـيـد كـمـا يَـشـا
إذا أوغـلـت في رَفْـتِـهـا هـذه الـصُّـوَر[2]
أيَـبْـدَأُ من لا شـيءَ تـكـوين خـلـقهِ
ويـدركُه عن أن يـعـودَ به خَـوَر
إذا مـا اسـتـحـالَ الـعَـوْدُ فـالـبَـدْءُ مِـثلُهُ
وأرسـخ مـنه في اسـتـحـالـته مَـقَـرّ
من الـبَـدْءِ عَـوْدُ الـشـيء أدنى صـعـوبـةً
بـحكم الـنُّهى فـاسـأَلْ نُـهـاك عن الخَـبَر[3]
ومن عـجَبٍ إقـرارُهم بـابـتـداعِه
بـدائعَ من لا عـينَ قـبلُ ولا أثَـر
وقـد أنـكـروا أن يـسـتـطـيعَ إعـادةً

---

(١) أثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعنونة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

لمـــا هـــو مُـــنـــشـــيـه إذا رَمَّ أو دَثَـــر[1]

ولـــو وَحَّــدوا الأمْـــرَيْن زال تـــعـــجُّـــبي

ولـــكـــنه لـــلـــفـــرق مـــالت يَـــدُ الـــنـــظـــر

وأعـــجبُ مـــنـــهـم من تـــرى الـــلـهَ عـــيـــنُهُ

بـــآثـــارِه من كلِّ مـــا جَلَّ أو صَـــغُـــر

ويـــصـــبحُ في شكٍّ مـــريبٍ فـــؤادُهُ

بـــإثـــبـــاتِ مَن في كل شيءٍ له ظَـــهَـــر

ولـــكن إذا مـــا الـــله أعـــمى من الـــفـــتى

بـــصـــيـــرتَهُ لم تُـــجْـــدِهِ حِـــدَّةُ الـــبَـــصـــر

فـــيـــا مَن به آمـــنتُ غـــيـــرَ مُـــقَـــلِّـــدٍ

أدِمْ بِكَ إيمـــاني بـــعـــيـــدًا عن الخـــطـــر

فـــكم شـــبـــهـــةٍ دكـــنـــاءَ جَنَّ ظلامُـــهـــا

فـــكـدتُ أضِلُّ الخَـرْقَ فـيه إذِ اعـتـكـر[2]

ولـو لم تُـنِـرْ سُـرْجُ الـعـنـايـة لـيـلَـهـا

لأفـنـيتُ فـيه الـعُـمْـرَ أسـري عـلى غَـرَر

****

(١) الإمر: الأمر العظيم الشنيع.

يقولون[1]

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح

يـقـولـون لي إنّـا عـهـدنـاكَ يـا صَـقْـرُ
إلى الـصـبـرِ تـدعـو كلَّ من أحـزَنَ الـدَّهْـرُ
وتُـوصـي بـإمـسـاكِ الـدمـوعِ ذوي الـبُـكـا
إذا مـا غـدَت تُـبـلـيـهِمُ الـنُّـوَبُ الـغُـبْـر
فـمـا لكَ قـد أصـبـحتَ أجـزَعَ جـازعٍ
كـأنكَ قـبلَ الـيـوم لم تـدرِ مـا الـصَّـبْـر
ومـا لـبـحـور الـدمعِ مَـدَّت ولم يـكنْ
لـيُـدركـهـا مـا بـين أجـفـانِكَ الجَـزْر
فـقـلتُ لـهم قـد كـان ذاكَ ولي حِـجًـا
فـزايَلَ مُـذ زالَ ابنُ سـالم الحِـجْـر
فـقَـتْلُ (عَـلِيٍّ) لم يَـدَعْ ليَ من نُـهًى
فـأعـرفُ مـا خـيـرُ الأمـورِ ومـا الـشَّـرُّ
فـإن فـاضَ دمعُ الـعـين مـني كـآبـةً
(فـلـيس لـعـين لم يـفضْ مـاؤهـا عـذر)[2]
وإن حـال مـا بـيـني وبـين جَلادَتي
أسًى كـاد أن يـنـشَقَّ من وقـعِهِ الـصَّـدر
فـمـا أنـا من يـسـطـيعُ رَدَّ يَـدِ الأسى
إذا مـا لـقـلـبي مَـدَّهـا حـادثٌ إمْـرُ[1]
ومـا بـين أحـداثِ الـزمـانِ مُـضـارعٌ

لـــــــذلك في أيـــــامهِ حـــــادثٌ مُـــــرُّ

فلا تــعــذِلــوني إن بــكــيتُ عــلى فَــتًى

بَــكَــتْهُ كـمــا أبــكي مــكــارمُهُ الــغُــرّ

فــمــا بــرِحَتْ تــرجــو الــنــمُــوَّ مــكــارمٌ

عــلى حــبِّــهــا مــنه انــطــوى نــاشئٌ حُــرّ

عـــلى أنه مـــا غـــابَ إلا وكـــلُّـــهـــا

بـــأفقِ عُلاهُ دونَـــهـــا الأنجمُ الـــزُّهْـــر

فــفي رحــمــةِ الــرحــمنِ مــنه غــضَــنــفَــرٌ

إلى مــوتهِ كــان الحــفــاظُ هــو الجِــســر

ولا بــرِحَ (الــرقــعيُّ) يــســقــيه هــاطلٌ

من الــغيثِ يحكي أدمعي فــيضُهُ الــغَــمــر

فــبــين روابــيهِ الــشــهــيــدُ ابنُ ســالمٍ

بــأيــدي الحــفــاظ الــمُــرِّ خُطَّ له قَــبْــر

بــأيــدي الــمــنــايــا كلُّ حَيٍّ ســيــنــطــوي

وإن طــال في الــدنــيــا الــغَــدورِ له عُــمْــر

ولــكنَّ حُــسْنَ الــذكــرِ لــيس بمــنــطــوٍ

طــوال الــلــيــالي يــا (عــليٌّ) له نَــشْــر

فــنم غــيــرَ مــحــزونٍ فــذكــرُكَ خــالــدٌ

حــمــيــدٌ وهل مـــاتَ امـــرؤٌ وله ذِكْـــر

ومـــا أنت من يــحــيــا حــيــاةً وإنمــا

حَــيــاتَــيْنِ تحــيــا مــا لــشــمــســهــمــا سِــتــر

حَــيــاتَــيْنِ تحــيــا يــا (عــليٌّ) شــهــادةً

وذكــرى وهــاتــانِ الــســعــادةُ والــفَــخْــر

(١) الشطر مضمن من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعين لم يفض ماؤها عذر.

هكذا صقر

أتـــيـــتُكَ ممـــا أنت جـــانـــيهِ تـــائـــبًـــا
ومـــا زال في أحـــبـــابه هـــكـــذا صَـــقْـــرُ
فـــإن كـــان يَـــرضى من أحِبُّ بـــتـــوبـــتي
من الـــذنبِ يَـــجـــنـــيهِ أتُبْ وله الـــشُّـــكْـــر
ومـــهـــمـــا اســـتـمَـرّوا عـــكسَ أمـــريَ فـالـــهوى
لـدى الـصَّبِّ يـحْـلـو فـيه أن يُعـكَس الأمـر
ومـــا دمتُ أســـتـــحـــلي الـــذي أنـــا صـــانعٌ
فـــيـــا زيـــدُ قُلْ مـــا شـــئتَ فِيَّ ويـــا عـــمـــرو
إذا المـــرء أرضى نـــفـــسَهُ وحَـــبـــيـــبَهُ
فـــلـــيس لأقـــوالِ الـــورى عـــنـــده قَـــدْر
وأهْـــنَـــأُ عُـــشّـــاقِ الـــبـــريَّـــةِ عـــيـــشـــةً
فـــتًى ســـمـــعُهُ عَـــمّـــا يُـــقـــالُ بهِ وَقْـــر
فـــمن تَـــتَـــداوَلْ ســـمـــعَهُ ألـــسُنُ الـــورى
فـــيـــوشكُ أن لا يـــســـتـــقِلَّ له فِـــكْـــر
وكلُّ امـــــرئٍ أصـــــغى إلى كُلِّ قـــــائلٍ
غـــدا كل عُـــرْفٍ وهـــو في نـــفـــسه نُـــكْـــر
فلا تـــســـتـــمعْ مـــا زَخـــرَفـــوا من مـــقـــالـــهم
فـكم زَخـرَفـوا لـلـصَّبِّ مـا ضِـمْـنَهُ الـشَّـرُّ
ومَن غُـــرَّ ممن لم يُـــجَـــرِّبْ فـــمـــا أنـــا
لـتـجـربـتي مـا يـصـنـعُ الـنـاسُ مـغـتَـرُّ

من الـنـاس مَنْ أقـصـى أمـانـيهِ أن يَـرى

لـباسَ الـعشيـقَيْنِ الـذي ينسجُ الـهَجْر

فـمـا كلُّ من أحـلى لك الـقـولَ مـخـلصٌ

ولا كلُّ إنـسـانٍ سـجـيَّـتُهُ الخَـيْـر

فـإيـاك ممـا قـيل أن تـقـطعَ الـذي

به مـنك يـومَ الحـزنِ يـنـشـرحُ الـصَّدر

فـيـا ربمـا يُـصـبـيك بـعـدَ وصـالهِ

وقـد حَطَّ مـنك الـقَـدْرَ في عـينهِ الـغَـدْر

فـتـدنـو ويـنـأى والخـيـانـةُ غِـبُّـهـا

نـدامـةُ أهـلـيـهـا الـشـديدةُ والخُـسْـر[1]

ومن عَـزَّهُ مـنـا لـقـاءُ حـبـيـبهِ

غـدا كلُّ حـلـوٍ وهـو في ذوقِهِ مُـرُّ[2]

وعـاد الـفـضـاء الـرَّحْبُ وهـو لـضِيـقِهِ

عـليه - كمـا تـقـضي قطيعـتُهُ - قَـبـر

وبـات يـرى الـدنـيـا كـمـا هيَ كـلـمـا

عـلـيه انـطـوت أيـامُـهـا نُـوَبٌ غُـبْـر

فـلـولا الـتلاقي عن هـوًى لم يـكن عـلى

مُـمِـضّـاتِ مـا الـدنـيـا تـريـد بـنـا سِـتْـر

ولـولاهُ لم تُـبْـصِـرْ عـلى أرضه فـتًى

يَـوَدُّ ويـهـوى أن يـطـولَ به الـعُـمْـر

فـمـا كـانت الـدنـيـا لِـتُـعْـمَـرَ حـقـبـةً

بـسـكّـانِـهـا لـو فـاتـهـا ذلك الـسِّـرُّ

---

(١) غبها: عاقبتها.

(٢) عزه: غلبه.

ومَن لم يَـذُقْ يـومًـا لـقـاءً عـلـى هـوًى

فـبِي من تَـحَـسِّي بـنتِ كـرمَـتِـهِ سُـكْـرُ

ومن لم يـؤدِّبهُ بـهـجـرِ حـبـيـبهِ

زمـانٌ فـبـالـهـجـرانِ أدَّبَـني الـدَّهْـر

فـعـنـديَ – مـا لم يُـبْلِ هـجـرُ أحـبّـتي

فـؤادي – لـهم عن كلِّ بـادرةٍ عُـذْر

فـإن تَـنْـفَـدِ الأعـذارُ يـومًـا ولم تَـزَلْ

إليَّ جـنـايـاتُ الأحـبَّـة تـنـجَـرُّ

لجـأتُ إلى الـصَّـبْـرِ الـذي قَطُّ لم يَـخُنْ

عـلـيـهم ولـكن عـنـهمُ خـانـني الـصَّـبْـر

حـيـاةُ الـفـتى – مـا لم يُـسَـرَّ – حِـمـامُهُ

وصـحَّـتُهُ سُـقْمٌ وثـروتُهُ فَـقـر

ولم أرَ في الـدنـيـا سـرورًا سـوى الـذي

يُـخَـيِّـلُهُ من وصلِ أحـبـابـنـا سِـحـر

فـصِلْ والْقَ مَن أحـبـبـتَهُ تَـجِـدِ الـدُّنـا

سـهـولاً وإلا فـالـدُّنـا مَـسْـلَكٌ وَعْـرُ

****

أندر شيء الحُر[1]

يـقـولـون لـي في وجـهكَ الحـزنُ قـد بَـدا
وفـيه لـنـا لاحَ الـتـضَـجُّـرُ يـا «صـقـرُ»
فـقـلـت لـهم «عـيـسى الـقُـطـاميُّ» عـازمٌ
عـلـى سـفـر فـالـقـلب مـنّي به جَـمْـر
وهل لي سوى «عيسى» إذا الضُّرُّ مَسَّني
بـلـقـيـاهُ عـني يـنـجـلي الـهمُّ والـضُّـرُّ
وهل بَـعْـدَ «عـيـسى» الحُـرِّ لي من مـؤانسٍ
وأنـــدَرُ شيءٍ في الأنـــام هُـــوَ الحُـــرُّ
ومن ذا ســواه إن شـــكـــوتُ أعـــانـــني
وإن أهْفُ وافـــاني ولي عـــنـــدَهُ عُـــذر
فــكم من جــمــيلٍ جــاءني مــنه كــاملٍ
يـحفُّ به من طِـيب شـيـمـته الـشُّـكـر
كـأني الـذي أُسْـدي الـصـنـيعَ وهـكـذا
من الـنـاس من تـزكـو خلائـقُهُ الـزُّهْـر
وكم لـــقـــطَتْ أُذنـــايَ لألاءَ لـــفـــظه
فـأهـدَتْهُ نـحـو الـصَّدرِ فـانشـرح الـصَّدْر
ولـــؤلـــؤُ لـــفظِ الحُـــرِّ أوفَـــرُ بـــهـــجـــةٍ
وأثـــمَنُ من دُرٍّ به يـــســـمح الـــبـــحـــر

****

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

أَلَـمَّا عصى «صـقرًا» علـى الظمـإ الصَّبْرُ
وأوشَكَ أن يــنــبتَّ مــنه به الــعُــمْــرُ
وعَـدْتَ بـإنـقـاع الـصَّـدى وَعْـدَ مـا طِلٍ
كــأنك تــخــشى أن يــبــوخَ له حُــرُّ[1]
فـقـدَّمتُ من شـكـري إلـيك جـمـيـلَهُ
فـلم يـلقَ تـقـديـرًا لـديك له الـشُّـكـر
أطـلتُ مــقـامي بـين يـأسيَ والـرَّجـا
وسـهلُ مـقـامِ المـرء بـيـنـهـمـا وَعْـر
فـقـد تَمَّ أو قـد كـادَ عـامٌ ومـثلُ مـا
وعـدتَ به يــكـفي لإنجـازهِ شــهــر
فـإن كـان مـا حـاولتَ بـالـوعـد حـيـلـةً
لـيـسعى بلا عـرفٍ بـشـكري لك الـشِّـعر
فـذلك أمــرٌ لـيس يـنـويه مـبـتغٍ
مـزيـد الـعُلا مـا دام في رأسِه حِـجْـر[2]
وذاك لأن الـشـكـرَ يـغـدو وحـلـوُهُ
إذا ذكَـروه حـول حـيـلـتِه مُـرُّ
وإن كـنتَ تـنـوي بـعـد مـوتي سـقـايـتي
إذا ضـمَّـني يـومًـا من الـظـمـإ الـقَـبـر

---

(١) يبوخ: يسكن ويفتر.

(٢) الحجر: العقل.

فـقـصـدُكَ هـذا مُـذْكِـري قـولَ بـعـضـهم
«إذا مت ظـمـآنًـا فلا نـزلَ الـقَـطـر»[1]

وظَـنِّيَ فـيكَ الـيـوم أن تـمـحُـوَ الـذي
بـإثـبـاته يـعـدوك حَـمـدِيَ والأجْـر

ويَـحْـزُنُـني أني كـتـبتُ ولم تُـجِبْ
كـأن لم يـكن طِـرسٌ لـديك ولا حِـبْـر

ولـو كـان هـذا واقـعًـا كـنتُ عـاذرًا
فـعـنـدي لإخـواني إذا عـجـزوا عُـذر

ومـا كـان عن عُـذْرٍ ولـكن تـهـاونٌ
وحـاشـاك أن تُـلـفى وشـيـمـتُك الـغَـدر

ولـو لم يـكن فـيك الـوفـاء سـجـيـةً
لـما مَسَّ مـطـويٌّ الـعـتـاب لك الـنـشـر

****

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:

معللتـي بالـوصل والموتُ دونه   إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القطر

وهو من قصيدته في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر   أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر

كلمة البِرْكة[1]

لـئن ذادَ عـني صـاحـبي مُـعْـدِمًـا شـكى
له ظـمـأً يـومًـا فلا مَـرَّ بي الـقَـطْـرُ

ولا زال في جـنـبيَّ أو في قَـرارتي
لـتضـيـيع مـا اسـتُودعتُ من مـائهِ قَـطْرُ

ولا ابـتَلَّ ممـا يـسـكبُ المـزنُ (شَـتْـرُهُ)
إذا فـاضَ من مـسـكـوبِه غـيـرُهُ (شَـتْـرُ)

ومـا كـان «صـقـرٌ» من يـذود ذوي الـظَّمـا
عن الـوِردِ فلـيـمكُثْ علـى جُـودِهِ «صَـقـر»

فـعـهـدي به لـلـحـمـدِ والأجْـرِ صـابـيًـا
ومـا خـيـرُ من لم يُـصْـبِهِ الحـمـدُ والأجـر

ومـا الحُـرُّ من يَـروَى ويـعـطشُ جـارُهُ
ولـكنَّ من بـالـعـكسِ يـأتي هـو الحُـرُّ

ويـا واردي رفـقًـا بمـشـيك واتَّـئِـدْ
وإلا فـظَـهـرانـا دَنـا مـنـهـمـا الـكَـسْـر

وإن كـان سـهلاً جَـبْـرُ ظـهـري فـلم يـكن
لـيـسـهُلَ بـعـد الـكَـسْـرِ من ظـهـركَ الجَـبْـر

وإيـاك والـوَطْءِ الـعـنـيف فـربمـا
غـدا لـكِلَـيْـنـا فـيه أو بـعـضِـنـا ضُـرّ

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة. غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهرًا ثم ردمها.

وإن رُمْتَ في جــوفي الــنــزولَ فــمــا أرى
بــذلك بــأسًــا عــنــدمــا حــاجَــةٌ تــعــرُو
ولــكن له شــرطــان لا بــدَّ مــنــهــمــا
هــمــا في تَــدَلّــيكَ الــتــرَفُّقُ والــطُّــهــر
وكن آخــذًا بــالــنــصحِ مــنّي فــربّــمــا
إلى مــأخــذي بــالــنــصحِ مــنك سَــتُــضْــطَــرُّ
لــعــلَّكَ في آتــيكَ تحــتــاجُ رأفــتي
كــمــا بي إلــيــهــا مــنك في حــاضــري فَــقْــر
فــمــا لــكِــلَــيْــنــا صــورةٌ مــســتــمــرَّةٌ
عــلى كــيــمــيــاءِ الــدَّهــرِ مــا بــقيَ الــدَّهــر
ويــا ربمــا حَــلَّت حــيــاتُك تــربــتي
وحَلَّ جــمــودي فــيك وانــعــكَسَ الأمــر
فــأصــبــحتَ في مــاضي زمــانكَ بــركــةً
وأصــبــحت إنــســانًــا كــمــا شــاءَهُ الــدَّوْرُ
فــنــحن وأنــتم في الــزمــانِ ودَوْرِهِ
ســواءٌ لــكلٍّ يــعــتــلي مــرَّةً قَــدْر
دَوالَــيْكَ نــعــلــو بــالحــيــاة وأنــتمُ
عــلــيــنــا بــهــا تــعــلــون طورًا ولا فــخــرُ
فــأحــوالُــنــا رَهْنُ الــتــحَــوُّلِ مــا غــدا
عــلــيــهــا لــيــومٍ أو لــلــيــلــتِــهِ مَــرُّ
وكم قــد تــبــادلــنــا بمــا مَــرَّ صــورةً
وشــكلاً ولــكن مــات في نــفــسك الــذِّكْــر
وإن قــلــتَ إن الــدَّوْرَ شَكَّ به الحِــجــا
وكــشفُ ظلامِ الــشَكِّ أمــرٌ به عُــسْــر
أقُلْ لكَ قــولاً لــيس لــلــشَكِّ مــنــهجٌ
إلى صــدقه في مــا يــرى الحِسُّ والحِــجْــر

أَلَمْ أتَـــكَـــوَّنْ من جُـــسُـــومِ جُـــدودِكُمْ
وإعـــزازُهم عـــرفٌ وإذلالُـــهم نُـــكْـــر
وإن لم يـــكن كُـــلِّي فـــجُـــلِّيَ مـــنـــهمُ
وإن ظَنَّ غِـــرٌّ غـــيـــرَ ذلك أو غُـــمْـــر[1]
أعـــادَهُمُ إكـــســـيـــرُ طـــولِ زمـــانِـــهم
وهُمْ – ضـمن عَـفْـرٍ أنت واطِـئُهُ – عُـفْـرُ[2]
وأيُّ روابي الأرض أم أيُّ وَهْـــــدِهـــــا
لأسلافـــكم مـــا خُطَّ أثـــنـــاءَهُ قَـــبْـــر
فـــإن لم تُـــراعـــوني فـــراعـــوا أبُـــوَّةً
بـــهم غُصَّ نَـجْـدُ الأرضِ وامـتلأ الـغَـوْر
وهـــا أنت بل كلُّ امـــرئٍ خـــلف جَـــدِّه
يَـــجِـــدُّ به من مَـــرِّ أيـــامه سَـــيْـــر
عـــلى أنـــني مـــنـــكمْ ومـــنِّيَ أنـــتُمُ
لأنيَ بـــعضُ الأرضِ وهي لـــكم جِـــذْر
إذا ســـأل الـفِـكْـرَ الـفـتى عن تُـرابِه
أجـابَ جـوابًـا طِـبْقَ مـا قـلـتُهُ الـفـكـر
وهل سـار ذو عـقلٍ صـحـيحٍ علـى الـثـرى
وفي سـيـره الـزَّهْـوُ الـذمـيمُ أو الـكِـبْـر
فمـا اختالَ من يمشي على الأرضِ غيرُ مَن
أدام له الـسُّـكْـرَ الـغُـرورُ أو الخَـمْـر
ولَـوْمي عـلى الـصّـاحـين إلا إذا انـبَـرَوْا
لـتـأديب من أنـسـاهُمُ الأدبَ الـسُّـكْـر
فـمِـثْلُ غُـواةِ الـقـوم يُـلـفى رشـيـدُهُم
إذا ضَلَّ عن تـــأديـــبـــهِمْ وله صَـــبْـــر

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.
(٢) العفر: التراب.

ومن يـسـتـطعْ وَعْظَ الـغُـواةِ ولم يَـعِظْ

فـعن أَزْرِهِ من صُـنـعِـهم لم يَـمِلْ وِزْرُ

من الـشَّـرِّ تـركُ الـنُّـصحِ من ذي كَـيـاسـةٍ

مـطـيقٍ لـذي غَيٍّ إذا ذُكِـرَ الـشَّـرُّ

وخَـيْـرُ الـورى إن يَـغْـرَقِ الـفُـلْكُ مَنْ هَـدى

إلى الـعِـبْـرِ غَـرقـاهُ إذا خَـفِيَ الـعِـبْـر[1]

ولـيس الـذي يـنـحُـوهُ عن خِـبـرةٍ به

ويُـعـرِضُ عن قـومٍ به مـا لـهم خُـبْـر

وهل تَـرْفَـعُ الأفـعـالُ مَنْ أرشَـدَ الـورى

ولـيس لـهم من نَـصْبِ إرشـادِهِ جَـرُّ

****

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب[1]

مـا في الـعـراقِ لـشـمسٍ فـضـلِكَ مُـنْكِـرُ
أنَّى وقـد سَـمَـقَتْ تُـنـيـرُ فـتَـبْـهَـرُ

شـمسٌ من الـفـضلِ المـبـينِ قـد اهـتـدى
بـضـيـائـهـا مـذ أشـرقتْ من يُـبْـصِـر

شـمسٌ لـهـا من ذي المـعـالي «طـالبٍ»
شَـرَفٌ فـلـيـست عن سِـواهُ تَـصْـدُر

شـمس إذا أخـفى شَـبِـيـهَـتَـهـا الـدُّجى
أو راحَ يُـخـفي من سـنـاهـا الـعِـثْـيَـرُ[2]

فـهي الـتي مـذ أشـرقَتْ قـد أقـسـمَتْ
أن لا تُـرى يـومًـا بـشيءٍ تُـسْـتَـر

لـكن بـهـا عَـشِـيَتْ عُـيـونُ عـصـابـةٍ
حَـسَـدَتْكَ شـمسَ الـفـضلِ وهْي تُـنَـوِّرُ

فـغـدَتْ من الحـسـدِ المـذيبِ قـلـوبُـهم
تـشـكـو لـظًى فـيـهـا يُـشَبُّ ويُـسْـعَـر

والأهلُ لـلـشُّـكـرانِ من يـشـقى بهِ
قـومٌ وأقـوامٌ تُـسَـرُّ وتُـحْـبَـر

ومـحـبـتي الـفـضلَ المـبـينَ وأهـلَهُ
طـبعٌ لـعـمـري فِيَّ لا يـتـغَـيَّـر

---

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر لتلقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العثير: الغبار.

فـلـذا تـراني جـئتُ أهـدي مِـدْحَـةً

فـيـهـا لك الإخلاصُ مـني يَـظـهَـر

ومـحـبـتي إيّـاكَ مـجـهـودُ الـذي

هـو كلُّ مـا يـحـويه مـثـلي مُـعْـسِـر

أمـا الـكـويتُ فـإنـهـا قـد أصـبـحَتْ

بِـحُـلـولِكَ الـسـامي بـهـا تـتـبـخْـتَـر

ولَـمـا عـجـيبٌ أن تَـبَـخْـتَـرَ بـلـدةٌ

فـخـرًا ومـثـلُكَ راحَ فـيـهـا يَـخْـطِـر[1]

إنـا عـرفـنـا فـيك كلَّ مَـزِيَّـةٍ

يُـثـني عـلـيـهـا ذو الحِـجـاء ويَـشْـكُـر

فـلـذا بمـقـدمكَ الـكـويتُ قـد اغـتَـدَى

حَظٌّ عـظـيمٌ لـلـكـويتِ ومَـفْـخَـرُ

☆☆☆☆☆

لمـا رجـعتَ إلى الـعـراقِ مـسـلِّـمًـا

ممـا عـلـيك من الـسـيـاسـةِ يُـحْـذَرُ

أعـلـنْتُ صـوتي بـين قـومي قـائلاً

الـيـومَ عـادَ إلى شَـراهُ الـقَـسْـوَر[2]

وهل الـعـراقُ الـرَّحْبُ إلا غـابـةٌ

من «طـالبٍ» فـيـهـا الـشـجـاعُ غَـضَـنْـفَـر

يـا «طـالبَ» الـعـلـيـاء نـلتَ من الـعُلا

مـا لم يَـنَلْ شَـرواهُ نجمٌ أزهـر

فـغـدوتَ في أفْقِ الـفـضـائل كـوكـبًـا

عـالٍ[3] كـمـا تـهـوى الـفـضـائلُ يُـسْـفِـر

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنسًا إذا ما رحت فيها تخطر».

(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

فــخِــصــالُكَ الــغُــرُّ الــزَّواهِــرُ إن غـدا

إحــصــاؤهُنَّ عــلى امــرئٍ يــتــعَــسَّــرُ

فــلــكم تــعــالَتْ أن يــحــيط بِــعَــدِّهــا

يــا ابنَ الأمــاجــد قَــبْلُ من هُــوَ أشَــعَــرُ

****

فهد الكريم فرع خير[1]

يـــــا نجلَ ســــــالمِ الـــــذي أخـلاقُهُ
أثــنى عــلــيــهــا الــنــثــرُ والأشــعــارُ
من أفــضلِ الأقــواتِ عــنــدي حــنــطــةٌ
مــنــهــا غــدت أهلُ الــكــويتِ تُــمــار
لــكنْ إجــادةُ طــبــخِــهــا أو خَــبــزِهــا
حــرْنــا بــهــا وأظنُّ أن سَــنَــحــار
قــالــوا إذا كــرَّرْتُمُ صُــنــعًــا لــهــا
أتــقــنــتــمــوهُ فــكَــذَّبَ الــتَّــكــرار
كم مَــرَّةٍ جــاءت تجــاربُــنــا بــهــا
عــكسَ الــذي نــهــواهُ أو نــخــتــار
كل الــتــجــاربِ قــد ذهــبنَ بــهــا سُــدًى
فــجــمــيــعُــهُنَّ مــتــاعبٌ وخَــســار
والجــوعُ لم يــتــرك لــنــا وقــتًــا بهِ
تــصــفــو - لــكي نــتــعــلَّمَ - الأفــكــار
فـــــأغِـثْ من الجُـــــوعِ الـــــذي آلامُهُ
مــنــهــا عــلى نــفــسي الــتَــقَتْ أظــفــار
بــأطــايبِ الأرْزِ الــذي قــد شــاقــني
مــنه وصــالٌ مــنــعشٌ ومَــزار
إني لأذكــرُ طِــيــبَهُ ومَــســاغَهُ
فــيُــمــيتُ عــنه الــســلــوةَ الــتَّــذكــار

---

(١) قالها في الشيخ فهد السالم الصباح.

هـــيـــهـــات أن أســـلـــو لَـــذاذَتَهُ الـــتي
تُـطْـوَى فـيـنـشُـرُ فـضـلَـهـا الـسُّـمّـار
إنـي لآمُـلُ مـــــنك مـــــأمـــــولاً إذا
صَــــعُبَ المـــرامُ وعَـــــزَّتِ الأوطـــــار
فـأبـوك يـا فـهـد الـكـريم تحـقّـقتْ
فـــــيه ليَ الآمــــال وهـيَ كِــــبــــار
لم لا أُؤَمِّلُ فـــرعَ خـــيـــرٍ طـــاب لي
من أصــــلِهِ وأعـــذَوْذَبَ الإثـــمـــار
أخـصـــبتُ في أيـــامِهِ حـــتى لـــقـــد
أُوهِـــمْتُ أن جـــمـــيـــعـــهـــا «آذارُ»

****

جنة لا دار[1]

أنَـــا من لا يـــزالُ يــعـــلَمُ أنَّ الـ
ـقُـرْبَ مـنـكم سـعـادةٌ وافـتـخـار

فـلـهـذا سـوى الـدُّنُـوِّ إلـيـكم
من مـزايـا الحـيـاةِ لا أخـتـار

غـيـرَ أني أصـبـحتُ من شِـدَّةِ الحَـ
ـرِّ بـسـجنٍ مـنه يَـعِـزُّ الـفِـرار

لا تـقـولـوا إن الـصُّـقـورَ إذا مـا
سُـجِـنَتْ في سُـجـونِـهـا لا تَـحـار

كـنتُ كـاسـمي صـقـرًا ولـكـنني الـيـو
م لِـلَـوْنٍ قـد عَمَّ جـسـمي هَـزار

فـدعـوني من اسـتِـزارةِ جـسـمي
فـضـعـيفُ الجُـسـومِ لا يُـسـتَـزار

وفـؤادي لـديـكمُ مـذ زمـانٍ
جَـمَـعَتْ فـيه شـمـلَـنـا الأقـدار

وعـلى «الـوَطْـيَـةِ» الـتـحـيَّـةُ مـمَّنْ
سـامَـرَتْهُ مـنـكم بـهـا الأحـرار[2]

فـأعـاد الـسُّـمَّـارُ فـيـهـا حَـصـاهـا
وهـو أبـهى ممـا يَـضُـمُّ الـمَـحَـارُ

---

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالملك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح بن عبدالملك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبقى عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعتذر عن عدم الحضور لشدة الحر.

(٢) الوطية: مكان.

وثَـنَى رمـلَـهـا كـأجـملِ مـا «نَـيْـ

ـسـانُ» يُـبـدي لـنـاظـرٍ أو «أذارُ»

فـكـأنَّ المـصـيفَ فـيـهـا ربـيعٌ

نَـشَـرَتْ بُـسْطَ زَهْـرِهِ الأمـطـار

وكـذا كل بـقـعـة كـان فـيـهـا

من أبي صـالحِ الـعُلا لي جـار

كلُّ دارٍ تـضـمُّـني وعُلاهُ

فـهيَ والـلـهِ جَـنَّـةٌ لا دارُ

ذي سَـجـايـا تَـوَدُّ كلُّ الـروابي

أنـهـا فـوقَ هـامِـهـا أزهـار

لـو رآهـا بَـشّـارُ في آدَمِيٍّ

تـابَ ممّـا أتى بـه بَـشّـار

أو رآهُنَّ قـائلٌ بـاضـطـرارٍ

عـادَ قـصـدًا مَـقَـالُهُ الاضـطـرار

جـمع الـلـه فـيه شَـتّى المـزايـا

فـلـهـا فـيه مـلـتـقًى وانـحـصـار

وعـلى أنـني إلـيـهنَّ صـابٍ

قـد تـمـادى بـهنَّ عـني نِـفـار

لـو بِـجِـدٍّ يـنـالُـهـا واجـتـهـادٍ

من تـلَـظّى به إلـيـهـا أُوَارُ[1]

نـلتُ مـنـهـا أو نـلـتُـهـا غـيـرَ أنَّ الـ

ـنـاسَ تُـرْبٌ كـأرضـهم أو نُـضـار[2]

(١) الأوار: لفح النار ووهجها.

(٢) النضار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أو كـمـثلِ الـنـبـاتِ يَـنْـبُتُ مـضْـطَ
ـــرّاً وفـــيه كُـــرّاثَـــةٌ وعَـــرار
حـكـمـةٌ كُـنْـهُـهـا خَـفِيٌّ ولـمّـا
تَـخْفَ مـنـهـا عـلى الـنُّـهى الآثـار
فـهي كـالـروحِ في الـفِـعـالِ تجـلَّتْ
واسـتـقـلَّتْ بـكـنـهـهـا الأسـتـارُ

****

قومي العرب

فإن تَضِقِ الكويتُ اليومَ عنّي
وما ضاقت بأمثالي الدِّيارُ
فكم بلدٍ لقومي العُرْبِ فيهِ
سيحلُو لي من السَّعَةِ القَرار
وليس يموتُ من ظمَأٍ وجوعٍ
بمربَطِ ظالم إلا الحمار

****

أصيح

أصـــــــيحُ بمن لـه عَـــــــيْنٌ وعَـــــــيْنٌ
ولـــيس بـهِ عـــلى عـــيــنــيهِ خـــيـــرُ[1]
فـــمــــا يـــهــدي ضــــريــــرًا في طـــريقٍ
به ألـــقَتْ كلاكِـــلَـــهــــا الـــوُعـــور
ولا يُــــرْوي الـــعـــطـــاشَ - وإن ألحّــوا
عـــلـــيه بـــالـــســـؤالِ - له نَـــمـــيـــر
ولـــيس يَـــشَمُّ عـــافٍ من قُـــتـــارٍ
لمـــطـــبـــخِهِ ومـــطـــبـــخُهُ عَـــمِـــيـــرُ
فـــفـــيهِ من صـــنـــوفِ الـــزادِ مـــالا
تـــزال لـه بـه تَـــغْـــلـي قُـــدور
وإن يَـــجْـــمَـــعْهُ والـــبُـــؤَســـاءَ نـــادٍ
تـــغـــشَّـــاهُ لمـــنـــظـــرهم نُـــفُـــور
وشـــالَ بـــأنـــفِهِ كِـــبْـــرًا عـــلـــيـــهمْ
بمـــا آتـــته دنـــيـــاهُ الـــغَـــرور
رويــــدًا أيُّـــهــــا الــــطــــاغي رويـــدًا
فـــإن الـــدهـــر خَـــدّاعٌ غَـــدور
فـــقَـــبْـــلَكَ أطـــلَعَ الإثـــراءُ مـــنـهُ
لـــقـــومٍ أنجُـــمًـــا زُهْـــرًا تُـــنـــيـــر

---

(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنّوا أنها تبقى فعادتْ
– وأنفُ الظَّنِّ مرغومُ – تَغُورُ

فحسبَكَ إن عقَلْتَ بهم نذيرًا
فقد يجدي ذوي العقلِ النذير

يَوَدُّ المؤمنون إذا حَوَتْهُمْ
مضاجعُ أنها لهمُ قُبور

لزَأْرِ هِزَبْرِ مُرِّ الجُوع فيهم
وليثُ الجُوعِ فَتّاكٌ هَصور

ولولا شُحُّ أهلِ المالِ مِنّا
لما استصباهُمُ الموتُ المَرير

تبارك من أفادَهُمُ بُحورًا
من الأموال زاخرةً تَمور

وأسكَنَ في جوانحهم علينا
قلوبًا دون قسوَتها الصُّخور

فما يُشجيهِمُ للبؤسِ فينا
مزاميرٌ لها أبدًا نَعير

فصَبرًا أيُّها البؤساءُ صَبرًا
فعقبى الصبر يَحْمَدُها الصَّبور

ففي الصَّبرِ الجميلِ لكم رِحابٌ
إذا ضاقت بكم للبؤسِ دُور

وإن آذاكمُ جوعٌ فمنهُ
بِعُثْنُوني يلوحُ لكم قَتِير

وإن تُصبِحْ ثيابُكُمُ رِثاثًا
ففي مَشتايَ في ثوبي فُزُورُ

لنرقُبْ ما طواه الغيبُ عَنا
فعنه سوف ترتفعُ السُّتور

لعلَّ لنا بجوفِ الغيبِ خيرًا
وعَلَّ الدهرَ بالحسنى يَحُور
لِنَمْكُثْ تحت ظلِّ الصَّبرِ حتى
يحين لنا من الآتي سُفور
عسانا أن نقولَ إذا رأينا
مصيرَ الصبرِ يا نِعْمَ المصير
وثوبُ الصبرِ فيه للابسيهِ
جمالٌ لا يجيءُ به الحرير
وفي أخراه كلُّ أخي اصطبارٍ
لدى مولاهُ بالحسنى جدير
فحسبُ الصابرينَ بِذا ثوابًا
ففي هذا لهم خيرٌ كثير
بحُسنِ الصبرِ أوصيكم لأنّي
بباعي عن إعانتكم قُصور
ولو أني ملكتُ ولو قُروشًا
لقمتُ لبَثِّها فيكم أدُورُ

****

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان[1]

كلُّ طـــفلٍ بـــكـــفِّهِ عـــصـــفـــورُ
من أذاهـــا يـــكـــاد فـــيـــهـــا يَـــبُـــورُ
مُـــتَـــأذٍّ من قـــبـــضـــة الـــطـــفلِ والـــطـــفـ
ـلُ له من أذى الـــطـــيـــورِ سُـــرور
حَـــسْبَ مـــا الـــعـــادُ يـــقـــتـــضـــيه وكم أبـ
ـــصَـــرْتَ شَـــرّاً من عـــادةٍ يـــســـتـــطـــيـــر
عُـــوِّدَ الـــلـــهـــوَ بـــالـــطـــيـــور فـــأبـــدى
صَـــفْـــوَهُ مـــا لـــهـــا به تـــكـــديـــر
وهي في الحِسِّ مـــثـــلُهُ فـــلـــديـــهـــا
مُـــوجِعُ الـــطـــفلِ مُـــوجِعٌ مَـــحـــذور
وهـــو عـــنـــهـــا بمـــا لاشـــعـــور عَـــداهُ
من تـــمـــاثـــيل لـــهـــوِهِ مـــيـــســـور
لـــكنِ الـــوالـــدُ الـــشـــفـــيقُ عـــلـــيه
فـــاتَهُ من أمـــورهِ الـــتـــفـــكـــيـــر
فـــأراد الـــســـرورَ لـــلـــطـــفلِ من حَـــيْـ
ـثُ إلى الـــطـــفلِ يـــهـــتـــدي الـــتَّـــغـــريـــر
إنَّ غِبَّ الأمـــرِ الـــذي رامَ لـــلـــطـــفـ
ـلِ ســـروراً بـــه أبـــوهُ مَـــريـــر

(١) تفد أنواع العصافير في موسم الربيع قادمة من الجنوب، وكان من عادة الصبيان نصب الفخاخ لهذه الطيور وصيدها واللعب بها. فقال هذه القصيدة.

إذ يـــرى طِـــفـــلَـهُ يَـــشِبُّ عـــلـى مـــا

لـــيس يـــرضى به الإلهُ الـــقـــديـــر

أتـــرى بـــارئَ الـــطـــيـــور بَـــراهـــا

لـــتـــرى من أذى الـــورى مـــا يَـــضِـــيـــر

رُبَّ إثـمٍ عـــلـى الـــورى سَـــهَّـــلَـــتْهُ

عـــادةٌ والـــسُّـــهـــولُ مـــنه وُعـــور

إنَّ لـــهْـــوَ الـــولـــيـــدِ بـــالـــطـــيـــرِ زورٌ

- لـــو درى والـــدُ الـــولـــيـــدِ - خـــطـــيـــر

وعـــلـــيه الـــعِـــقـــابُ لا بُـــدَّ أن يَـــأْ

تِي وشَـــروى تـــعـــجـــيـــلِهِ الـــتـــأخـــيـــر

فـــهـــو إن لم يَـــلْقَ الجـــزاء مـــدى الـــعـــمـ

ـــرِ فـــعُـــمْـــرُ الإنـــســـان جـــدًا قـــصـــيـــر

وســـيـــلـــقـــاه بـــعَـــدَمـــا يـــنـــقـــضي الـــعُـــمْـ

ـــرُ كـــمـــا لا يـــشـــاءُ وهـــو عَـــســـيـــر

يـــغـــفـــر الـــله لـــلـــولـــيـــد فـــهل ذنـ

ـبُ أبـــيه كـــذنـــبِهِ مـــغـــفـــور

فَـــلْـــيَـــسَلْ عن مـــقـــاليَ الـــعـــقلَ إنَّ الـ

ـــعـــقلَ دارٍ بمـــا أقـــولُ خَـــبـــيـــر

لم يَـــهَـــبْهُ إلـــهُهُ الـــعـــقـــل إلا

لـــهُـــداهُ فـــهـــو الـــنـــذيـــرُ الـــبـــشـــيـــر

لـــيس يـــدري ضـــلالَـهُ من هُـــداهُ

من لـــهـــادي الحِـــجـــاءِ لا يـــســـتـــشـــيـــر

فـــاتَّـــخِـــذْ مـــنه في الأمـــور مـــشـــيـــرًا

وَفْقَ آثـــارِ نُـــصـــحِـــهِ إذ تَـــســـيـــر

هل تـــرى الـــعـــادةَ الـــلـــئـــيـــمـــةَ غَـــرَّتْ

من بمـــصـــبـــاح عـــقـــلِهِ يـــســـتـــنـــيـــر

حُسْنُ عاداتِ أوّلينا أوِ القُبْ
ـحُ به عنهما تَشِفُّ السُّتور
فيَبينُ العادُ الذي هو للأَخْـ
ـذِ أوِ التَّرْكِ مستحِقٌّ جدير
فلآبائنا عوائدُ شَتّى
رسخَتْ بينَنا لهُنَّ جُذور
بعضها ينطوي على القُبْحِ والشَّـ
ـرِّ وفي بعضها جمالٌ وخِيرُ
وهَوانا اقتفاءَ عاداتِهم إن
لم تُنِرْهُ سُرْجُ النُّهى دَيْجور
وعَسِيرُ التَّمحيصِ والكشفِ عنهـ
ـنَّ إذا سُرْجُها أضَأْنَ يَسِير

✲✲✲✲✲

أيها الطفلُ أنت عندي على ما
سُمْتَهُ الطَّيْرَ من أذًى معذور
ما لأمرٍ تُمِرُّ عُقباهُ أو تَحْـ
ـلُو لدى ذي طفولةٍ تقدير
فحِجاءُ الصغير عن فهمه العُقـ
ـبى لأمرٍ به يجيءُ صغير
لستَ أنتَ الذي جنيتَ على الطَّيْـ
ـرِ ولكن جَنى أبوك الكبير
أنت لولا وليُّ أمرِكَ لم تَقْـ
ـرُبْ إلى الطّيرِ من يديك شرور
ما غدا في يمينك الطائرُ المِسْـ
ـكينُ لولا أبوكَ وهو أسير

هـــو ألـــقـــاهُ فـي يـــديكَ كـــأنْ لم

يَـدْرِ مـا مـنـهـمـا تُـقـاسي الـطـيـور

كم رأى طـــائـــرًا بـــكـــفكَ يـــومًـــا

وهــو مـيتٌ من ضـغـطـهـا مـعـصـور

أو رأى رجـــلَهُ رهـــيـــنـــةَ خـــيطٍ

وهـــو حَيٌّ بـــخـــيـــطِهِ مـــجـــرور

أو رآه يـــشـــكـــو كِـتـاف جـنـاحـيـ

ـه ومـــنه الـــقُـــلَـــيْبُ دامٍ كَـــســـيـــر

أو رأى ريـــشَهُ الـــنَّـــظـيمَ حَـــوالـــيـ

ـك من الـــنَّـــتْفِ وهــو مُـــلـقًى نـــثـيـر

أو رآهُ ســـجـــينَ ســـجنٍ يُـــســـمّى

قـفـصًـا، مــنه شـاقَهُ الـتـحـريـر

فـهـو مـنه حُبُّ الـتـحـرُّرِ في الـنـا

سِ لـعـيـنـيه مـاأتَـوْهُ يُـديـر

يـتـوَخّى حُـرّاً رحـيـمًـا يُـفـادي

سـجـنَهُ من يمـيـنِهِ تـكـسـيـر

وأبــو الـطـفل حَـوْلَ مـا الـطـفلُ يـأتـيـ

ـهِ إلى طـيـرِهِ بـصـيـرٌ ضَـريـر

يـتـشَـكّى بملءِ فـيـه إلـيـه

حـسـبَ مـا شـاء كَـربُهُ المـوفـور

وتُـنَـزِّي الآلامُ مـنه جُـسَـيْـمًـا

يـجـهلُ الـصَّـبْـرَ قـلـبُهُ المـفـطـور[1]

وكـأن الـشَّـكـاةَ عـنـد أبي الـطـفـ

ـلِ أغـانٍ أتـى بـهنَّ الحُـبـور

---

(١) تنزي: تجعله يثب. والمفطور: المشقوق.

والــتَّــنَــزِّي من هَــوْلِ مــا هــو يــلــقى
رَقْصُ أُنْسٍ عن جَــــدِّهِ مـــــأثـــــور
مـــشـــهـــدٌ لـــو بهِ تُــحِسُّ صـــخـــورٌ
لـــغـــدَتْ رِقَّـــةً تـــذوبُ الـــصُّـــخـــور
كلُّ مـــــا رمتُ أن أعـــــبِّـــــرَ عـــــنه
ضـــاق ذرعًــا بـــعـــبـــرتي الـــتـــعـــبـــيـــر
وهـــو لم يَـــنْـــهَهُ الـــضـــمـــيـــرُ ولا الـــعـــقـ
ـلُ فـــهل مـــات عـــقـــلُهُ والـــضـــمـــيـــر
أم رأى ذنـــبَهُ الـــعـــظـــيمَ حـــقـــيـــرًا
مـــثل مـــا يُـــوهِمُ الأثـــيمَ الـــغُـــرور
لا أراه يَـــــــــرِقُّ إلا إذا مـــــــــا
صـــدمَـــتْهُ بـــعـــكـــســـهنَّ الأمـــور
فـــرأى طـــيـــرَهُ صَـــبـــيّـــاً وأضـــحى
وهـــــو في كفِّ طـــــيـــــرِهِ زُرزُور
فـــبـــعـــكسِ الأمـــورِ من ســـكـــرةِ الـــغـ
ـــرَّةِ يـــشـــقى فـــؤادُهُ المخـــمـــور
وســـــيـــــشـــــقى بمـــــثلِ ذاكَ وأدهى
إن عَـــداهُ من فـــعـــله الـــتـــغـــيـــيـــر
فـــلْـــيَـــتُبْ من ذنـــوبه ولـــيُـــكَـــفِّـــرْ
فـــالملاذُ المـــتـــابُ والـــتـــكـــفـــيـــر
يـــا قـــويّـــاً فمُ الـــضـــعـــيفِ بـــشـــكـــوا
هُ مـــعـــانـــاةَ شَـــرِّهِ مـــفـــغـــور
إن من صـــاغَهُ وصـــاغَكَ مَـــســـمـــو
عٌ لـــديه مـــا يـــشـــتـــكي مـــنـــظـــور

وبـــكـــونِ الجـــزاءِ مـــا شَكَّ مَن مِـــنْـ

ـهُ استـقـامَ الـتـفـكـيـرُ والـتَّـنـقـيـر

كلُّ أمـــرٍ إلـــيه جـئتَ سَـــيَـــلـــقـــا

كَ قـــريـــبًـــا جـــزاؤهُ المـــذخـــور

فـــأْتِ مـــا شـــئتَ من صـــنـــيعٍ تَـــجِـــدْهُ

مـثـمـرًا حـسـبـمـا تـكـونُ الـبـذور

وتـــوقَّعْ يـــومَ الجـــزاءِ فـــمـــا يَـــوْ

مُ جـزاءِ الـصـنـيعِ مـنك شَـطِـيـر

ولـــكلٍّ من صُـــنـــعِهِ أو عـــلـــيهِ

لا سِـــواهُ قـــلـــيـــلُهُ والـــكـــثـــيـــر

وصـنـيعُ الـطـفلِ المـدَبَّـرِ مـصـنـو

عُ وليٍّ مـــنه له تـــأثـــيـــر

فـأذى الـنَّـجْلِ لـلـطـيـور عـلى الـنـا

جِلِ وقفٌ جـــزاؤهُ مـــقـــصـــور

إذ يمـــينُ الـــولـــيـــدِ لـــولا أبـــوهُ

لم يَـنُبْ طـائـرًا لـهـا تـسـخـيـر

إنمـا الـطـفلُ سـائـرٌ حَـسْبَ مـا يَـأْ

تي له من ولـــيِّهِ الـــتـــســـيـــيـــر

قـلِّبِ الأمـرَ قـبلَ أن يـنـشـأ الـطـفـ

ـلُ عـلـيه حـتى يـتمَّ الـظُّـهـور

فـبـطـون الأمـور عـنـهن قـد تَـشْـ

ـغَلُ إلا مـقـلِّـبـيـهـا الـظُّـهـور

يـسـتـقـيم الـغـصنُ الـنـضـيـرُ إذا مـا

قَـوَّمـوهُ والـطـفلُ غـصنٌ نَـضـيـر

وكـــمـــا شـــاءَهُ المـــقَـــوِّمُ يـــبـــقى
بـــعـــد يُـــبْسٍ لـه عـــلـــيه مـــرور
لـلـمُـرَبّي في الـطـفل صـنعٌ كـفـاني
بَـــسْـــطَهُ الآن أنَّهُ مـــشـــهـــور
غـــيـــرُ خـــافٍ من المـــرَبّـــينَ في الأطـ
ـــفـــال - حـــتى أبـــيـــنه - الـتـــأثـيـــر
وتـــأمَّلْ يـظـهَـرْ لـعـيـنـيك مـنـفـ
ـــوعُ مُـــرَبّي الـــولـــدان والمـــضـــرور
مـلـتـقـاهم أوراقُ سِـفْـرٍ تـنـافَتْ
من فـريـقـيـهِمُ بـهنَّ الـسُّـطـور
وعـلى الـفـطـرةِ الـقـديمـةِ كلٌّ
يـــوم لاقى حـــيـــاتَهُ مـــفـــطـــور[1]
لم يـكن بـيـنـهم قُـبَـيْلَ المـرَبّـيـ
ـنَ عـظـيمٌ من فَـرْقِـهِمْ أو حَـقـيـر
وبمـــا جـــاءَهُ المـــربّـــون من بَـــعْـ
ـــدُ تـــنـــافى صُـــعـــودُهُمْ والحُـــدور
فـــالـــمُـــرَبّي - لمـــا أتـــاهُ إلـــيـــهم
حـــين رَبَّى - المـــذمـــومُ والمـــشـــكـــور
فـــاتَّقِ الـــلـهَ في الـــصَّـــغـــيـــرِ فـــإمّـــا
وازرٌ أنـتَ فـــيـــهِ أو مَـــــوْزور
لا تـــغُـــرَّنْكَ عـــادةٌ بـــالـــتَّـــفَـــشِّي
مـــا الـــتَّـــفَـــشِّي لـــعـــادةٍ تـــبـــريـــر
كم تَـفَـشَّتْ من عـادةٍ والـمُـفَـشّي
أوّلاً في الـــورى لـــهـــا مَـــمْـــرُور

---

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وهُمُ بـــالـــعـــقـــولِ لـــو فَـــحَـــصـــوهـــا

سَـــرَّهُم طَـــيُّـــهـــا وســـاء الـــنُّـــشـــور

قَلَّ مـــنـــهـم فـــحصٌ به يَـــتَـــجَـــلّى

مـــســـتـــجـــازُ الـــعـــاداتِ والمحـــظـــور

قَـــلَّـــدَ الـــنـــاسُ بـــعـــضَـــهم في مُـــريـــبـــا

تِ من الـــعـــادِ فـــحـــصُـــهـــا مـــهـــجـــور

لا تُـــقَـــلِّـــدْ تـــقـــلـــيـــدَ أعـــمـى لأعـــمى

فـــوق دربٍ مـــا شِـــيـــهِ كـــابٍ عَـــثـــور

عـــابـــرُ الـــدَّرْبِ خـــلـف هـــادٍ ضـــريـــرٍ

يـــتـــأذّى إن لم يُـــمِـــتْهُ الـــعُـــبـــور

واســـلُكِ الـــدَّرْبَ نـــاظـــرًا مـــنك بـــالـــعـــيـ

ـنِ هُـــداهُ يـــســـهُلْ عـــلـــيك الـــمُـــرور

لـــو أراد الإلهُ تـــعـــطـــيـــلَكَ الـــعـــيـ

ـنَ تَـــخَـــطَّى إنـــســـانَـــهـــا الـــتـــنـــويـــر

أيُّـــهـــذا الإنـــســـانُ إنَّ الحَـــيـــاويـ

ـنَ لـــهـــا بـــالـــصـــنـــيعِ مـــنك شُـــعـــور

كل جـــنسٍ مـــنـــهنَّ لـــلـــنـــاس في الإحـــســـا

سِ نِـــدٌّ وفـي الـــشُّـــعـــور نَـــظـــيـــر

فـــلـــمـــاذا تُـــذيـــقُـــهـــا مـــا عـــلـــيه

مـــنك لـــو ذقـــتَهُ يَـــجِـــدُّ الـــنَّـــكـــيـــر

ألِـــضَـــعْفِ الحـــيـــوانِ جُـــرْتَ عـــلـــيه

أم لأمـــرٍ ســـواهُ أنـت تجـــور

لـــستُ أدري مـــا ســـرُّ ظـــلـــمكَ والـــظُّـــلْـ

ـمُ بهِ لـــلـــفـــتى يـــســـوءُ المـــصـــيـــر

أأمِـــنْتَ الـــعَـــدْلَ الـــذي كلُّ شيءٍ

لك عـــنه مـــتـــرجِمٌ ونَـــذيـــر

إن عَـــدْلَ الإله مـــا ارتـــابَ فـــيه

مَن إلـــيه بـــالـــفـــكـــرِ كـــان يَـــحـــور

فـــأجِلْ فـــيه طَـــرْفَ فـــكـــرِكَ تَـــرْجِعُ

بـــعـــدَ هـــذا الـــعـــمى وأنت بـــصـــيـــرُ

****

من أعمى إلى عميان

أَلِلأعمى بِمَحْياهُ سُرورُ
وهل يا صقرُ فيه له حُبورُ
فقلتُ لهم عمى العُميانِ أسْرٌ
وهل في الأسْرِ يبتهجُ الأسير
فقالوا العُمْيُ أكثرُهُم سِمانٌ
وهل سِمَنٌ بلا أُنْسٍ يَصير
فقلتُ لهم سِمانُ العُمْيِ ماتت
مشاعرُهُم فليس لهم شُعور
وموتُ مشاعرِ العُميانِ دَرْبٌ
عليه لهم مَسَرَّتُهُمْ تسير
ألَمْ يَسْلَمْ من السِّمَنِ المَعَرّي
وبشارٌ ومثلُهما يسير
وأنّى يكتسي هذان لحمًا
وكانا من ذَكاءٍ وهْوَ نُور
وما الأنوارُ إلا من سعيرٍ
وهل يُبْقي على اللحمِ السَّعير
ذكرتهما فيا عينَيَّ سِيلا
دماءً ضِمْنَها ماءٌ غَزير
هُما أخواي قد سَلَفا وإني
ومَقْتُهُما وما لَهُما نَظير

فسَكْبُكُما دُموعَكُما احتجاجٌ
وقد يحتجُّ بالدمعِ الفقير
على زَمَنٍ على العُميان مِمَّنْ
تَحَرَّرَ فكرُهُمْ فيه يَجور
ألم يَمْنَعْ تَلاقِيَهم لكيلا
يُخَفِّفَ فيه عنهم ما يَضير
درى أنَّ الضريرَ له سرورٌ
كبيرٌ حين يلقاهُ الضَّرير
فشَتَّتَ شملَهم تشتيتَ من لم
يُقَرِّعْهُ على الجَوْرِ الضمير
كأنَّ زمانَنا مَلِكٌ ظَلوم
على ضعفاء أمَّتِهِ يُغير
فيسلبُ منهمُ ما يشتهيه
وما إلا هَواهُ له مُشير
تراهُ في بَواخِرَ من هواهُ
دموعُ البائسين لها بحور
يَسِرْنَ إذا يَسِرْنَ على بُخارٍ
صدورُ المعدَمين به تفور
أكادُ أذوب من حَنَقي إذا ما
تمثَّلَ في مخيِّلَتي شَرير
أعَضُّ أناملي عَضّاً لغيظي
على من تستخفُّهُمُ الشُّرور
وأضربُ باليمين وليس فيها
سوى عكازةٍ فيها فُطور[1]

(١) فطور: شقوق.

لأَفْـــطُـــرَ رأسَ من يـــبــغي عـــلى من

به قـــعَـــدَتْ من الـــنـــاس الـــدُّهـــور

فـــأكـــسِـــرُ من أوانِيَّ الـــلـــواتي

تـــأتِّـــيـــهـــا عـــلى مـــثـــلي عـــسـيـــر

هـــنـــاك أُفـــيقُ من ألَـــمي بـــقـــومٍ

مـــنـــاطـــيـــدُ الـــشُّـــرور بـــهم تـــطـــيـــر

فـــأعـــلـــمُ أنـــني في صـــحـنِ داري

ومـــا حـــولي عـــظـــيمٌ أو حـــقـــيـــر

✵✵✵✵✵

يُـمَـزِّقُـني انـحـطـاطُ الـعُـمْـيِ حُـزْنًـا

وكـــلُّـــهُـمُ عـــلى الـعَـلـيـا قـــديـــر

فـــإن تُـــعْـــوِزْ أكُـــفَّـــهُـمُ رمـــاحٌ

يـشـوق شـجـاعَـهم مـنـهـا صَـريـر

وتَـــصْـــفَـــرْ من مـــدافعَ في دفـــاعٍ

يَـــهُـــزُّ كـــريمَـــهم مـــنـــهـــا هـــديـــر

فـــفي درس الـــعـــلـــوم لـــهم رُقِيٌّ

تـمـنَّى مـثـلـه الـشِّـعْـرَى الـعَـبـور

وفي درسِ الـــعـــلـــومِ لـــهم مـــحَلٌّ

تَـــوَدُّ لـــوِ انجَـــلَتْ فـــيه الـــبُـــدور

✵✵✵✵✵

«لـهـومـيـروس» في الـيـونـان فـضلٌ

يُـفـاخِـرُ مـنـهم فـيه الـفَـخـور

و«طه» قـد بـنى مـجـدًا رفـيـعًـا

لـه بـين الـورى شـأنٌ خـطـيـر

وفي هـذينِ أسوَةُ كُلِّ أعمى
لبيبٍ قلبُهُ قلبٌ كبير

✡✡✡✡✡

عليكم معشرَ العُميان أن لا
يَمَسَّكُمُ عن العَليا فُتور

فقد يبني ضرير القوم مجدًا
يُقصِّرَ أن يفوز به البَصير

وليس تَنالُ يا عُميانُ فخرًا
بهذا العصر عُمْيانٌ تَخور

فأعصارُ التكاسُلِ قد تَولَّتْ
وهذي بالنشاط لكم عصور

عمى العُميان مقبرةٌ ولكن
لهم منها بعلمِهِمُ نُشور

فبالعلم الشريف لكم حياةٌ
تحفُّ بها المحامدُ والأجور

وهل أصْبَحْتْ سوى هذين شخصًا
له لُبٌّ تَمِيزُ به أمور

ولا تَرْضَوْا جهالَتكم فإني
رأيتُ الجهلَ كَلْبَتُهُ عَقور

يعيشُ الجاهلون من البرايا
كما تحيا بدنياها الحمير

يحمِّلُها ذَوُوها كلَّ عِبءٍ
ويُقنِعُها على الكَدِّ الشَّعير

****

فرق كبير

أيشكو حولكَ الفقرَ الفقيرُ
ومالُكَ وافرٌ جَمٌّ كثيرُ
كأنك لا تُحِسٌّ له شَكاةً
يُرَدِّدُها الأنينُ أو الزَّفيرُ
فدعه وهو عاري الجسم طاوٍ
فمَشهدُ بؤسِهِ لك لا يَضيرُ
لأنَّ قبيحَ بُخلِكَ طالَ حتى
تَخَوَّفَهُ ففارقكَ الضميرُ
ولا تَعْبَأْ متى تَشبَعْ بشيءٍ
فذاك الشيءُ حمدٌ أو أُجورُ
وما كلٌّ امرئٍ أثرى لحمدٍ
وأجرٍ مستحِقٌّ أو جَديرُ
فبعضُ اليُسْرِ في الدارين شَرٌّ
على ذي اليُسرِ منا مستطير
ومنه البعضُ يُعْقِبُ حُسْنَ أجرٍ
وحَمدًا ليس تُبليه الدهور
ومُغنيكَ المحاسِبُ عن قريبٍ
وذاك العالِمُ العَدْلُ القدير
وما عن عدلِهِ لك من فرارٍ
ومنك عليه لا تَخفى الأمور

ستندمُ والندامةُ ليس تُجدي
إذا الزُّرَّاعُ أجنَتْها البُذور

هُنالكَ بين ما يجني بخيلٌ
ويجني محسنٌ فرقٌ كبير

فذاك له أسًى في مَنْزِلَيْهِ
وذا في المنزلَيْنِ له سرور

ففي الأولى جزاءُ الفعل يأتي
مُعَجَّلُهُ وفي الأخرى الأخير

وعَدْلُ الله لا يُلغي جزاءً
فلا يغرُرْكَ بالله الغَرور[1]

تأمَّلْ هل ترى إلا أُناسًا
عن الدنيا إلى الأخرى تَسير

وأيُّ الذاهبينَ إلى ثراهُم
لتُرخى منه فوقَهُم السُّتور

رأيتَ المالَ يتبعُ منه نَعْشًا
لكي يلقاهما معًا الحَفِير

ولو دَفَنوا مع الموتى ثراءً
أطالت هُزْأها بهمُ القبور

وأصْبَحَ في الثرى المدفونِ فيه
ثراءُ القوم وهو له نظير

فسِيّانِ الصفائحُ من نُضارٍ
على الموتى هنالكَ والصُّخور

جميعُ المال يغدو وهو إرثٌ
لأيدٍ كان عنه بها قصور

---

(١) الغرور: الشيطان.

فيذهبُ نادمًا ذو البُخْلِ لكن

من الوُرّاثِ تنشرحُ الصُّدور

فلا تَغْبِطْ من المُثرينَ شخصًا

عن الإحسان يُعرِضُ أو يَجور

فخيرُ المال ما يَثْني رِواءً

عِطاشَ الفَقْرِ بارِدُهُ النمير[1]

وشَرُّ المالِ ما منعَتْهُ أيدٍ

أناسًا أمرُ عُسرِهِمُ عسير

فأشقى الناسِ كلِّهِمُ غَنِيٌّ

لعافٍ ليس يُرجى منه خير[2]

وليس يشكُّ في مَشقاهُ مِنّا

سوى من طَرْفُ نُهيَتِهِ ضرير[3]

تعالى اللهُ من لو شاء أثْرَتْ

إناثُ الناس طُرّاً والذُّكور

فإغناء الجميع من البرايا

عليه هَيِّنٌ سهلٌ يسير

ولكن غيرُ ذاك قضاهُ فينا

فكان اليُسرُ والعُسرُ المرير

وما الإغناء والإفقارُ إلا

لسِرٍّ ما عليه لنا ظهور

وظَنِّي أن هذي الناس لو لم

يفُتها ذلك السِّرُّ الخطير

---

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

أتـى من شُــــحِّهِ أعـــــمى نُــــهَـــاهُ

عن الإحـــســـان وهْـــوَ به بَــصــيـــر

ولـم تَـــرَ مـــأربًـــا لــلـــنـــاس يــومًـــا

إلـــيه عن مــكـــارمـــهـــا تَـــحـــور[1]

وظَــلّــوا واصــطــنــاعُ الــعُــرْفِ فــيه

زُيــودُهُمُ تُــنــافــسُــهـــا الــعُــمـــور

ولـم يُـــــــتَـــــــمَنَّ مـــــالاً قَطُّ إلا

لــيَـــبْـــذِلَهُ كـــبــيـــرٌ أو صـــغـــيـــر

ولـــكن سِــتْـــرُ سِـــرِّ الـــلـهِ ضـــافٍ

وقـــد يـــبـــدو لـــنـــاسٍ مـــنه نـــور

لـــذا شُـــغِـــفَتْ بــبــذلِ الــعُــرْفِ نــاسٌ

ونـــاسٌ مـــنه كـــان بـــهم نُـــفـــور

****

---

(١) تحور: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

عبدالله بن الشيخ سالم الصباح[1]

لَـــئِنْ لم أزُرْ في كلِّ يــــومٍ مَـــحَلَّ مَن
عَـلَيَّ له فـضلٌ يَـجِلُّ عن الـشُّـكْـرِ

كـفـضل أبـيه الحُـرِّ سـالمٍ الـذي
أبى حُـبُّهُ إلا الـتـمـكُّنَ في صـدري

فـمـا انـفكَّ قـلـبي آيـبًـا مـنه ذاهـبًـا
إلـيه لـعـمـري طَـوْعَ أشـواقِهِ الـكُـثْـر

ولـو أنـني أسـطـيعُ وحـدي أزديـارَهُ
لـكـنت إلـيه الـدهـرَ مـتَّـصِلَ الـسَّـيْـر

ولـكـنـني مـا سـرتُ وحـدي مَـرَّةً
فـعُـدْتُ ولم تجـرَحْ جـبـيـني يَـدُ الجُـدْر

كـأنَّ لجـدران الـكـويت جـمـيـعِـهـا
عـليَّ تِـراتٌ غـيـرُ مـنـسـيَّـةِ الـذِّكـر

فـهنَّ مـتى أبـصـرْنَـني دون قـائـدٍ
رَدَدْتُ نـظـيمَ الـصـبـرِ مـني إلى نَـثْـر

أظنُّ كـأني كـنتُ بـالأمس واتـرًا
وهُنَّ بـصـفـعي الـيـوم يـأخـذنَ بـالـوِتْـر

---

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح أسبوعيًا، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتبًا عليه في انقطاعه.

فـيُسـلِـمُـني هـذا لـذاك بـصـفـعـةٍ
وذاك إلى هـذا بـصـفعٍ لـه مُـرِّ
ولـيس لـعُـكّـازي وإن طـال من غِـنًى
تجـاه صـنـيع الجُـدْرِ أو أنمـلي الـعـشـر
فـأبـقى شـريـد الـلُّبِّ حـتى يُـتـاحَ لي
كـريمٌ عن الإسـعـاف لـيس بِـمُـزْوَرِّ
فـيـرجعُ بي لـلـبـيت أشـكـرُ فـضـلَهُ
وطـورًا أنـالُ الجُـدْرَ بـالمـنـطق الـهُـجْـر
ومـا كـان قـولُ الـهُـجْـرِ خُـلْـقي وعـادتي
ولا بِـمُـبـيـخٍ مـا بـصـدري من الحَـرِّ
ولـكن غـيظ المـرء يُـخـرجُه إلى
سـوى عـادِهِ أو ضِـدِّ أخلاقِهِ الـغُـرِّ
وهـل لمـغـيظٍ مُـحْـنَقٍ من تـأمُّلٍ
فـيـعـدلُ عن شَـرِّ الأمـور إلى الخـيـر
فـمـا غَـضَبُ الـغـضـبـانِ بَـدْءًا وغـايـةً
سـوى آفـةٍ مـغـتـالـةِ الـعـقلِ والـفـكـر
فـكم غَـضَبٍ ألـقى عـلى عَـقْلِ عـاقلٍ
من الـسِّـتْـرِ مـا تُـلـقي عـلـيه يَـدُ الخَـمْـر
فـقـد يـنـدمُ الـغـضـبـانُ بَـعْـدُ كـأنه
مُـفيقٌ جَنى كـبرى الجـنـايـاتِ في الـسُّكْر
وأعـرف فـضلَ الحِـلْم لـكن مـتى يُـسِيءْ
إليَّ مـسـيءٌ أَنْسَ مـثلَ الـورى غَـيْـري
وهل يـغـضبُ الإنـسـان لـو عـاش ذاكـرًا
جـمـال مـزايـا حِـلْـمِهِ الجـمَّـةِ الـزُّهْـر
فـآوي إلى بـيـتي وثـوبِيَ لا تَـرى
بـه أو بـجـسـمي مـوضـعًـا غـيـرَ مُـغْـبَـرِّ

فيتركني ذاك الفتى بعد قوله

أرى لك أن تبقى من البيتِ في العُقْرِ

فما لضريرٍ في فراقِ مكانه

من الربح إلا ما يَقِلُّ عن الخُسْرِ

فلست أرى ربحًا وإن جَلَّ وافيًا

بما تركت في وجهك الجُدْرُ من حَفْر

وما رَقَّتِ الجُدران يومًا لحالتي

وهل رِقَّةٌ للطين تُرجى أوِ الصَّخْر

وإن أنْجُ منها لم أعُدْ قَطُّ ناجيًا

إلى منزلي من وقعةٍ بِيَ للحُمْر

فكم أوجَعَتْ صدري صِلابُ صدورها

وكم عَفَّرَتْ ظهري بطرحي على العَفْر

ولم يَرْثِ لي من قد أقَلَّتْ ظهورُها

لقِلَّةِ ما فيهم من الفهمِ والحِجْر

كأني لديهم للحمير ممازحٌ

فليس لديهم غيرُ ضحكهمُ المُزري

فمهما أقَعْ مستلقيًا لا تجد فَمًا

على منظري من جَهْلِهِمْ غيرَ مُفْتَرِّ

كأنهمُ شاءوا بإرسال ضِحْكِهِمْ

زيادةَ ما قد ألحقوني من الشَرِّ

وإن كان فيهم عاقلٌ كان عقلُهُ

بمشبِهِ شَتمي من ملامي له يُغْري

فهذا له ضحكٌ وذاك ملامةٌ

خلال نهيقٍ من حَميرِهِمُ نُكْر

فتسمع أذني ما أوَدُّ لأجله

بأن على أُذْني رتاجًا من الوَقْر

ويــــا ربمــــا فـــارقتُ قـــبلَ فِـــراقـــهمْ
صـــوابِيَ أو قــد غــبتُ عــنه عــلى الإثــر
فــأمــضي بلا رُشــدٍ كــأني ســفــيــنــةٌ
بمــلــتــطم الأمــواج من لُـــجَجٍ خُــضْــر
وقــد كــسَــرَتْ مــنــهــا يَــدُ المــوجِ دَفَّــةً
ومــا لــذويــهــا بــالــنــجــارةِ من خُــبْــر
فَـظَـلَّتْ بــهم تجــري إلى غــيــر وجــهــةٍ
بـغـيـر الـذي يـنـوُونَ من جـهـة الـعُـبْـر[1]
تــمــيل بــهــا لــلــقــصــد طــورًا وتــارةً
تــمــيلُ بــهــا عــنه يَــدُ الــريح بــالــقَــسـر
فــأمــشي بــأثــنــاء الــشــوارع تــائــهًــا
كــمــكــســورةِ الــسُّــكــان في وسط الــبــحــر
إلى أن يـــــراني راحمٌ فـــــيـــــكــــون لي
دلــيلاً ويَــثــني عــســرَ أمــري إلى يُــسْــر
فــيــوصــلُــني بــيــتي يُــحَــدِّثُــني بمــا
يَــراهُ يــؤَدّي كــسْــرَ قــلــبي إلى جَــبْــر
ولم أر أمـــثـــالَ الأنـــام تـــبـــاعـــدوا
طِـبـاعًـا عـلى رغم الـتـقـارب بـالـنَّـجْـر[2]
فـــهـــذا يـــؤاذيـــني وهـــذا يـــقـــوم لي
بـنـفـي الأذى في الـسِّــرِّ عَـنِّـيَ والجَــهْـر
ملائـــكـــةٌ بـــعضُ الأنـــام وبـــعـــضُـــهم
شـــيـــاطـــينُ إلا بـــالمـــنـــاظِـــرِ والجِـــذر

٭٭٭٭٭

(١) العبر: الشاطئ.

وكم حَـولَّتْ سـيـارةٌ بـصـفـيـرهـا
أنـاملَ كـفي الحُـمْـرِ خـوفًـا إلى صُـفْـرِ
وقـد يَـصْـفِـرُ الـدرّاجُ حـوليَ غـافلاً
لأَبْـعُـدَ عـنه أو يُـنَـبِّهَ بـالـنَّـقـر
فـأُرْعَـدُ ذعـرًا مـنه حـتى كـأنمـا
تـمـشت بـجـسـمي كـلِّهِ رِعْـدَةُ الـقُـرِّ
ولا غـرو أن خـاف الـدواهسَ جـاهلٌ
وجـوهَ المـنـاجي من حـوادثـهـا الـغُـبْـر
فـكم رُمْتُ أنجى الـفَـرِّ مـنـهـا فـكـان مـا
أتـيـتُ به إذ ذاك من أهـلَكِ الـكَـرِّ

☆☆☆☆☆

ولـستُ أرى لي قـائـدًا مـتـطـوِّعًـا
يُـلَـبّي مـتى نـاديـته بُـغـيَـةَ الأجـر
ومـا قَـلَّتِ الـقُـوّادُ لـكنَّ جُـلَّـهم
بمـا يـبـتـغي مـنه الـمَـقُـودونَ لا يـدري
ومن يـدر يَـغْـفُلْ فـالجـنـيبُ لجـنـبهِ
من الـعُـمْيِ يطوي الـطُّرْقَ مَـعْهُ على ذُعْر
فـمـا كلُّ من قـاد الـضـريـرَ بـكـائنٍ
عـلى حَسْبِ مـا يـهـواهُ في المسـلكِ الـوَعْر
ومن دَقَّ مـنـه الحِسُّ لم يُـلْفِ قـائـدًا
كـمـا يـتـمـنى إذ يُـبَـكِّـرُ أو يَـسـري
فـمـا دقـة الإحـسـاس إلا بـلـيـةٌ
وإن عَـدَّهـا نـعـمـاء كل امـرئٍ غِـرِّ
فـلـو لم يَـدِقَّ الحِسُّ مـنِّيَ لم يَـعُـدْ
على صِغَري يبيضُّ مـا اسـوَدَّ من شَـعري

وأمــا الــذي يــشــفي ويــكــفي فــإنه

إلى عَـقـوَتي من شِـقـوتي غـيـرُ مُـنْـجَـرِّ[١]

فــأرمي إذا شــئتُ الخــروجَ بمــقــودي

لـزيـدٍ عـلى حُـكمِ الـضـرورةِ أو عَـمـرو

فـأمـشي كـمـا يـهـواه من ثَـيِّبِ الـمِـشَى

إلى جـنـبه مـسـتـسـلـمًـا ومن الـبِـكـر

فـكم مـشـيـةٍ لا عـهـد لي بمـثـيـلـهـا

تـمـشَّـيـتُـهـا بـين الـتـعـثُّـرِ والـطَّـمْـرِ[٢]

ولــو أنــني قــد نــلت أرأفَ قــائــدٍ

وأرحم حــتى من أبي المــشــفقِ الــبَــرِّ

وقـلت لـنـفـسي تـلك مـنـيـتك الـتي

أطـلـت تـمـنـيـهـا فـقَـرِّي بـهـا قَـرِّي

وســايَـرَني يـومًـا عـلى مـتن مـنـهجٍ

سَـويٍّ، خَـلِيٍّ من مـخـاطِـرِه، قَـفْـرِ[٣]

لــعَنَّ من الجُــبْنِ الــذي هُــوَ فِــطـرتي

هـنـالكَ مـا يـثـني سـكـوني إلى نَـفْـر

فـمـا يـنـتـهي بي من سـبـيلٍ نَـجـوبُـهـا

ولم يطوِ قلبي الخوفُ منـهـا على فَطْر[٤]

ولــيس له ذنبٌ ولــكنْ ســجِــيَّــتي

لـهـا وحـدهـا الـذنبُ الـذي جَلَّ عن غَـفْـر

وأمــا إذا مــا قــادَني من ضَــرورَتي

إلــيه رَمَتْ بي من ذوي الــوَثْبِ والــطَّـفْـر

(١) العقوة: ما حول الدار والساحة.

(٢) الطمر: الوثوب.

(٣) المنهج: الطريق الواضح.

(٤) الفطر: الشق.

فلا تســـألَنْ عن حـــالـــتي إنَّ حـــالـــتي
لأدمُعِ حـــتى من قَـــلَـــوْنِيَ تـــســـتَـــذري
فـلـو أبـصـرتْ عـينُ الـعـتـيـبيِّ بـعـضَـهم
وقـد أمـسـكتْ يُـمـنـاهُ أنْـمُـلَـتَيْ «صَـقـر»
لَـــهَمَّ كـمـا تـقـضي المـودَّةُ مـشـفـقًـا
بـنَـهْـري عـلـى إفلاتِيَ الـبـيتَ أو زَجْـري
وقـــال أرى يـا صـــقـــرُ - مـا دمتَ لا تـرى
طريقَكَ - أن تبقى مدى الدهرِ في الـوَكْر
فـــلـــيس لـــصـــقـــرٍ أن يُـــبـــارِحَ وَكْـــرَهُ
إذا سَـدَّتِ الـعـيـنـينِ مـنه يَـدُ الـضُّـرِّ
فـمـا طـارَ مـكـفـوفُ الـصُّـقـور فـسـالَـمَتْ
جَـنـاحَـيْهِ قـبلَ الـيـوم عـاديـةُ الـكَـسْـر
فلا تجـمـعَنْ كـسـرَ الجـنـاحِ إلى الـعـمى
فـجـمـعُـهـمـا يـا «صـقـر» قـاصـمـةُ الظَّـهْـر
فـــكن أبـــدًا حِـــلْـــسًـــا لـــبـــيـــتكَ لازمًـــا
لـكِـسْـرَيْهِ حـتى يـنـقُـلـوك إلى الـقـبـر
فـــلـــو شـــاء رَبّي غـــيـــرَ ذلك لم يـــكُنْ
بـــعـــيـــنـــيك من كَفٍّ وكـــفِّكَ من عُـــسْـــر
وهـــا أنـــا لـم أخـــرُج من الـــبـــيت ســـاعـــةً
إلى من نـــأى أو من دَنـــا غـــيـــرَ مـــضْـــطَـــرِّ

✡✡✡✡✡

كـــأن إلـــهي شـــاء قـــبلَ تَـــرَحُّـــلي
إلى الـعـالمِ المـسـتـورِ غَـسْـلِي من الـوِزْرِ
ولـــيس لـــوزري غـــاسلُ مـــثلُ شِـــقـــوتي
فـأسـبَغَ مـنـهـا مـا يـفي لِيَ بـالـطُّـهْـر

✡✡✡✡✡

لـــهـــاتـــيـــكمُ الأســـبـــابِ قَـــلَّتْ زيـــارتي

وإن كـنتُ من شـوقي إلـيكم عـلى جَـمْـر

فـــــلم أسْلُ عن أفْقٍ عــــهـــدتُكَ بَـــدْرَهُ

وأمــجـــادُ أصـحـــابي به هـــالــةُ الــبـدر

ومـــا كلُّ مــنــزور الــلــقـــاء بــنـــاشئٍ

لــعَــمــرِيَ عن قُلٍّ من الــشـــوق أو نَــزْرِ

فـــيـــا رُبَّ ذي وصلٍ كـــثـــيــرٍ بلا هـــوًى

وآخــر تـلــقـــاه عـــلى عـــكــسه يــجـــري

✲✲✲✲

أمـــولايَ عـــبـــدَالـــله أحـــلفُ بـــالـــذي

أُؤَمِّلُ مـــنه أن يـــزيـــدك في الـــعُـــمـــر

وأن لا يـــريك الـــدهـــر ســـوءًا بـــأن لي

إلـيك اشـتـيـاقُ الـمُـجْـدِبِـينَ إلى الـقَـطْـر

ولــكن لأســبـــابٍ كـــشــفتُ وجـــوهَـــهـــا

بمـــا مَـــرَّ من قـــولي فـــجـــئنَ بلا سِـــتْـــر

غـــــدوتُ مُـــــقِلاً من زيـــــارتك الـــــتي

يَـــقِلُّ عـــلى إقلالِ أمـــثـــالِـــهـــا صَـــبـــري

فـــإن تَـــلْقَ عُـــذري بـــالـــقـــبـــول فـــذاك مـــا

رجـــوتُ ولم أتْـــرُكْ حـــجـــابًـــا عـــلى عُـــذري

✱✱✱✱

في اسمه

يـقـولـون لي يـا صـقـرُ مـا لكَ واقـعًـا
من الـكَفِّ عن طَـيْـرِ الـقَـريضِ عـلـى وَكْـرِ
إذا لم تُـحَـلِّقْ في فـضـا الـشِّـعْـرِ صـائـدًا
طـيـورَ مَـعـانـيـه فـمـا أنت بـالـصَّـقْـرِ
ومـا عـلـمـوا أن المـقـاديـرَ قـد رَمَتْ
جـنـاحِيَ عن قـوسِ الحـوادثِ بـالـكَـسْـر
إلى الـلـه أشـكـو أنـني في مـعـاشـرٍ
رأوْني من الإعـسـار كـالـواوِ في عَـمـرو

****

صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بــني يـــعــربٍ من كُلِّ ذي نجــدةٍ حُــرِّ
فلسطين مسَّتْها يَدُ العَسْفِ والجَوْرِ

وأنــتم لــهــا نــعم الــعَـتـاد فــهــيِّــئـوا
قُواكم وسيروا نحوَها أسرَعَ السَّيْر

ولا تــقــعُــدوا حــتى ولــو لم يــكن لــكم
سلاحٌ سوى الإيمان والحَقِّ والصَّبْر

أيَــجــمعُ شُــذَّاذُ الــيــهــود نــفــوسَــهم
وما ملكوا من وافرِ البِيضِ والصُّفْر

لأخـذ فـلـسـطـينَ الـعـزيـزِ مـكـانُـهـا
ورَمْيِ أهاليها بقاصمةِ الظَّهْر

ولـــمّـــا نُـــنـــازِلْـــهُمْ نِـــزالاً يَـــرُدُّهُم
وقد يئسوا من مثلها آخرَ الدَّهر

لـئن لم يُـثـِرْنـا مـا فـلـسـطـينُ تـشـتـكي
أذاهُ فإنّا في ضلالٍ وفي خُسْر

عُــرِفــنــا قــديمًــا بــالــوفــاء وإنــني
أرى عن فلسطينَ التخلِّي من الغَدْر

عــجــبتُ لجــسمٍ يــســتــقــرُّ وبــعــضُهُ
يقلِّبُهُ الظلمُ الشنيعُ على جَمر

شــيــوخٌ وأطــفــالٌ صــغــارٌ ونــشــوةٌ
تئنُّ من البلوى وتشكو من الضُّرِّ

فـكم أيِّمٍ تـشـكـو هـنـالكَ شَـجْـوَهـا
وكم ثَمَّ من طـفلٍ لأدمُـعِهِ يُـذْري
وكم من أخي شـيـخـوخـةٍ مـتـجـلِّـدٍ
عـلى مـا به من كل مـحـرجـة الـصَّـدر
وقـد جـاهـدت شُـبَّـانُـهُمْ وكُـهـولُـهُمْ
جـهـادَ بـهـالـيلٍ غـطـارفـةٍ غُـرٍّ[1]
جـهـادًا به قـد أعـرَبَ الـكلُّ مـنـهمُ
لـعُـرْبِ الـورى والـعُـجْمِ عن كَـرَمِ الجِـذر
جـهـادًا فـؤادُ المجـدِ سُـرَّ بـوقـعِهِ
وعـادت له الـعـلـيـاء بـاسـمـةَ الـثَّـغْـر
ومـا بَـرِحـوا مـنه يُـقـيـمـون كلَّ مـا
يُـدالُ به عُـرْفُ الـحـقـوق من الـنُّـكْـر[2]
وقـد أصـبـحت فـرضًـا مـعـونَـتُـهُمْ بما
تـصـونـونَ من غـالي الـحـيـاةِ أو الـتِّـبْـر
لمن نُخْـرُنـا أمـوالَـنـا ونـفـوسَـنـا
إذا مـا رغـبـنـا عـنـهمُ الـيـومَ بـالـذُّخْـر
ومـا قـولـنـا لـلـه إن لم نُـعِـنْـهُمُ
إذا مـا وقـفـنـا مَـعْـهُمُ وقـفـةَ الحَـشْـر
إلى قـومِـنـا قـومـوا بـنـا فـلـقـد شَـجَـتْ
مـصـيـبـتُـهم حـتى الأصمَّ من الـصَّـخْـر
لـنـشـهَـدَ مَـعْـهُمْ مـا بِهِ يُـحـرِزُ الـفـتى
شـهـادتَهُ أو يـجـتـني ثَـمَـرَ الـنَّـصْـر
فـمـا المـرء إلا من يـشـارك قـومَهُ
من الـعـيش في حـلـوِ المـذاقـة والـمُـرِّ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

إذا كـان عُـمْـرُ المـرءِ حـتـمًـا سـيـنـقـضـي

فـفـي مـثـل مـا هَـبّـوا له يـا دَمِي فَـاجْـرِ

نـسـورٌ وآسـادٌ سـعـى كلُّ ظـالمٍ

لإخـراجـهـا ظـلـمًـا من الـغـابِ والـوَكْـر

فـعـزَّ عـلـيـهم أن يـكـونـوا فـرائـسًـا

يمـزِّقُـهـا الـطـغـيـانُ بـالـنّـابِ والـظُّـفـر

فـهَـبّـوا كـمـا تـقـضي الـعُلا عن حِـمـاهُمُ

يـذودون ذَوْدَ الـلـيـث ضُـويِقَ والـنَّـسْـر

فـإن تـنـجـدوهم يـا بـني الـعـرب تُـنـقـذوا

نـفـوسَـكُمُ لا غـيـرهـا من يَـدِ الـشَّـرِّ

ومـا لـكمُ إن لم تـقـومـوا بـنـصـرهم

لـدى الـلـهِ والإنـصـافِ والمجـدِ من عُـذر

ومن ذا يـرى عـذرًا من الـنـاس للأُلى

إلى يـعـربٍ مَـتّـوا بـآصـرةِ الـنَّـجْـر[1]

إذا قـعَـدوا عن نـصـر إخـوانـهم بمـا

لـديـهم من الأرواح جـبـنًـا أوِ الـوَفْـر

وهـل من أوانٍ مـثلِ هـذا لـطـالبٍ

رضـى الـلـهِ في بـذلِ الحـطـام أو الـعُـمْـر

عـفـاءٌ عـلـى غـيـرِ المـعـين بمـاله

ومـهـجـتِه إخـوانَهُ سـاعـةَ الـعُـسْـر

أمـا يـتَّـقـي سُـخْطَ الإله يَـصُـبُّهُ

عـلى رأسه أو يـسـتحي مِن ذوي الحِـجـر[2]

ألا مـا الـذي غَـرَّ الـيـهـود فـأمَّـلـوا

حـصـولاً عـلـى مـالا يُـنـال من الأمـر

---

(١) النجر: الأصل.

(٢) الحجر: العقل.

ألم يـعـلـمـوا أنّـا بَـنُـو الجـرأة الـتي

يَـحُـولُ بـهـا سَـهْلُ الـطُّـغـاةِ إلى وَعْـر

وأنـا الـشَّـجـا في حَـلْقِ كلِّ مـحـاولٍ

لـديـنـا ولـو أخـذَ الـقُلامـةِ بـالـقَـسْـر

وأنـا بَـنُـو من لم يـكن قَطُّ مـنـهم

فتًى جَفْنُه يغضي على مَضَضِ الوِتْر

لـئن جَـهِـلـوا من نَـحْنُ قـبلُ فـكـلُّـهُمْ

سيـصـبحُ بـعـد الـيـوم وَهْـوَ بـنـا يـدري

ألا سـألـوا عـنـا الحُـروب لـيَـعْـرِفـوا

حقيقتَنا بين الظُّبي والقَنا السُّمْر

ألا سـألـوا الـتـاريخ عـنـا لـيـغـتـدوا

عـلى خـبـرةٍ ممـا نَـريشُ ومـا نَـبْـري

****

سلطان بن إبراهيم الكليب[1]

ألا ليت سلطانًا سلاطينُ بيننا
لكيما يَعُمَّ العطفُ مِنّا ذوي الفَقْر

ولكنه يا للمصيبة واحدٌ
وعَدُّ ذوي الإقلالِ فاتَ يَدَ الحَصْر

وأيُّ فتًى فينا سواه قد انبرى
لمسح دموع البائسين التي تجري

فإن فخرَتْ بالمحسنينَ ديارهم
تَحَلَّتْ بلسطانِ الكويت حُلى الفَخْر

لقد قَلَّ أهلُ العطفِ بين معاشري
وما قَلَّ أصحابُ الوَجاهَةِ واليُسْر

كأن قلوبَ الكلِّ منهم تكوَّنَتْ
تُجاهَ صنيعِ البؤسِ من أصلَبِ الصَّخر

فلا رحمةٌ منهم ولا رأفةٌ بمن
رَمَتْهُمْ يَدُ الإفلاس بالنُّوَبِ الغُبْر

إذا لم يَجِدَّ الجِدُّ من عزمٍ قائمٍ
ببذلِ مَساعٍ مثل مَسعاتِهِ غُرِّ

وهيهاتَ أن نلقى كسلطانَ من فتًى
لإصلاحِ حالٍ أفسدَتْها يَدُ الدَّهْر

---

(١) سلطان بن إبراهيم الكليب من أعيان أهل الكويت تولَّى إدارة البلدية مدة من الزمن ثم انتخب عضوًا لمجلس المعارف عام ١٩٥٣م، وهو من محبي عمل الخير فلا يسمع بنكبة عائلة إلا أسرع بجمع الإعانة لها من الأغنياء وغيرهم.

سَـيُـذْكَـرُ سـلـطـانٌ بمـا هـو أهـلُهُ
لـدى الـلـهِ والأبـرارِ من طَـيِّبِ الـذِّكْـرِ
وأشـكـرُهُ مـهـمـا جـرى ذكـرُ مـحـسنٍ
من الـنـاسِ في نـظمِ المـقـالِ أو الـنـثـرِ
ولـو كـنتُ مـخـتـارًا وهـبتُ لـعُـمـرِهِ
بـقـيـة مـا أوتـيتُ من مُـدَّةِ الـعُـمْـر
لـيـبـقى طـويلاً من تَـرُدُّ جـهـودُهُ
كـسـيـرَ قـلـوبِ الـبـائـسـينَ إلى جَـبْـر
فـفُـسْـحَـةُ مَـحـيـاهُ تُـقِـرُّ عـيـونَـهم
ولـو لم يَـقُلْ مـنه الـلـسـانُ لـهـا قَـرّي
فـقـد عـرفـوهُ راحـمًـا مُـتَـعَـطِّـفًـا
عـلـيـهم لمـا يـبـدو لـهم واسعَ الـصَّـدر
إذا غـيـرُهُ لا قـاهمُ بـقُـطـوبِهِ
– كما تقتضيه قسوةُ القلبِ – والكِبْر
تـلـقّـاهُمُ سـلـطـانُ عن رحـمـةٍ لـهم
وعن رأفـةٍ بـين الـتـواضُعِ والـبِـشْـر
وشَـتّـان بـين المـرء يـخـتـالُ عـابـسًـا
عـلـيـهم بـهم لـلـحـزن مـنـظَـرُهُ يُـغـري
وآخـرَ بـسـامٍ لـهم مـتـواضعٍ
يُـسَـرُّ بمـرأى وجـهِهِ كلُّ ذي طِـمْـر[1]
ومن أي حُبِّ الـلـهِ لـلـمـرء جَـبْـرُهُ
قـلـوبًـا رمـتـهنَّ الحـوادثُ بـالـكَـسْـر
تَـعَـوَّدَ حَقَّ الـقـول شِـعـري وصِـدقَهُ
لـذا لم يـكن من شـكـرِهِ نـافـرًا شِـعـري

(١) الطمر: الثوب البالي.

ولــو أنــني كــلــفــتُهُ الــزُورَ أصــبــحَتْ

قــوافــيه عــني في ازورارٍ وفي نَــفْــرِ

أحق الــورى بــالــشــكــرِ من كلِّ شــاكــرٍ

مــهــيبٌ بــأيــديــهم إلى عــملِ الخــيــر

أســلــطــانُ لَــيْتَ الــقــومَ يَــدرون كــلُّــهم

حــقــيــقــةَ مــعــنى بِــرِّهِمْ مــثل مــا تــدري

فــلــو فــهــمــوا مــعــنــاهُ فــهــمكَ حَــلَّــقــوا

بــآفــاقِهِ تحــلــيقَ أنجُــمِهِ الــزُّهْــر

وشَقَّ من اللأواءِ ظــلــمــةَ لــيــلــهــا

سنــا الــبِــرِّ عَــمَّنْ تحت ظلــمــتِهِ يَســري[1]

ولم تَــرَ عــيــنــاكَ الأُلى وُهِــبــوا الــغِــنى

يُــســِقّون إســفــافًــا إلى الــبَــخَلِ الــمُــزري

***

ألا لــيت شــعــري مــا الــذي ظَنَّ نَــيْــلَهُ

بمــنعِ حــقــوقِ الــلــهِ من مــالِهِ الــمُــثْــري

أظَنَّ خــلــودًا في الــدُّنــا وهــو لم يَــزَلْ

يَــرى الموتَ مــنّــا أحــمَــر الــنــابِ والــظُّــفْــر

أمِن حــزم ذي الأمــوالِ مــنعُ حــقــوقــهــا

وعــنــهــا عــوادي المــوت تــؤذِنُ بــالــسَّــيْــر

وكم قــد رأى من قــبــلــهِ بــاخلاً مــضى

وغــادَرَ كلَّ المــال بــالــرغمِ لــلــغــيــر

فــراح بلا ذكــرٍ حــمــيــدٍ وراءَهُ

وقُــدّامَهُ هَــوْلُ المــآثمِ والــوزر

(١) اللأواء: الشدة.

فعوّدَهُم سلطانُ بَسْطَ أكفِّهم
بتذكير كلٍّ منهمُ حُفرةَ القبر
وأنّ المنايا قادماتٌ وأنّهُ
بها سيخلّي وفْرَهُ كلُّ ذي وَفْر
وأن أمامَ الكُلِّ يومُ حصادِهِ
نتائجَ ما ألقتْ يداهُ من البَذر
أيرتابُ في العدل الإلهيِّ قلبُ مَن
له مرشدٌ من صحَّةِ الحِجْر والفكرِ
إذا شَكَّ في رُسْلِ المهيمن بعضُنا
وكل كتابٍ منزلٍ منه أو سِفْر[1]
فهل ريبةٌ تعروهُ في الرُّسُلِ الألى
عليها طواهُ كالضميرِ وكالحِجْرِ
وما بين جنبيهِ من الكتُبِ التي
تُبينُ له عُرْفَ الأمور من النُّكْر
فعِظْهُمْ وذَكِّرْهُم عواقبَ ما أتَوْا
ويأتونه في السِّرِّ منهم أوِ الجَهْر
وقل لهمُ ما «أم دَفْرٍ» وفيَّةٌ
لمخلصِها المخدوعِ والغافلِ الغِرِّ[2]
تُمِرُّ إذا أحْلَتْ وتَكْدُرُ إن صَفَتْ
وترفعُ لكن رفعُها عاملُ الجَرِّ
فَتُحْزِنُ إن سَرَّتْ وتَسْلُبُ إن حَبَتْ
وتَطوي بساط الوصلِ منها يَدُ الهَجْر
فإن أسعَدَتْ أشْقَتْ وإن سالمت رَمَتْ
من الحربِ يومًا مّا بقاصمة الظَّهر

(١) السفر: الكتاب الكبير، وأيضًا الجزء من أجزاء التوراة.

(٢) «أم دفر»: هي الدنيا.

فلا تمنحوها الحُبَّ أجمَعَ واذخَروا

لضرَّتِها من حُبِّكم أنَفَسَ الذُّخْر

ومن غَرَّ منها بالتَّوافي فقل له

لقد لبِسَتْ ثوبَ التَّوافي على غَدْر

وإن انقلابَ الحال منها لحكمةٍ

سماويةٍ للكل مرفوعةِ السِّتر

فأحوالُها ذاتُ التحوُّلِ ألسُنٌ

وإن لم تُركَّبْ بين فَكَّيْنِ من ثَغْر

تصيحُ بمَن دنياهمُ أسكرتهُمُ

أفيقوا قُبَيْلَ الموت من ذلك السُّكْر

وما جَمْجَمَتْ بل صَرَّحَتْ بِعظاتها

ولا بدَّلَت جهرَ النصيحة بالسِّرِّ[1]

فكم عِبرةٍ أفشَتْ وكم عِظَةٍ تَلَتْ

أحَسَّ بها ذو السمع مِنّا وذو الوَقْر

وقد أسهبَتْ في الوعظ حتى غدت بهِ

تسُدُّ على مَن لم يُفِقْ طُرُقَ العُذر

فَزِدْ واعظًا في وعظِها القومَ قائلاً

أأعدَدْتُمُ للموتِ زادًا وللحَشْر

لئلا يزالوا ذاكرينَ منازلاً

إليها من الدنيا نسيرُ على جِسْر

وأن ليستِ الأعمارُ إلا نجائبًا

ولسنا على أكوارهنّ سوى سفر

فما اغتَرَّ بالدنيا الخَدوعِ سوى امرئٍ

أصيبَ بنسيان المنيَّةِ والنَّشْر

---

(١) جمجمت: أخفت ولم تبين.

ولا ضَمَّ مــفــروضَ الحــقــوقِ ونَــفْـلَــهــا
لمن أمــلــقــوا شُــحّــاً إلى مــالهِ الــكُــثْــر

ســـوى الحــائــرِ المــرتــاب في أنه عــلى
صَنيعَيْهِ يُجزى حَذْوَكَ الشِّبْرَ بالشِّبْرِ

ولــو أعــمَلَ الــعــقلَ الــســليمَ لــزَحــزحتْ
دُجَى الــشكِّ من إيمــانه طــلــعــةُ الــفــجــر

فــعــقلُ الــفــتى يُــبــدي عــواقبَ أمــرهِ
إذا لم يــزل مـــنه يــســيــر عــلى الإثــر

لــعلَّ قــلــوبًــا قــد قــست ســيُــلــيــنُــهــا
تــذكُّــرُهــا الــعُــقــبى من الخــيــرِ والــشَّــرِّ

****

مصر وقضية فلسطين[1]

في سنة ١٩٣٧ أيام فاروق والنحاس

لُومي فلسطينُ العزيزةُ أو ذَري
مِصراً على هذا السُّكوتِ المُنْكَرِ
سكتَتْ وصوتُ الظلم يَدْوي معلِنًا
تقسيمَكِ المُشْجي كأن لم تَشْعُر
أدمى قلوب العُرْبِ شجواً فانبرَوْا
كالأُسْدِ حين يَهِجْنَ أو كالأنْسُرِ
وتعاهدوا أن لن يَمَسَّكِ من أذًى
ما لم تغيِّبْهُمْ بُطون الأقبُر
وتقاعست مصرٌ فكان صنيعُها
للضاد والإسلام شَرَّ مُكَدِّر
فهُما إليها بعد كلِّ تَجِلَّةٍ
لا ينظران بغير عَيْنَيْ مُصْغِر
أمَناطَ آمالِ العروبة والهُدى
غادرتِ كُلاً منهما بكِ يَزدري
أزرى بقدركِ ما إليه ركنتِ في
هذا السكوتِ بدون أيِّ مبَرِّر
أتنامُ عينا مصرَ في الليلِ الذي
وافى مُحِبِّيها بأنكَدِ مُسْهِر

---

(١) نشرت في مجلة السجل في ١٢ من رجب سنة ١٣٥٦ الموافق ١٧ أيلول ١٩٣٧.

ولقد ظننّاها تُبادِلُنا الهوى
فإذا الظنونُ كواذبٌ في المَخْبَرِ
من نام عن ليلٍ يُسَهِّدُ عينَهُ
ثم ادَّعى حُبّي فدعوى مُفْتَرِ
إن كان تحريرُ البلادِ يَعوقُها
عن أن تقوم بواجبِ المتحَرِّرِ
فعلى تَحَرُّرِها العَفاءُ فما لَه
فضلٌ على استعبادِها المتوَفِّرِ
أيَسُرُّ مصرًا أن تُرَمِّمَ مجدَها
بممزَّقٍ من مجدنِا ومبعثَرِ
ولعلَّنا نَلْقى لها أقوى يدٍ
إن نازلَتْ يومًا عَدُوّاً يَجتري
وأحقُّ من مصرٍ بكلِّ ملامةٍ
ذاك الذي يدعونَهُ بالأزهَرِ
كنا نؤمِّلُ أن يقيم قيامةً
إن لم تُرَقْ مُهَجُ الأعادي تُذْعَرِ
فإذا تثاقُلُهُ يطولُ كأنما
دَهَنَ العِدا أعصابَهُ بمخدِّرِ
أيصدُّ عن أمسِ الجهادِ ويومِهِ
رغم اقتضاء الواجبِ المتكرِّرِ
ولقد حسِبنا أن يُمِدَّ جهادَنا
منه بأكبرِ نافرٍ مستنفِرِ
ألِجُبْنِهِ قد صَدَّ أم لرضائِهِ
عن جَوْرِ حُكْمِ الظالمِ المتَنَمِّرِ

وكِلاهُما أمرٌ صُدورُ نظيرِهِ

يُمسي ويُصبحُ وهو عارُ المصدَر

أزَعيمَنا الدِّينيَّ إن زعيمَنا

بالحقِّ مَن لذِمامِنا لم يَخْفُر

أتظنُّ أن يرضَى زعامتَك الأُلى

مهما دَعاهم واجبٌ تتأخَّرِ

ماذا رأى الإسلام من خَدَماتِهِ

عند الزعيم سوى المقال المُضْجِر

فإلى الفِعالِ عن المقالِ فغرسُهُ

لم يَجْنِ غيرَ سآمةٍ أو يُثْمِر

أعْطِ الزعامةَ حَقَّها أو خَلِّها

وتَنَحَّ عنها للأحَقِّ الأجْدَر

ما المجدُ ثرثرةٌ ولكن غضبةٌ

للحق تُرضي صارمًا أو سَمْهَري

من لم يُقَدِّمْ مستطاعَ جهودِهِ

لذويه يوم جهادهم لم يُعْذَر

أَوَ ما رأتْ عملَ العراقِ وصنعَهُ

مصرٌ وأزهرُها بعينَيْ مبصِرِ

شَمَلَتْ ذَويهِ غضبةٌ مضَريَّةٌ

كانت لهم مهما استُثيروا تعتري

تركتهُمُ ما بين جامعِ نفسِهِ

ينوي الوُثوبَ وواثبٍ ومزمجِر

لم تُبْقِ في أكنافهِ من لم يَقُمْ

طَوْعَ الحِفاظِ المُرِّ أو لم يَزْأَرِ

فــكـــأنه غـــابـــاتُ «بــيــشَـــةَ» لم يـــكنْ
فـــيـــهنَّ إلا كلُّ ضـــارٍ قَـــسْـــوَرِ[1]
ونـــــكـــــادُ نجــــزمُ أنـهُ هِـيَ إذ رَمى
كـــيـــدَ الـــعــدوِّ بـــكل لـــيثٍ مُـــخْـــدِرِ[2]
قـــد أظـــهـــرت مـــنه نـــوازلُ جـــارِهِ
مـــا كـــان من حُبٍّ لـــديه مُـــضْـــمَـــرِ
صِـــدْقُ الأحـــبَّـــةِ كـــامنٌ ومـــتى عَـــرا
خـــطبٌ يَـــشُقُّ عـــلى الأحـــبَّـــةِ يَـــظْـــهَـــرِ
لا يـــعـــرف الإخـــوان من يَـــبـــلـــوهُمُ
مـــا لم يـــكـــابـــد قـــاصـــمـــاتِ الأظـــهُـــرِ
فـــلـــيَـــحْيَ مـــحـــمـــودَ الـــوفـــاء لجـــارِهِ
قُـــطْـــرُ الـــعـــراق بـــكلِّ يـــومٍ أغـــبَـــرِ
فـــبـــمـــا أتى من صـــنـــعهِ المحـــمـــودِ إن
قـــمـــنـــا نُـــبـــاهي من يـــبـــاهي نَـــفْـــخَـــرِ
ســـتـــظلُّ في تـــاريـــخه أعـــمـــالُهُ
بـــيضَ الـــصـــحـــائف نَـــيِّـــراتِ الأســـطُـــرِ
وإذا اتُّـــهِـــمْتُ بمـــدحِهِ لمحـــبَّـــتي
ولـــكـــونِ عـــنـــصُـــرِ ســـاكـــنـــيهِ عـــنـــصُـــري
فـــالمـــنـــصـــفـــون من الـــورى مـــا فـــيـــهمُ
من لم يُـــجِلَّ صـــنـــيـــعَهُ أو يُـــكْـــبِـــرِ
والـــفـــضلُ حـــتى من أعـــادي أهـــلِهِ
إن شـــاء جـــاء بمـــنـــصـــفٍ ومـــقَـــدِّرِ
فـــمـــتى أردتَ مـــســـرَّتي فـــأدِرْ عـــلى

(١) بيشة: موضع اشتهر بوجود الأسود فيه.
(٢) الأسد المخدر: الذي لزم خدره أي عرينه.

سَمْعِيًّ أكؤسَ ذكرهِ أستبشِر

وتَناسَ ما أبدتهُ مصرُ لأختها

فمتى تُجَدِّدْ ذكرَهُ أَسْتَعْبِرِ

ألمِثْلِ هذا الخطبِ تُسْلِمُ أختَها

أختٌ ووجه العَوْنِ لم يَتَسَتَّرِ

يا ليتَ غائبَ مصرَ عنّا لم يَغِبْ

أو ليتَ حاضرَها لنا لم يَحْضُر

لو لم يَغِبْ يا مصرُ «سعدُكِ» ما أتى

«نَحّاسُكِ» الأمرَ الذي لم يُشْكَر

أيَرى فلسطينَ العزيزةَ تشتكي

ظُلْمَ الطغاةِ ولم يُعِنْ أو يَنْصُر

هيهات ما سعدٌ بتاركِ مثلها

في كف وحشِيٍّ السياسة بَرْبَري

إني لأذكرُهُ فأبكي عهدَهُ

عهدَ الوفاء المستقيمِ لمعشَري

وأقولُ يا مصرُ استَجيدي مثلَهُ

واستَوْزِري إن شئتِ أن تستَوْزِري

يا مصرُ أمسِ ربحتِ كلَّ قلوبنا

واليوم لم تَرْضَيْ سوى أن تَخْسَري

يا مصرُ ما هذي بخطة حازمٍ

فتأمَّلي ما جئتِهِ وتَدَبَّري

يا مصرُ تُوبي من ذنوبكِ واندَمي

ندمًا يُبَدِّدُ إثمَها واستغفِري

فعلى العتاب قلوبُنا مفتوحةٌ

لكِ بعدُ لم تُوصَدْ ولم تتغيَّر

فَلْترجِعي منها مكانَكِ قبل أن

تَــرَيِ الــرجــوعَ إلـــيه غــيــرَ مُــيَــسَّــر

إن تَــخْــسَــريــنــا تــفــتــحي من بَــعــدِنــا

أبـــدًا عـــلـى الأعـــداء عَـــيْـــنَيْ أعـــوَر

يــا مــصــرُ أحــداثُ الــزمــان كــثــيــرةٌ

ولـــهُنَّ مـــثلُ ودادنـــا لم يُـــدْخَـــر

ولـــئن نـــســـيتِ وفـــاءنـــا في كلِّ مـــا

يُــنسي الــشــقــيقَ شــقــيــقَهُ فــتــذكَّــري

يــا مــصــرُ مــا شَــرُّ الــتَّــنَــكُّــرِ عــائــدٌ

فــيــمـــا أراهُ عـــلى ســـوى المـــتَــنَــكِّــرِ

✩✩✩✩

وأخُصُّ بــالــشُّــكْــرِ الــذين أبَــوْا لــنــا

إلا المـــعـــونـــةَ عن هـــدًى وتـــبـــصُّـــر

من كل حُـــرٍّ في حَـــشَـــاكِ وقـــلـــبُهُ

لم يَــقْسُ قــســوة قــلــبِكِ المــتــحَــجِّــر

أشــجــاهُمُ مُــشْــجي الــعــروبــة فــانــبــرَوْا

عــونًــا لـــهــا في الحـــادث المــتـــوَعِّــرِ

مــهــمــا ذكــرتـــهمُ ومِـرْجَلُ غــضــبَــتي

يــغــلي يَــهِنْ غــلــيــانُهُ أو يَــفْــتُــر

✩✩✩✩

أبــدًا فــلــســطــينٌ ســتــبــقى مــقــلــةً

ولـــهــا كــرامُ الــعُــربِ أكــرمُ مِــحْــجَــر

هي لاهــتـــمـــامِ الـــكلِّ مـــنـــهم مـــوضعٌ

مــضَــريُّـــهُمْ في ذاك مـــثلُ الحِـــمْــيَــري

من كل من عَـــدَّ المـــنـــيَّـــةَ مُـــنْـــيَـــةً

مـــا بـــين أبــيضَ لــلــحــفــاظِ وأســمَــر

قـــومٌ إذا الــهــيــجــاءُ قــامت ســوقُـــهــا

فـبـبـائعٍ مـنـهم تَـروجُ ومُـشْـتَـر
هم خـيـرُ إنسِ الـسِّـلْمِ لـكن حَـرْبُـهُمْ
تُـشْـقي الـعـدُوَّ بـشَـرِّ جِـنَّـةِ عَـبْـقَـر
وإذا شـكـكتَ فـسَلْ طِـوال حـروبـهم
وقِـصـارهـا عن بـأسـهم واسـتـخْـبِـرِ
مـنـهم فـلسطـينٌ سـتحظى مـا اشـتكتْ
نَـجَسَ الـيـهـود بـغـاسلٍ ومُـطَـهِّـر
فـمتى بَـنـو صُـهـيـونَ نـادَوْا كـيـدَهم
جـبـنًـا بـألـسـنـةِ الـنُّـضـار الأصـفَـر
شَـغَلـوا كـجاري الـعـادِ عـنـهم سَـمْـعَهُ
بـضـجـيج ألـسـنـةِ الـحـديـدِ الأخـضـر
أمـا الـصـهـايـنـةُ الخِـسـاس فـخَـوْضُـهُم
نـارَ الـوغى بـنـفـوسـهم لم يُـقْـدَر
فـعـلى سوى الجُـبْنِ الـدَّمـيمِ نـفـوسُـهم
– بـدليل خُـبْـرِ طـبـاعـهـا – لم تُـفْـطَر
مـا مَن يـخـوضُ بـنـفـسهِ نـارَ الـوغى
مـثل الـذي يـلـقى الـوغى بِـمُـسَـخَّـر
فـلـتـأمَـني كـيـدَ الـيـهـود وشـرَّهم
أرضَ الـعـروبـةِ بـاقـيـاتِ الأعـصُـر
فـسـيـوف يـعـرُبَ لم تُـفَلَّ شِـفـارُهـا
ورمـاح يـعـرُبَ بـعـدُ لم تـتـكـسَّـر
لا عـاش من أحـفـاده من لم يَـرُحْ
لـلـذَّبِّ عـنكِ مـشَـمِّـرًا أو يُـبْـكِـرِ

****

بين الأنس والحزن[1]

يا خالدَ الفضلِ في أشعارِهِ الغُرَرِ
رغم الأواتي من الأحداث والغِيَرِ
وباقِيَ الذُّكرَةِ المُتْلى بكلِّ فَمٍ
إذا التقادم أبلى جِدَّةَ الذِّكَرِ
لما سمعتُ بمنعاك الذي كَرَبَتْ
تأتي مرارتُه مني على العُمُرِ
طَفِقْتُ بين زفيرٍ لا تنهنهُهُ
قوى اصطباري ودمعٍ غير مُنْزَجِرِ
أصوغُ فيك رثاءً كلَّ ضامنةٍ
إشجاءَ أفئدةِ الأفرادِ والزُّمَرِ
أتعبت فكريَ في إحكامها فأَتَتْ
من أثمنِ الكَلِمِ المنظوم ذي الخَطَرِ
لولا تَضَمُّنِها إشجاء سامعِها
لخالَها نُظِمَتْ من أنفَسِ الدُّرَرِ

(١) المرحوم خالد الفرج من أخلص أصدقاء الشاعر، وكان محل عمله في المملكة العربية السعودية، وقد اشترى له هناك قطعة أرض، ونشأ خلاف بينه وبين جاره على الحدود، أدى بهما إلى الترافع أمام قاضي المنطقة. فحكم لصالح خالد الفرج، غير أن خصمه لم يقتنع بصحة الحكم مما حدا به إلى الذهاب إلى الرياض للشكوى ضد القاضي وخالد الفرج عند الملك عبدالعزيز السعود، فلما وصل الرياض، ودخل على الملك وشرح دعواه قال الملك «وصلتني الآن برقية تفيد أن خالد الفرج قد مات ولا يمكن عمل أي شيء الآن» قال الملك هذا لإسكات الرجل فقط.
غير أن مجلس الملك كان عامراً بالناس، فتناقلوا الخبر حتى وصل الكويت ووصل صقرًا بالذات، فحزن على صديقه حزنًا عميقًا، ورثاه بقصيدة رائعة. وبعد أيام قدم خالد الفرج إلى الكويت، واتجه رأسًا إلى بيت الشاعر، ودخل عليه، ولم يكد يصدق أنه خالد الفرج، فقال هذه القصيدة.

وحادثُ النَّعْيِ إن يَغْرِسْ بقلب فتًى

حُزنًا فغُرُّ مراثيه من الثَّمَر

وقد لقيتُك حَيّاً والحياةُ لما

قد صُغتُهُ فيك موتٌ غيرُ منتظَر

ففرحتي منك بالمحيا يُساورُها

حُزني لموتِ اللواتي أنجبَتْ فِكَري

والحُزْنُ مني على هاتا يُغالِبُهُ

أُنْسي بكونِكَ حَيّاً بَعْدُ لم تَبِرِ

فبين أنسي وحزني من تَذَبْذُبِهِ

حارَ الفؤادُ بليلٍ جِدُّ معتكِر

كلاهما اليوم قد مَدَّ اليمينَ لكي

ما يستبِدُّ بقلبي مَدَّ مقتَسِر

جَدَّ الصِّراع وما أدري لأيِّهما

عُقباهُ مفترَّةٌ عن طلعةِ الظَّفَر

ولو يُحِسّانِ في جاري صراعِهِما

منّي لِذا أو لهذا مَيْلَ منتصِر

لعَدَّ أيُّهُما عنه أميلُ إلى

خصيمِهِ المَيْلَ ذنبًا غيرَ مغتفَر

مصيبةٌ طارَدَتها نعمةٌ عَظُمَتْ

ونعمةٌ لو نَجَتْ من صَوْلَةِ الكَدَر

وليس يُمكن في العيش اشتراكُكُما

فهل تُخَلِّي لشعري ظلمةَ الحُفَر

والرأيُ عندك فاختَرْ ما يلائمني

وإن تَبَرْقَعَ وجهُ الحزم فاستَشِرِ

وأنت تــعــلمُ مــا كلَّ الــزمــانِ بهِ
يُــتــاح راثٍ لــذي فــضلٍ من الــبَــشَــر
والــعــمــرُ نــقــصــانُهُ يــحــكي زيــادتَهُ
فــالــطول مــنه لــدى ذي الــلُّبِّ كــالــقِــصَــر
وإنمــا الــفَــرْقُ في الأعــمــار يُــحْــدِثُهُ
تــفــاوُتُ الــنــاسِ في الــبــاقي من الأَثَــر
وقــد تــركتَ من الآثــار أخــلَــدَهــا
يــا خــالــدَ الــسيرةِ الحــسنــاءِ في الــسِّيَر
رضــيتُ أمسِ ذهــابَ الــدمعِ فــيكَ سُــدى
ومــا طــغى من زفــيــرٍ جِــدٌّ مــســتــعِــر
لــكن أرى الــنــفسَ تــأبى أن يــضــيعَ رثًــا
أطــلتُ في نــظــمه تحت الــدُّجى سَــهَــري
إلا مــتى تــلــتــزِمْ أن لا تــمــوتَ إلى
أن أحــتسي كــأسَ مــوتي من يَــدِ الــقَــدَر
كي آمَنَ الــنَّــعْيَ أُخــرى المــرَّتــين فــقــد
أتَــمَّت المــرَّةُ الأولى بــه ضَــرَري
وقــد بــدا وَهَــني عن حَــمْلِ مُــشْــبِــهِهِ
مــنــذُ الــكــهــولــةِ أشْــفَتْ بي عــلى الــكِبَــر
قــد كــان صــبــري عــلى الأحزان يُــســعدني
والــيــوم هَــدَّمَ شــيــبي ركنَ مُــصــطَــبَــري
قــد أخــبَــرَ الــظَنُّ أنّي إن حــصــلتُ عــلى
شــأوٍ من الــسِّنِّ يــرمي الــنــفسَ بــالخَــوَر[1]
أمَلُ طــولَ بــقــاءٍ مــضــعِفٍ فــإذا
طــولُ الــبــقــاء يُــنــافي صِــحَّــةَ الخَــبَــر

(١) الشأو: الأمد.

فـلم أزَلْ بـبـقـائي مـغـرَمًـا كَـلِـفًـا

وإن ثـنى الـشَّـهْدَ في ذَوْقي إلى مَـقِـرِ[1]

مـالي أحِبُّ حـيـاةً أعـمَـلَت يَـدَهـا

في نـقضِ مـا فَـتَـلَـتْهُ قَـبْلُ من مِـرَرِي[2]

لمـا كـبِـرْتُ غـدَتْ لـلـغـدر مُـبـديـةً

من حـيثُ يـبـدو الـقَـوا في مُـدَّةِ الـصِّـغَـر

فَـشَفَّ إحـسـانُـهـا عن سُـوئـهـا وغَـدا

يَـشِفُّ مَـوْهـومُ صـافـيـهـا عن الـعَـكَـر

أذُمُّـهـا وأنـا أخـشى قـطـيـعـتَـهـا

تـنـاقضٌ لـيس بـالخـالي من الـعِـبَـر

أهـوى امـتـداد حـيـاتي جـاهـدًا وأرى

أدنى تـكـالـيـفـهـا يـدعـو إلى الـضَّـجَـر

ولـو أتـابِعُ عـقـلي قـلـتُ عن مَـلَلٍ

مـنـهـا: أطلتِ زمـانَ الـوصلِ فـاخـتـصـري

ومـا انـتـفـاعي بِـمُـرٍّ عـاد يُـشـرِقُـني

بـكلِّ مـا كـان لي من سـائغٍ خَـصِـرِ[3]

لـكن أطـعتُ طـبـاعًـا لـلـنُّـهى غَـلَـبَتْ

والـعـقلُ تـغـلـبُه مـغـروزةُ الـفِـطَـر

الـعـقل يـأبى سـوى إرشـاد صـاحـبِهِ

لـكن مـتى مـا غـزاهُ الـطَّـبْعُ يَـنْـدَحِـرِ

ومـا خَـطـا الـعـقلُ بي في سُـبْـلِه فـغـدتْ

أقـدامُ عـقـلي بـطـبـعي لَـسْنَ بـالـعُـثُـر

---

(١) المقر: المر.

(٢) المرر: جمع مرة، وهي قوة الخلق وشدته.

فبين عقلي وطبعي من مشاكَسةٍ
مـا لا أطيقُ تَلافي أمرِهِ العَسِرِ
ولستُ وحديَ لا بل من سوايَ كذا
لحكمةٍ قد يراها مُنْعِمُ النَّظَرِ
نهوى الحياة ولو كانت مصَوَّرَةً
للناظرين لكانت أبشعَ الصُّوَرِ
وعاد وامقُها يطوي جوانحَهُ
لها على شِدَّةِ البغضاءِ والحَذَرِ
فما تأملتُها إلا وأبرزَها
لي الحِجاءُ بوجهٍ مُرْهِبٍ نَكِرِ
وما تشاغلتُ عن كُنْهٍ لها اشتملتْ
منه ضلوعي على أنْكى من الإبَرِ
إلا تأبَّى أذاها فانثنيتُ ولم
يَقْضِ التشاغُلُ لي شيئًا من الوَطَرِ
وليس للشاعرِ الحسّاسِ من سَنَنٍ
يُفضي به من أذى المحيا إلى وَزَرِ
فليت نفسيَ لم يُصبِح لها جسدي
مَغْنَى فظلَّ على الآباد كالحَجَرِ[1]
فالحِسُّ أحدَثَهُ فِيَّ اجتماعُهُما
فَجَرَّ ضَيْري ولولا الحِسُّ لم أُضَرِ
جَلَّ الذي دفعتني كفُّ قدرته
ما بين نابكِ يا دنيايَ والظُّفُرِ
ولم أُخَيَّرْ لأمرٍ ظَلْتُ أجهلُهُ
جهلَ البريَّةِ من بادٍ ومحتضِرِ

(١) المغنى: المنزل.

قــد طــال عن سِــرِّهِ بَــحْــثي ولــيــلــتُهُ

تَـدْجُـو وقـد يـئـستْ نـفـسـي من الـسَّـحَـر

واصَــلْتُ بــحــثِيَ عــنه جــاهــدًا وأرى

بــحــثي يــعــودُ إلى ضــربٍ من الــهــذَرِ

ســبــحــان مــلــهم نــفـسـي حُبَّ رؤيـتـهــا

وجـهًـا تَـحَـجَّبَ بـالـضّـافي من الـسُّـتُـر

دنــــيـــايَ عُـــذْرُكِ بـــادٍ في إســـاءةِ مَن

إلــيكِ لم يَــدْنُ عن شـــوقٍ ولا خِــيَـــر

وإنمـــا زار مـــدفـــوعًـــا ومُـــنْــيَـــتُهُ

مـــنـــذُ الـــلِّـــقـــا أنه إيّـــاكَ لم يَـــزُر

ومن يــزُرْ وهــو لا يــهــوى الــمَــزُورَ يَــكُنْ

بمـــا يُــحِبُّ من الإكــرام غــيــرَ حَــري

وردتُ حــوضَكِ مــضــطــرّاً فــأحــدَثَ لي

ورودُهُ مــا طــوى نــفــسـي عــلى حِــرَرِ[١]

ولـم أجِـــدْ فـــيكِ من مـــاءٍ بُـــرودَتُهُ

تشفي صَداي فهل يشفي الصَّدى صَدَري

وإن تــكن مــثلَ هــذي الــدارِ آجِــلَــتي

فــيـا فـؤادي اضـطـربْ حُـزْنًـا أوِ انْـفَـطِـر

ولـــستُ أحـــسَبُ هــذا لاحـــقًـــا رجلاً

لم يُـــعْطَ فَــوْتَ لَــظى الأولى ولم يُـــعَــرِ

فـــالــلهُ أعْــدَلُ من أن لا يُـــجَــنِّــبَــني

قـــضـــاؤهُ سَـــقـــرًا إلا إلى سَـــقَـــر

****

(١) الحرر: جمع حرة، وهي العطش.

السكوت جواب

عـابـوا كـمـا الحـسـدُ الـمـذمـومُ شـاءَ لـهـم
يـا صـقـرُ مـا قـلـتَ من نـثـرٍ وأشـعـارِ
من كل مـا يـصـطـفـيهِ سـامـعـوهُ هَـوًى
إن لم يـكـن سـامـعـوهُ غـيـرَ أحـرار
وأنتَ فـيـمـا نـراهُ جِـدٌّ مـقـتـدِرٌ
عـلـى الـمُـصَـمِّتِ مـنـهم كلَّ ثـرثـار
يـقـولُ مـا لا يـعـيهِ فـيكَ مـنـتـقـدًا
كـيـمـا تـمـدَّ إلـيه طَـرْفَ إكـبـار
أطـلتَ عـنـهم سـكـوتًـا والـسـكـوتُ بهِ
مـغـرٍ لـهم بكَ من هـاجٍ ومنْ زارِ
لِمْ لَمْ تَـقُلْ مُـخـرِسـاتٍ ألـسُـنًا كـرِهَتْ
مـقـالَـهـا الـنـاسُ إلا بـعضَ أغـرار
تـريحُ نـفـسَكَ مـنـهم والألى بَـرِمـوا
بـكلِّ نَـظَّـامِ مَـيْتِ الـقـولِ نَـشّـار
أسُـدُّ أُذْنيَ عـنـه حـين يُـنـشِـدُني
إيّـاهُ أم مـارِني عن نـشـرِهِ الـسّـاري[1]
يـسـتـثـقِلُ الـقـومُ جِـدّاً مـا يـقـولُ كـمـا
لـو صَكَّ أسـمـاعَـهم رمـيًا بـأحـجـار
ومـا تـراهُ بـهـذا الـقـول مـنـطـلـقًـا

---
(١) المارن: طرف الأنف. والنشر: الرائحة.

أو واقــفًــا غــيــرَ تَــيّــاهٍ وفَــخّــار
يــظنُّ أنَّ قــراطــيــسًــا يُــسَــوِّدُهــا
بــالحِــبْــرِ تجــعــلُهُ مــغــبــوطَ أحْــبــارِ
ولم تَــزَلْ مــثلَ مــا قــد كــنتَ ذا كَــلِمٍ
مــاضٍ كــعــزمك نَــفّــاعٍ وضَــرّار
فــقــلتُ مــا دام لي هــذا فــذو حَــسَــدي
مــســتــبــعَــدٌ أن أراهُ غــيــرَ هَــرّار
تــهــيجُ عــربــدةَ الحُــسّــادِ رُؤيــتُــهم
فــضلَ امــرئٍ شــامخ الأخلاقِ سَــوّار
كــمــا يــهــيجُ نُــبــاحُ الــنــابــحــات سَــنــا
مــا في الــدُّجُــنَّــةِ من شُــهْبٍ وأقــمــار
يــكــفي من الحَــسَــدِ الحُــسّــادَ أنَّ لــهم
بــين الجــوانحِ مــنه مُــسْــعَــرَ الــنــار
فــمــا انــتــقــادُهُمُ المحــســودَ بــيــنــهمُ
إلا مُــنــاوِبُ شــكــوى جــمــرِهــا الــواري
وقــلتُ مــا قــالَه مــثــلي بمــثــلــهمُ
لــمّــا عَــراهُ بــهم من دهــرِهِ عــارِ
(لــو كُلُّ كــلبٍ عــوى ألــقــمــتَهُ حَــجَــرًا
لأصــبح الــصــخــرُ مــثــقــالاً بــديــنــار)[1]

****

(١) ينسب البيت إلى الشاعر التونسي علي الغراب الصفاقسي المتوفى عام ١٧٦٧م.

رِدُوا بي منهل الإنصاف[1]

لَعَمْري أو لَعَمْرُكُمُ أراني
لتعديلِ الرُّوَيْتبِ في اضطِرارِ

فإن عَدَّلْتُموهُ فذاك أمرٌ
له من عدلكم طال انتظاري

سأبقى بين مخمصةٍ وعُرْيٍ
إذا لم تُضْعِفُوا ما منه جارِ

وليس بِضِعْفِه كلُّ احتياجي
يُسَدُّ وللغلاء الزَّنْدُ وارِ

ولكن كلُّ مطلوبٍ إذا ما
تجاوَزَني إلى أهلِ اليسار

رَدَدْتُ النفسَ عنه إلى قُنوعٍ
عليه رُضْتُها وإلى اصطِبار

وقد لا يُسعِدانِ - على غلاءٍ
به لحًّا لإعساري - بَواري

وإن أخسَرْهُما يومًا فإني
لأتْعَسُ من شَكَوْا نُوَبَ الخَسار

فصبري والقناعةُ مُذْ أحَسّا
دُنُوَّ الموتِ كانا في حِذار

وما مَحيايَ بعدهما سوى ما
أحاذرُ من مصائبِيَ الكِبار

(1) قدم هذه القصيدة إلى مجلس دائرة معارف الكويت.

فقد كانا مَلاذي كلَّ يومٍ
على شَرْوايَ مرهوبِ المَغارِ
ستتركُني القناعةُ واصطباري
لخوفِهما مشاهدَةَ احتِضاري
وشرحُ السِّرِّ أتْرُكُهُ لسائلاً
أرى الموضوعَ شَبَّ عن الإطار
سلوا الآداب هل عَدَّيْتُ نفسي
رعايَتَهُنّ ليليَ أو نهاري
فإن نَسِيَتْ قلوبُكم اجتهادي
لهنَّ فهُنَّ منه على ادِّكار
وهل غيرُ اجتهادي جَرَّ سُقْمي
إليَّ وشَبَّ شيبي في عِذاري
أيبقى خادمُ الآداب حتى
يصادفَ مَوْتَهُ جَوْعانَ عار
فتبقى بعد ميتَتِيَ المَعالي
عليك الدهرَ يا وطني زَوار
وهل نَظَرَتْ إلى وطنٍ مُضِيعٍ
شبيهي عينُها بسوى احتقار
إليكَ إليكَ يا رَبّي اشتكائي
– على رِيِّ المَواطِنِ – من أُواري
فما أجدى التشَكِّي عند قومي
وكلُّهمُ ليعرُبَ أو نِزار
كم استعطفتُ أوطاني بشِعري
ولم يبرَحْ بها فقري شِعاري
كأن قلوبَ أوطاني إذا ما
شكوتُ الفقرَ كُنَّ من الحِجار

ولـــــيس بلائقٍ هـــــا ذاك حــــتى

ولـــو أنّي عــلــيــهــا الــيــوم طــاري

فـــكـــيف وبَـــنْـــيُـــهــا مـــا تَمَّ إلا

وأجــــدادي به بـــــعضُ الـــــسَّـــواري

أمـــاتـــتـــني وكم أحــيــيت فــيـــهــا

عــقــولاً مِــتْنَ بــالحِــكَمِ الــكِــثــار

فــإن يَــجْـحَـدْ أُلــو الأحـقــاد غــرسًــا

بــهــا لي غــيــرَ مــنــزورِ الــثِّــمــار

وشـمسُ الـظُّـهـرِ يـجـحـدُهـا ضـريـرٌ

أخـــو جـــهلٍ يـــجـــادلُ أو يُـــمـــاري

فــحــســـبي الــواقعُ المحــســوسُ آيًــا

أمــيــنــاتٍ مَــكــيــنــاتِ الــقَــرار

ســتــمــكثُ مــعــجــبــاتٍ كلَّ حُــرٍّ

نمـــته أو ســـتـــنـــمــيه ديـــاري

فــشــمسُ هُــداي في الأوطــان أضــحَتْ

ولــيس عــلى ســنــاهــا من غُــبــار

ألم أَكُ في طــلــيــعــة من دَعَــوْهــا

إلى مـــا لـــلـــمـــعـــارف من مَـــنـــار

ولــستُ أقــول هــذا الــقــولَ فــخــرًا

فــلم أخْـــلَقْ مُـــحِــبّــاً لــلــفــخــار

ولـــكـــني به ســـايـــرتُ فـــقـــرًا

مـــضِـــرّاً بـــالـــرَّزانَـــةِ والـــوَقـــار

وســـــوءُ الحـــــالِ كم أدّى وقـــــورًا

إلى مـــــا لا يُـــــحِبُّ من الحِـــــوار

عـــلى أني لَـــزِمتُ الحقَّ فـــيـــمـــا

نـــطـــقت لـــكم به والـــله داري

فـــإن رأتِ الـــكـــويتُ حـــقـــوقَ صـــقـــرٍ
حـــقـــيـــقـــاتٍ بِـــصَـــوْنٍ واعـــتـــبـــار
فـــقـــد رَعَتِ الـــعُلا مـــنـــهن فـــيـــمـــا
ســـتُـــبـــرِزُ وجـــهَهُ بـــعـــد الـــتَّـــواري
وقـــــــــد ثـــــــــابت إلـيَّ وكـلُّ ذَنْبٍ
جَـــنَـــتْهُ عـــليّ يمـــحـــوه اغـــتـــفـــاري
أقـــولُ وكـــسْـــرُ قـــلـــبي الـــيـــومَ يـــرجـــو
بَـــرَعْـــيِـــكُمُ الـحـصـــولَ عـــلى انجـــبـــار
رِدُوا بي مـــنـــهلَ الإنـــصـــافِ عَـــلّي
أرى بَـــــرْدًا لأضـــــلـــــعِيَ الحِـــــرار
فَـــعَـــنْهُ ســـابِـــقـــوكُمْ قـــد نَـــأَوْا بي
لـــــسِـــــرٍّ لم يَـــــزَلْ رَهْنَ الـــــسِّـــــرار
ولـــستُ بـــطـــالب مـــا عـــشتُ عـــنه
– لـيـبـقى خـافـيًـا – رَفْعَ الـسِّـتـار

****

حكمة الله في كل شيء

أرى عـــقـــلـي يـــخــــالفُ من رفـــاقي
عـــقـــولاً حـــين تـــنـــظُـــرُ في الأمـــورِ
فـــكم أمـــرٍ يـــســـبِّبُ لي اكـــتـــئـــابًـــا
أراهُ عـــنـــدهم ســـبَبَ الـــسُّـــرور
وكم داعٍ إلـى الآثـــــام عـــــنـــــدي
لـــديـــهم عُـــدَّ داعـــيـــةَ الأجـــور
ومن عَـــجَبٍ مـــرافـــقـــتي رجـــالاً
مـــعـــاكـــســـتي لـــهم أمـــرٌ ضَـــروري
تلازَمْـــنـــا لأن الـــبـــعضَ مـــنّـــا
إلى بـــعضٍ به فـــقـــرُ الـــفـــقـــيـــر
ولم يَـــرْبُطْ سوى الحاجاتِ شخصًا
بـــآخـــر من زُيـــودٍ أو عُـــمـــور
فـــحـــاجـــةُ بـــعـــضـــنـــا لـــلـــبـــعض كـــانت
بـــحـــكـــمـــة خـــالقِ الـــكـــونِ الـــقـــديـــر
فـــحـــكـــمـــتُه أبَتْ نَـــيْلَ الـــتَّـــغـــاني
عـــلـى جـــنـــسَـــيْ أنـــاثٍ أو ذكـــور
ومـــا إغـــنـــاءُ كُلٍّ عن ســـواهُ
عـــلـــيه لـــو أراد من الـــعـــســـيـــر
تـــعـــالى الـــلـه مُـــجـــري كلِّ أمـــرٍ
بـــحـــكـــمـــته جـــلـــيلٍ أو حـــقـــيـــر

متى ما شئتَ حكمتَهُ تَجِدْها
بكلِّ صغير أمرٍ أو كبير
فما أخلت من الأشياء شيئًا
لناظرها بطرفِ حِجًا بصير
وإن خَفِيَتْ ببعض الأمرِ عنا
وكانت في سواهُ على ظهور
فما ينفي الخفاءُ لها وجودًا
فكم أخفى التَّنائي من بُدور
وكالطَّرْفِ الحِجاءُ له حدودٌ
لكُلٍّ ضمن دائرةٍ حصور
فما عقلٌ يحيطُ بكلِّ سِرٍّ
على التحديدِ بالرأسِ الصغير
وحسبُكَ أن يقيسَ العقلُ منها
حَجيبَتَها على ذاتِ السُّفور
يهونُ عليَّ سُخْطُكَ يا جليسي
فما عنّي به يَرضى ضميري

****

هل أبصرت ذلاً في الصقور

وكم لي في الــكــويتِ أولــو عَــداءٍ
بلا ذنبٍ صــغــيــرٍ أو كــبــيــر
ســوى أنّي صــريحُ الــقــول حُــرٌّ
يُــتَــرْجِمُ مِــقْــوَلي مــا في ضــمــيــري
ولــمّــا لم أجِــدْ في الــنــاس حُــرّاً
يُــعــينُ عــلى مُــلِــمّــاتِ الأمــور
نــبــذتُ الــنــاسَ ظِــهْــرِيّــاً وَرائي
ونــاديتُ الــمَــنــونَ ألا فَــزوري
فــمــثــلي مــا لَهُ في الــعــيشِ خــيــرٌ
وهل في الــعــيش خــيــرٌ لــلــفــقــيــر
أخــاف إذا بــقــيتُ تَــذِلُّ نــفــسي
عــلى طــمعٍ لــذي مــالٍ كــثــيــر
فــتــمــنــحُهُ مــدائــحَــهــا الــلــواتي
تَــعِــزُّ عــلى الــفــرزدقِ أو جــريــر
فــيــجــزيــني عــلى شِــعــري شــعــيــرًا
ولــستُ من الــبــغــالِ أو الــحــمــيــر
ولــكــني – كــمــا سُــمِّــيتُ – صَــقــرٌ
وهل أبــصــرَت ذُلاً في الــصُّــقــور

****

العرضات[1]

وما للعُمْيِ في العَرْضاتِ أُنْسٌ
فأمدَحُها بنظمٍ أو نَثِيرِ
وهل أُثْني على العَرْضاتِ خيرًا
ولَذَّتُها خصوصًا للبصير

****

(١) العرضات من الألعاب الحربية التي ينظمها أهل الكويت في أيام الأعياد.

عبرة[1]

قد انتصرَتْ مصرُ فزادَ انتصارُها
مَفاخِرَ شعبِ الضّادِ يوم فَخارِهِ
وأنشَأَ هذا النصرُ - لا خَفَّ وطؤُهُ
على لابِسي خِزْيِ الزمانِ وعارِهِ
لكلِّ لبيبٍ في البريةِ عِبْرَةٌ
إلى مثلِها فامتَدَّ طَرْفُ اعتبارِه
وهل (إيدنُ) المغتَرُّ معتبرٌ بما
جَناهُ عليه اليومَ فرطُ اغترارِه
وهل عيشُ (موليهٍ) سيَعْذُبُ بعدَ ما
رمى نفسَهُ حُمْقًا بسهمِ دَمارِهِ

****

(1) نظمت هذه الأبيات يوم انقلب أصحاب الهجوم الثلاثي الأثيم على أعقابهم خائبين، في سنة ١٩٥٦م.

رثاء عبدالله بن خلف الدحيان

يـعـزُّ عـلـيـنـا فـقـدُنـا ذلك الحَـبْـرا
وإيـداعُـنـا جـثـمـانَهُ الـطـاهـرَ الـقَـبْـرا
فـلـو طَـلـبتْ مـنّـا الـمـنـيَّـةُ فـديـةً
فَـدَيْتُ بـنـفـسي ذلك الـعـالَمَ الحُـرّا
طـوت مـنه أيـدي المـوتِ أنـفعَ عـالِمٍ
بـعـرفـانه مـا بـيـنـنـا قـد غَـدا بَـدرا
أضـاء لـطلاب الـهـدى مـنـهجَ الـهـدى
ولم يَـتَّـركْ من ظـلـمـةٍ فـوقَه سِـتـرا
فـأصـبح من قـد بـات لـلـحقِّ سـاريًـا
بـإرشـادِه بـين الـورى يَـحـمَـدُ الـمَـسـرى
لـقـد فـجـعت مـنه الـكـويت بـجـامعٍ
إلى نُـصـحِـهـا الـزهـدَ الحـقـيـقيَّ والـبِرّا
فـكـان أبَـرَّ الـنـاس بـالـنـاس رأفـة
وأزهـدهم في جـمـعه الـبِيضَ والـصُّـفْـرا
وكـان مـثـالاً لـلـمـبـرَّةِ صـادقًـا
كـمـا أنه في زهـده آيـةٌ غَـرّا
ولـو لم يـكن في زهـده غـيـرَ كـاذبٍ
لخَـلَّى زوايـا الـبـيت مـمـلـوءةً وَفْـرا
فـمـا شـاقَهُ إلا مَـثـوبَـةُ ربِّهِ
إذا اشـتـاقت الـناسُ الـلُّـجَيْنَ أو الـتِّبْـرا[1]

(١) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب.

عـلى بـذلِه فـينـا نـفـائسَ عـلـمه
أبَى أُجْـرَةَ الـتـعـلـيم يـنـتـظـرُ الأَجْـرا
ذَوى وجـهُهُ عن أن يُـحـابِيَ قـاضـيًـا
وأخـلَصَ مـنه الـسِّـرَّ لـلـهِ والجَـهْـرا
فـلـم يـخف الخـصـمـان قَطُّ مَـمـيـلَهُ
عن الحق يُـبـديه إلى رشـوةٍ كـبـرى
فـكلٌّ عـلـيمٌ أنه غـيـرُ وامقٍ
سـوى الحقِّ حـلـوًا طـعـمُهُ كـان أو مُـرّا[1]
تَـمَـلَّكَ حُبُّ الحقِّ مـنه قـيـادَهُ
فـلـم يَـقْفُ في الأحـكـام إلاّ لَهُ إثْـرا
سـواءٌ لـديه سـاحبٌ ذيلَ ثـروةٍ
ومن ألـبـسـته كفُّ فـاقَـتِهِ طِـمْـرا
يمـيلُ مع الحقِّ المـبـيـنِ قـضـاؤهُ
إذا مـا الـرشـا بـالـحـكم مِـلْنَ لمن أثـرى
فـإن خـاف خـصمٌ ممـلقٌ ظُـلْمَ غـيـره
فلا ظُـلْمَ يـخـشـاهُ لـديه ولا جَـوْرا
إذا استَوْعَرَ القـاضـي من الـعدلِ مسـلكًا
رأيـنـاهُ يـومَ الـفـصلِ يـسـتـسـهلُ الـوَعْـرا
وإن خَـذَلَ الحقَّ الـقُـضـاةُ لـرِشْـوَةٍ
فـإن لـديه الـعـونَ لـلـحقِّ والـنَّـصْـرا
فـإن تَكُ في الأرض الـقـضـاةُ كـثـيـرةً
فـإن الألى يـحـكـونه أصـبـحـوا نَـزْرا
تـخـلَّصَ من أسْـرِ المـطـامع قـلـبُهُ
عـلى حـينِ جـمـهـورُ الـقـلـوبِ به أسـرى
فـإن نَـبْـكِهِ نَـبْكِ الـنـزاهـةَ والـتُّـقى
ونَـبْكِ الـقـضـاء الـعـدلَ والـعـلم والـطُّـهرا

(١) وامق: محب

لــقــد خَــرَقَت أيــدي الــزمــانِ بــفــقــدهِ
ردا جَــرَرْنــا رُدْنَهُ بــرهـــةً فـــخـــرا[1]
ومــا كــان عن أيــدي الــزمــانِ انــخــراقُهُ
فلا راقــعٌ يُــــــرجى لـه لا ولا فَـــــــرّا
فــمن يَــدَّخِــرْ مِــنّــا الــدمــوعَ لــنــكــبــةٍ
فــقــولــوا لـه قــد آنَ أن تَــبْــذُلَ الــذُّخْــرا
فــلــيس لــدمعٍ مــثلَ ذا الــوقتِ ســاعــةٌ
تَــؤُمُّ به أوطــانَــنــا نــكــبــةٌ غَــبْــرا
فــكلُّ الــذي يــأتي به الــدهــرُ بــعــدمــا
رمــانــا بــفــقــدِ الــشــيخِ نــازلــةٌ صُــغْــرى
أبــا خَــلَفٍ مـــني عــلـــيك تحـــيـــةٌ
يُــفــاوِحُ مــنــهــا الــعَــرْفُ أخلاقَكَ الــزُّهْــرا
فــقــد كــنت تــلــقــاني بــكل حــفــاوةٍ
تــغــيِّــرُ مــني الــظَنَّ والحَــدْسَ والــفِــكــرا
فــمــهــمــا الــتــقــيــنــا أَنْسَ كَــوْنِيَ بــائــسًــا
وأحــسب أن الأرضَ في قــبــضــتي طُــرّا
فـــأبـــقى كـــأني لم أكن ذلك الـــذي
يُــعــاني من الإقلال مــا يــقــصِمُ الــظــهــرا
وألــبثُ - مــا لم أنــقــلبْ عــنك راجــعًــا -
على خــيــر مــا يــنــسي أخــا الــفــاقــةِ الــفَــقــرا
ويــا ربمــا واســيــتــني ووصــلــتــني
بمــا رَدَّ ضــرّاءَ المــعــيــشـــة لي ســرّا
فــمــا ظَــفِــرَتْ نــفــسي ســواك بــعــالمٍ
إذا زرته أنــســانِيَ الــبــؤسَ والــضُّــرّا

(١) الردن: أصل الكم وطرف الكم الواسع.

فـقـد قَلَّ من يُـبـدي ليَ الـبـشـرَ وحـدَهُ

فـكـيف بمن يـتـلـو بـإرفـادِهِ الـبِـشْـرا[1]

فـإن تَكُ في الأُفْقِ الـسـحـائبُ جَـمَّـةً

فـمـا كل سُـحْبٍ تـرسل الـبـرقَ والـقَـطْـرا

فـعـذريَ إن أجـزَعْ عـلـيك ممـهَّـدٌ

وإن أنـا لم أجـزَعْ عـلـيك فلا عُـذرا

فـأنت الـذي لـقَّـنـتـني الـصـبـرَ والأسى

وفـقـدُك أنـسـاني الـتـأسِّيَ والـصَّـبْـرا[2]

بَـكَـتْكَ كـمـا نـبـكـيكَ مِـلَّـةُ أحـمـدٍ

وأحـرج مـنـهـا مـثـلـنـا فـقـدُك الـصَّـدرا

فـقـد أصـبـحتْ كُـتْبُ الـدِّيـانـةِ كـلـهـا

تـشـاطـرنـا أحـزانـنـا ولَـهًـا حَـسْـرى

رَدَدْتَ عـلـيـهـا بـعـد مـوتٍ حـيـاتَـهـا

وأوسـعـتَـهـا من بـعـدِ طيٍّ لـهـا نَـشْـرا

وواصـلـتَـهـا مـسـتـعـذبًـا طـعمَ وصـلـهـا

لـيـاليَ مـنـهـا الـكلُّ يـسـتـعـذبُ الـهَـجْـرا

صَـبَـوْتَ لـهـا حـتى حـسِـبـنـاك «عُـروةً»

تحـادثُهُ مـا بـين طـيّـاتـهـا «عَـفْـرا»[3]

أبـا خـلفٍ خَـلَّـفْتَ كلَّ مَـزِيَّـةٍ

مـحـسِّـنَـةٍ مـنك الأحـاديث والـذِّكْـرا

---

(١) الإرفاد: العطاء.

(٢) الأسى: جمع الأسوة، وهي القدوة. والتأسي: الاقتداء.

(٣) عروة: هو عروة بن حزام. وعفراء: محبوبته.

وضـــامــنـــةٍ أن لا يــبــيــد جــمـــالُـــهـــا

وكــافــلــةٍ مِــنّــا عــلــيــهــا لك الــشُّــكْــرا

وأجـــملُ ممـــا أنت فـــيـــنـــا مُـــخَـــلَّفٌ

من الـذِّكْرِ مـا اسـتقْبَلْتَهُ الـيومَ في الأخرى

غـدوتَ عـلى مـا الـلـه يـرضـاهُ عـاكـفًـا

ومـــا زُغْتَ عـــنه يَـــمْـــنَـــةً قَطُّ أو يُـــســـرى

ولـــيس لـــدى الـــلـهِ الـــكـــريمِ بـــخـــائبٍ

فـتـىً راح في طـاعــاته يُـنـفِقُ الـعُـمـرا

عــرفت من الــدنــيــا الــفــنــاءَ فــلم تَــمِلْ

بـسـيـرك عن أُخـراكَ نـحـو الـدُّنـا شِـبْـرا

فـمـا كـنت مـغـتـرّاً بـهـا وبـحـسـنِـهـا

ولــو أنـــهـــا جــاءت ســواك بـــهـــا غُـــرّا

رأت مـــنك إذا جـــاءتكَ فـــاتـــنـــةَ الـــرُّوا

لـتسبيَ منك العـقلَ عن وصـلـهـا كبـرا[1]

فـإن سُـــرَّ بـــالـــدنـــيـــا ونـــافـــدهـــا الـــورى

فـــقـــلـــبك بـــالأخـــرى وخـــالـــدِهـــا سُـــرّا

فـزهــدك في الــدنــيــا وعــاجِـلِـهـا غَـدا

ولا شَكَّ لـلأخـــرى وآجـــلِـــهـــا مَـــهْـــرا

☆☆☆☆☆

«أبـــا يـــوسفٍ» إن يَـــمْـضِ خـــالُكَ فـــالـــورى

جـمـيـعًـا إلى حيث انـتـهى أعمَـلـوا الـسَّيْرا

تَـــبَـــصَّـــرْ تَـــجِـــدْ في كلِّ يـــومٍ وفـــودَنـــا

إلى حـيث ســار الـشــيـخ نـازلــةً تَـتْـرى

---

(١) الرواء: حسن المنظر.

تَـأَسَّ فـقـد يُـجـدي الـتـأسِّي أخـا الـحِـجـا

وأطـفـئ بمـاء الــصَّـبْـر من حـزنك الجَـمـرا

فـلـستَ لـفـقـد الـشـيخ وحـدَكَ جـازعًـا

فــفـي كلِّ قــلـبٍ فَــقْــدُهُ تــاركٌ فَــطْــرا[1]

فــمن يــصــطَـبِــرْ يـؤجـر ومن يَــأْبَ هَــدَّهُ

أســـاهُ ولـم يَـــقْـــلِبْ لخـــالـــقِهِ امْـــرا

****

(١) الفطر: الشق.

معلبات الأغذية[1]

عـجـبتُ لـصـمتِ الـصـامـتـين عن الـغـذا
يُـعَـلَّبُ من تـاريخ تـعـلـيـبِهِ صِـفْـرا
ويـبـقـى حـبـيـسًـا في أوانـيهِ مـدةً
من الـصـعبِ أن يـدري لـهـا أحَـدٌ حِـزْرا[2]
ويـا ربمـا طـالت فـسـبَّبَ طـولُـهـا
لآكِـلِهِ مـا قـد يَـزُورُ به الـقَـبْـرا

✡✡✡✡✡

دَرَوْا أن تـاريخ المـعـلَّبِ مُـظْـهِـرٌ
لـنـاظـره مـا كـان من عـمـره سِـرّا
وأن الـذي مـنه قـد امـتـدَّ عُـمْـرُهُ
لـدى من يـحـبّـون الـسلامـةَ لا يُـشـرى
فـلـم يُـصـدروهُ لـلـزَّبـون مـؤرَّخًـا
وإن جَـرَّ إهـمـالُ الـتـواريخِ مـا جَـرّا
يـشـاؤون من مـال الـزَّبـونِ تَـوَفُّـرًا
لـربحٍ وإن حـازوه من عـمـرهِ خُـسْـرا
عـلـيه سـطـورٌ لـلـدعـايـة جَـمَّـةٌ
فَـلِمْ لا نـرى الـتـاريخَ من بـيـنـهـا سَـطْرا

---

(١) قالها في شهر مارس (آذار) ١٩٦٢ يطالب فيها البلدية أن تحظر الأغذية المعلبة إذا لم يكن على العلب تاريخ تعبئتها ليعرف القديم منها. وقد صدر فيما بعد من دائرة بلدية الكويت قرار يلزم بذلك.

وهل أهـــمـــلـــوا الـــتـــاريخَ إلا لأنـــهم

أرادوا بـــشـــاريهِ الخـــديـــعـــةَ والـــغَـــدْرا

وإلا فـــمـــاذا قـــد أرادوا بـــتـــركِ مـــا

يُـــبَـــيِّنُ من أيّـــامهِ الـــكُـــثْـــرَ والـــنَّـــزْرا

وتـــركُـــهُمُ إيـــاهُ يَـــتْـــرُكُ نَـــفْسَ مَن

إلـــيه به تـــمـــشي ضَـــرورتُهُ حَـــيْـــرى

فـــحـــاجـــتُـــهـــا للأخـــذِ مـــنه وُثـــوقُـــهـــا

وعـــنه أتـــقـــاءَ الـــعِـــتْق يـــوسِـــعُـــهـــا زَجْـــرا

فـــلـــيس إلى اطـــمـــئـــنـــانـــهـــا مُـــتَـــبَـــلْـــوِرًا

لـــجِـــدَّتِهِ نـــهج فـــتـــتـــركُهُ حَـــسْـــرى

وكم عَـــرَضـــوا لـــلـــبـــيع مـــنه قـــديمَهُ

مـــخـــافـــة إلـــغـــاءٍ له يَـــقْـــضِبُ الـــوَفْـــرا

ومـــا زال شِـــبْـــهًـــا لـــلـــحـــديثِ أوانـــيًـــا

كـــمـــا أنه مـــا زال شِـــبْـــهًـــا له سِـــعْـــرا

فـــيَـــشْـــريهِ من يَـــشْـــريهِ يـــجـــهلُ أنّ مـــا

به مَـــرَّ من وقتٍ ثـــنى نـــفـــعَه ضُـــرّا

ومـــا لم يُـــؤَرَّخْ كـــيف يـــعـــلمُ كم أتى

عـــلـــيه من الـــوقت المـــغـــيِّـــر أو يُـــدرى

إذا لم يـــكن هـــذا هـــو الـــغِشُّ مُـــرْدِيًـــا

فلا عـــلمَ لي بـــالـــغِشِّ يُـــروى ولا خُـــبْـــرا

ويمـــتـــاز هـــذا الـــغِشُّ أن لـــيس يـــخـــتـــفي

مـــريبُ مـــحـــيّـــاهُ حـــيـــاءً ولا ذُعْـــرا

وهب أن مـــا مـــنه تـــقـــادَمَ لم يـــكنْ

لـــيـــقـــتُلَ زيـــدًا إن تـــعـــشّـــاهُ أو عَـــمـــرا

فـــهل يــطــمـــئنُّ المـــرءُ يـــدخل جـــوفَهُ

غِـــذًا لـــيس يـــدري كم زمـــانٍ به مَـــرّا

وهل لـــســـكـــوتِ الـــطبِّ عـــنه ســـريـــرةٌ

إذا أُعـــلِـــنَتْ كـــانت له عـــنـــدنـــا عُـــذرا

✡✡✡✡✡

لـــكلِّ امـــرئٍ يـــهـــوى الحـــيـــاةَ تَـــرَدُّدٌ

إذا مـا إلى اسـتـعـمـال مـحـفـوظهِ اضْـطُرّا

أأكلُ ممـــا قـــد جـــهـــلتُ بـــقـــاءَهُ

بـــحـــافـــظهِ هـــذا أعـــامـــين أم شـــهـــرا

يُـــقَـــلِّـــبُهُ وقـــتًـــا ويـــســـأل نـــفـــسَهُ

أشـــرّاً ثـــنـــاه الـــعِـــتقُ أم لم يَـــزَل خَـــيـــرا

ويـــعـــرض عـــنه غـــالـــبًـــا مـــتـــخـــوِّفًـــا

تـــقـــادُمَهُ المجـــهـــولَ أن يـــجـــلِبَ الـــشَّـــرّا

كـــذلك كـــانت عـــادةُ الـــكلِّ مـــنـــهمُ

إذا أعـــمـــلـــوا في حَـــزرِ مُـــدّتِهِ الـــفِـــكـــرا

ومن لم يُـجِلْ في حـزْرِهـا الـفـكـرَ مُـقْـدِمًـا

عـلى أكل مـا فـيه فـقـد يـخـسـر الـعـمـرا

أضـــاع ولم يَـــحـــفظ غـــذاءً، مُـــصَـــدِّرٌ

حـــوافظ من تـــاريخ أعـــمـــارهـــا قَـــفْـــرا

فـــعن ســـرٍّ إهـــمـــالِ الـــتـــواريخ قـــد غـــدَتْ

زبـــائـــنُه ســـرّاً تُـــســـائلُ أو جَـــهـــرا

فـقـد سـألت لـيـلى عن الـسِّـرِّ أخـتـهـا

كـــمـــا راح عـــنه خـــالـــدٌ ســـائلاً بَـــكـــرا

لـــقـــد كُـــتِـــبَتْ فـــوق المـــعـــلَّبِ أســـطـــرٌ

عـلى ظـهـرِهِ من كُـثـرِهـا تحـجُبُ الـظُّـهـرا

وســـطــرٌ لـــتـــاريخ المـــعـــلَّبِ واحـــدٌ

يـــراه فـــيـــأبـــاهُ مـــعـــلِّـــبُهُ نُـــكـــرا

عـــلى أنه مـــنـــهـــا أهَمٍّ مُـــهِـــمِّـــنـــا

إذا الحـاجـة اسـتدعـتـه في وجـبـةٍ تَـطـرا[1]

☆☆☆☆☆

ســـمـــعتُ فلانًـــا قـــائلاً لـــصـــديـــقِهِ

أرى شـــربكَ الـــشـــاهيَّ من حُـــبِّهِ كُـــثـــرا

ولـو قـد مـزجتَ الـشـايَ بـالـدَرِّ لم تـكن

ولـو سـاعـةً تـسـطـيعُ عن شُـربه صَـبـرا[2]

ولـم تَـكُ إلاّ بـــــــين مـلءِ كـــــــؤوسِـهِ

وإبـريـقِهِ لا بـيـنـنـا تـقـطَعُ الـدَّهْـرا

وصـــرتَ مَـــدى الأيـــام تـــعـــجب لامـــرئٍ

تـيـسـر هـذا عـنـده يـشـرب الخـمـرا

فـمـا كـمـزيج الـشـاي بـالـدَرِّ شـهـوةً

تـكـاد تُـنَـسّي المحـتَـسي ريـقَـةَ الـعَـذرا

ولـــذَّةُ هـــذا دون سُـــكْـــرٍ مُـــنَـــغِّصٍ

ولـذَّةُ شـربِ الخـمـر تـسـتـصحِبُ الـسُّكْرا

ومـــصـــدَرُ جُلِّ الـــشـــر أو أصل كـــله

لمـدمنِهِ الـسُّكْرِ الـذي يـقـتُلُ الحِـجْـرا[3]

وكـان عـسـيـرًا أن تـرى الـدَرَّ دائـمًـا

ولـكن ثـنى تـعـلـيـبُـهُم عُـسْـرَهُ يُـسْـرا

(١) تطرا: مخففة من كلمة تطرأ بمعنى تجيء فجأة.

(٢) الدر: اللبن.

(٣) الحجر: العقل.

ودونكَ مـنه عـلـبـةً فـافـتَـتِحْ بـهـا
تَـعَـوُّدُ شُـرْبِ الـشـاي قـد خـالَطَ الـدَّرّا

وقَـطَّبَ مُـزْوَرّاً كـمـا شـاءَ غَـيْـظُهُ
وقـال ولم يـبـرح يُـقَـطِّبُ مُـزْوَرّا[1]

لِـذِكْـرِ مُـبـينِ الـعُـمْـرِ من عُـلَبِ الـغِـذا
مُـعَـلِّـبُـهـا من ريـبـةٍ سـامَـهـا الـهَـجْرا

ومـا افـتَـرَّ عن أمـرٍ يُـريبُ فـبُـعـدُنـا
إذا مـا خـشـينـا الـشَّـرَّ عنه بِنـا أحـرى

أنُـحْـشى بمـا يُـجْـوي الـبـطـونَ تـهـاونًـا
بـصـحَّـتِـنـا كَلاّ فـمـنه لـهـا نَـبْـرا[2]

****

(١) ازورَّ: انحرف. والمزور: المنحرف.

(٢) نبرا: مخففة من «نبرأ».

نشوة الحب

عــــذَلـــوني عـــلـى انـــدفـــاعي مع الحُـ
ـبِّ كـــأنّي انــدفــعتُ مَــعْهُ اخــتــيــارا
جَـــــهِلَ الــــعـــــاذلــــون أنّيَ آتٍ
في غـرامي مــا بِيَ اضــطَـرٌّ اضـطِـرارا
فـــأطـــالـــوا في عـــذلـــهم فـــيهِ ســـرّاً
ثم جـاؤوا بـالـعـذلِ نـحـوي جِـهـارا
ثم عــادوا بـــالـــيـــأس من أن يَـــرَوْا لي
عن حـبـيـبي تـسـلِّـيًـا واصـطـبـارا
يــئس الــعــاذلـــون مــني فــقـــالـــوا
لــومُ هــذا الــفــتى نَــراهُ خَــســارا
مـا عـسـانـا نـفـيـد بـالـعـذل صَـبّـاً
قــام دون الــنُّـــهى هـــواهُ سِــتــارا
فـــســـواءٌ لـــديه عـــذلٌ وعُـــذرٌ
مُـــذْ وراء الـــهـــوى حِـــجــاهُ تَـــوارى
عـــاد ممن ثــــنـــتــــهُمُ شِـــدَّةُ الحُـ
ـبِّ سُـــكـــارى ومـــا هُمُ بـــسُـــكـــارى
صَـــدَقَ الـــعـــاذلـــون إني لـــنـــشـــوا
نٌ ومـــا إن حــــسَـــوْتُ قَطُّ عُـــقـــارا
غـــيـــرَ أن الـــهـــوى أدارَ كـــؤوسًـــا
مـــتـــرَعـــاتٍ مـــنه عـــلـي كِـــبـــارا

فـشــربتُ الــكـؤوسَ كــأسًــا فــكــأسًــا

مــســتــطــيــبًــا سُلافَــهُنَّ اغــتــرارا

إذ أنـــا والحـــبـــيبُ من فـــرطِ قُـــرْبٍ

ودُنُـــوٍّ كـــالإصـــبـــعـــين جـــوارا

لم أخَـــلْهُ إذ ذاك يَـــصْـــدِفُ عـــني

طـــوع زور الـــوشـــاةِ يـــومًـــا نِـــفـــارا[1]

فـــأتـــته الـــوشـــاة عـــني بمـــا لم

أقـــتـــرِفهُ فـــفـــرَّ مـــني فِـــرارا

عــنــدمــا قــد غــدوتُ أعــظمَ من تَــنْـ

ــظُــرُ عَــيْــنــانِ ســكــرةً وخُــمــارا

لــيتَ أنّي أعــدَدْتُ يــومَ انــدفــاعي

في هَـــواهُ مـع انـــدفـــاعـي حِـــذارا

فـــهـــواه من بـــعــدِ مـــا كـــان بـــالــوصـ

ـل حـــيـــاةً بـــالـــقـــطع عـــاد بَـــوارا

كـــنتُ من أحـــزمِ الأنـــامِ ولـــكن

ضـــاع حـــزمي فـــيـــمـــا أتى أقـــدارا

مـــا حِـــذارُ الـــلَّـــبـــيب والـــقـــدَرُ المحـ

ـتـوم يمـضي مـا شـاء فـيه اقـتِـســارا

يـــا ثِـــقـــاتي وكـــلُّـــكُمْ مـــا أراني

عن وفـــاءٍ في الـــنـــائـــبـــاتِ ازْوِرارا

كـنتُ مـنـذ اخـتـبَـرْتُ مـنـكم كـرامًـا

أوفـــيـــاءً أصـــونُـــكم أَدْخَـــارا

---

(١) صدف: أعرض وصد.

فـأعـيـنـوا عـلى الـغـرامِ فـهـذا
يـومُ احـتـاجُ إخـوتي أنـصـارا
قـد رأيـتـم من حـالـتي مـا رأيـتم
فـاشـرَحـوهـا عـنـد الحـبـيبِ سِـرارا
وعـرفـتم مـني الـوفـاء بـعـهـدي
فـصِـفـوا عـنـده وفـائي اخـتـصـارا
وانـقُـضـوا مـا أمَـرَّ من سـبب الـتـفـ
ـريقِ كـيـد الـوُشـاةِ بي إمْـرارا
وامـزجـوا وصفَ سـوءِ حـالي بـدمعٍ
قـاطعٍ وصـفَـهـا عـلـيـكم مـرارا
واسـتـثـيـروا بـين الـدمـوع إذا مـا
ثَمَّ سـالت من الـتـنـهُّـدِ نـارا
وألـيـنـوا مـقـالَـكم وأطـيـبـوا
تُـوقِـعـوا لي من عـطـفِهِ مـا طـارا
واتَّـقـوا مـا اسـتـطـعـتمُ رُقَـبـاءً
ألـبَـسـوهُ الأنـظـارَ مـنـهم إطـارا
ولأنـتـم أجَلَّ من أن يـرى الـمُـرْ
سِلُ فـيـكم إلى الـوصـايـا افـتـقـارا
غـيـر أني من سَـكْـرَةِ الحُبِّ أمـستْ
عـربـداتي كـمـا سـمـعـتم كِـثـارا[1]
لـستُ أوصي لـولا ذُهـوليَ مـنـكم
حـكـمـاءً نَـدَبْـتُـهُمْ أخـيـارا

---

(١) الكثار: الكثير.

فــدَعــوا عــنــكمُ الــوصــايــا وأدُّوا

كــيف شــئــتم عَــنّي له الأخــبــارا

ولْـتَـقـولـوا مـا قـد ظـنـتم من الـقَـوْ

لِ مـعـيـدًا من كـسـرِ قـلـبي انجـبـارا

فــقــديمًــا عــرفتُ فــيــكم عــلى رَ

دِّ الــنَّــوائي من الــقــلــوبِ اقــتــدارا

****

الدين من دعواهم بريء[1]

كلما زارنا مُعَمَّمُ سوءٍ
رَدَّ منظومَ شملِنا منثورا

وثَنانا إلى شقاقٍ مبيدٍ
باسمِ دين الإله مَيْنًا وزورا[2]

ليسوقَ الشقاق منا إليه
ما رجاهُ من رِفدِنا موفورا

مستعينًا بالجهل منا على ما
نحن نلقى عُقباه شَرًّا كبيرا

كالذي أمسِ زارنا فثنى البعـ
ـضَ على البعض مُوغَرينَ صُدورا

أوسعَ المصلحين من كلِّ حرٍّ
صادقِ النصحِ مؤمنٍ تكفيرا

ملقيًا في العقول من كل ما يُثـ
ـمِرُ سُمّاً يُميتهُنّ بُذورا

ثم ولّى ولِلسَّوادِ قلوبٌ
مُضْمَراتٌ للمصلحين شرورا

مُثقَلَ الجيْبِ بالُّلجَيْنِ وبالتِّبـ
ـرِ غنيّاً مستبشرًا مسرورا

(١) قالها في ٧ صفر ١٣٦٠- ٥ مارس ١٩٤١ وقد كان يزور الكويت سابقًا بعض المعممين الذين يتخذون من بيوت الله منطلقًا لأباطيلهم التي لم تكن من الدين في شيء، فيحرمون طلب العلم، ويكفرون من يعني بتعليم أبنائه باعتبار أن العلوم الحديثة سبيل معبد إلى الكفر. وكان الشاعر صقر الشبيب ممن شن الحرب الشعواء على هؤلاء.

(٢) المين: الكذب.

هـــو يـــدري أن الجـــهـــالـــةَ لـــولا
هـــا لأمـــسى فـيـنـــا ذلـيلاً حـقـيـــرا
فـــلـــهـــذا بـــاسمِ الـــديـــانـــة قـــد كـــا
ن عــلـى الـعِـلـم في الـكـويت مُـغـيـرا
حَـــرَّمَ الـــعـــلـــمَ زاعـــمًـــا أن فـــيه
لـــذويه بـــعـــد المـــمـــات ســـعـــيـــرا
فـــأضلَّ الـــسَّـــوادَ مـــنّـــا جـــمـــيـــعًـــا
عن طـــريق الـــهـــدى ضلالاً مُـــبـــيـــرا
وأعـــادت تَـــقَـــدُّمَ الـــقـــومِ مـــنه
كـــلـــمـــاتٌ نـــاريـــة تـــأخـــيـــرا
لـــهفَ نـــفـــسي عـــلى ســـوادٍ أراهُ
بـــأبـــاطـــيلِ خـــادعٍ مـــغـــرورا
خـــدعَـــتْه تـــلك الأبـــاطـــيلُ حـــتى
صـــار يُـــبـــدي من مـــرشـــديه نـــفـــورا
قـــد رأى نـــورَ مُـــرشِـــديه ظلامًـــا
ورأى ظـــلـــمـــةَ الـــمُـــضـــلِّلِ نـــورا
أيـــهـــا الـــغـــادرُ الـــمُـــغـــرِّرُ بـــالـــقَـــوْ
م ألـم يُـــؤتِكَ الإلـهُ ضَـــمـــيـــرا
أم أمَتَّ الـــضـــمـــيـــرَ ظـــلـــمًـــا لـــتـــشـــقى
به دهـــمـــاؤنـــا شـــقـــاءً عـــســـيـــرا
أمِنَ الـــديـن أن تـــردَّ ضـــريـــرًا
كلَّ عـــقلٍ قـــد كـــان يـــضـــحى بـــصـــيـــرا
لا لـــعـــمـــري مـــا الـــدينُ مـــا جـئتَ لـــكن
حبُّ دنـــيـــاك حَـــسَّنَ الـــتـــزويـــرا
فـــاتَّقِ الـــلـهَ في الـــســـواد وأحـــدِثْ
لـــفـــســـادٍ أحـــدثـــتَه تـــغـــيـــيـــرا

فــعــلى كــيــدِك الحــســابُ من الــلـ
ـه ســيــأتي غــدًا عــســيــرًا مــريــرا
وإذا لم تــــكن تــــخــــاف إلــــهًــــا
عَــدلُه غــيــرُ مــهــمِلٍ شِــرِّيــرا
فــاتَّقِ الــنــاشــئــين مــنّــا إذا مــا
في الــذي جــئتَ أعــمَــلــوا الــتــفــكــيــرا
فــخِلالَ الــرَّمــاد نــــارٌ وقــــد أوْ
شَكَ عــنــهــا رمــادُهــا أن يــطــيــرا
ســتــرى مــنــهمُ جــزاءً مُــطــيلاً
عــضَّك الــكفَّ نــادمًــا مــحــســورا
فــالــمَــتــابَ الــمَــتــابَ من قــبل يــومٍ
لا يــكــون الحــســابُ فــيه يــســيــرا
قــد ســَقــيتَ الــســوادَ أمس عــقــارًا
ثَــنَتِ الحيَّ من نُــهــاهُ عَــقــيــرا
فــغــدا بــيــنــنــا يُــعــربــدُ حــتى
لــتــأذّى الــصّــاحــون مــنه كــثــيــرا
وطــلــبــنــا إصــحــاءه فــانــثــنــيــنــا
لا نــرى بــيــنــنــا عــلــيه قــديــرا
وعــلــمــنــا أن لــيس يُــصْــحِــيه إلا
مَن عــلــيه لــلــكــأس كــان مُــديــرا
فــاسْــقِهِ الــيــومَ عــكسَ مــا كــنتَ تَــســقــيـ
ـهِ تــكن بــعــد ذَمِّــنــا مــشــكــورا

****

دعوة إلى الإحسان

يــا من له جِــدَةٌ عن حــاجــةٍ فَــضَــلَتْ
ألا تُــغــيثُ بــشيءٍ شــاكيَ الــعَــوَزِ؟[1]
وخــيــرُ مــال الــفــتى مــا راح يــنـفــقُهُ
عــلى الــضِّــعــاف من الأيــتــام والــعُــجُــز
من حــاز مــالاً ولم يــحــسنْ فــذاك فــتًى
من مــالهِ مــا خلا مَــشــقــاهُ لم يَــحُــز
لــو رُزْتَ بُــخْــلَكَ والإحــســانَ مــخــتــبــرًا
بــالــعــقل لم تَكُ إلا مــحــســنًــا فَــرُز[2]
فــالــعــقلُ يُــخــبِــرُ أنّ المــالَ في يــد مَن
يــحــويه تــخــلــيــدُهُ المــومــوقُ لم يَــجُــز
وأنَّ كُلاً ســيُــجــزَى حــسبَ مــا عــمــلت
يــداهُ إن لم يــكن ممن مــضى وجُــزِي
لم يــعــطكَ الــعــقلَ مُــعــطــيه لــتــهــمــلَه
فَــاسْــتَــهْــدِهِ واتَّــبعْ إرشــادَهُ تَــفُــز
يــا مُــخْــصبَ المــال حــتــمًــا أنت مــنــتــقلٌ
عــنــهــا إلى جــدثٍ أو حــالــةٍ جُــرُز[3]

(١) الجدة: السعة والغنى. والعوز: الفقر.

(٢) رازه: تأمله شيئًا بعد شيء ليحسن تقديره.

(٣) الجرز: الأرض غير المنبتة أو التي أكل نباتها.

فـلـو شَـرَكْتَ بـخِـصْب المـال مُـجـدبَـهـا
لم تـعْـدُ خُـطَّـةَ ذي حـزمٍ ولم تَـجُـز[1]

كم مـكـثـرٍ لَـحِـزٍ أودَى وثـروتُهُ
كـانت لأعـدائه كم مُـكـثـرٍ لَـحِـز[2]

وكم كُـنُـوزٍ من الأحـيـاء فـاجـأهُ
خـطْبٌ فـأبـعـده عن كل مـكـتـنَـز

فـصـار بـعـدَ امـتلاك الـدُّرِّ يَـغـبط مَنْ
يـراه يمـلك مـنـزورًا من الخَـرَز

وبـعـدَ مـا كـان لـلـديـبـاج مـفـتـرِشًـا
يـودّ لـو نـال مـنـسـوجًـا من الجِـزَز[3]

عِـظـاتُ دهـرك هـاتـا قـالـهـا عـلـنًـا
والـدهـرُ لـيس بـذي هـمسٍ ولا ضَـمَـز[4]

وربمـا كـنتَ إحـداهـا فـلـست بمـا
مـلـكتَ من صَـرْفِهِ الـضـاري بمـحـتَـجَـز

****

(١) لم تجز: لم تتجاوز.
(٢) اللحز: البخيل الشحيح.
(٣) الجزز: جمع جزة وهي ما يجز من صوف الشاة.
(٤) الضمز: السكوت.

جنون الحب

أمـــعَــنَتْ في الـــنَّـــفْـــرِ عــنـي ظــبــيـــةٌ
كـــان بـــالأمس لـــهـــا حِـــجـــري كِـــنــاسْ
فـــاعـــتـــراني مـــا تـــرى من جِـــنَّـــةٍ
هل لمجـــنـــون الـــهـــوى تـــعـــرفُ آسْ
إنـــني في حـــاجـــةٍ مـــذ نـــفـــرَتْ
لـــطـــبـــيبٍ حـــاذقٍ طَبٍّ مُـــواس
لا تـــقلْ أنَّى لأعـــمى صـــبـــوةٌ
أذْني عـــيـــني وهل ثَمَّ الـــتِـــبـــاس
لا تـــلـــمـــني وارتـــقـــبـــهـــا صـــفـــعـــةً
- إن تَـــفُهْ بـــالـــلَّـــوم - تُـــودي بـــالحـــواس
كم فـــتًى قـــبـــلك وافى لائـــمًـــا
كـــاد من صَـــفـــعِـــيـــهِ يمـــضـي دونَ راس
أنـــا لا أخـــشى قـــصـــاصـــاً صـــافـــعًـــا
مـــا عـــلى المجـــنـــون في الـــصـــفـــعـــةِ بـــاس
مـــا أنـــا أوَّلُ مـــن هَـــدّ الـــهـــوى
من نُـــهـــاهُ ذِروَتَـــيْـــهِ والأســـاس
لِيَ في الـــقَـــيْـــسَـــيْن قـــبـــلي أســـوةٌ
والأُســـى قِـــدْمًـــا أراحت كلَّ آس[1]

(١) القيسان: قيس بن ذريح الذي أحب لبنى، وقيس بن الملوح الذي أحب ليلى. والأسى: جمع أسوة وهي القدوة.

هـــــاتِ حَـــــدِّثْـــــني أحـــــاديثَ الأُلـى
بـالــهـوى جُــنّــوا جــنـوني في الأُنــاس

عَــــلَّــــني أظـــفَـــرُ من أخــــبـــارهم
من جُــذا راحــةِ نــفـسي بـاقـتـبـاس[1]

فـــاســـقـــني صـــرفًـــا طِلا آثـــارِهِمْ
لا تَــشُبْ بـالــلَّـوم من هــاتـيكَ كـاس[2]

لَـــيِّـــنًـــا قـــبلَ جُـــنـــوني كـــنتَ لي
فَـكُنِ الـيـوم كـعـهـدي غـيـرَ قـاس

حـــبَّـــذا لـــومُكَ لـــو أرجـــو به
لجـــنـــونٍ ثــار في رأسي انــطِـمــاس

أوْ بِهِ طـــرفُ الــــهـــوى بي يـــرعـــوي
مُــذْعِـنًــا بـعـد جِـمـاحٍ وشِـمـاس[3]

أوْ بِهِ تُـــرْقـــا دمـــوعٌ لم تَـــزَلْ
فـوق خـدي عـيـنُـهـا ذاتُ انـبـجـاس

أوْ بِهِ أنـــزعُ من ثـــوبِ الـــضَّـــنى
مـا لجُـثـمـاني تـراه الـيـوم كـاس

أوْ بِهِ يـــغـــشى الـــكرى لي مـــقـــلـــةً
لم تَـعُـدْ تـذكـر عـهـدًا لـلـنُّـعـاس

مُــــلْكُ حُــــسْنٍ لم أسُــــسْهُ جِــــنَّـــةً
أيُّ مـــجـــنـــونٍ لـــمُـــلْكٍ كـــان ساس

وأظنُّ الـــعـــقـــلَ قـــد عـــاودني
صـحـوةَ الـنـشـوانِ من كـاسٍ وَطـاس

---

(١) الجذا: جمع جذوة وهي ما يقتبس من النار.
(٢) الطلا: الخمر.
(٣) الشماس: الحران.

ودلــــيــــلي أنَّ قـــلـــبي مَـــسَّهُ
نَـــدَمٌ أوْجَـــعَهُ مـــنه الـــمَـــســـاس
وعـــلى الـــتـــفـــريطِ لم ألْقَ امـــرءًا
نـــادمًـــا والـــعـــقلُ مـــنه في انـــدراس
فـــالـــتـــمِسْ لي رجـــعـــةً فـــيه تَـــنَلْ
أوفَـــرَ الـــشـــكـــر وأحْـــسِنْ الإلـــتِـمـــاس
واغـــرِسِ المـــعـــروفَ عـــنـــدي واثـــقـــاً
أن ســيُـــجـــنـيكَ الـــثَّـــنـــا ذاك الـــغـــراس
لم أكـــاشـــفـــهـــا غـــرامًـــا ألـــبـــستْ
مـــنه مُـضْـنَى جـسـدي أضْـفَى لـبـاس
ذاك أنّـي عـــنـــدهـــا في مِـــقْـــوَلي
عن شَكـاتي حـبَّـها الـمُـضـني احـتـباس
لا تـــقل أَخْفِ الـــهـــوى عن عـــاذلٍ
أنـــا من إخـــفـــائه الـــيـــوم بِـــيـــاس
كـــيف أُخـــفـي من غـــرامي مـــا له
فـــوق مـــرآةِ مُـــحـــيّـــاي انـــعـــكـــاس
كل هـــولٍ أنـــا قـــد مـــارســـتُهُ
بـاصـطـبـارٍ مـسـعـدٍ عـنـد الـمِراس[1]
غـــيــرَ هــولِ الـــبـــينِ فـالـصــبــرُ مـضتْ
شِـــدَّةُ الـــهـــولِ به عـــني اخـــتلاس
آهِ يـــا جَـــنَّـــةَ نـــفـــسي شِـــدَّ مـــا
أبــدَلَ الـــبـــينُ اغــتــبـاطي بـابـتـئـاس
هل أرى لي بـــعـــد غِـــســـلـــين الـــنَّـــوى
مـــرةً في كـــوثـــرِ الـوصلِ انـــغـــمـــاس[2]

(١) مسعد: معين.

(٢) الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم.

لــستُ في حــالٍ كـ (صــخــرٍ) فــأنــا
مــا لـيَ الـيـوم بـأشـجـاني (خُـنـاس)[1]
فَـصِـلـي نُـصـبِحْ عـلى حُـكْمِ الـلِّـقـا
مـطـمـئـنَّـيْنِ سـعـيـدَيْنِ جِـنـاس
وأجـيـدي سَـدًّ أذنـيكِ إذا
مـا الـتـقـيـنـا عن وشـاةٍ بي خِـسـاس
قـد أجَـنّـوا لي حُـقـودًا قَـطَّـعَتْ
مـنـهمُ الاحـشـاءَ تـقـطـيعَ الـمَـواس
فـاحـذري أن تـسـمـعي بي مـنـهمُ
بـعـدمـا لـي حَـيْسُ مَـلـقـاكِ يُـحـاس[2]
وارحـمـي من أَوسَـعَتْ أحـشـاءَهُ
صـولـةُ الحـزنِ لِـمـنـاكِ افـتـراس
لا تَـخـيـسـي بـعـهـودٍ أُبـرِمَتْ
واذكـري مـرجعَ من بـالـعـهـد خـاس

****

(١) صخر هو أخو الخنساء التي رثته بشعرها، وخناس هي الخنساء.

(٢) الحيس: طعام من تمر وسمن وسويق. وحاس الحيس: اتخذه.

دنيا

لحى الله دنيا لا أراها وفيّةً
لنوعٍ من الأحياء فيها ولا جِنْسِ
فمهما استطاب الحَيُّ فيها معيشةً
ثنتها عواديها إلى القلبِ والعكس
أنوح على من مات ممَّن أحبُّهم
كأني بسطرٍ من خلودي في طِرْس
أأغترُّ بالدنيا وما حملت فتًى
على رأسها إلا وألقته للدَّعْس[1]
ولا وطَّدَتْ أُسَّ السعادة لامرئٍ
فأبقتْ عواديها على ذلك الأُسِّ
وما غَرَسَت سُكّانُها غرسَ غبطةٍ
فكان هنيئًا أكلُهم ثمرَ الغَرْس
عجبتُ لمن عَدّوا وجودَ ذواتهم
بها نعمةً من موجد الفرع والقِنْس[2]
وما هو إلا نقمةٌ صِينَ سِرُّها
ومُوجِبُها عن مَبلَغ العقلِ والحِسِّ
ولو لم يكن من أوْجَدَ الخلقَ ناقمًا
لما خلق الإحساسَ في الجسمِ والنفس
فأصل أذى الأحياء إحساسُهم فلو
غَدَوْا عادِمِيهِ ما شَكَوْا قَطُّ من بأس

(١) الدعس: الوطء بالقدم والدوس.

(٢) القنس: الأصل.

فـيـا عـالَمَ اللاشيءِ لـيـتك مـضـمـري
إلى غـيـرِ شـأوٍ مـظـهـري أبَـدَ الـعُـجْس[1]
فـمـا عَـدَمي المـاضي الـذي مَـرَّ أزمُـنًـا
لـديَّ بمـعـدودٍ من الـغَـبْنِ والـبَـخْس[2]
فـمـا زلتُ فـيه سـالمًـا من حـوادثٍ
تـكـادُ بـإيمـاني تـعـود إلى الـلَّـبْس
ومـا غـيـرَ إيمـاني أراهُ مـبـرِّدًا
بصـدريَ نـيـرانًـا يـضـرِّمـهـا هـجـسي[3]
ومـهـمـا رَسـا عَـنَّتْ تـزعـزعُ ركـنَهُ
شكوكٌ بِقِسْمَيْ قَـوْلِـهـا الجـهـرِ والـهمس
فـأصـبـحتُ مـنـهـا واجف الـقـلب خـائـفًـا
كَـكُلِّ لـبـيـبٍ عـالمٍ كـنـهَـهـا نِـطْس[4]
فـإن أك قـبل الـيـوم أجـهلُ أنَّـهـا
كـأغـدَرِ من تحـوي من الجنِّ والإنس
وأن لم نُـدرْ من راحـهـا قَطُّ كـأسَـهـا
ولمـا تَـدُسَّ الـسمَّ في تـلـكمُ الـكـأس
فـقـد كـنتُ ممَّن غـرَّهم قـبلُ حـسـنُـهـا
فـأنسـاهمُ من فـتكـهـا الـقـبح والـفـرس[5]
فـبُـعـدًا لـدنـيـا لا تَـنِي عن تَـلَـوُّنٍ
لسـاكـنـهـا شـروى مُـراقِـبَـةِ الـشـمس[6]

****

(١) العجس: جمع العجسة وهي سواد الليل. ويريد بقوله أبد العجس: طوال الليالي.

(٢) الهجس: ما يخطر في البال.

(٣) اللبس: الإشكال والشبهة.

(٤) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

(٥) الفرس: الافتراس، وهو معطوف على «فتكها».

(٦) مراقبة الشمس: يريد بها الحرباء. وشرواها: مثلها.

ولو قطعوا رأسي

تــأمــلتُ أديــان الــبــريَّــة كــلَّــهــا
فــمــا رَكَــنَتْ إلا لإسلامِــهــا نــفــسي
وقــد كــان عن تــقــلــيــد أمّي ديــانــتي
فــأصــبحَ عن إرشــاد عَــقْــلِيَ والــدَّرْس
فــمــذ كـنتُ حــتى الــيــوم مــا زال مــلّــتي
ولــكنّ يــومــي فــيه أحــسنُ من أَمــسي
ومــا لــي عن الإسلام مــا عــشتُ مَــرْغَبٌ
إلى غــيــرِهِ حــتى ولــو قــطَــعــوا رأسي
أأرغب عــنــه وهــو أفــضــل عُــدَّةٍ
بــهــا أنــا مــعــتــدٌّ لحــبــسِيَ في رَمْــسي
عــلــى أنه سَــلــواي عن كلِّ فــائتٍ
من الحظِّ في دهــرٍ تــفــنَّنَ في بَــخْــسي
ولــو لم يَــكُنْ إسلامُ نــفــسي عــزاءَهــا
عَــراني لــضــيق الحــال ضــربٌ من الــمَسِّ
وقــد نــســبت مــنه المــروقَ مَــعــاشــرٌ
إليَّ بــظنٍّ طــائشِ الــســهمِ أو حَــدْس[1]
وبــعضٌ عَــزا شَــكّــاً بــصــحّــة مِــلّــتي
إليَّ وإيمــانــي بــهــا ثــابــتُ الأُسِّ
فــيــا لــيت شِــعــري مــا يــريــدون بــالــذي
يــذيــعــون من كــفــري المــزوَّرِ أو لَــبْــسي[2]

(١) الحدس: التخمين.

(٢) اللبس: الشبهة.

لمـاذا أصــومُ الــشــهـرَ إن كـنـتُ مــارقًـا

وآخــذُ نـفـسـي بــالحـفـاظ عـلـى الخَـمْس

وَلِمْ عن حِــمـى الإسلام أبــعُــدُ خــائــفًــا

وقـــوعيَ فـــيـه حـــين أُصـــبِحُ أو أمـــسـي

لــــقــــد عــــلـم الأقــــوام أنِّيَ مـــســـــلمٌ

كـإسلامــهْم لـكنْ تَـعَـجْـرُفُـهُمْ مُـنْـسـي

أأعــــجَبَ أقـــوامي مــــزيــــدي من الأذى

فـقـالـوا الـذي قـالـوه بـالـقـلب والـعـكس

ألـم يـكـفــهمْ أنّي لــفــقــري فـريـسـةٌ

وأنْ لم يَــزَلْ فــوقي بـكَـلْـكَـلِهِ يُـرسي

وأنّي بـــأوطـــاني عـــلـى الــفَــلْسِ لم أكُنْ

لأحــصُلَ إلا بـــعــد شــوقٍ إلى الــفَــلْس

ويـــا رُبَّ يـــومٍ عَـــزَّني فـــيه نَـــيْـــلُهُ

فـأعـمَـلْتُ في تحـصـيـله حـيـلـة الـنَّطْس

فـــأمـــعَنَ عـــني في الــتــرفُّع والإبــا

عـلى أنه يُـوطـا بـنـعلِ الـفـتى الـنِّكْس[1]

ورُبَّ فــتًى مــنـــهم غــرستُ به الــرجــا

فـلم أقـتـطفْ إلا الـنـدامـة من غـرسي

وكم صـادٍ اسـتـسـقى غـمـامَ قـريـحـتي

ثـنـاءً وبي قـد بَـرَّحَتْ عِـلَّـةُ الـطُّـلْس[2]

فـأمـطـرتُهُ طُـوْعَ اضـطـراريَ راجـيًـا

مَـثـوبـتَهُ حـتى غـدا مـتـرَعَ الـكـأس

وأنــطــقتُ فـــيه ألــسُنَ المــدح ضـِــلَّـــةً

ولـــولاي ظـــلَّتْ وهي عـــنه من الخُـــرْس

---

(١) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.

(٢) الطلس: الذئاب، وعلتها هي الجوع.

فكان جزائي منه: أحسنتَ، حاضرًا

وكان حضوري من بوادرِهِ تُرْسي

فلما افترقنا نال منِّيَ والتقى

بِعِرْضِيَ من بهتانه الضِّرْسُ بالضِّرْس

وكنتُ على دهري أؤمِّلُ عَوْنَهُ

فصرتُ وملئي من معونتِهِ يأسي

وبِتُّ على شِعري وإجهادِ فكرَتي

له ليلتي حتى بدت غُرَّةُ الشَّمس

أعَضُّ بناني نادمًا متأسِّفًا

إلى أن خشيتُ العَضَّ يُفقدُني خَمسي

فيا قومُ ما هذا التغطرسُ والجفا

وديُنكمُ ديني وجِنسُكمُ جِنسي

على رِسْلِكُمْ فالإنس تفعلُ هكذا

بِجنٍّ ولم تفعل كذا الجِنُّ بالإنس

إلى الله أشكو جهرةً من جفائكم

وإن تغضبوا أسهب بشكواكُمُ هَمْسي

ولو ظلَّ في قوسِ اصطباريَ مَنْزَعٌ

صبرتُ ولكن عَزَّني مَنْزَعُ القوس

ولو لم يقيِّدْني عَمائيَ بينكم

لأعملتُ مذ حينٍ إلى غيركم عَنْسي[1]

لعلِّيَ أن أحظى بقومٍ نَزيلُهُمْ

يعود له سعدًا بهم كوكبُ النَّحْس

يقول طبيبٌ جَسَّ نبضيَ بعد ما

تراءى له دائي بواسطةِ الجَسِّ

(١) العنس: الناقة.

أرى أن طــولَ الحُـــزنِ داؤكَ فــابــتــعــدْ

عن الحُزنِ واقرُبْ مـا استـطـعت من الأنس

فــقــلـتُ ومَنْ لـي بــابــتــعــادي عن الأسى

ولـيس لـظـهـر الـفـقـرِ غـيـريَ من حِـلْس

ومن لم يــجــد من عُــســرِهِ قــوتَ يــومِهِ

فـمـاذا لـطرفِ الحـزنِ عن قلـبه يُـخْسِي[1]

فــيــا رُبَّ يــومٍ رحتُ فــيه من الــطَّـوى

أشُـدُّ عـلى كـشـحي حِـزامًـا من الـبِرْس[2]

ألا مـــاجـــدٌ عـــنـي يُــنَـــفِّسُ كـــربــةً

تَـبـيتُ وتُـضـحي وهيَ تُـمْـعِنُ في لَـسِّي[3]

أطـالت عـلى خـسفٍ مُـمِضٍ - بمـوطـنـي

عـلى مـشـهـدٍ من أمَّـتي كـلِّـهـا - حَـبْـسي

أنــا الــيــومَ وحــدي في الــكــويتِ بمــأتمٍ

وكلُّ بـنـيـهـا - غـيـرَ شـخـصِيَ - في عُرْس

****

(١) يخسي: مخفف. يخسئ بمعنى يجعل البصر كليلاً.

(٢) البرس: القطن.

(٣) اللس: اللحس والأكل.

عفواً وصفحاً[1]

بـالـرغم مـني كـنتُ أمسِ مُـقـصّـراً
في واجـبي نـحـو الـزعـيمِ الـتـونُـسِي
والـعـفـوَ مـنه أرتجـيهِ فـإنْ عـفـا
فـالـعـفـوُ من شـيَمِ الـلَّـبـيبِ الـكَـيّسِ
والـعـقلُ في «عـبـدالـعـزيـز» مُـوفَّـرٌ
فـلِـذاك من عـفـوِهِ لم أَيْـأس
عـفـواً وصـفـحـاً يـا زعـيمُ عن امـرئٍ
بـسـوى الـهـمـومِ حـيـاتَه لم يَـكْـتَس
أعـمًى مُـقِلٌّ جَـرَّدَتْه يـدُ الـقـضـا
فـإذا شـكـكتَ فـسلْ بـذلك مَـلـبـسي
إني اعـتـزلتُ الـنـاسَ لـمّـا لم أجِـدْ
حَظَّ الـضَّـعيفِ سـوى شَـمـاتِ الأَلْـيَس[2]
سَلْ بي يُـجـيـبـوا أنّ صـقـراً مـيّتٌ
مـا بـيـنـنـا لـكـنه لم يُـرمَس[3]
هـذا جـوابـهُمُ لأني لابسٌ
بـيـتي عـلى حُـكْمِ الـثـيـاب الـدُرَّس[4]

---

(١) لم يتمكن من حضور الحفل الذي أقيم للزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي في زيارته الأولى للكويت وفي سنة ١٣٤٧هـ، زار الثعالبي الكويت مرة ثانية فأقيم له حفل في مدرسة السعادة فقال هذه القصيدة وألقاها نيابة عنه الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف في هذا الحفل.

(٢) الأَلْيس: القويّ.

(٣) يرمس: يدفن في الرمس وهو القبر.

(٤) الدُرَّس: جمع دارسة وهي البالية التي لا تبين معالمها.

مـتـحـامـيـاً نـظـراتِ من لم يـنـظُـروا

أبـداً إلـيَّ بـغـيـر طَـرْفٍ أَشْـوَس[1]

يَـرمـون عن قـوس الأذى بـسـهـامِهِ

ذا الـفـقـرِ إن يَـنْـبِسْ وإن لم يَـنْـبِس[2]

ويـرونَ مَـحْـيـا الـمُـعـسـرين منَ الـورى

عَـبَـثًـا، وإن كـانـوا كـبـارَ الأنْـفُس

لا حقَّ في الـمَـحْـيـا لـديـهم لـلّـذي

في الأُذْنِ مـنه فَمُ الـغِـنى لم يـهـمِس

فـلـذاك لـمّـا عـزّني نـيلُ الـكُـسـا

مـا بـين أقـوامي اكـتـسـيتُ بمـجـلـسي

حـتى أتـيتَ فـجـاء بي شـوقي إلى

لُـقـيـا عَلائكَ يـا أشَمَّ المـعـطَس[3]

إن كـنتَ يـا عـبـدَالـعـزيـز إلى الـعُلا

تـسـعى ولـلـمـجـد الـرفـيع الأَقْـعَس[4]

فـاهـنـأْ فـنـجمُ علاكَ مـرفـوعٌ عـلى

شُـهُبِ المـعـالي وَهْـيَ شُمُّ الأَروُس

خـلّـدتَ في الـتـاريخِ بـيضَ صـحـائفٍ

لكَ، مـا بـهـا لـيَـدِ الـبِـلى من مَـلْـمَس

بـجـهـودكَ اللاّتي نَـمَـمْنَ عـلى هـوًى

لـلـعُـرْبِ تُـضـمِـر مـنه أنْـفَسَ مُـنـفِس

فـبَـنـو مَـعَـدٍّ لـيس فـيـهم من فـتًى

عن شـكـر مـسـعـاكَ الحـمـيـدِ بـأخـرس

(١) أشوش: متكبر.

(٢) ينبس: ينطق.

(٣) المعطس: الأنف والأشم المرتفع، ويمدح فيقال: هو أشم الأنف.

(٤) الأقعس: الأعلى.

يُغني ذوي الضاد النّفيسة ذكرُهم
إياكَ عن ريح الصَّبا المُتَنَفَّس
لو كان ذكرُكَ سائلاً لم يَقتَنِعْ
بِطِلاً سِواهُ مُغرَمٌ بالأكؤس
أَهتَزُّ إذْ ذكراكَ تطرقُ مسمَعي
حتى كأني للسُّلافةِ مُحتَسِ
طَرَباً لغُرِّ خلائقٍ أُودِعتَها
كلُّ الفخارِ بهنَّ للمُتلَبِّس
لو كان للبحر الخِضَمِّ أَقَلُّها
بالملح كان البحرُ لم يتبَجَّس[1]
لا زلتَ في أبناء يعربَ إن دَجا
ليلُ الخطوبِ عليهمُ كالمَقْبَس
أمّا الكويتُ فلا تسلْ عن أُنْسِها
بقُدومِكَ المُولي الفخارِ المُؤنِس
عَمَّتْ بمَأتاكَ الكويتَ مسرّةٌ
من أخمصَيْ جثمانها للقَوْنَس[2]
إني لأرجو أن تُؤَسِّسَ بينَنا
فيها الوئامَ فأنتَ خيرُ مؤسِّس
فاغرسْ بذورَ هوى الوئامِ فإنّهُ
ينمو فيُجنى إنْ بكفِّكَ يُغْرَس
وأزِلْ بحكمتكَ الشِّقاقَ فلم نَزَلْ
منه لشِقوَتِنا نسيرُ بحِندِس[3]

---

(١) يتبجس: يتفجر.
(٢) القونس: أعلى الرأس.
(٣) الحندس: الظلام.

إنـا انـقـسـمـنـا في الـكـويت كـمـا تـشـا
أهـــواءُ كلِّ مُـــعـــمَّمٍ مُـــتـــطَـــلِّس[1]

فـالخُـلْفُ مـنـشـؤه مـطـامعُ عـصـبـةٍ
لـسـوى اصـطـيـادِ المال لم تَـتَـقَـلْـنَس[2]

مَـدّوا من اسم الـدينِ شـرَّ حِـبـالـةٍ
لـلـمـال بـالـتـفـريق مَـدَّ مُـدَلِّس[3]

فـأمِتْ ثـعـالبَ كـيـدِ كلّ مُـفـرِّقٍ
بـاسم الـديـانـةِ من نُـهـاك بِـعَـنْـبَس[4]

لـولا أولـئك لم يـقـطِّبْ بـعـضُـنـا
في وجه بـعضٍ في الـكـويت ويـعـبس

هل في صـحـيح الـدين مـا يـدعـو إلى
مُـردي الـتـفـرُّق والـتَّـعـادي الـمُـتْـعِس؟

كلا ولـكنْ نـاصـبـوه كـفَّـةً
عـكَـسـوهُ عـمـداً ويـلَـهم من عُـكَّس[5]

مـا زال مـنـهم في الـكـويت مُـوَسْـوِسٌ
يـدعـو إلى الـتـفـريق إثـرَ مُـوَسْـوِس

أَنْـبـا بـخـيـرٍ لـلـكـويت تَـوَسُّـمي
مـأتى الـزعـيمِ الـتـونُـسي وتَـفـرُّسي

يـا ويـلـنـا إن لم نجـدْهُ مـكـمِّـمـاً
من خُـلْـفـنـا أفـواهَ أُسْـدٍ نُـهَّس[6]

فـمن الـذي من بـعـدِ واحـدِ تـونسٍ
نـرجـو لإسـكـاتِ الـعـوادي الـرُّجَّس

****

(١) متطلس: لابس الطيلسان.
(٢) تقلنس: لبس القلنسوة.
(٣) المدلس: الذي يخفي العيوب.
(٤) العنبس: الأسد.
(٥) كفة الصائد: الحبالة التي يصطاد بها.
(٦) النهس: جمع ناهس وهو الذي يأخذ اللحم بمقدم أسنانه.

لِمَ لا أفعل[1]

إنـي هَـــمَـــمْتُ بـــأن أُقـــبِّلَ أنْـــمُلاً
رُكِّـبْنَ في يُـمـنَى الـزعـيم الـتـونـسي
حـتى إذا مـا كـدتُ أحـظى بـالـذي
فـيه لـنـفـسي فَـخْـرُهـا في الأنْـفُسِ
عَنَّ الـعِـثـار لِـطِـرْفِ حـظّي فـانـثـنَى
بي دون غـايـةِ مـفـخـرٍ لي أقْـعَس
لِـمَ لا أقـبِّـلُ كـفَّ رامٍ إنْ رَمـى
هـدفَ الحـقـيـقـةِ كـان خـيـرَ مُـقَـرْطِس[2]
سَلْ عـنهُ «إفـرنـسـا» تُـجِبْ هـذا شـجًـا
بـحـلـوق أطـمـاعي الـفِـسـاحِ الـنُّـهَّسِ[3]

****

(١) حاول تقبيل يد الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي عندما عانقه ولكنه لم يمكنه من ذلك فقال هذه الأبيات.
(٢) قرطس: أصاب القرطاس أي الغرض.
(٣) النهس: الكثيرة النهس وهو الأخذ بمقدم الأسنان.

إن بحت أخلب[1]

هــــذا وبــــين جــــوانــــحي مـــا بــــثُّهُ
إيّـــاك عــــنّي الآن خــــيــــرُ مُــــنَــــفِّسِ
لـــكـــنــــني إن بُـــحْتُ مـــنه بــــالــــذي
أُخــفـــيه أُخْــلَبْ هـــاهــنـــا وأُضَـــرَّس
فـــله ســـوى ذا الـــوقت وقتٌ فـــلْـــنَــدَعْ
مــكــتــومَهُ حــتى فَــراغِ الــمَــجْــلِس

****

(١) ارتجل هذه الأبيات على أثر حديث دار بينه وبين بعض الكبراء.

الأحدث ينسي الأقدم[1]

مـا في «أوالِ» ولا في الساكنينَ بها
من موضعٍ لهجا الهاجي ولا باسِ
لو لم نَجِدْ ساكنَ «البحرينِ» تشغَلُهُ
بأُنسِها عن محبِّيهِ من الناس
هذا (ابنُ أحمدَ) لما أن تَوَطَّنَها
أنْسَتْهُ ذِكري فأضحى وهْو لي ناس
ولا ألومُ امرءًا أنسَتْهُ موطنَهُ
إذا أتتهُ سعيدًا بعد إتعاس
يُنسي قتادُ الفيافي من يعيشُ بها
ما في البساتينِ من وردٍ ومن آس
لكن ألومُ الذي تُنسيهِ ذا مِقَةٍ
به من الوُدِّ مشدودٌ بأمراس[2]
إن سُرَّ سَرَّ وإن تُحزِنْهُ حادثةٌ
أضحى يُشاطرُهُ أحزانَهُ آسي
عاطَتْهُ كأسَ ودادٍ حادثٍ فغدا
لها على نَسْيِ ماضي صحبتي حاسي
ألومُهُ وهْو بادي العذرِ بَيِّنُهُ
وُدٌّ بوُدٍّ وإيناسٌ بإيناس

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه عبدالعزيز بن أحمد الرشيد وكان قد اتخذ من البحرين مقرًا مؤقتًا له.
(٢) الأمراس: الحبال.

يُـنـسـي الـفـتـى أحـدَثُ الأهـواء أقـدَمَـهـا

والـلَّـدْنُ يُـنـسـي الـهَـزارَ الـيـابسَ الـعـاسـي[1]

لـكن رجـوتُ مَلامَ الـشـيخِ يَـنـشُـرُ مـا

من المـزاحِ الـنَّـوى أدْنَتْ لإخـنـاس[2]

فـقـد ألـفتُ مِـزاحَ الـشـيخ عن كـثَبٍ

عـلى انـفـرادي به أو بـينَ جُلاّسي

وكـان ذاك شِـفـاهًـا بـيـنـنـا فـأبى

طِيبَ اجـتـمـاعي بشـيـخي دهـريَ الـقـاسي

ولا سُـلُـوًّ عن المـألـوف يُـذهِـلُـني

ولـو تـمـكَّنَ بي من عَـوْدِهِ يـاسي

فـصـرتُ أمـزَحُ طـوعَ الـشَّـوقِ عن بُـعُـدٍ

كـمـا اقـتـضـتهُ سـخـافـاتي ووسـواسي

من فـاتَهُ الـبـينُ بـالمحـبـوبِ أعـجَـبَهُ

من الـطـلـولِ وقـوفٌ بـين أدراس[3]

فـالـيـوم دأبيَ تـمـثـيـلي ممـازحـةً

كـانت حـقـيـقـتُـهـا مـدعـاةَ أعـراس

تـخـيُّلُ الـشيء يـغـني عن حـقـيـقـتِهِ

لـقـائسٍ ذينِ من سُـخْفٍ بمـقـيـاس

وقـد ثَـنـاني سـخـيفَ الـرأي مُـرٌّ نـوى

عبدِالـعزيز فسُخفي اليوم قسطاسي[4]

وقـد يـرى عـجـبًـا مـني ممـازَحَـتي

عـلى الـمُـشـيـبَـيْنِ تـضـيـيـعي وإفلاسي

---

(٣) العاسي: الغليظ الصلب.

(٢) الإخناس: التأخير.

(٣) أدراس: جمع دارس وهو الذاهب الأثر.

(٤) القسطاس: الميزان.

إنّي وإن كـان تـضـيـيـعي ومَـتْـرَبَـتي
عـلـى حـداثـةِ سـنّي شـيَّـبـا راسي
مع الـكـريمِ من الأصـحـاب مـنـجـذبٌ
إلى المـزاحِ بـطـبـعي الـرّاسخِ الـرّاسي
يـا مَن ألانَتْ له الأيـام جـانِـبَـهـا
مـا زال دهـريَ يـبـغي خَـنْقَ أنـفـاسي
وخـيـفـةً أوجـسَتْ نـفـسي لـقـسـوتِهِ
والجِـدُّ لم يَـسْـرِ عـني ثـوبَ إيـجـاسي[1]
لـذا تـراني هـجـرتُ الجِـدَّ أجـمـعَهُ
حـتى أتـاكَ بمـزحي الـيـومَ قـرطـاسي
وربمـا ضَـحِكَ الـبـاكي الـذي اصـطـدمتْ
به من الـدهـر أضـراسٌ بـأضـراس
إن يَـأْسُ دهـري جـروحي بـاقـترابـكمُ
مـنـحتُ دهـري مـديحَ الجـارح الآسي[2]
وقـلـتُ لا خـيـرَ في الـبـسـام عـنـد رضًـا
وعـنـد سـخطٍ تـراهُ غـيـرَ عـبّـاس[3]
بـالأمس دهـري سقـتـني الصَّابَ غـضـبَـتُهُ
والـيـومَ شـهـدًا رضـاهُ مـالـئًـا كـاسي
أيـعـلـمُ الـشـيـخُ أني من تَـبـاعُـدِهِ
مـا زلتُ أضـربُ أخـمـاسًـا لأسـداس
وهل أحسَّ الـفـتى عـبـدُالـعـزيـز بمـا
نَـواهُ من نـارهـا أذكـتْهُ إحـسـاسي

(١) أوجس إيجاسًا: أحس وأضمر.
(٢) أسا، يأسو: داوى.
(٣) عباس: كثير العبوس.

أم أن سُلْوانَهُ إيّاي أسعَدَهُ
وعنه طَرْفُ سُلُوّي راجعٌ خاسي[1]

إن يَسْلُ أوْ لا فإني لن أزالَ له
بما يَحيكُ وفائي رافلٌ كاس

لا أعدَمَ اللهُ منه الدينَ ذا ثقةٍ
يُهدي إليه مُقِلاً خيرَ نبراس[2]

ليست مجلَّتُهُ إلا سراجَ هدى
بكلِّ ليلةِ شكٍّ ذاتِ عسعاس[3]

أدْنَتْ إلى ملَّةِ الإسلام نُضْرَتَها
وشَكَّ ذي الشكِّ أدْنَتْهُ لإيباس

****

(١) خاسي: مخفف خاسئ كليل معيى.

(٢) النبراس: المصباح.

(٣) العسعاس: هنا الإظلام.

برؤك يصرف همي[1]

مـا كـنتُ أحـسبُ قـريـةً بـجـمـالـهـا
تُـنـسي الحـبـيبَ مُـحِـبَّهُ في الـنـاسِ
حـتى نـسـيتَ الـيـوم مـني ذاكـرًا
لما اجْـتَـلَـيْتَ مَـحـاسِنَ «الـفـنـطـاس»
مـا جـاءني مـنك الـبـشـيـرُ بـصـحـةٍ
خـلـعَتْ عـلـيك الـيـومَ خـيـرَ لِـبـاس
إلا ابنُ خـالـدٍ الـكـريمُ تـبـرُّعًـا
جُـودَ الـريـاضِ بـطـيِّبِ الأنـفـاس
ولـقـد عـلـمتَ بـأن بُـرْأكَ صـارفٌ
عـني صـنـوف الـهمِّ والـوسـواس
وإذا الـبـشـيـر عـلـيك عَـزَّ فـلم يـكن
لـيَـعِـزَّ بـعثُ الحِـبْـرِ والـقِـرطـاس
كَلا ولـكن لـو «تَـفَـنْـطَسَ» بـرهـةً
مـاءٌ لأضـحى وهـو صـخـرٌ قـاس
مـا كـنتَ تـرضى يـا سلالـةَ صـالحٍ
قـبلَ «الـتـفـنـطُسِ» أن أظَلَّ بـيـاس
فـالـذنبُ «لـلـفـنـطـاس» لا ازدهت الـرُّبـا
مـنـهـا بـحـوذانٍ ولا بِـسـبـاس[2]

(١) بعث بهذه القصيدة: إلى صديقه المرحوم أحمد المشاري، وكان في مزرعته في الفنطاس يستجم من وعكة أصابته.

(٢) الحوذان والبسباس: من النباتات.

إذ لم تـــكن قـــبل ارتـــبـــاعِكَ أرضَـــهـــا

– مــفــتــرَّةً عن روضِــهــا – ليَ نــاس

فـــإلَيَّ قــبلَ الــصــيفُ يُــغــري ريــحَهُ

في نــبــتــهــا المخــضَــرِّ بـــالإيــبـــاس

فــيــجــيــئُــني إذ ذاك فــضل مــصــيــفــهــا

بك أيُّـــهـــا الــنـــاسي أو الـــمُــتــنـــاسي

فــيــفــوزُ دونكَ صـــيــفُـــهــا بــتــشــكُّــري

في رَدِّهِ نــــحــــوي أخـــا إيــــنـــاسي

أحــيــا دُنُــوُّ الــصــيفِ – في أن نــلــتــقي –

أمَـــلــي الـــذي أرديـــتَهُ بـــالـــيـــاس

****

ظُنَّ جميلاً باللَّه

وظَـــنِّيَ أن الـــله عـــنكَ مـــفـــرِّجٌ
وشـيـكًـا فلا تُـنْـزِلْ جـوانـحَكَ الـيـأسـا

فـمـا زلتَ ممَّن يـبـذلُ الـعُـرْفَ مـحـسـنًـا
إلـى من عـلـيه كـلـكلُ الـفـقـرِ قـد أرسى

ورَبُّكَ لم يُـنْـزِلْ بـذي الـعُـرْفِ شِـدَّةً
لـيـجـعـلـهـا وقـفًـا عـلـيه ولا حَـبْـسـا

ولـكـنه يـأتي بـهـا رافـعًـا له
ذُرى الأجـر أو من أجـرِهِ مـثـبـتًـا أُسـّا

فَـظُنَّ جـمـيلاً بـالـذي في فـضـائـهـا
إذا كُـسِفَتْ شـمسُ الـنـهـار جَلا الـشَّمسا

ولم أرَ كـالإحـسـان درعًـا مـنـيـعـةً
تـقي أهـلَـهـا وَقْعَ الـنـوائب أو تُـرْسـا

فـكم نـزلت بـالمحـسـنـين شـدائـدٌ
فـفـرَّجَـهـا من حـيث لم يَـحْـدِسـوا حَـدْسـا

ومن أنـطَقَ الأحـداثَ وهـي صـوامتٌ
يَـهـونُ عـلـيه عـنكَ إرجـاعُـهـا خُـرْسـا

ولـله فـيـمـا يـفـعلُ الـلهُ حـكـمـةٌ
يـفـوتُ بـهـا كـتـمـانُـهـا الـعَـقْلَ والحِـسّـا

يـطـيفُ بـنـا سـعـدُ الخـطـوبِ ونَـحْـسُـهـا
ويمـنـعُـنـا تـعـلـيـلُـنـا الـسَّـعْـدَ والـنَّـحْـسـا

إذا مَـدَّ لي المـقـدورُ كـأسًـا شـربـتُـهـا
ولـو قَـلَـسَتْ فـيـهـا أراقـمُـهُ قَـلْـسـا[1]

أحِسُّ كـغـيـري طـعـمَـهـا غـيـرَ عـالمٍ
كـغـيـريَ أيـضًـا سـرَّ تجـريـعِيَ الـكـأسـا

وأُعـرِضُ عَـمّـا شـاقَ نـفـسـي وُرودُهُ
كما شاقَ أن يُبقي لها صخرُها النَّحْسا

فـآخُـذُ مـضـطـرّاً وأَتْـرُكُ مـرغَـمًـا
ويـصـبح بـالأسـرارِ جـهـلي كـمـا أمـسى

هـنـالك أهـدافٌ كِـثـارٌ ولن يَـرى
لـهـا الـعقل سـهمًـا صـائبًـا لا ولا قـوسـا

يـطـاطيء عـجـزًا رأسَهُ كُلُّ رافعٍ
لـتـعـلـيل صـنعِ الـله في خـلـقِهِ الـرَّأسـا

إلى ظـلـمـةٍ من ظـلـمـةٍ يـخـرجُ الحـجـا
إذا ارتـادَ هـاتـيكَ المـفـاوزَ أو عَـسّـا[2]

****

---

(١) قلس: خرج من بطنه إلى فمه طعام أو شراب ملء الفم. وقلست الكأس بالشراب: قذفته لفرط امتلائها.
(٢) عسَّ: طاف بالليل.

إلى صديق الأمس

أأقطَعُ برهةً خِلاًّ، ودادي
عليه قبلُ كادَ يكونُ حَبْسا
لأعلَمَ هل لديهِ إليَّ مَيْلٌ
كمَيْلي نحوَهُ فأطيبُ نَفْسا
فلم يبعث إليَّ رسولَ وُدٍّ
خِلالَ القطعِ آنَسُ منه أُنْسا
ولم أَرَ منه مكتوبًا يُريني
بأني عندَهُ ما كنتُ أُنسى
كأن لم يستطع إرسالَ شخصٍ
ولم تَمْلُكْ يمينٌ منه طِرْسا
ولم أبرح على مَيْلي كأن لم
أجِدْ مِن أن يميلَ إليَّ يأسا
ومن لم يَسْلُ سالِيَهُ فمِنْهُ
كما شئتَ اتَّهِمْ عقلاً وحِسّا
وهذا آخرُ الأقوال عندي
لِلحِقِ حَقِّ محضِ الوُدِّ بَخْسا
وما قَوْلي له إن لم يُجَدِّدْ
وفاءً من عهودِ الوُدِّ دَرْسا
سأبقى لائذًا بالصبر عنه
وإن أفنى فؤادي الشوقُ نَهْسا

فــإن لم أســتــطِبْ زَمَنَ الــتَّــجــافي

تجــرَّعَ مــا تُــديــر يــداهُ كــأســا

فــكم لي أســوةٌ بــين الــبــرايــا

وقــد يُــبــلي الأسى حُــرّاً تــأسّى

ومــا أحــدٌ عــلى حــالٍ بــبــاقٍ

ولــكن حــائلٌ سَــعــدًا ونَــحْــســا[1]

وكم حُــزنٍ تــكــشَّفَ عن ســرورٍ

ومــحــبــوبٍ به المــكــروهُ دُسّــا

ومُــلْسٍ حــوادثٍ قــد عُــدْنَ خُــشْــنًــا

وخُــشْنٍ حــوادثٍ قــد عُــدْنَ مُــلْــســا

فلا تَكُ لــلــبُــكــا يــا جَــفْنُ خِــدْنًــا

ولا تَكُ للأسى يــا قــلبُ حِــلْــســا

فــمَن أبــكى وأحــزَنَ مــنه عــيــنًــا

وقــلــبًــا مَن تــخــلّى عــنه خَــسّــا[2]

ولا تَــقْــتُــلْكِ يــا نــفــسي عــلى مَن

تجــافى أنْــمُل الَــحــسَــراتِ جَــسّــا

وذُودي بــاصــطــبــارِكِ كلَّ حــزنٍ

بــكَــلْــكَــلِه عــلــيكِ الــيــومَ أرسى

ورَجِّي أن يَــرُدَّ الــلــهُ لــطــفًــا

نــواطِقَ ألــسُنِ الأشــجــان خُــرْســا

فــقــد أُلْــفي من الجــافي بــديلاً

يــطــيبُ لــديه بــذرُ الــوُدِّ غَــرْســا

(١) حائل: متحول من حال إلى حال.

(٢) خس: نقص من القدر أو الوزن.

كـــمـــا وجَـــدَ الـــبَـــديلَ وكُلُّ خِلٍّ
يــرى لخـلـيـلـهِ في الـنــاس جِـنْـسـا
ولم يَــــرَ من تَـــبَـــدَّلَ من صـــديقٍ
بــآخَــرَ غــيــرَ وَقْعِ الــذِّكْــرِ بــأسـا
ولـــلـــذكـــرى عـــلـى الإلفِ اشـــتـــدادٌ
إلى أجَلٍ وبَـــعْـــدُ تَـــلـــينُ مَـــسّــا
لـــعل الـــلـه يـــلـــطُفُ بي فـــألـــقى
صـديـقًـا مـثل من فـارقتُ نِـطْـسـا[1]
ولـــــيس يـــــفـــــوقُهُ إلا بـــــأن لا
يَـمَلُّ زيـارتي مَـغْـدىً ومَـمْـسى
فـقـد فـات الـعـيـوب صـديقُ أمـسِي
سـوى المَـلَلِ المُـريهِ لـقـايَ تَـعْـسـا
ومن يَـمْـدُدْ بـنـاء الـود يـومًـا
عـلى وُدِّ الَـمـلـولِ انـهـدَّ أُسّـا
حَـنـاني الـفـكـرُ أبـحثُ عن دواعي
تجـافـيه فـكـدتُ أصـيـرُ قـوسـا
ولم أعـثُـرْ عـلى ذنبٍ ولـكن
رأى سَـئِـمًـا ودادي الـطُّـهْـرَ رِجْـسـا
ومن سـامَ الَـمـلـول دوامَ وُدٍّ
فـذاك فـتىً بـأيـدي الخَـبْلِ مُـسّـا
وقـد أوجـزت لا عِـيّـاً ولـكن
مـخـافـة أن أُصَـدَّع مـنكَ رأسـا
فـمـمـلـولُ الـلـقـاء يُـمَلُّ قـولاً
ويـعـكِسُ حَـظُّهُ حُـسـنـاهُ عـكـسـا

---

(١) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

فــلــو بــالــدُّرِّ لا بــالــشــعــر وافَى

يُــعــاتِبُ ديسَ ذاك الــدُّرُّ دَوْســا

ومــا سُــقْتُ الــعــتــابَ إلــيك إلاّ

لخــوفي أنــني أخــطــأتُ حَــدْسـا[1]

فــمــا قــد كــنت أحــســبُه مَلالاً

ركــبتُ لأجــله الــهــجــران عَــنْــسـا[2]

يَــدُ مــنــهــا أطَــلْتُ المَــدَّ تــبــغي

بــهــا عــنــدي اجــتلاءَ الــودِّ لمــســا

فــلــم يَــعــدم تَــوارُدُ خــاطِــرَيْــنــا

نــســيــجًــا حــاكَهُ الإمــكــانُ لِــبْــســا

ولــولا ذاك مــا عــاتــبتُ حــتى

تُلامِسَ بي يمــينُ المــوتِ رَمْــســا

فــمــا أنــا من يــقــيم عــلى ودادٍ

يــرى في صــفــوِهِ شَــكّــاً ولَــبْــســا

****

---

(١) الحدس: التخمين.

(٢) العنس: الناقة.

شكوى على باعة الغاز[1]

يــا بــائعَ الــغــاز رُبْعَ الــرُّبْعِ من مــئــةٍ
ممـــا تـــقَـــوم به من دَقِّكَ الجَـــرَســـا
يـــؤذي ويـــزعجُ أيـــقـــاظًـــا تـــمـــرُّ بـــهم
ويـطـردُ الـنـومَ عن عـينِ الـذي نَـعِـسـا
فـــكـــيف تحـــملُ هـــذا الـــدقَّ أجـــمـــعَهُ
هـامٌ ولـو كُنَّ اصلادَ الـصَّفـا الـمُـلُـسـا[2]
كـــأن دَقَّكَ دَقٌّ ظَلَّ يُـــســـمِـــعُـــني
مـكـروهَهُ قـلبُ هـذا الـدَّهـرِ مـنـذُ قَـسـا
فـلـستُ أغـبِطُ مـا جَـلْـجَـلْتَ عن كَـثَبٍ
إلا الأصَمَّ وإلا مـــيِّـــتًـــا رُمِـــســـا
مـــا قـــارَبَ الـــبـــرءَ رأسي من تـــصـــدُّعه
إلا ومَـــرَّ به شَـــرواكَ فـــانـــتـــكـــســـا
أمّـــا هـــدوءُ أُعَـــيْـــصـــابي فـــلـم أَرَهُ
مـنـذ اسـتَـهَلَّ من الأجـراسِ مـا خَـرِسـا
لا أفـقَـدَ الـلهُ سَـمـعي غـيـرَ صـحَّـتِه
فـكم أحـالت أسىً في نـفـسِيَ الأُنُـسـا
مـا ضَـرَّ قـائـمَـكم بـالمـزعـجـاتِ لـنـا
لـو أنه مـا دَنـا مـنـهـا ولا لمَـسَـا

(١) كان الشاعر تؤذيه الأصوات المنكرة. وكان من عادة بائعي الكيروسين أن يستعملوا لعرباتهم أجراسًا تدق بصوت عال لإعلان أهل المنازل بوجودهم. وقد وجه الشاعر هذه القصيدة إلى مدير البلدية حينذاك المرحوم عبدالله الصالح الفلاح، فأصدر أمره بمنع استعمال الأجراس.
(٢) الأصلاد: جمع الصلد وهو الصلب. والصفا: الحجارة الصلبة.

لِمْ لَمْ تَكُنْ في سُقاة الماءِ أسوتُكُمْ
فنفعُهم لبذور الضُّرِّ ما غَرَسا
يبيع من مائِهِ ما شاء بائعُهم
وما ابتغى جَرَسًا يومًا ولا التَمَسا
لو حَذْوَهُم قد حَذَوْتُمْ لم تَروا أحَدًا
إذا رأى بعضَكم في شارعٍ عَبَسا
عينُ الضريرِ التي تَهديهِ مَسمَعُهُ
وكلُّ ضوضاءَ ليلٌ عنده دَمَسا
فسمعُهُ غيرُ كافٍ في هدايتهِ
ما رَنَّ كالجرَسِ المؤذي وما رَجَسا
يَعُدُّ سَمْعُ ضريرِ القوم هَدْأتَهُمْ
كما تَعُدُّ العيونُ الشمسَ والقَبَسا

☆☆☆☆☆

حَقٌّ لنا يا شبيهي في مصيبتِهِ
أن لا يضِجّوا وهذا الحق قد بُخِسا
قل للمديرِ عن العُميانِ رفقَكَ إن
خِفنا الكواربَ منه الكُلُّ ما يئسا
فنظرة منك نرجو أن يلين بها
ما اشتد من كربنا هذا وما يَبِسا
أوضِحْ لنا نائبًا عنّا شدائدَ ما
نَنْفَكُّ نَصْلَى لظىً منها صباحَ مَسا
فما البصيرُ مُحِسٌّ كلَّ موجعةٍ
ممّا إلينا به صرفُ الزمان أَسَا[1]
عينُ البصيرِ إذا ما ضجَّةٌ عَرَضَتْ
أغنته عن أذُنٍ إرشادُها التَبَسا

(١) أسا: مخففة من أساء.

لـــذاك قـــد لا تـــراهُ شـــاكـــيًـــا ضـــررًا

مـنـهـا شَـكـاهُ ضـريـرٌ حـوله جـلَـسـا

فـأنتَ من يـوضحُ الأشـيـاءَ إن غـمـضَتْ

كُلَّ الـوضـوح لـذي سـمعٍ إذا نَـبَـسـا

فـكم رَدَدْتَ إذا أوضـحت غـامـضـةً

إلى الـيـقـين بـهـا حـدسُ الـذي حَـدَسـا

أَلْـمَـسْهُ كُـنْهَ مُـلِمٍّ لـيس يـورثُـنـا

غـيـرَ الـصُّداع الـذي قـد يـورثُ الـهَـوَسـا

عـسـاهُ أن يـتلافـانـا ويـنـقـذُنـا

مـعـاشِـرَ الـعُـمي ممـا نـشـتـكيه عسى

****

لماذا يحسدونني[1]

رَمَــوْا عن قــوس كِــذْبِــهِمُ ســهــامًــا
بــريش ســفــاهــهم كــانت تُــراشُ
لــكــيــمــا يــخــدشــوا عِــرضي فــمــرَّتْ
وعِــرضي لم يَــلُحْ فــيه انــخِــداش
فــقل لــلــواردينَ حِــيــاض ثَــلْــبي
بــوِردِ الــكِــذْبِ لا تُــروى الــعِــطــاش
ومــا أنــا من يُــهــارش فــلــتــدَعــني
كلابٌ من ســجــايــاهــا الــهِــراش
ومــا فــضــلي عــلى كــلــبي إذا لم
يَــزَعْــني عــنه مــنّي الــيــومَ جــاش[2]
لــئن كــرِهــوا اشــتــعــال ســراجِ فــضــلي
فــإن الــنــورَ يــكــرهُهُ الخِــفــاش
عــذرتُ الــقــوم لــو بــالــكــذب تــشــفى
قــلــوبــهمُ المــريــضــةُ والمــشــاش[3]
ولــكنّ الــتــكــذُّبَ لــيس فــيه
لمــرضى حــاســدي الــفــضلِ انــتــعــاش

---

(١) كثرت أقاويل الغوغاء فيه وذلك بتحريض من حساده حين ينشر قصيدة يطالب فيها بالإصلاح أو يهاجم من اتخذوا الدين مصيدة للمال فقال هذه القصيدة.

(٢) الجأش: القلب. ووزعه يزعه: كفه ومنعه.

(٣) المشاش: جمع المشاشة وهي النفس والطبيعة.

ومن عـــجبٍ تَـــصَـــدِّيـــهم لمـــا لم

يــكن فــيه من الحــسَــدِ انــتِــيــاش[1]

وأعـــجبُ من ذوي حــــسَـــدٍ ألحَّتْ

عــلــيــهم نــارُ غــيــظِــهِمُ فــطــاشــوا

مُـــصَـــدِّقُ زورِهم والـــزورُ عـــارٌ

ســـلـــيبٌ لا لـــبـــاسَ ولا ريـــاش

أَأُحْــسَــدُ يـــا لأقـــوامـي ولـــمّـــا

يُـــصـــبـــني وَبْلُ يُـــسْـــرٍ أو رِشـــاش

فـــإن طــاب المـــعــاشُ لــكم بــيُــســرٍ

فــلي بــالــعُــســرِ قــد خَــبُثَ الــمَــعــاش

فـــلـــولا فـــاقـــتي مـــا كـــنتُ ذئـــبًـــا

بــســوء الــظنِّ تــرمــيه الــكِــبــاش

ولـم أُصــبِحْ كـــأني في عـــيـــونٍ

قـــذاةٌ أو بـــآنـــافٍ خِـــشـــاش[2]

ولـم تـــنـــبَـحْ كلابُ الحي ممّـــا

مـــررتُ بـــهـــا ولم تـــنـــهَقْ جِــحـــاش

فـــإن أصـــبـــحتُ غُــفلاً من يـــســـارٍ

يـــلـــوح عـــلـــيـــكمُ مـــنه انـــتـــعـــاش

فلا تـــبـــغـــوا فـــلـــلـــدنـــيـــا انـــقلابٌ

وشَـــوْكُ الـــبـــغي لـــيس له انـــتِـــقـــاش

ســـلـــوا الـــتـــاريخ كم رجلٍ غِـــنـــاهُ

له مـــنه الـــتـــحـــافٌ وافـــتـــراش

(١) الانتياش: الإخراج والتناول والإنقاذ.

(٢) الخشاش: جمع خشاشة العود الذي يوضع في أنف البعير ليذل.

طـــغى فـــأعـــادَهُ الـــطـــغـــيـــان ممّن

لـــهم من مُـــمْـــرِضِ الجـــوع ارتـــعـــاش

فلا يُـــعْـــجـــبـــكُمُ لـــلـــبـــغي مَـــرعى

فـــإن الـــبـــغي نـــارٌ يـــا فَـــراش

✱✱✱✱

حقق ما وعدت

حــبـــيـــبِيَ قـــد واعَـــدْتَـــني بـــزيـــارةٍ
فـــهل لك حـتـى الآن لم تَـسْـنَحِ الـفُـرَصْ
أمِ الـصَّـدُّ تـنـوي أن تَـريشَ جـنـاحَهُ
وقـد رَدَّهُ بـالأمس مـنك الـرِّضـا أحَصْ[1]
فـإن كـان هـذا مـا نـويتَ فـعـنـدنـا
له من عـتـابٍ لا يـسـوءُ الـهـوى مَـقَص
وظـنِّيَ أن لا تُـغـلِيَ الـيـومَ زَوْرَةً
على من عـليـهـا من سـمـاحِكَ قـد حَرَص
إذا كـان مـثـلي مـسـتـزيـرَكَ بُـلـبُلاً
سـجـيـنًـا له من جـوفِ حُـجـرتهِ قَـفَص

****

(١) الأحص: الساقط الشعر.

القُنوع هو الغنى

ولـو عـلـمـوا أنَّ الـقُـنـوعَ هـو الـغـنى
وأنِّيَ مـــنه مـــالكٌ أوفَـــرَ الحِـــصَصْ
رأيـتَـهُمُ قـد أبـدلـوا الـقُـرْبَ بـالـنّـوى
وكلٌّ عـلـى الأعـقـاب لي مـنـهمُ نَـكَص
ولـكـنـهم خـافـوا سـؤالي فـبـاعَـدوا
وهـيـهـات سـؤلي فـضلَ ذي ثـروةٍ نَـقَص
فَـحَـصْتُ سـجـايـا من بُـلـيتُ بـودِّهم
فـجرَّعَني فـحصي سجـايـاهمُ الـغُصَص
وأتْـرُكُ مـعـنى مـا أقـول لـفِـطـنـةٍ
لـديكَ فـعـنه عـنـدهـا أحـسَنُ الـقَـصَص
إذا فَـحَصَ الإنـسـانُ أخلاقَ بـعضِ مَن
يُـعـاشـرهم يـأسى عـلى أنه فَـحَص
ولـو تَـرَكَ الأخلاقَ مـنـهم دفـيـنَـةً
عـلـيـهـا من الـتـمـويه أطـبـاقُـهـا تُـرَصْ
لـكـان اغـتـبـاطًـا قـلـبُهُ - بمـزَوَّقٍ
من الـوُدِّ يُـبـديه له الـقـومُ - قـد رَقَص
فـهل ظِلُّ عُـذْرِ المـبـتـلـينَ طـبـاعَـهم
إذا أظـهـروا زهـدًا بـعِـشـرتـهم قَـلَصْ(١)

(١) قلص الظل: انكمش وانقبض.

كـــرهتُ بـــقـــائي في وِهـــادِ خلاطِـــهِمْ
فـأركـبَـني كُـرْهـيهِ من عُـزلـتي مَـنَصْ[1]
فـلـستُ بِـمُـرْتَـدٍّ - كـمـا كـنتُ نـاشـئًـا
غـريـرًا - عـلـى آثـار عِـشـرتـهم قَـصَص[2]
وأيٌّ لـــبـــيبٍ عـــاد يـــهـــبِطُ واديًـــا
كـثـيـرَ الـضـواري بـعـدَمـا مـنه قـد خَـلَص

****

(١) المنص: ما يرفع من أمكنة يقعد عليها.
(٢) قص أثره قصصًا: تتبعه شيئًا فشيئًا.

حق بغير غموض[1]

نـــهـــاري ولـــيـــلـي لم أزَلْ لكَ ذاكـــرًا
ولــكنْ جَـريـضي حـالَ دون قَـريـضي[2]
فــكم مَـــرَّةً حـــاولتُ نــظمَ قــصــيــدةٍ
تـفـيضُ بِـقَضٍّ في الـهـوى وقـضـيض[3]
مُــذَكِّـــرَةٍ من عـــهـــد وُدِّيَ ســـالــفًـــا
صـحـيـحًـا عـلى الأيـام غـيـرَ مَـريض
مُــؤَدِّيَـــةً مـــا الـــوُدُّ أصــبحَ حــاكــمًـــا
عـــلـيَّ بـه من سُـــنَّـــةٍ وفُـــروض
ولــكنَّ بي سُــقْــمًـــا إذا شــئتُ نــهــضــةً
إلى مــثل هــذا الأمـــرِ عـــاقَ نــهــوضي
ســقـــامٌ تُـــسَـــمِّـــيـه الــبــريَّـــةُ فـــاقَـــةً
وشـــاكــيـهِ مــوصــوفٌ لــهم بِــبَـغـيض
غـــــدوت بـه قــــبـل الأوان مـــــبــــدَّلاً
بــرغـــميَ من ســودِ الــعِــذار بـبـيض
فـــعـــذرًا أبـــا عــوفٍ فــمـــثــلك نـــاظــرٌ
بِــطَــرْفٍ عن الأعــذار غــيــرِ غَـضـيض

(١) قال مجيباً الشاعر عبدالرحمن البناء البغدادي على أبيات وردته منه.

(٢) الجريض: الريق يغص به والمثل «حال الجريض دون القريض»، يراد به إلى... والغصص حالا دون قول الشعر.

(٣) القض: صغار الحصى والقضيض ما تكسر من الحصى ودق ويقال جاء القوم قضهم وقضيضهم أي جميعهم.

ولا زلتَ من أشـــعـــاركَ الـــغُـــرِّ واقـــعًـــا
عــــــلى كُلِّ روضٍ لا يَــــــجِفُّ أريضِ[1]
ولا أســـكـــتَتْ مـــنكَ الحـــوادثُ بُـــلـــبُلاً
غـــريـــبًـــا تُـــغَـــنِّـــيهِ بمـــثل جَـــريـــضي
فـكم أطْـرَبَـتْـنـا أو شَـجَـتْـنـا غـرائبٌ
لـــهنّ عـــلـــيـــنـــا كـــنتَ غـــيـــرَ مُـــفـــيض
ولــو كـان شِـعـري كُـفْـؤَ شِـعـرِكَ لم أقُمْ
بـــغـــيـــر طـــويلٍ في الجـــواب عَـــريض
ولـــكن مـــا أهـــديتَ تـــغـــريـــدُ عـــنـــدلٍ
ومـــا أنـــا مُـــهـــديه طـــنـــينُ بَـــعـــوض
ومـا قـلت هـذا الـقـول مـني تـواضـعًـا
ولـــكـــنه حَقٌّ بـــغـــيـــر غُـــمـــوض
وإن هــاضَتِ الـدنـيـا جـنـاحَكَ وحـدَهُ
فـــلم تُـــبْقِ عـــضـــوًا فِيَّ غـــيـــرَ مَـــهـــيض
فـقـد أوقـعَـتـني كَفُّ عُـسـري عـلى شَـفـا
ضَـــريـــحي وظـــنّي فـــيه قُـــرْبُ دُحـــوضي[2]
غـــدوتُ كـــأنـي في بلاديَ مُـــصْـــحَفٌ
وأبـــيَـــضُـــهـــا الـــرنّـــانُ ذاتُ مَـــحـــيض
فـــمـــنـــذ زمـــانٍ مـــا حَـــلَـــمتُ بـــدرهَمٍ
- عـــلى تَـــركِهِ إيّـــاي - غـــيـــرِ مَـــروض
ومـا زلتُ فـيـهـا مـنـفـقًـا مـا أصـوغُهُ
لحـــليٍ عـــلى من لـــيس عـــنه مُـــعِـــيـــضي
و[مَن] يَصْدَ يَطـمعْ في الـسـراب ويـلـتبِسْ
عـــلـــيه نـــقـــيضٌ في الـــدُّنـــا بـــنـــقـــيض

****

(١) الأريض: الكثير العشب.

(٢) دحض: زلق.

إلى لُوّامي في العُزلة

طُـبِـعْتُ عـلـى غـيـرِ الـذي قـد طُـبِـعْـتُمُ
عــلـيهِ فـمــا طــولُ اعــتــزالــيــكُمُ بِـدْعُ
ولـــستُ أرى مـــا بـــيـــنـــنـــا من مُـــؤَلَّفٍ
لأن نُـــفـــوري مـــنـــكمُ جَـــرَّهُ الـــطـــبع
وطــبــعي بــأمــري وحــدَهُ مــتــصــرِّفٌ
فـــمـــا لـــســـواهُ فِيَّ جَـــذْبٌ ولا دَفْعُ
وكــنتُ زمــان الــوصلِ أُرغِمُ شــيــمــتي
فــضــاق بــإرغــامي لــهــا مــنِّيَ الــذَّرْع
ومن لم يُـطِقْ أن يـعـصِيَ الـطـبعَ لم يُـلَمْ
إذا مـــا غـــدا أو راح وَهْـــوَ له طَـــوْع
وقـــد مَجَّ ســـمـــعي طـــولَ لـــومـــكمُ فلا
تــلــومــوا فــطــولُ الــلَّــومِ لــيس به نَـفْع
عــلى غــيــرِ حــكمِ الــطــبع لــستُ بمــالكٍ
نــزولاً فــوصــلي حــسب مــا شــاء والــقَـطع
فـإن جَـرَّ حـالَ الجـسمِ مـنـصـوبُ عُـزلـتي
فـفـيه سـكـونُ الـنـفسِ والـفـتحُ والـرَّفْع

****

هذا خيال[1]

هـذا خـيـالُ أمـرئٍ مـذ شَبَّ مـا اشـتـمـلت
عـلـى المـسَــرَّةِ حــتى شــابَ أضـلُــعُهُ
مـــا إن تَــنـــاولَ من آمـــالِه سَــبَــبًـــا
إلا رأى مُـــدْيَـــةَ الأيـــامِ تـــقـــطـــعُه
وأيُّ صـــادٍ من الأحــــرار مـــا وقـــفت
دُنـــيـــاهُ عن كلِّ مـــا يُـــرويهِ تَـــدفـــعُه!

****

(١) قيل له ماذا تكتب تحت رسمك، فنظم الأبيات أعلاه.

يوم الخميس[1]

يــومَ الخــمــيسِ لــبــستَ ثــوب خَــدوعِ
حــتى حــســبــتُك غُــرَّةَ الأســبــوعِ
مــا زلتَ يــكــســوك الــتــواصُلُ بــيــنــنــا
ثــوبَ المــســرَّةِ رائقَ الــتــوشــيــع[2]
إذ تُــلــبِسُ الأيــامَ غــيــرَك حُــلَّــةً
من نَــسْــجِــهــا يَــدُ شــمــلِــنــا المــصــدوع
حــتى إذا عَــزَّ الــتــواصل واغــتــدى
حــبلُ الــتــقــاطُعِ لــيس بــالمــقــطــوع
لم تَــبْقَ عن أيــامــنــا لك مــيــزةٌ
عــنــدي بــهــا تــعــلــو عــلى المجــمــوع
وغــدوتُ أوقِنُ أن أيــامَ الــورى
طُــرّاً جــداولُ فِــضْنَ من يَــنْــبــوع
فــمــتى يَــضِقْ ذَرْعُ الخــمــيسِ بــضــمِّه
شــمــلي بِــنــافي وحــشــتي عن رُوعي
فــالأربــعــاءُ إذا جَلا عن قــربِهِ
ظــلــمــاءَ مَــنْــآهُ الــمُــمِضِّ ربــيــعي

---

(١) كانت للشاعر عادة زيارة المرحوم عبدالملك في كل يوم خميس وكان عبدالملك يرسل أحد أبنائه لاصطحاب الشاعر إلى بيته ويبقى عنده إلى ما بعد العشاء. وفي أحد أيام الخميس لم يرسل عبدالملك من يصطحبه كالعادة فبعث بهذه القصيدة.

يـــا مَن إلـــيه في الخـــمـــيس تَـــشَـــوُّقي
يُـغـري الـتـهـابَ جـحـيـمِهِ بـضـلـوعي
إن لم تُـــزُرْني فـــاســتَـــزِرْ مـــني فـــتًى
ســـلـــوانُهُ إيـــاكَ غـــيـــرُ مُـــطـــيع
من قـــبل أن تـــلـــقـــاك بي تـــطـــفـــيـــلـــةٌ
تـــفـــتَـــرُّ عن ســـمـــتي بـــوصـفِ رَقـــيع
وإذا الـــتـــطـــفُّلُ كـــان مـــنـــهـــاجَ الـــمُـــنى
فـــشـــنـــيعُ سَـــيْـــري فـــيه غـــيـــرُ شَـــنـــيع
مـــاذا يـــضـــرُّ مـــقـــالُـــهُمْ مـــتـــطـــفلٌ
عـــني إذا مـــا انـــقَـــدْتُ طَـــوْعَ وُلـــوعي
غـــادرتَ تـــعـــلـــيمَ الـــكـــويتِ مُـــســـارعًـــا
سَـــلِسَ الـــقـــيـــاد وكـــان غـــيـــرَ ســـريع
وجـــعـــلـتَ من تـــعـــلـــيـــمِـــهـــا ذاك الـــوَنَى
فـــيـــمـــا إلـــيه من الـــلـــقـــاء نُـــزوعي
أدري بـــأن الخـــيـــرَ فـــيـــمـــا جـــئـــتَهُ
لـــكنْ بهِ أضْـــلَـــلْتَ وجهَ قُـــنـــوعي
وإلى ابن خـــالـــدٍ الـــكـــريمِ شـــكـــيَّـــتي
من بُـــعْـــدِكَ الـــداني به تـــفـــزيـــعي[1]
إن يُـــشْـــكِـــني ممـــا اشـــتـــكـــيتُ فـــإنه
لِـــعُـــهـــودِ وُدّي لم يـــكن بِـــمُـــضـــيع
وإذا تـــصـــامَمَ غـــيـــرُ أحـــمـــدَ عن دُعًـــا
أو صُمَّ عـــنه فَـــهْـــو جِـــدُّ سَـــمـــيع
يـــا أحـــمـــدُ المحـــمـــودُ قل لي هل تـــرى
لخُـــروقِ ثـــوبِ الأُنْسِ من تـــرقـــيع

(١) يقصد صديق الطرفين: أحمد خالد المشاري.

بِسِوى التواصُلِ بين من يَنميهما
نَسَبُ التشاكُلِ وهو غيرُ وَضيع
وإذا فجعتَ بطيبِ لقياكَ امرءًا
فتلَقَّ منه شَكِيَّةَ المفجوع
وإذا التواصُلُ عزَّ إخوانَ الصَّفا
فمَريعُ مَرعى الكلِّ غيرُ مَريع
كَلاَّ فلو لم تستَطِبْ دوني النوى
ما كنتَ عن وصلي بخِدْنٍ هُجوع
حتى الحَمامُ إذا تغيَّبَ بعضُهُ
عن بعضهِ يُشْجيكَ بالتَّرْجيع
وتباعُدُ الشكلينِ بِدْعٌ إن يكن
منه كِلا الشكلينِ غيرُ جَزوع
أسليلَ صالحٍ الذي أيامُهُ
عَرَفَ القضاءُ بهنَّ خيرَ صنيع
إذ عن سبيلِ العدلِ لم يعدِلْ ولم
يوجَدْ بِمُرِّ الحَقِّ غيرَ صَدوع
حتى إذا أيدي القضاءِ لَفَتْنَهُ
لمحلِّ صدقٍ في الجِنانِ رفيع
وغدا يُوَدِّعُ صحبَهُ توديعَ مَن
لم يمنحِ الأصحابَ وَعْدَ رُجوع
شَقّ الجيوبَ عليه شَرْعِيُّ القَضا
أسفًا وحزنًا ساعة التوديع
وغدت عليه الصالحاتُ جميعُها
والطيِّباتُ يَسِلْنَ حُمْرَ دُموع
وأراك تَحْذو حَذْوَهُ ومتى زَكا
أصلٌ تَكَشَّفَ عن زكاءِ فُروع

فعلامَ تَجْدَعُ أنفُ زورةِ وامقٍ
يَبكيه مشهَدُ أنفِها المجدوعِ
ولقد عهدتُ الرِّفْقَ فيك سجيَّةً
وعلى الخشونة لستَ بالمطبوع
فتَلافَ ما ألفيتَهُ من شملِنا
يُمسي ويضحي وهو غيرُ جَميع
ما دامَ يمكنُ دفعُ بُعْدَيْنا فقد
نُرْمى ببعدٍ ليس بالمدفوع
أيامَ أسْكُنُ من ضريحي موحِشًا
قفرًا وأترُكُ مؤنساتِ ربُوعي
وارحمتا لي حين تُطْبِقُ رُفْقَتي
قبري على جسمي ككُلِّ صَريع
وأظلُّ فيما لستُ أدري كنهَهُ
حتى يُبينَ الكُنْهُ فيه وقوعي
ومن العجائبِ خوفُ سِرٍّ لم يكن
أحدٌ له عن خبرةٍ بِمُذيع
لكنه خُلُقُ البرية كُلِّها
من تابعٍ في الأمر أو متبوع
يا ليت شعري لِمْ جُمِعْتُ عناصرًا
شتى بديعًا حَلَّ غيرَ بديع
وتُرِكْتُ أشعُرُ والشعورُ بليَّةٌ
في عالمٍ - من شقوةٍ - مصنوع
ما دام مجموعُ العناصرِ راجعٌ
حتمًا به حتفي إلى توزيع
أتظُنُّني قد جئتُ قبلَ تكوُّني
هذا وكنتُ مخيَّرًا بفَظيع

في عـــالَمٍ مـــاضٍ مَـــحَتْ ذكـــراهُ من
أَلـــواحِ ذاكـــرتي يمـــينُ شُـــســـوعي[1]

فـــأراد ربّي كَيْ يُـــجـــازِيَ فَـــعْـــلَـــتي
هـــاتـــيكَ من هـــذا الـــوجـــودِ طـــلـــوعي

ألـــذاك أم لـــســـواه لـــستُ بـــعـــالِمٍ
يـــا أمَّ دَفْـــرٍ فـــيكِ ثَمَّ شُـــروعي[2]

يـــا صَـــدْرَ أســـرارِ الـــوجـــود إلى مـــتى
عـــنـــهنّ كَـــتْـــمُكَ لـــيس بـــالمـــرفـــوع

والـــقـــومُ أجـــمَعُ حَـــوْلَ مـــا حَـــجَّـــبْـــتَهُ
لـــهمُ وقـــوفُ الـــســـائلِ المـــمـــنـــوع

طَـمِعَ الـفلاسـفـةُ الـكـبـارُ بـكـشـفه
فـــغَـــدا يُـــجِـــدُّ الـــبـــحثَ كلُّ طَـــمـــوع

ثم انـــثَـــنـــى والـــيـــأسُ ملءُ فـــؤاده
عـــنه انـــثـــنـــاءَ الـــطـــامعِ المخـــدوع

فـــتـــراهُ يَـــرْجِعُ للأمـــاني قـــائلاً
يـــا لـــيتَ لي بـــالـــعـــقلِ جَـــهْلَ رضـــيع

فـــالجـــهلُ أَرْوَحُ من حِـــجـــاءٍ يـــقـــتـــضي
أشـــيـــاءَ لـــستُ لـــهنَّ بـــالـــمُـــسْـــطـــيع[3]

وإذا أراد المـــــرءُ راحـــــةَ نـــــفـــــسه
فـــلـــيـــتـــرُكَنْ تَـــطْلابَ كلِّ مَـــنـــيع

****

(١) الشسوع: البعد.
(٢) أم دفر: الدنيا.
(٣) المسطيع: المستطيع.

حق شيخوختي على وطني[1]

لا يدفعُ الجوعَ والعُرْيَ اللَّذَيْنِ هُما
شَرُّ النوائبِ إيلامًا وإيجاعا
خمسونَ في الشهرِ عن مثلي فهل لكُمُ
في رَدِّ هذين إلباسًا وإشباعا
قد كادَ يَسْلُبُ نفسي سوءُ صُنْعِهِما
مُلْكَ التنفُّسِ إرسالاً وإرجاعا
وإن ونَىَ عَدْلُكُمْ ألغَيْثُ ونْيَتَهُ
في سَيْرِ موتي إليَّ اليوم إسراعا
قد كانَ فيما مضى الخمسونَ تُرْضِعُني
دَرّاً به مُسْكَةُ الحَوْباءِ إرضاعا
ومُذْ غَلا القوتُ والملبوسُ لم أرَ لي
فيها لما يُمْسِكُ الحَوْباءَ إقناعا
وقد تصبَّرْتُ حتى ظَنَّ بعضُهُمُ
إجدابَ حالِيَ إخصابًا وإمراعا
لكنْ تَصَبُّرُ نفسي مَلَّ صُحْبَتَها
فأزمَعَ البُعْدَ عنها اليومَ إزماعا
وكيف يُبقي لنفسٍ وهي ساكنَةٌ
جسمًا إلى الموتِ طوعَ الهَمِّ مُنصاعا

(١) أرسلها إلى أعضاء مجلس المعارف إذ ذاك يطلب زيادة ما كانت تمنحه له تلك الإدارة من مال وكانت تمنحه (٥٠) روبية شهريًا.

وهل عَـدا الـهَمِّ من إدراكِ بُـلْـغَـتِهِ

عنه تُـقَـصِّـرُ منه الـفـاقَـةُ الـبـاعـا

تَـداركـوا مُـدْنَـفًـا مـني يَـروعُـكُمُ

إن تُـهـمـلـوهُ غـدا مَـنـعـاهُ لا راعـا

ولـيس رَدُّكُمُ مُـحـيـايَ يُـمـكِـنُـكُمْ

إن أوقـعَتْ بِيَ أيـدي المـوتِ إيـقـاعـا

إذا الـتَّلافي أتى من قَـبْلِ مَـتْـلَـفَـةٍ

أجـدى وإن هِيَ جـاءت قَـبْـلَهُ ضـاعـا

خَـدَمْتُ مـنـذُ الـصِّـبـا الآدابَ بـيـنـكمُ

حـتى أتى لـقُـوايَ الـشَّـيْبُ قَـمّـاعـا

كم أبـرزَتْ كـلـمـاتي الـغُـرُّ أوجُـهَـهَـا

مـعـشـوقَـةَ الحُـسْنِ إحـسـانًـا وإبـداعـا

ألـزَمْنَ حـتى عُـداتي أن تُـقِـرَّ لـهـا

بـأنّـهـا جَـمَـعَتْ نـفـعًـا وإمـتـاعـا

إلا الأُلى أفْـنَتِ الأحـقـادُ آكـلـةً

مـنـهم قـلـوبًـا وأكـبـادًا وأضلاعـا

والحـقـدُ إمّـا تَـنـاهَى عـاقَ صـاحـبَهُ

عن أن يـكـون بـقـولِ الحَقِّ صَـدّاعـا

ولـم أُرِدْ من بـلادي أن تجـازِيَـني

بـالـصّـاعِ كَـيْلَ مُـجـازٍ مُـنـصِفٍ صـاعـا

كَلاّ فـمـا أنـا ممّن يـبـتـغـون بمـا

يـأتـون من خـدمـةِ الأوطـان أطـمـاعـا

لـكن شـيـخـوخـتي عن حـملِ أزمَـتِـهـا

ضـاقت فـأسـمـعـتُكم شـكـوايَ مُـلْـتـاعـا

وحَقُّ شـيـخـوخَـتي بـادٍ عـلى وطـني

ومـــثـــلُهُ صـــان وجهَ الحقِّ أو راعى

أقـولُ والـكِـبَـرُ الـمُـوهي قُـوى جـسـدي

يُـعـيِنُ من مَـرَضٍ مـا فِيَّ قـد شـاعـا

شـكـوايَ إن لم يُصِخْ سَمْعُ الـكـويتِ لـها

في شِـدَّتي فـمـتى ألـقـاهُ سَـمّـاعـا

أبَـعْـدَ مـا المـوتُ يُـفـني عـنكَ يـا وطـني

مـني امْـرَءًا عـاش في أهـلـيكَ نَـفّـاعـا

****

العلياء مناها فيه[1]

رأيتُ قُصورَ شِعري عن مَقامٍ
تقيمُ به جَلالاً وارتفاعا

فلم أجْسُرْ على تقديم مدحٍ
أُضَمِّنُهُ قريضي المستطاعا

وعَجْزي عن زياراتي لشيبي
وضعفي المُوسِعِ القلبَ التياعا

فصرتُ كما تراني حِلْسَ بيتي
خضوعًا للمقادرِ وانصياعا

وعافَتْ بَعْدَكَ النفسُ البرايا
فوالَتْ عن جميعِهِمُ انقطاعا

فعن عالي مكانِكَ لا مكانٌ
به أسلو عُلُوّاً واتِّساعا

مكانٌ ما رأى غيرَ المعالي
بعينيه له سقفًا وقاعا

مكانٌ لا بِسٌ عن كلِّ ما لا
إليه المجدُ يرتاح امتناعا

فلا لَغْوُ الكلام إليه يدنو
ولا النابي يَمُدُّ إليه باعا

---

(١) بعث بهذه القصيدة إلى سمو الأمير المرحوم عبدالله السالم الصباح، ذلك عندما اعتزل في بيته معتذرًا عن عدم زيارته له كعادة.

مُـنَى الـعـلـيـاء فـيه جُـمِـعْنَ حـتى

حـسِـبـنـاهُ لـرَوْعَـتِهِ ابـتـداعـا

ولـكنْ ذكـرُنـا مـا كـان فـيه

يَـحُلُّ أبـوك قـد قـال اتِّـبـاعـا[1]

فـقـالـبُهُ عـلـيه مـا عَـلِـمـنـا

لـغـيـرِ مـكـانِ والـدِكَ انـطـبـاعـا[2]

مـتى أذكُـرْهُ أذكُـرْ مـنك أُنْـسًـا

يَـعُمُّ الجـالـسـين به مُـشـاعـا

إذا حَـدَّثْـتَـنـا فـيه رأيـنـا

لـكلِّ سـآمـةٍ عَـنّـا انـقـشـاعـا

أحـاديثٌ تـطـيبُ فـكلُّ حُـرٍّ

لـهـا يـسـعى الـتـذاذًا وانـتـفـاعـا

أبَـعْـدَ حـديثِ عـبـدِالـله ألـقى

قُـنـوعًـا في حـديثٍ واقـتـنـاعـا

أبَتْ أُذني اسـتـطـابـتَـهـا حـديـثًـا

إذا لم تُـبْـدِ مـنه له اسـتـمـاعـا

إذا ذَكَـرَتْ تَـحَـدُّثَهُ إلى مَن

نَـحَـوْا مَـنـحـايَ مـجـلِـسَهُ الـيَـفـاعـا[3]

أجَـدَّ لـهـا تَـذَكُّـرُهـا اشـتـيـاقًـا

إلـيه واسـتـثـارَ لـهـا نِـزاعـا

فـمـن لي أن أعـودَ إلى زمـانٍ

أطـابَ لـنـا بمـولانـا اجـتـمـاعـا

---

(١) يريد أن تذكر ما كان يحل فيه والدك قد قرر وقال: إن هذا اتباع له وليس ابتداعًا.

(٢) فقالبه عليه: أي طابعه وسمته وما علمنا أن ينطبع عليه شيء غير مكان والدك.

(٣) اليفاع: المرتفع المشرف.

تَـــمَنٍّ لا يُـــبَـــدَّلُ بـــانـــطلاقٍ
وإن لَـــذَّ انـــطـــواءً وانـــقِـــبـــاعـــا[1]

وكـــيف وطـــولُ عـــمـــري لم يَـــدَعْ لي
بِـــطـــاءً من خُـــطـــايَ ولا سِـــراعـــا

أحِسُّ إذا مـــشـــيْتُ ولـــو قـــلـــيلاً
لِـــوَهْـــني أنَّ أعـــضـــائي تَـــداعى

فـــمـــنـــهـــا الـــكُلُّ ممـــتـــلِيءٌ كَلالاً
مـــبـــيـــدًا ظَلَّ يُـــبـــلـــيـــهـــا تِـــبـــاعـــا

ومـــاذا كُلُّ مـــا كِـــبَـــري رمـــاني
بهِ بل زادني كِـــبَـــري صُـــداعـــا

فـــمـــنـــذُ كـــبِـــرتُ لازمَـــني صُـــداعٌ
تَـــوَقَّعُ هـــامَـــتي مـــنه انـــصِـــداعـــا

فـــأســـعِفْ بـــالـــدعـــاء فـــدتكَ نـــفـــسي
مَـــسُـــودًا إن ســـائِـــدَهُ أضـــاعـــا

ولم يَـــمْـــلِـــكْهُ قَـــبْـــلَكَ غـــيـــرُ شـــيخٍ
نَـــمـــاكَ فـــجـــئتَ شَـــرْواهُ طِـــبـــاعـــا

****

(1) الانقباع: إدخال الرأس في التراب.

من الجور

ولم يَبْرَحْ بمحضِ النُّصْحِ شِعري
على أسماعهم حُبّاً يَطوفُ
وجورٌ أن يُجازى الحُبُّ بغضًا
وأن يَجزي الطبيبُ بما يؤوف[1]

****

(١) يؤوف: يضر.

تهلل[1]

تَـــهَـــلَّلَ من مُـــهَـــلْـــهِلٍ الـــمُـــحَـــيّـــا
ورَحَّبَ إذ نـــزلتُ عـــلـــيه ضـــيـــفـــا

وأعـــلـى مـــنـــزلي كـــرَمًـــا وفـــضلاً
وســـارع لـــلـــحـــفـــاوة بي وحَـــفّـــا

وأوسَـــعَـــني كـــمـــا أهـــواهُ بِـــرّاً
وأوسَـــعَـــني كـــمـــا أهـــواهُ عَـــطـــفـــا

وأكـــسَـــبَـــني رعـــايـــتَهُ امـــتـــنـــانًـــا
وأكـــسَـــبَـــني الـــعـــنـــايَـــةَ مـــنه لُـــطْـــفـــا

فـــكـــيف عـــلـــيه لا يُـــثـــني جـــمـــيلاً
لـــســـاني جـــازيًـــا نُـــعـــمـــاهُ كـــيـــفـــا؟

حـــكى حـــمـــدًا أبـــاهُ في عُلاهُ
وشـــابَـــهَهُ لـــعَـــمْـــرُ الـــلـهِ عُـــرْفـــا

فـــهـــذا كـــان لـــلـــعـــلـــيـــاء زنـــدًا
وهـــذا كـــان لـــلـــعـــلـــيـــاء كَـــفّـــا

ولا بَـــرِحَتْ ثـــغـــورُ المجـــدِ تـــتـــلـــو
جِـــهـــارًا من ثَـــنـــا هـــذين صَـــفْـــحـــا

****

[1] قال هذه القصيدة في مهلهل بن حمد آل خالد عندما استضافه في البصرة فأكرمه.

في العزلة

قــالــوا اعــتــزلتَ الــنــاسَ قـلـتُ لأنــهم
جَــرّوا عــلـيَّ المحــزِنــاتِ صُـــنــوفــا
لــولا مــخــالــطــتي الــبــريَّــةَ لم يــكن
قــلــبي لــذؤبــانِ الــهــمــومِ خَــروفــا

****

حكاية غرام

أجـمِـلي يـا جُـمْلُ أو لا تُـجْـمِـلي

واعـذِلي في الحب أو لا تـعـذِلي

واعـمَـلي مـا شـئـتِهِ بي وافـعَـلي

لـيس عن حُـبِّكِ لي من مَـعْـدِلِ

بَـعْـدَ مـا جـارَى دمـائي في الـعـروقْ

غـيـرَ أنّي آمِلٌ أن تَـرحـمي

مـسـتـهـامًـا بكِ لـمّـا يَـنْـهَمِ[1]

بـسِـوى وادي هَـواكِ المـفـعَمِ

من ضلالاتِ ملامِ الـلُّـوّمِ

مـا عـلى الـلُّـوّامِ من صَبٍّ مَـشـوقْ

لـيتَ من لامـوا بـأسلاكِ الجَـوى

كـهـرَبَتْ أحـشـاءَهُم أيـدي الـهَـوى

عـلـهم أن يـعـذروا من قـد طـوى

جـسـمَهُ الحبُّ نـحـولاً وضـوى

فـانـثـنى أنْـحَلُ من طـيفٍ طَـروقْ

وفـؤاد الـصَبِّ يـبـريه الـغـرام

مـثـلـمـا يـصـنعُ بـالجـسم الـسَّـقـام

فـفـؤادي نـاحلٌ مـثلُ الـعـظـام

فـهـو لا يـحـملُ أعـبـاءَ الملام

فـلـيـدَعْ لـوميَ من كـان شـفـيقْ

(١) نهم ينهم: شره وحرص.

أشــفَـقــوا أن الــهــوى يـقــضـي عَــلَـيْ
فـــمـــشى قـــوميَ بـــالــلَّـــومِ إليْ
وملامـي ضِــــلَّــــةٌ مـــــنـــــهم وغَـيْ
بـــعـــد مـــا أخـــرَجَ أمـــري من يَـــدَيْ
سُـكْــرُ حُبٍّ مــنه نــفــسي لا تُــفــيقْ
قــال لي الــقــومُ كـجُـمْلٍ في الجَـمــالْ
ألفُ جُـــمْلٍ تـــتـــمـــنّى أن تَـــنـــالْ
حُـــظْـــوَةً مـــنك حـــرامًـــا أو حلالْ
قـــلتُ سُـلــواني عـــزيـــزٌ بل مُـــحـــالْ
بـــعـــدمـــا من فَـــمِــهـــا ذقتُ الــرحــيقْ
فــالــذي بي من ضَـنَـى جـسـمي خُـمـارْ
سـكرتي من ريـقـهـا الـمُـنسي الـعُـقـارْ
فـــدوائي لـــيس لـــيـــلى أو نَـــوارْ
بـل دوائي عـــنـــد مـن تُـــرخي الإزارْ
فـــوق حِـــقْفٍ تحت خـــيـــزورٍ دقـــيقْ[1]
فــاحــتِــســائي مــرةً أخــرى الــلَّـمى
من ثــنــايــاهــا يــزيلُ الــسَّــقَــمــا
فـــدوائي ســـاكنٌ مـــنـــهـــا الـــفَـــمـــا
فـــصِـــفـــوا حـــالي لـــديـــهـــا رُبَّـــمـــا
يــنــثــني لي قــلــبُــهــا الــقــاسي رقــيقْ
فـــرَدَدْتـــيـــهِمْ عـــلـى مـــا يـــزعُـــمـــونْ
عـــنـــدمـــا جـــاؤوكِ لي يَـــســتـعـطِـفـونْ

(١) الخيزور: الخيزران ويريد هنا خصرها.

بمـــقـــالٍ بـــعـــدَهُ لا يـــأمـــلـــونْ

مـــنكِ لي الـــقـــلبَ بـــشيءٍ أن يَـــلـــينْ

فـــدنـــا ممـــا رَوَوْا دائي الـــسَّـــحـــيق[1]

فـــثَـــنَتْ مـــنـــهـــا عـــلى عُـــنْـــقي يَـــدَيْنْ

صـــيـغَـتـا من عـسـجـدٍ شِـيبَ لُـجَـيْنْ[2]

وأذالتْ فـــوق خـــدّي دمـــعـــتـــينْ[3]

عـــنـــدمـــا مـــنـــا أصَـــرْنـــا الـــفـــمَـــوَيْنْ

بـــتـــدانِـــيـــنـــا فـــمًـــا ريـــقًـــا بِـــريقْ

ثم لمـــا أن قـــضـــيـــنـــا مـــا الـــعـــدا

لـــو أحـــسّـــوهُ لمـــاتـــوا كـــمَـــدا

أو أذاب الحـــزنُ مـــنـــهم أكـــبُـــدا

لم تـــكن تـــعـــرفُ إلا الحَـــسَـــدا

لـــعـــشـــيقٍ يمـــنح الـــوصلَ عـــشـــيقْ

أنـــبـــأتـــني أن رُسْـــلي جُـــهَلاءْ

إذ أتَـــوْهـــا وهي مـــا بـــين نِـــســـاءْ

فـــأذاعـــوا مـــا أعـــاني من بَلاءْ

من نـــواهـــا فـــتـــغـــشّـــاهـــا الحـــيـــاءْ

وبـــدا مـــنـــهـــا لـــهم شِـــبْهُ عُـــقـــوقْ

ثم قـــالت أنت لا تُـــرْسِلْ أحَـــدْ

فـــأنـــا مـــهـــمـــا أرى الـــنـــومَ عَـــقَـــدْ

(١) في أحد الكراسات رواية أخرى لهذا الشطر هي: «وهنا أسكتني دمعي الطليق».

(٢) العسجد: الذهب. اللجين: الفضة.

(٣) أذال الدمع: سفحه وسكبه.

جَفْنَ من أخشى بجفنٍ فَرَقَدْ
وخَلَتْ من أهلِها سُبْلُ البَلَدْ
جِئتُ أطوي لتَلاقينا الطريقْ
فغرامي بك يكفي كالرسولْ
فارتقبني عندما يُرخي السدولْ
مظلمُ الليل ويُخلي لي السبيلْ
أهلُهُ من عاذرٍ لي أو عَذولْ
فالتقائي بكَ بالكتمِ خَليقْ
ثم لما أن غدا ديكُ الصباحْ
يملؤ الجَوَّ عويلاً وصياحْ
نادبًا من ليلِ مَلقانا المُتاحْ
قِصَرَ العمرِ وهَمَّتْ بالرَّواحْ
قلت يا جملُ اذكري الوعدَ الوثيقْ
قالتِ الوعدُ على الحُرَّةِ دَيْنْ
وهي تُدني لوداعي الشفَتينْ
فتزَوَّدْتُ بفيها قُبلتينْ
لجراحاتِ الحشا مُبرِئتينْ
ثم سارت ولها قلبي رفيقْ
فتواصلنا زمانًا ثم عادْ
ذلك الوصلُ كحلمٍ في رُقادْ
خَيَّلَ المحبوبَ يُلقي بالقيادْ
لحبٍّ بعد ما منه الفؤادْ
شَبَّ بالهجرِ به الحبُّ حَريقْ

أو مـــنًى أحـــسَنَّ تـــصـــويـــرَ أملْ

ســـاعـــةً في قـــلب من مـــثـــلـي أقَلْ

فـــتـــثـــنّى طـــربًـــا ثم اضـــمـــحَلّ

بـــيَـــدِ الـــيـــأس رجـــاهُ والجَـــذَلْ

حَـقُّهُ لـلـبُـطْلِ في الـدنـيـا شـقِـيقْ

****

الآثار لا تشفي

إلى ذلك المَغْنَى أحِنُّ ولم تَعُدْ
به منذ غابت شمسُ زينبَ تشرقُ

فكيف إذًا لو لم تَغِبْ عنه شمسُها
يكون حنيني نحوَهُ والتشوُّقُ

مَحَلٌّ به قد كنتُ ألقى التي بها
نَثيرُ مسَرّاتِ الفؤادِ يُنَسَّقُ

فتاةٌ أرَتْني فيه عيشيَ صافيًا
ووجهَ حياتي باسمًا يتَطَلَّقُ

وما كنتُ فيه أكتفي بترشُّفي
ثنايا لها هُنَّ الرحيقُ المعتَّقُ

فأصبحتُ استشفي بشمِّيَ تربةً
له لم تزل من نشرها بعدُ تعبَق[1]

ومن عَزّهُ وصلُ الحبيب فشَمُّهُ
مَواطِئ رجليهِ شفاءٌ محقَّق

وهيهاتَ ما الآثارُ تشفي وكلُّها
على عِلّةٍ من بعد زينبَ مُطْرِق

ولكنْ لنفسي بانكبابي مقبِّلاً
ومستَرْوِحًا آثار إلفِيَ تَعَلُّق

فإن كان حُمْقًا شمُّ آثار زينبٍ
فإنيَ ما لم ألقَ زينبَ أحمَق

---

(١) النشر: الرائحة، وتعبق: تفوح.

فـــهل من تلاقــيـــنـــا نـــفـــوز بـــســـاعـــةٍ

تـــظلُّ بـــنـــا فـــيـــهـــا الـــســـعـــادة تُـــحـــدِقُ

أطَـــوِّقُـــهـــا كـــلـــتـــا يـــديَّ مُـــعـــانِـــقًـــا

لـــهـــا وهي لي بـــالـــســـاعـــدين تُـــطَـــوِّق

فـــلـــيس ســـوى هـــاذاك مـــني مُـــسَـــكِّـــنًـــا

فـــؤادًا كـــمـــا شـــاءَ الـــتـــفـــرُّقُ يَـــخـــفِق

ولـــيس ســـواهُ مُـــمـــسِـــكًـــا في مـــحـــاجـــري

دمـــوعًـــا لـــهـــا من فـــادح الـــحـــزن مُـــطْـــلِق

وكـــيف الـــتلاقي بـــعـــدمـــا حـــالَ دونَـــهـــا

من الـــقـــبـــر مـــنـــضـــودُ الـــصـــفـــائحِ مُـــطْـــبَق

فـــيـــا رَبِّ ألـــحـــقـــني بـــهـــا أو فَـــرُدَّهـــا

فـــصَـــفْـــوُ حـــيـــاتي مـــنـــذ بـــانتْ مُـــرَنَّق[1]

فـــأصـــعبُ شـــيءٍ ســـهـــلُهُ إن أردتَهُ

وأســـحَقُ أمـــرٍ شـــئـــتَه لـــيس يَـــسْـــحُق

وإن تَـــقْـــضِ من بَـــعـــدِ الـــتـــنـــائي تـــدانـــيًـــا

فـــأنتَ بمـــثـــلَـــيْـــنـــا أبَـــرُّ وأرفَق

أتَـــعْـــذِلُ إن حَـــلَّت دمـــوعي وِكـــاءَهـــا

فـــظـــلَّت عـــلـــى حـــكم الـــكـــآبـــةِ تُـــغـــدِق

رجـــالٌ إلى أكـــبـــادهـــا الحبُّ لم يَـــجـــدْ

ســـبـــيلاً فـــلم تَـــدْرِ الـــنـــوى كـــيف تُـــرْهِق

وأعـــجبُ من فـــيـــضِ الـــدمـــوع وإن غـــدَتْ

مـــعـــصـــفَـــرَةً من مـــقـــلـــتي تـــتـــدَفَّق

بـــقـــائي ولـــو يـــومًـــا وأَنّيَ لم أكُنْ

بـــأيـــدي حِـــمـــامي حـــســـرةً أتـــمـــزَّق

(١) مرنق: مكدر.

ومن لم يَـذُقْ طـعمَ الـصـبـابـة لم يُـلَمْ
إذا لام من في نـارهـا يـتـحَـرَّق
عـجـبتُ لمن يـحـيـا وقـد عَنَّ دونَ مَن
يـهـيمُ به بـعـد الـتلاقي الـتـفَـرُّق
إذا عـاش من بَـعـد الحـبـيبِ مُـحِـبُّهُ
فـذاك الـذي مـا كـان في الحُبِّ يَـصْـدُق
وهل مـن وفـاءٍ لامـرئٍ زال إلـفُهُ
ولم يَكُ بـالإلف المـزايلِ يَـلـحَق
فـإن تـعـهـدوني مـشـفـقًا من مـنـيَّـةٍ
يُـغـادي بـهـا المـقـدورُ أو هـو يَـطْـرُق
فـذاك لأني كـنتُ أخـشى فـراقَ مَن
به كـان لي كـأسُ المـسَـرَّةِ تُـدْهَق[1]
فـأمّـا وقـد مـاتت فـإنِّيَ بـعـدهـا
أخـاف حـيـاتي أن تـطـولَ وأُشـفِق
فـإن تَـرْفُـقوا بي فـاحفروا لي بـجـنبـهـا
ضـريـحًـا بـحـيث الـقـبـرُ بـالـقـبـرِ يـلصُق
لـعلَّ رفـاتَـيْـنـا يَـنـالان غـبـطـةً
لـنـا راحُـهـا حـيَّـيْنِ أمسِ تُـرَوَّق
ولا تُـبـعِـدوا من قـبـرِهـا حـفـرتي فـمـا
يـلـيق بـكم غـيـرُ الـوفـاء ويَـخْـلُق[2]
ولا تَـثْـنِـكُم عن ذاك لـومـةُ لائمٍ
فـرُبَّ حـمـارٍ سـؤتُهُ سـوف يـنـهَق

(١) تدهق: تملأ.
(٢) يخلق: يجدر.

وقــولــوا له لــو عــاش صــقــرٌ لمــا درى

لـسـانُك خـوفًـا بـالخَـنـا كـيف يـنـطِقُ

ولــكن خلا الجَــوُّ الــذي كـنتَ ضــمــنَهُ

حُـبـارى وصــقـرٌ فـيه صـقـرٌ مُـحَـلِّق

فــإن كـنت تــشـفـيك المـقـالـة بَـعـدَهُ

فـقـلـهـا فـقـد غـاب الـذي مـنه تَـفْـرَق

وقــد تَــدَّعي شَــوْلَ الــنِّــيــاق فـحــولــةً

إذا لم يـكن فــيــهنَّ فــحلٌ يُـشـقـشِقِ[1]

ولــو ســمِــعت أُذْنَــاكَ مــنه هَــديــرَهُ

ظَـلَـلْتَ كـمـا قـد كـنت قـبلُ تَـنَـوَّق[2]

****

(١) الشول: من النياق: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها. شقشق الجمل: هدر وشقشقة الجمل: لهاته وهي شيء كالرئة يخرجه إذا هاج.

(٢) تنوق: تأنق.

ليسلم ذا الضرير

لَكَمْ بالذي أُخفيهِ وجهِيَ ينطِقُ
صريحًا ووجهي ما تَرَوْنَ فحدِّقوا
أجيلوا به الأنظارَ بضعَ دقائقٍ
لكم ينفتح من سِرِّ نفسِيَ مُغْلَق
فمن كان منكم في التفرُّسِ حاذقًا
فوجهي له عن طبع نفسِيَ يصدُق
فإن كان حُبُّ الخير فِيَّ سجيةً
فقولوا ليسلَمْ ذا الضريرُ وصفِّقوا
وإن كان حُبُّ الشرِّ فِيَّ غريزةً
فصُبّوا على وجهي الشتائمَ وابصُقوا

****

الظواهر الخداعة

ربما تُبصِرُ العيونُ هجينًا
قد تَرَبّى بين الجيادِ العِتاقِ

ولَكَمْ شوكةٍ تُسيء وتُؤذي
بين خيرِ الزهورِ والأوراق

منبتُ الكلِّ واحدٌ وترى الطَّبـ
ـعَ عليها يقضي بكلِّ افتراق

لؤمُ طبعِ اللئيم أخَّرَهُ اليو
مَ كثيرًا عن قومه [في] السِّباق

خَدَعَتنا منه الظواهرُ حتى
نال ما نالَه بلا استحقاق

وسرابُ الفلاة كم غَرَّ مِن قبـ
ـلُ عطاشًا بالمنظر البَرّاق

غَرَّ بعضَ الرجالِ بُرْقُعُ إخلا
صٍ يغطّي منه مُحَيّا نِفاق[1]

فأجلّوا منه ظواهِرَ صِدْقٍ
كمنتْ تحتها خوافي اختلاق

---

(١) المحيا: الوجه.

عَـــذُبَتْ مـــنه في المــســـامعِ دَعْـــوا
هُ جـــــــمــــــــيـلَ الآداب والأخـلاق
ثم أبـــدَى اخـــتــبـــارُهم مـــنه مـــا كـــا
نَ خـــفـــيّـــاً من فـــاســـدِ الأعـــمـــاق

****

العلم أنجع ما يشفى به وطن

مـا ضـر قـوميَ غـيـرُ الجـهلِ لـيـتـهُمُ
عـنه إلى الـعـلـمِ قـبل الـيـومِ قـد مـالـوا
لـو أنـهـم عَـلِـمـوا لم ألْقَ جُـلَّـهُمُ
أو كُـلَّـهُم مـنه تـبـكي مـقـلـتي الحـال
يـا قـوم مـا بِسِـوى الـعـلمِ الـذي ارتـفـعَتْ
به الـبـرايـا لـكم رفعٌ وإجلال
واتـتـهُمُ نِـعَمُ الـدنـيـا ومـا بَـرِحَتْ
عـلـيـهمُ بـأكفِّ الـعـلـمِ تَـنـهـال
هَـداهُمُ لـنـعـيم الـعـيشِ عـلـمُـهُمُ
فـكلُّ مـا طـلـبـوا من نَـيْـلِـهِ نـالـوا
ونـحن عـنه كـمـا شـاءت جـهـالـتُـنـا
يـا لـلـبـلـيَّـةِ حـتى الـيـوم ضُلاّل
هم أمسِ من قـبل أن يـسـمـوا بـعـلـمـهِمُ
هـذا الـسُّـمُـوَّ لـنـا في الخـفضِ أمـثـال
فـالـعـلـمُ خـيـرُ سلالـيم الـعُـلُـوِّ لمن
يـشـوقُهُ لـلـعلا بـالحَظِّ إبـدال
إن فـاتـكم فـلـيـكن مـنـكم بـنـسـلِـكُمُ
عـلـى تـعـلُّـمِهِ سـعيٌ وإقـبـال
لـتـطـمـئنَّ عـلـى آتي الحـيـاةِ لـهم
مـنـا قـلـوبٌ تَـنَـزّى هُنَّ أوجـال

مــــتى أراهـم وقـــد عــــادوا وكــــلُّـــهُـمُ

إلـى الأمـــام لـه بـــالــــعـــلـمِ إرقـــال[1]

فـمـــا سـوى ذاك يـــومٌ تـسـتـطـيــرُ به

نـفـسي سـرورًا ويـصـفـو مـنِّيَ الـبـال

☆☆☆☆☆

تـغـدو الـكـويت إذا جَـمَّتْ مـعـارفُـهـا

من كلِّ مـعـنًّى جـلـيلٍ وهيَ مِـحلال[2]

ضِـدًّ اسـمـهـا تـنـثـني بـالـعـلم إن ظـفـرَتْ

به لــكم يـــا رجـــالَ الـيـــومِ أنجـــال

كم كـبَّـرَ الـعـلم أوطـانًـا مـصـغَّـرَةً

وعـاد بـالأُكْمِ مـنـهـا وهي أجـبـال

أوطـانُ كلِّ الـورى بـالـعـلـمِ حـالـيـةً

أمـا الـكـويتُ مـغـانـيـهـا فـأغـفـال

لـهـفي عـلـيـهـا فـلم تـنـفكَّ أربُـعُـهـا

وهُنَّ من شَـرَفِ الـعـرفـان أطلال

ظـلَّت تـكـابـدُ داء الجـهلِ وهـو لـهـا

إن لم يُـزِلْهُ دواء الـعـلـم قـتَّـال

قـد أورثَ الجـهلُ مـنـهـا الجـسمَ عِـلَّـتَهُ

والـعـلـمُ فـيه لـهـا بُـرْءٌ وإبلال[3]

الـعـلم أنجعُ مـا يُـشـفى به وطنٌ

قــد كــان من جـهـلـه يُـرديه إعلال

---

(١) الإرقال: نوع من السير.

(٢) المحلال: الواسعة الظل التي يكثر حلول الناس تحتها.

(٣) أبلَّ من مرضه: برئ وشفي.

لم يَـخْفَ يـا عِـلْمُ مـنك الـفـضلُ عن أحَـدٍ

حــتى يُـــبَــيِّــنَهُ مـــنّي له الـــقـــال

إلا إذا الـشـمسُ عـنـد الـظـهـر قـد خَـفِيَتْ

عـلـى سـوى الـعُـمْيِ يـومًـا مـا بِه خـال[1]

لــكن أئِنُّ مــتى أذكُـــرْكِ مــجــتــنــبًــا

مِـــمَّنْ نَـــمـــاني إلـــيه الــــعمُّ والخـــال

وإنمـــا الـــشـــعـــرُ أنـــاتٌ أرَدِّدُهـــا

إن ســاءني فـي الأُلـى أهـــواهُمُ الـــفـــال

****

(١) الخال: السحاب لا يخلفه مطر.

عليك لشرقي الكويت[1]

عــلــيكَ لــشــرقيِّ الــكــويتِ يــطــولُ
بــكـــاءٌ وإن لم يُـــجْــدِهِ وعَـــويلُ
وأنَّى لـــشـــرقيِّ الـــكــويتِ تجــلــدُ
وقــد جَــدَّ مــنك الــيــومَ عــنه رحــيل
تَــجَــلُّــدُنــا لــمّــا فــقــدنــاك سَــدَّ مــا
لـه من ســبــيــلٍ لاعجٌ وغــلــيل
فــلــيس إلى حُــسْنِ الــتــجــلُّــدِ للألى
صَــرَمْــتَــهُمُ يــا بــشــرُ عــنك ســبــيل
عــلــيك أذَلْــنــا الــدمعَ من بــعــد صَــوْنِهِ
فــأصــبحَ بــعــدَ الــعِــزِّ وهــو ذلــيل[2]
وغــيــرُ كــثــيــرٍ إن غــدونــا وكــلــنــا
لِــمــا صــانَ من دمعٍ عــلــيك مُــذيل
فــإنَّكَ ظِلٌّ – والحــيــاةُ هــواجِــرُ
تــفــيَّــأَهُ ضــاحي الــعُــفــاة – ظــلــيل[3]
فــكم من ضــعــيفٍ نــلــتَهُ بمــعــونــةٍ
وأســعــدتَهُ والمــســعِــدون قــلــيل
وكم لــضــعــيفٍ شــهبُ حَقٍّ أبَــنْــتَــهــا
ولــولاك لم يــبــرَحْ بــهنَّ أُفــول

---

(١) في رثاء المحسن الفاضل بشر بن يوسف الرومي.
(٢) أذال الدمع: سكبه.

وكم عــاثــرٍ مــنــا أقَــلْتَ عــثــارَهُ
وقــد عَــزَّ مــا بــين الأنــام مَــقــيلُ
وكم نــال مــنــا الــســائــلــون رغــائــبًــا
عــلــى حــين عَــزَّ الــســائــلــين مُــنــيل
طُــبِــعَتْ عــلــى حُــسْنِ اصــطــنــاعِك كلَّ مــا
إلــى خــيــر نــفــعٍ لــلــضــعــيف يــؤول
فــكــنتَ كــثــيــرَ الــنــفع فــيــنــا عَــمــيــمَهُ
إذا اخــتَصَّ بــالــنــفــعِ الخــلــيلَ خــلــيلُ
إذا راح عــنــه أو إلــيــه مــن الــورى
ســواكَ كــمــا يــقــضــي هــواهُ يَــمــيل
فــأنت عــلــيه قــد وجــدنــاك عــاكــفًــا
وعــنــه لــشــيءٍ لم نجــدك تحــول[1]
وفــضــلُ حــيــاةِ المــرءِ مــا كــان نــافــعًــا
ومَــحْــيَــا الألى لا يــنــفــعــون فُــضــول[2]
كــمــا كــنتَ مــطــبــوعًــا عــلــى تــركِكَ الأذى
وبــغــضِكَ من يمــشي به ويــصــول
فَــرُحْتَ ولم يَــرْهَبْ أذاكَ مــجــاورٌ
ومــا بكَ عــنــه لــو أردتَ نُــكــول
ولــكــنــه مــا زال طــبــعُك آبــيًــا
ســوى مــا به مــنــا يُــسَــرُّ نَــزيل
وكلٌّ عــلــى حــكم الــســجــيَّــةِ كــائنٌ
له حَــسْبَ مــا مــنــه اقــتــضَــتْهُ نُــزول
فــكــنت وحظُّ الجــار ممــا يــحــبُّهُ
لــديك كــمــا يــقــضــي الجِــوارُ جَــزيل

(١) تحول: تتحوّل وتتنقل.

فكان على أمنٍ لجارك دائمًا
من البادراتِ المؤذياتِ حُصول
إذا ما استمالَ الجارَ كيْدُ لجارِهِ
ففيكَ عن الكَيْدِ الذميمِ عُدول
وما كنتَ لو شئتَ المكيدةَ عاجزًا
ولا كان عنها في شَباك فُلول[1]
ولكنْ أبَتْ إلا الوفاءَ وحُسْنَهُ
عليكَ سجايا كلهنَّ جميل
فَرُحْتَ وكلٌّ بين فكيه مقوَلٌ
عليك كما شاء الثناءُ يَجول
قطعتَ من المحيا الطويلِ طريقَهُ
وأنت لمقطوعِ الجميلِ وَصُول
فأنفقتَها تسعين عامًا كأنها
لغرسك فيها الصالحاتِ حقول
ولا حقل كالأعوام يُلْبِسُها الفتى
أزاهِرَ عُرْفٍ ما لهنَّ ذُبول
وكلُّ امرئٍ يسعى إلى ذاكَ لو غَدا
له جامحُ الأخلاق وهو ذَلول
وآيةُ حُبِّ اللَّهِ للمرء تَرْكُهُ
له وعْرَ طُرْقِ العُرْفِ وهو سُهول
غرستَ جميلاً فاجتنيتَ ثمارَهُ
محامِدَ ممَّن قال أو سيقول
ومثلك في الدنيا الثناءُ نصيبُهُ
يُرَدِّدُهُ فردٌ بها وقَبيل

(١) الشبا: الحد. والفلول: الثلمة في حد السيف.

وفي دارهِ الأخرى لدى الله حَظُّهُ
ثوابٌ إليه يطمئنٌّ جليلُ
وإنَّ اجتماعَ الحمدِ والأجرِ لامرئٍ
لحَظٌّ لأعناق الحظوظِ مميل
وهل راقَ إلا ذَيْنِ شيءٌ ينالُهُ
فتًى رأيُهُ فيما يَراهُ أصيل
فَقَرَّ وطِبْ عينًا ونفسًا فكلُّ ما
حصلتَ عليه اليومَ ليس يزول
أسالَ غزيرَ الدمعِ فقدُ ابنِ يوسفٍ
وللدمعِ فقدانُ الكريم يُسيل
وحَقٌّ له أنا نُسيلُ نفوسَنا
مع الدمع لو لم يبقَ منه بَديل
ولكن مضى بشرٌ وظَلَّ «محمدٌ»
وهذا لهذا مشبِهٌ وعَديل
فكان لنا عن شيخه خيرَ سلوةٍ
ولا غَرْوَ أن أسْلَى أباهُ سَليل
فيا بشرُ إن ترحَلْ فيومُ «محمدٍ»
سَليلِكَ لم يُدرِكْ ضُحاهُ أصيل
يَحُفُّ به من آلِكَ الغُرِّ معشَرٌ
لهم حيثُ حَلَّ الأكرمون حُلول
فسِرْ غيرَ مرعوبٍ عليهم فكلُّهم
«قؤولٌ لما قال الكرامُ فَعول»[1]

---

(١) الشطر الثاني ليس للشبيب وإنما ضمنه قصيدته من قول السموأل بن عاديا التي مطلعها:
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميلُ

عَــزاءَكُمُ يــا آلَ بــشـــرٍ فــمــثـــلــكمْ

لمــا نــابَ بــالــصــبــر الجــمــيل حَــمــول

وكلُّ امـــرئٍ مـــهـــمـــا تـــعـــاظم قـــدرُهُ

ســيــخــضــع مــنه لــلــمَــنــونِ تَــلِــيلُ[1]

****

(١) المنون: الموت. والتليل: العنق.

في بيتي الراحة

إذا كَثُرَتْ أصواتُهم حول مسمعي
حكيتُ بصيرًا ساريًا في دُجى ليلِ
وهل بَصَرُ الإنسان ينفعُهُ إذا
تغطَّت بداجي الليلِ مسلوكةُ السُّبْل
إذا البُصَراء استَوْضَحوا بضيائهم
على الطرق ما تحوي من الوعر والوَحْل
ومازوا به مأمونَها من مَخوفِها
فليس بغير الصمت مستوضحًا شكلي
فبالنور يستجلي البصيرُ طريقَهُ
وبالصمتِ مكفوفُ البريّةِ يستجلي
فكم سبَّبت ضوضاءُ قومٍ بمنهجٍ
عثاري ولولاها لما عثرت رجلي
ولم تخلُ من ضوضائها السُّبْلُ ساعةً
فيسلكها مستهديًا سمعَه مثلي
لذا لم أُطِقْ سيرًا بلا قائدٍ إلى
مرامٍ على صعبٍ من الطُّرْقِ أو سَهْل
وتكليفِيَ الصُّحْبَ القيادةَ خطةٌ
تحرَّجتُ منها مذ رجعتُ إلى عقلي
فكم خلتُ بعض الصَّحْبِ لي متفرغًا
وما شغله إذ ذاك عنِّيَ بالقُلِّ

فـيـا رُبَّ مـشـغـولٍ دعـوتُ يـقـودُني
عـلى غـيـرِ عـلمٍ أنه كـان في شُـغل
وقـلت له إن لم تـكن في مـهـمَّـةٍ
فـخـذ بـيـدي فـالخِلُّ يـحـتـاج لـلـخِلِّ
فـأخـفى حـيـاءً مـا عـنـاهُ مـلـبـيًا
فـكـنتُ له عن حـاجِهِ سـببَ الـفَـصل
فـلـمـا بـدا لي مـا طـواهُ عـذلـتُهُ
ومـاذا – وقـد فـاتَ – اسـتـفـاد من الـعذل[1]
وأكـره جِـدّاً أن يـفـوت بـحـاجـةٍ
قـيـامُ نَـواهُ بـعضُ صـحـبِيَ من أجـلي
فـكـنتُ ثـقـيلاً عـنـد نـفـسي وإن ثَـنَتْ
مـروأتُهُ خِـفّـاً عـلى نـفـسِهِ ثِـقْـلي
وقـد كَفَّ كَـفّي عن تَـلَـمُّسِ قـائـدٍ
بـأجـرتِهِ من فـاقـتي مُـحْـكَمُ الـشَّـكْل
لـذاك لـزمتُ الـبـيتَ إلاّ إذا دَعـا
لـسـانُ اضـطـرارٍ مـعـلنٌ مـفـصِحُ الـقـول
ولم أرَ بـأسًـا في لـزومي مـنـزلي
وإن كـنتُ فـيه كـالـسـجـين أخي الـغُلِّ[2]
وكم قـد أرتـني الـبـأسَ في الـسـيـر عـثـرةٌ
بـهـا عَـقْـدُ حُـسْنِ الـصـبـر عـاد إلى حَلِّ
ولا غـرو إذ بـارَحْتُ بـيـتيَ سـالمًـا
وعـدتُ جـريحَ الـرِّجْلِ مـنـقـطِعَ الـنَّـعْل
وكـنتُ غـنـيًـا عن طـبـيب وخـارزٍ
لـو أني لـشـخص الـبـيت مـا زلتُ كـالـظِّلِّ

(١) يريد ماذا استفاد من عذلي بعد فوات الأوان.
(٢) الغل: طوق من حديد أو جلد يجعل في اليد أو في العنق.

إذا خـــرج الأعـــمى لـــغـــيـــر ضـــرورةٍ

بلا قـــائـــدٍ من بـــيـــتِهِ فـــهـــو ذو جـــهل

ولا يَـقُلِ الـعـكّـازُ يـكـفي أخـا الـعـمى

إذا مـا مـشى فـوق الـطـريق عـلى مَـهْلِ

ولـــيس بـــكـــافٍ حـــين يمـــلك ســـمـــعَهُ

عـلـيه اصـطـخـابٌ من ذوي الجِـدِّ والـهـزل

فـمـا اصـطـخـبـوا إلا وعُـدتُ كـأنـني

ومـصحـوبيَ الـعكّـازُ في قـبضـتَيْ خَـبْل[1]

إذا بـالـعـصـا اسـتِرشـاديَ اخـتَلَّ لم أكن

لأَلـفيَ إرشـادَ الـعـصـا غـيـرَ مـخـتَلِّ

فـيـا أيـهـا الـبـيتُ الـذي قـبلُ صـانـني

زمـانًـا سـتـلـفي فـيك بَـعـدِيَ كـالـقَـبْل

فـلـم تَـلْقَ إلا فـيك نـفـسيَ راحـةً

وهل من مـريحٍ مـا عـدا الـغِـمـدِ لـلـنَّصل

فـبـوركتَ من بـيتٍ كـفـاني لـزومُهُ

أذى كلِّ نـهجٍ يُـنـهِكُ الـصَّـبْـرَ أو يُـبـلي[2]

ويـا مَن أحـبّـوا وصلَ صـقـرٍ مـكـانَهُ

لـكَمْ بـانَ مـنه الـعـذرُ في قـلَّـة الـوَصل

****

(١) وللبيت رواية أخرى كان الشاعر يريد وضعها بدل هذا العجز ليكون هكذا: «ومصحوبي العكازُ مُضطربَ الحبْل».

(٢) ينهك: يجهد ويضني.

فصل الصيف[1]

أرانِيَ في الشهرينِ «تموزَ» والذي
يليه عن اللُّقيا من الحَرِّ في شُغْلِ
فلا تتوقَّعْ أن تراني ولم تَعُدْ
تَعُدُّهُما من منقضى زمنِ الحَوْلْ
ألم تدرِ أنّا منهما في جهنّمٍ
وها هي تُصلينا من الحَرِّ ما تُصلي
أظنك قد أحسستَ منها بمثل ما
أحِسُّ فقد أُدخِلْتَ مكروهَها مثلي
وهل عند سُكّانِ الحجيم تطلُّعٌ
إلى زورةٍ من بعضهم وإلى وَصْلْ
ولكنَّ لطفَ الله يأبى خلودَنا
بمذهِلَةِ الخِلِّ الودودِ عن الخِلِّ
وعمّا قليلٍ بَرْدُ «أيلولَ» فاعلٌ
بمشبوبها فعل المَواطِرِ بالمَحْلْ
هناك يعود الصعبُ – من أمر زورةٍ
يُسَرُّ بها قلبي الكئيبُ – إلى سَهْلْ
فَغُرَّةُ «أيلولَ» الحبيبِ إلى الورى
لنشرِ يديهِ فوقهم باردَ الظِّلِّ

---

(١) يعتذر عن زيارة المرحوم عبدالملك بن صالح المبيض في فصل الصيف. ذلك أن بيت الشاعر كان بشرق المدينة وبيت صديقه عبدالملك بغربها، وليست هناك في ذلك الزمن وسيلة للمواصلات غير السير على الأقدام.

هِيَ الوعدُ فيما بيننا لرجوعنا
إلى النَّهْلِ من ماء التواصُلِ والعَلِّ[1]
ولا تخش إخلافَ الوعودِ ومَطلَها
فلست بذي خُلْفٍ لهنَّ ولا مَطْل
وكيف وما قابلتُ قَطُّ ابنَ صالحٍ
فأُبْتُ ولم أظفَر بشيءٍ من الفضل
فقد طال ما جالستُ منه مهذَّبًا
له الفضلُ في تهذيب نفسِيَ والعَقْل
ولا تتوهَّمْ أنني كنتُ ساليًا
فما لي سوى لقياك في الدهرِ ما يُسْلي
وأنت لعَمْرُ اللهِ تعرف جيِّدًا
وتدري حنين الشَّكلِ منا إلى الشَّكل
ولم أرَ لي شكلاً سواكَ بكل ما
طبعت عليه حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْل
وأيُّ فتًى يسلو حياةَ فؤادِهِ
إذا نابَهُ صَرفُ الزمانِ بما يُبْلي
ولو شئت أن أعتاض عنك بصاحبٍ
رَمى عارفونا اليوم عقليَ بالخَبْل
ولكنّ فصلَ الصيف ما زال حاكمًا
على كل مشتاقٍ إلى الوصل بالفصل
فإن كنتَ مسطيعًا تجشم زورتي
فشكرًا لحمّالِ المشقَّةِ من أجلي
وإني سأبقى في انتظارك مصبِحًا
وحين تَخَلّى الشمسُ عن طُرُقِ الليل

****

(١) النهل: الشرب الأول، وسكن الهاء للوزن. والعل: الشرب الثاني أو الشرب تباعا.

ماذا أعتقد[1]

بـــين جَـــبْـــري واعـــتـــزالي
طـــــال تِـــــيـــــهي وضَـلالي
فـــإذا قـــلـتُ بـــجـــبـــرٍ
نـــاقَضَ الـــعَـــدلَ مـــقـــالي
كـــــيف اضـــــطَـــــرٌّ إلى ذنـ
ـبٍ فـــأُجـــزى بـــالمـــثـــال
جَلَّ أن يـــصـــنَعَ كـــوزًا
غـــيـــرَ مـــســـدودِ الـــسَّـــفـــال[2]
ويَـــســـومُ الـــكـــوزَ صَـــوْنَ الـ
ـــمـــاءِ عن عـــادي انـــهـــمـــال
ثم يَـــجْـــزي الـــكـــوزَ بـــالـــكَـــسْـ
ـــرِ لـــتَـــرْكِ الإمـــتـــثـــال
واعـــتـــزالي مـــثـــبتْ عَـــدْ
لَ إلـــــــهـــي ذي الجَـلال
غـــيـــرَ أني عـــنه من عَـــقْـ
ـــلي أراني في عِـــقـــال
كـــــيف آتي بـــــأمـــــورٍ
طـــوعَ قـــصـــدي واحـــتِـــيـــالي

---

(١) وجه هذه القصيدة إلى الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.
(٢) السفال: ضد العلو.

لم يُـــرِدْهــــا طـــابِعُ الـــنَّـــفْـ
ـسِ عـــلـى كلِّ الخِـــصــــال
كــيــفـمــا شــاءَ كــمــا شــا
ءَ بـــدنـــيـــايَ اتِّـــصـــالي
أيُّـــــنــــــا مـــــنه إلى دُنْـ
ـــيــاهُ يــرضى بــانــتــقــال
وهــي أكـــــــدارٌ واحــــــزا
نٌ وســــاحـــاتُ قِـــتـــال
وهـــو لم نـــشـــعُـــرْ بـــشيءٍ
فـــيه من داعي الــــمَلال
فـــهـــو الــعــصــمـــةُ من كُـ
ـلِّ عــــنــــــاءٍ وكَلال[1]
لـــيـــتـــني من عـــالَمِ اللا
شيءِ مِـــا حُمَّ انــــسِلالي[2]
وكـــــذا تَمَّ عـــــلى كـ
ـلِّ ســجــايــاي اشــتــمــالي
دون تـــخـــيـــيـــرِيَ في قُـــبْـ
ـحِ الــسَّــجــايــا والجَــمــال
أيـــنـــا لم يـــأت لـــو خُـــيِّـ
ـــرَ فــيــهــا بــالــكَــمــال
فـــســـجـــيّـــاتي كـــتَـــكـــويـ
ـــني لـــلـــمُـــوجِـــدِ لا لي
وهـــو أدرى أنَّ صــــنــــعي
كــــائنٌ حَـــــسْبَ خِلالي

(١) الكلال: التعب.

(٢) حم: قدر.

فـــــإذا حَــــسَّنَ طَــــبْــــعي

كــــنتُ من خـــيـــرِ الـــرِّجـــال

وإذا قـــــــبَّـــــــحَـهُ جــــــا

نَبَ بي طـــبـــعي اعـــتِـــدالي

فـــــأنـــــا رهـنُ طـــبـــاعي

في ارتـــقـــاءٍ واســـتِـــفـــال

مـــا يُـــطـــيق الـــتَّـــمْـــرُ إلا

أن يُـــرى في الـــذَّوقِ حـــال

وعَنِ الحــــنــــظَلِ مُـــرُّ الـ

ــطَّـعْمِ مــســلــوبُ الــزِّيــال[1]

ولـــقـــد قـــالـــوا اخـــتـــيـــارٌ

مـــطـــلَقٌ دون اعـــتـــقـــال

لِيَ طـــاعـــاتي وعـــصـــيـــا

نـي ورشـــــدي واخـــــتلالـي

وأرى كـلَّ اخـــــتـــــيـــــاري

لـــطـــبـــاعي في انـــفِـــعـــال

فـــولـــيـــدُ الـــطـــبعِ أخـــذي

بـــــــحـــــــرامٍ أو حـلال

أخـــتـــيـــارًا تَـــحـــملُ الـــسُّ

ـمَّ ممـــيـــتـــاتُ الـــصِّلال[2]

وهـي لـــــولاهُ لمـــــا كـــــا

نت رهـــيـــنـــاتُ الـــوَبـــال

فـــهيَ مـــهـــمـــا تَـــبْـــدُ تُـــقْـــتَلْ

بِـــعَـــصًـــا أو بـــالـــنِّـــعـــال

---

(١) الزيال: المفارقة والمباينة.

(٢) الصلال: الحيات.

أتُـــــــــراهـــــــــا أودَعـت أنـ
ــفُـسـَـهــا داعي الــنَّــكـــال
والـــــذي يــــحـــــرس مِــــعــــزا
نـــا وأُمّـــاتِ الـــسِّـــخـــال[1]
بـــــــــوفـــــــــاءٍ وبـــــــــإخـلا
صِ احــــتــــفـــاءٍ واحـــتـــفـــال
مـــــا تــــشـــــكَّت قَطُّ مـــــنه
غـــنمٌ غـــفـــلـــةُ كـــالي[2]
لا ولـم يَــــخـــفِـــر ذمـــامًـــا
لـــلـــغُـنَــيـمـــاتِ الـــغـــوالي
فـــــهي تـــرعى آمـــنـــاتٍ
وهـــو عـــنـــهـــا في نـــضـــال
بـــنـــبـــاحٍ وهـــريــــرٍ
وســــهـــادٍ مـــتـــوال
عـــاكـــفًـــا مـــنـــهـــا عـــلى صَـــوْ
نِ ضِـــخـــامٍ أو ضِـــئـــال
عن عــــوادي كلِّ مَــــوْهــــو
بٍ عـــلـــيـــهـــا ذي اخـــتِـــتـــال[3]
هــــوَ لــــولا الــــطــــبعُ ذئبٌ
مـــســـتـــطـــيـــرُ الـــشـــرِّ قـــال[4]
والـــغَـــدورُ الــطـــبع لـــولا
طـــــبـــــعُهُ كـــــلبٌ مـــــوال

(١) الأمات: هي الأمهات وتطلق الأمات غالباً على الأمهات من البهائم.

(٢) الكالي: تخفيف الكالئ وهو الحارس.

(٣) اختتال: خداع.

(٤) القالي: المبغض.

وطـــبـــاعُ الـــكلِّ من كـــلـ

ـب وذئبٍ ذي اغـــتـــيـــال

لـم تـــــكـن إلا مُـــــرادا

تِ الــــذي لـــلـــكُلِّ وال[1]

وكـــــذا أخـلاقُ ســـادا

تِ الــبــرايــا والــمَــوالي

وإذا كـــان مـــريـــدًا

حَــسْبَ أخلاقي فِــعــالي

فـــإلى جــبــرِيَ أفــضى

بِيَ مــنــهــاجُ اعــتــزالي

رغـم مــــا قـــال ذووهُ

ضــمن مــشــتــدِّ الجــدال

أكـــذا أم خــانــني الــفــهـ

ـمُ لإبــهــام المجـــال

فـــأبِنْ لي الــفَــرْقَ أعــرِفْ

أيَّ هـــــذيـن أُوالـي

فــلــديَّ الــفَــرْقُ مــا بَــيْـ

ـنــهــمــا بــادي الــزوال

وأرى ظــمــآنَ كــسْبِ الـ

أشــعــريِّــينَ كـــآل[2]

وَرَدَتْهُ الــنــفسُ لــكن

صــدَرَتْ دونَ ابــتِلال

هل يــصحُّ الــكــسبُ مــا دا

مَ من الــتــأثــيــر خـــال

(١) الوالي: المالك للأمر.

(٢) الآل: السراب.

هل تــــكـــونُ الـــنــــارُ نـــارًا

وهـي بــــــردٌ كـــــالــــــزُّلال

أو يــــــكــــــونُ المـــــاءُ مـــــاءً

دون إرواءٍ بِــــــــحــــــــال

من يـــرى الـــشـيءَ هـــو الـــشي

ءُ، وطـــــبـع الــــــشـيء بــــال

عَـــــيْــــرُهُ كَلَّ إذا الـــطَّـــب

ـعُ انجــــلـى عـــــنـه لجــــال

وإذا مــــا سُــــمْتُ نــــفــــسي

أخـــــذَ جَــــدّاتي الخــــوالي

بـــاعــتــقـــادٍ دون بُـــرهـــا

نٍ أَبَتْ نــــفـــــسِيَ قـــــالي[1]

فـبِـبَـحـثي مـخـصـبـات الـ

ـــكُـتْبِ مـــا زال اشـتِـغـالي

أهــبطُ الــــوادِيَ مـــــنــــهـــا

ريـــثــمـــا يـــدعـــو ارتحــالي

فــــأنـــــا بــــين رحـــــيلٍ

دون جـــــــدوى واحـــــــتلال

وعــــلى عُـــقْمِ ارتـــيـــادي

عـــنه قـــلــبي غـــيـــرُ ســـال

أيــــهـــــا الـــــقـــــلبُ إلى كَمْ

كَلَّ عن حِـمـلي احـتِـمـالي[2]

طـــال مـــســــرايَ بــــلـــيلٍ

صـــبـــحُهُ لـــيس بـــتـــال

(١) القال: القول.

(٢) كل: تعب.

ذكــروا صــبــحًــا ســيُــفــشي

سِـــــرَّهُ ذكـــــرُ مُـــــحـــــال

وَعْـــدُهُمْ بـــالـــصـــبحِ مَـــطلاً

وعـــــدُ ذي بُـــــخْلٍ بمـــــال[1]

كـــلـــمـــا قـــلتُ تَـــنـــاهى

كَـــرَّ بي غـــيـــرَ مُـــبـــال

مـــظـــلـــمًـــا ظـــلـــمـــةَ حَـــظّي

كـــــدِرًا كُـــــدْرَةَ بـــــالي

طـــــامسَ الأنجُـمِ مـــــا فـــــيـ

ـهِ لـــــنـــــجـــمٍ من تَـلالي

خـــابـــطًـــا تحت دُجـــاهُ

خـــبطَ مـــكـــفـــوفِ الجِـــمـــال

بـــــين مـــــنـــــبَثٍّ وعـــــورٍ

مـن وهـــــادٍ وجـــــبـــــال

لـــــيت شـــــعـــــري أصَـــوابي

عن يمـــيـــني أو شِـــمـــالي

فـــإلى الـــغـــايـــةِ سُـــبْـــلي

أشْـــكَـــلَتْ جِـــدّاً حِـــيـــالي

أيـــهـــا أحـــمَـــدُ غِـــبّـــاً

يـــــومَ بـــــعـــــثي ومـــــآلي

حـــرت فـــيـــمـــا أجـــتـــبـــيهِ

رغم أبـــحـــاثي الـــطِّـــوال

فـــأنـــا أحْـــيَـــرُ - يـــا يـــو

سُفُ - من ضَبِّ الـــرِّمـــال

---

(١) المطل: التسويف بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

وإذا لـم يَـــــهْـــــدِني الــــرُّشْـ
ـــدَ ابنُ عــيــسـى ذو المــعـــالي
فـــــأنــــا مـــــا دمتُ من إشـ
ـــكـــالِ أمـــري في شِــكـــالي[1]
ذاك أهـــــدانــــا جـــــوابًـــــا
عــــنـــد إشـــكـــال الـــســـؤال
وهــــو أولانـــا بـــتَـــصْـــحـــيـ
ـحِ مَـنِ اعــــــتَـلَّ اعـــــتِـلالـي
فَـــــلَـــــكَـمْ وافـى جـــــروح الـ
ـــنَّـــفْسِ مـــني بـــانـــدمـــال
واقـــتـــنـــاعي طـــالمـــا هَـ
ـبَّ قِـــنـــاعِيَّ الـــشَّـــمـــال
لا أصــــابت نجلَ عـــيـــسـى
يَـــدُ أحـــداثِ الـــلـــيـــالي
مـــلـــجَـــأُ الآداب صـــونُ الـ
ـــعِـــلم عن كلِّ ابـــتـــذال
ذخـــرُ أهـــلـــيـــهـــا لأيَّـــا
مِ المـــلـــمّـــاتِ الـــثِّـــقـــال
شـــامـخُ الـــقَـــدْرِ ولـــكن
نـــفـــعُهُ داني المـــنـــال
فـــهـــو كـــالمـــزنـــة تـــســـمـــو
وحَـــيـــاهـــا في انـــهِلال[2]

(١) الشكال: حبل تشد به قوائم الدابة.
(٢) الحيا: المطر.

حِـــسْـــبَـــةً لـــيس لـــشـــكـــرٍ

أو جـــــزاءٍ كـــــالـــــبِـــــدال[1]

حـــين جُـــودُ الـــبـــعض لـــلـــصَّـــيْـ

ـــــدِ كـــــفَخٍّ أو نِـــــبـــــال

زاخـــرُ الـــصـــنـــفَـــين من عِـــلْـ

ـــــمَـــيْ أوالٍ وتَـــــوالـي[2]

فـــائضُ الـــرِّفـــدين من مـــا

لٍ وجـــاهٍ مـــتـــعـــال

فـــبـــنـــفـــسي مـــنه أفـــدي

بـــحـــرَ عـــلـــمٍ ونَـــوال

طـــالمـــا ألـــقى إلـــيـــنـــا

مـــنـــهـــمـــا غُـــرَّ الـــلآلي

ســـاكنُ الأمـــواج مـــا لَـمْ

يُـــرْمَ حَقٌّ بـــانـــتـــحـــال

ســـيَّـــمـــا حَقٌّ ضـــعـــيفٍ

غـــيـــرِ مـــرهـــوبِ الـــمَـــصـــال

وهـــو فـي إرشـــادِ من حـــا

رَ ســـراجٌ ذو اشـــتـــعـــال

ومـن الـــبِـــدْعِ خِـــضَـــمٌّ

فـي الـــهـــدى ذاكي الـــذُّبـــال[3]

فـــلـــتـــدومي بـــابنِ عـــيـــسى

يـــا بـلادي في اخـــتـــيـــال

---

(١) البدال: المبادلة.

(٢) أوال وتوالي: أي سابقين وتالين لهم.

(٣) البدع: الأمر الذي لم يسبق له مثال. والخضم: البحر. والذاكي: المشتد اللهيب والذبال: الفتيلة.

فَــــلَكِ الـــفـــخــــرُ بـه الخـــا
لِـــــــدُ ممـــــــدودُ الـــــظِّلال
لـــــيت شَـــــرواهُ كــــثـــيـــــرٌ
بِكِ مــــوصــــولـــو الحِـــبـــال
كـي أرى سُــــمـــــنـــاكِ لا تَـــبْـ
ـــــــغي عـــــلى ذاتِ هُـــــزال
وأرى لـــــــيـــــــثَكِ لا يُـــــو
قِـعُ خــــــتلاً بــــالــــغَـــزال
وأرى الـــمُـــكـــثِــــرَ في نـــفـ
ـعِ مـــقـــــلِّـــــيك يُـــغـــالي
وأرى فـــــــيكِ عِـــــــرابَ الـ
ــــخَـــيْلِ قُــدّامَ الـــبِـــغـــال
فـــــمِنَ المـــــسخِ جَــــبـــينٌ
نـــــابتٌ خـــــلفَ قَــــذال[1]
وأرى ســـــيــــفَكِ لـــلـــحَـ
ــــدِّ مُــعَــدّاً لا الـــصِّـــقـــال
فــمن الجــهلِ لحــسن الــصــقـ
ـلِ إعــــدادُ الــــنِّـــصـــال
وأرى مـن بــــــاع بــــــالمـــــا
لِ ضــــمــــيــــرًا في انــــخـــذال
وأرى فـــــيكِ مـــــكـــــان الـ
ـــــعِــــلْمِ والآدابِ عـــــالي

****

(١) القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

عتاب مرير[1]

لــو لم يُــوَظَّفْ في المــعــارفِ غــيــرُ مَنْ
أبــدى الــكــفــاءةَ لم أكُنْ بــالــعــاطِلِ
لــكن لحــقــدٍ أو هــوىً كم عــالمٍ
فــيــهــا يُــنَــحّى عن طــريقِ الجــاهل
وإذا الــهــوى والحــقــدُ يــومًــا صَــرَّفــا
يُــمْــنــى مُــوَلّىً نــاصبٍ أو عــازِل
فــقــيــامُ مــنــصــبِهِ وســقــطَــتُهُ سَــواءً
إلا لــدى غــافي الحِــجــا والــهــازل
فــالحــقــدُ أكــثــرُ مــا يــكــون عــلى الــذي
بــســوى الحــقــائق لم يــكن بــالحــافل
الــنــاصــرِ الحَقِّ الــصــريحِ بــرأيهِ
مــا بــين كلِّ مــنــافقٍ ومُــخــاتِل
وتــرى الــهــوى يُــعــمي الــفــتى ويُــصِــمُّهُ
عن صــارخ الحــق الجــلــيِّ المــاثِل
وإذا الــضــمــيــرُ به أهــاب مُــنــاصِــحًــا
ألــفــاهُ غــيــرَ ســمــيعِ نــصــحٍ قــابِل
مــا مَنْ يمــيلُ إلى الــهــوى في أمــرهِ
أبــدًا إلى نُــصْحِ الــضــمــيــرِ بــآيِل

(١) قال هذه القصيدة بمناسبة طلبه للوظيفة التي لم يحصل عليها آنذاك بسبب تردد المسؤولين في توظيفه لكونه لا يبصر.

حتى يموتَ ضميرُهُ في جوفِهِ
فيظَلُّ آلةَ كلِّ شَرٍّ نازلِ
فتَراهُ رغم حياةِ ظاهرِ جسمِهِ
بين الأُلى يَحْيَوْنَ مَيْتَ الداخلِ
وإذا الكويتُ أبَتْ سوى تقديمِها
مفضولَها ظلمًا أمامَ الفاضلِ
فمن المُحالِ خَلاصُها من جهلِها
في عاجِلِ الأيام أو في الآجِلِ
فإذا بكيتُ على الكويت تخوُّفًا
من مظلمِ الآتي الرهيبِ الهائلِ
فلأنني لا أستطيعُ سوى البُكا
رَفْعَ احتجاجٍ ضِدَّ هذا الباطلِ
هَلاَّ بحثتم عن مديرٍ مخلصٍ
مترَفِّعٍ عن كل أمرٍ سافلِ
يَقِظِ النُّهى غافي الهوى متجرِّدٍ
عن كل شخصيٍّ المنافعِ عادلِ
ذي جرأةٍ ماضي العزيمة نابذٍ
في نصره للحقِّ عذلِ العاذلِ
مهما استغاث الحقُّ مخذولاً رأى
منه مغيثًا رغم أنفِ الخاذلِ
وَرِعٍ يُراعي اللّهَ في أعمالِهِ
خاشٍ لِما بعدَ المنيَّةِ آمِلِ
فعساهُ يجري بالمعارف وُفْقَ ما
يقضي عليه كلُّ نفعٍ شاملِ
لهفي على وطني أُعِلَّ ولم أُطِقْ
إسعافَهُ إلا بدمعي السائلِ

أو بـــالمـــقـــالِ ولـــيس يَـــحْـــسِمُ داءَهُ
جـــاري الـــدمـــوعِ ولا مـــقـــالُ الـــقـــائل
مـــا إن يُـفـيـدُ سـوى الـفـعـالِ فـلـيت لي
مـــا أســتــطــيعُ به فِــعــالَ الــفــاعِلِ
هـــيــــهـــاتَ لا عــضُــدٌ ولا كَفٌّ بـــهـــا
أقـــوى عـــلـــى تـــقـــويم أمـــرٍ مـــائل
مـــا فـي الــكــويت لمــرشــدٍ من ســـامعٍ
مـــهـــمـــا يَــذِعْ نُــصْحُ المحبِّ الــعــاقل
فــتــراه بــعــد الــنــصح يُـنْـكَسُ يـائـسًـا
لمــمضٍّ ســكــتــتِهِ ســكــوتُ الــنــاكل
حــتـى مـتـى فــيــهـــا أقــيم عــلـى أذى
مـــشـــتـــدَّةٍ وطـــأتُهُ مـــتَـــواصل
من لـي كـــغـــيـــري من ذوي آدابِـــهـــا
المخـــلـــصـــين لـــهـــا بِــرِحْــلَــةِ راحل
فـالمخـلـصـون يـسـوء فـيـهـا عـيـشـهم
مـــا بـــين نـــابلِ قـــومهِ والحـــابل
قـــومٍ مـــغـــبَّـــةُ أمـــرِهِمْ مـــرهـــوبـــةٌ
إلا لـــدى مـــفـــتـــونِـــهم والـــغـــافِلِ
أبـــدًا تـــراهـم رهـنَ كلِّ تـــنـــافُـــرٍ
وتـــنـــاكُـــرٍ وتـــدابُـــرٍ وتـــخـــاذُل
طَـوْعَ الــغُــواةِ من الــذين قــلــوبُــهم
لـــولا المـــطـــامعُ لم تـــكن بـــأواهِلِ
مـهـمـا أهـاب المخـلـصـون بـهـم إلـى
أن يَـــرْعَـــووا عن كُلِّ رأيٍ فـــائل(١)

---

(١) رأي فائل: ضعيف مخطئ.

رُشِــقــوا بِــنَــبْلِ أذاهُمُ فــتــقــهــقــروا
عــنــهم ولم يــحــظَــوْا بــأمــرٍ طــائل
فــكــأنَّ بــين مــعــاشــري عــهــدًا عــلى
أن لا يُــــرَوْا في أُلــــفــــةٍ وتــــواصُل
أيُّ الــشــــعــوب عــصى ذوي إخلاصِهِ
قِــدْمًــا ولم يُــفــجَعْ بمــجــدٍ زائل

✡✡✡✡✡

يــا مَن يُــغَــرِّبُ أو يُــشَــرِّقُ طــالــبًــا
مــا شــأنُهُ إضــحــاكُ سِنِّ الــثــاكل
لــكــنه يُــبــكي الــلــبــيبَ من الــورى
لمــصــيــرِ أهــلــيهِ المــمــيتِ الــقــاتل
عَــرِّجْ عــلــيــنــا تــلق أيَّ عــجــيــبــةٍ
تُــبــكي وتُــضــحِكُ دون حَــدٍّ فــاصِلِ

✡✡✡✡✡

يــا مَن يــلــوم عــلى طــويلِ تــشــاؤمي
إن الــتــشــاؤمَ لــستُ مــنه بــوائلِ[1]
فــلــقــد تــأبَّى أن يــغــادرَ ســاعــةً
فــيــهــا أفــتِّشُ عن طــريقِ تــفــاؤلي
أنَّى يــرى طُــرُقَ الــتــفــاؤلِ من يَــرى
أبــدًا مــواطِــنَهُ بــحــالٍ حــائل
وإذا أهــاب بــهــا إلى طُــرُقِ الــعُلا
لم تُــبْــدِ غــيــرَ تــبــاطُــؤٍ وتــثــاقُل
يُــلــفي ســواهــا في نــشــاطٍ مــعــقِبٍ
غُــرَرَ المــعــالي وهي ذاتُ تــكــاسُل

---

(١) وأل فهو وائل: رجع فهو راجع.

أَفَــلْت كــواكبُ نَــحْسٍ كُلٍّ غــيــرَهــا

لــشــروقِ أنجُمِ نُــصــحِهِ المــتــبــادَل

ونجــوم أنــحــســهــا لــفــقــد تــنــاصحٍ

بـــين الـــذين تَـــضُمُّ غـــيـــرُ أوافِلِ

أرأيتَ شـــعـــبًـــا يــرتـــقي إلا عـــلى

دَرَجٍ أقـــيمَ من الـــتـــآخي الـــكـــامل

وأرى الـــتـــآخِيَ بـــين قـــومٍ فـــاتَـــهم

مــحضُ الــتــنــاصُحِ لم يــكن بــالحــاصِلِ

لـو خـصَّني بـالـضُّـرِّ صُنْعُ مَـعـاشِـري

لــتــجــنَّــبَتْ أيــدي الــهــمــومِ تَــداوُلي

لـــكنْ أخــافُ الـــضُّـــرَّ يــشـــملُ من هُمُ

وأنـــا أنـــابـــيبُ نُـــظِـــمْنَ بـــعـــامِلِ

فـــعـــلـــيـــهمُ أبـــكي وإن لم يَـــبـــرَحــوا

مـــتـــحـــامـــلـــين عـــليَّ كلَّ تحـــامُلِ

فـــمـــحـــبـــتي لـــلـــقـــوم رغم أذيـــةٍ

أشــقى بــهــا مــنــهم وطــولِ تَــطــاوُلِ

أغـرَتْ جـفـوني بـالـبُـكـا لـلـخـوف من

مــســتــقــبلٍ داجٍ لــشــعــبي الــذاهِلِ

أنـــا لـــستُ ممن يـــحـــزَنـــون إذا رأوْا

أقــوامَــهم تحتَ الــســحــابِ الــهــاطِلِ

مـهـمـا انـطوَتْ مـني الـضـلـوعُ عـلى صَدىً

والـــسُّـــحْبُ بـــين هَـــواطلٍ وهَـــوامِلِ

إن لـم يـــكن بـــدُّ لـــهـــذا الـــغـــيثِ من

أن لا يَــعُمَّ جــمــيــعــنــا بــالــنــائلِ

فـلـيـسـقِـهِمْ سُـقـيـا تُـديمُ سُـرورَهُمْ

بـالخِـصْبِ ولْـيَـتْـرُكْ جـمـيعَ مـنـازلي

وعَـــلَيَّ أن أُثـــني وأشــــكُـــرَ من يـــرى
لــلــقـــوم دوني بـــاســطًـــا يـــدَ بـــاذِلِ
مـهـمـا هـلـكتُ بـبـخلِ من يُـحْـيِيـهِمُ
جـــودًا شــكــرتُ يـــدَ الجـــواد الـــبـــاخل
مـــا صـــالحي في جـــنبِ صـــالحِ أمـــتي
مـــهـــمـــا تـــهـــضَّـــمَهُ بِـــهِمّ مـــشـــاكـــلي
لـــو لم تُـــكنْ مـــنـــهم مـــراعـــاتي بـــهـــا
نــــفعٌ لآجلِ أمــــرهِمْ والــــعــــاجلِ
مـا كـنتُ - مـهـمـا فـرَّطـوا بي ضِـلَّـةً
شـــنـــعـــاءَ - في وادي الملامِ بـــجـــائلِ

****

يا عقل[1]

قـالـوا انـصـرفت إلى المـعـقـول مُـتَّـركًـا
مــا لـم يــكـن وَفْــقَهُ من كلِّ مـــنـــقـــولِ
فــقــلـتُ لــو لـم يُــرِدْ هــذا مــكــوِّنُــنــا
مـــنّي ومن كلِّ مـــعـــروفٍ ومـــجـــهـــول
لمـا حَـشـا الـهـامَ بـالألـبـاب قـائـمـةً
بـالـفـرقِ مـا بـين مـسـمـومٍ ومـعـسـول
لــو لم تُلازِمْ حـواسَ المـرء حـاجـتُـهـا
إلى اعــتــمــادٍ عــلى عــقلٍ وتــعــويل[2]
لم يُــدركِ الــفــرقَ يـومًــا فــهمُ مــدركهِ
بــين الألــبّــاءِ مــنّــا والمخــابــيل
إني لأرتــاب في المــنــقــول يــبــلُــغُــني
حــتى يــقــوم له عــقــلي بــتــعــلــيل
فــكُل نــقلٍ تــفــوتُ الــعــقلَ عــلَّــتُهُ
أعُــدُّ إرشــادَهُ مــنــهــاجَ تــضــلــيل
مِـيـلـوا بمـنـقـولـكم عـني لـقـابِـلِهِ
عَــمَّن تَــرَوْنَ إذا نــافــاهُ مَــعــقــولي
وفِيٌّ قــولــوا الــذي يـوحـيه جـهـلــكُمُ
فــلــســتُ ممَّن يُــبــالي بــالأقــاويل

(١) نشرت في مجلة اللغات العدد الثالث ديسمبر سنة ١٩٦٢ السنة الثانية المجلد الثاني صفحة ٣٠.
(٢) حواس: هنا غير مشددة السين لضرورة الشعر.

مــاذا يَـضُــرُّ إذا إذا أرضــيتُ مُـوجِـدَنــا

مـا قـد تُـشـيـعـونَ من كُـفـري وتَـجـهـيـلي

أبَــعْــدَ مــا بــانَ فــجــرُ الحَقِّ لي وبَــدا

أعــــودُ عــــنه إلى لــــيلِ الأبــــاطــــيل

«عـلـيك يـا عـقل بـعـد الـله مـعـتـمـدي

وبــعــده لك تــعــظــيــمي وتــبــجــيــلي»

فــكن دلــيــلي إذا مــا حــيــرةٌ عَــرَضَتْ

وكن إذا لــــيلُ شَكٍّ جَنَّ قــــنــــديــــلي

يــا عــقل أنت ســمــاويٌّ الــهــدى فَــأَبِنْ

مــــا غــــاب من وجه تحــــريمٍ وتحــــلــــيل

وسُــدَّ أُذْنِيَ عــمّــا الــقــومُ قــد أخــذوا

فــــيه يــــخــــوضــــون من قــــالٍ ومن قــــيل

****

حدث عن شمائله[1]

إلــيكَ الـــشـــوقُ أَلــزَمَـــني الـــوِصـــالا
وكـــاد إلـــيك يـــســـعى بي خـــيـــالا
لأنَّ طـــويلَ سُـــقْـــمي قـــد ثَـــنـــاني
خـــيـــالاً أو لِـــلَـــيْـــلَـــتِهِ هِلالا
فَـلَـوْ يـا أحـمـدَ الـعـلـيـاء تـرنـو
إليَّ لخـــلـتَ جُـــثـــمـــاني خِلالا[2]
فـقـلتُ الـشـوقُ طـاعـتُهُ وجـوبٌ
وقـــمتُ لأمـــرِ أشـــواقي امـــتـــثـــالا
فـصـاحَ الـضـعفُ بي والـضـعفُ أقـوى
من الـــشـــوقِ المـــبَـــرِّحِ بي مَـــقـــالا
يـــقـــول بملءِ فـــيـهِ لا تُـــغـــادِرْ
مـــكـــانَكَ أيـــهـــا الأعـــمى ألا لا
فَـقُمْ عـني لـديكَ بـشـرحِ عُـذري
تَـنَلْ من جَـزْلِ شُـكـراني مَـنـالا
أيـقـعـد مـسـتـطـيع الـسـيـر عن من
لـكلِّ فـضـيـلـةٍ أضـحـى مـثـالا
يـفـوتُ – شـذىً وحـسـنًـا كلَّ زهـرٍ

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب أحمد بن خالد المشاري وهو في (بومبي) سنة ١٣٣٩ هجرية.
(٢) الخلال: العود يوضع في لسان الفصيل لئلا يرضع أمه.

خلالَ الروض ممطورًا - خِلالا

وأينَ مَطيرُ زهرِ الروضِ عَرفًا

من الأخلاقِ تزكو أو جَمالا[1]

فحَدَّثْ عن شمائله وصِفها

ولا تَصِفِ الشَّمولَ ولا الشَّمالا[2]

فوصفُ شمائلِ الأحرارِ تُلْفي

لِمُعْتَقَلِ العقولِ به انحلالا

ووصفُكَ شَمْأَلَ الأرواح مُلْهٍ

به عن نافعٍ تجَدُّ اشتغالا

وأوصاف الشَّمول بكلِّ رأسٍ

تُضلُّ العقلَ أو تهدي الخَبالا

فكم أدنى إليها الوصفُ ناءٍ

فزايلَ رشدَهُ وأتى الضَّلالا

فَقُلْ سُحْقًا لكل فتىً إليها

يسوق المدحَ زورًا وانتحالا

فلولا مادِحُوها ما تَمَشَّتْ

لها الأحرارُ أسرابًا تَوالى

فَحادِثْهُ على ظَمَإٍ فتنسى

لطيبِ حديثِهِ الماءَ الزُّلالا

فإن مُلَّتْ أحاديثٌ لطولٍ

فطولُ حديثِهِ يَنْفي المَلالا

وإن صَدِئَتْ عقولٌ من حديثٍ

غدا منه الحديثُ لها صِقالا

بِجَدْعِ الأنفِ يهوى سامعوهُ

(١) العرف: الرائحة الطيبة.

(٢) الشمول: الخمر، والشمال: الريح التي تأتي من الشمال.

إذا اخـتـصَـرَ المـقـالـةَ لـو أطـالا

إذا مـا قـالَ وَدَّ الـكُلُّ أنْ لَـوْ

إلى أذنٍ بـجُـمْـلَـتِهِ اسـتَـحـالا

فـإن تَـجْـهَلْ حَلاَل الـسِّـحـرِ فـاجـلسْ

إلـيه تـعـرِفِ الـسِّـحْـرَ الحَلالا

وأنت تـرى تـواضُـعَهُ - عـلى مـا

به يمـتـاز - قـد بـلغَ الـكـمـالا

ولـو أوتـيتُ مـنـطِـقَهُ رأتْ لي

عـلـيـهـا الـنـاس تـيـهًـا واخـتـيـالا

وهل تُـكْـسى الـدجـاجـةُ ريشَ نَـسْـرٍ

فـلم تُـصْـبِحْ مـنـافـعُـهـا وبـالا

فَـحَصٌ جـنـاحِـهـا مـا كـان إلا

لـكـونِ الحَصِّ يُـكـسِـبُـهـا اعـتـدالا[1]

فَـجَلَّ مُـوَزِّعُ الأرزاقِ فـيـنـا

لـكلٍ مـا يُـنـاسِبُ مـنه آلا

فَـعَنْ حِـكَمٍ جـلـيلاتٍ وإن لم

تَـزَلْ تُـرخي عنِ الـعـقلِ الحِـجـالا

تـرى بـين الأنـام بـكلِّ شيءٍ

كـبـيـرَ الـفَـرْقِ قـد ألـقى مَـجـالا

فـمـا هُمْ مُـسْـتَـوُو خُـلُقٍ وخَـلْقٍ

كـمـا لم يـسـتَـوُوا عـلـمًـا ومـالا

فـبـعـضـهـهمُ ضـئـيلُ الـشـأنِ يـبـدو

وبـعضٌ شـأنُهُ لَـبِسَ الـجلالا

وذلك غـيـرُ مـنـظـورٍ وهـذا

(١) حص الشعر حصًا: حلقه.

به الأنـــظــــارُ أحــــدَقَتِ احـــتِــفــــالا

وهـــذا يـــعــتــلـي المــنــطــادَ يُــسْــرًا

وذاك لــــعُــســــرِهِ عَـــدِمَ الـــنِّــعـــالا

ومن لـم يُـــــرْضِهِ مــــا الـــــلهُ راضٍ

لَهُ بَـــقِـــيَتْ مَـــراضـــيهِ مُـــحـــالا

فــتــبــصــرُهُ لــسِــخْــطَــتِه دوامًــا

يُـــكـــابِـــدُ داءَ أحـــزانٍ عُـــضـــالا

فــيـــا مَنْ قَصَّ أجـنـحـتي فـجـاءت

ضِـعـافًـا مـنـذُ تـكـويـنـي ضِـئـالا

فــمـــا قَــوِيَتْ خَــوافي الــرِّيشِ مــنــهـا

ولا كـــانت قَـــوادِمُـــهـــا طِـــوالا

فـمـهـمـا سُـمْـتُـهـا الـطَّـيَـرانَ أبـغي

فـــضـــاءَ الـــرزقِ أبْـــدَتْ لي كَلالا

أَنِلْ نــفــسي الــرِّضــا عن ســوءِ حــظّي

فــيــكــفــيــني رضــا نــفــسي نَــوالا

أنــــفــــسي إنمــــا دنــــيـــاكِ ظِلٌّ

إذا مــــا فـــــاءَ فـــــوقَ المَـــــرْءِ زالا

وإن هـــــو لم يَـــــزُلْ فـــالمَـــرْءُ عـــنه

تـــزولُ به مــــنــــايـــاهُ عِـــجـــالا

فـــلـــيس بـــدائمٍ لـــهـــمـــا وِصـــالٌ[1]

أحَـــبّـــا مـــنه أو كَـــرِهـــا الـــزَّوالا

إذًا سِـــيَّـــانِ مَن تُـــصـــلـــيه نـــارًا

ومـن مَـــدَّت عـــلـــيه لـــهـــا ظِلالا

فــيـــا نــفــسي عــلى دنــيــاكِ صــبــرًا

---

(١) كتب صدر البيت في إحدى الكراسات: وصالهما إدامته محال.

ولا تـسـتـبـعِـدي عـنـهـا انـتـقـالا

إلـى الأخـــــرى وظَـــــنّي أن تُـلاقـي

بـــهـا نـسـيـانَكِ الـنُّـوَبَ الـثِّـقـالا

فـــعَـــدُل الـــله يـــأبى أن تَـــضـــيـــقي

هُـــنـــا وهُـــنـــاك بـــالـــرِّزق احـــتـــيـــالا

✡✡✡✡✡

أوَدُّ بـــأنـــني أســـطـــيعُ ســـيـــرًا

إلـــيكَ ولـــو غَـــدَتْ طُـــرُقي نِـــصـــالا

فـــمـــا أخـــشى الـــوعـــورةَ في طـــريقٍ

إلى شـــرواكَ يُـــفـــضـي بي مَـــآلا

ولـــكنَّ الـــقـــويَّ الـــضَّـــعْفَ يـــأبى

عن الأحـــبـــاب لي إلاّ انـــفـــصـــالا

فـغـيـرُ مـفـيـدٍ اسمُ الـشـيءِ مـعـنىً

عـلـيه يـنـطـوي الـشيءُ اشـتِـمـالا

✱✱✱✱

فأجابه أحمد بن خالد المشاري:

سلامٌ كوَصْلِ الحُبِّ للوالِهِ الصَّبِّ
وإلا كرَشفٍ من لَمَى ثغرِهِ العَذْبِ

تحيَّةَ مشتاقٍ إلى خيرِ صاحبٍ
خلائقُهُ تَذْكو على المندَلِ الرَّطْبِ

أيا صقرُ أشجيْتَ الفؤادَ وزِدْتَ في
تباريحِ شوقٍ أذْكَتِ النارَ في قلبي

فما أنا من يَجْفو على البُعْدِ خِلَّهُ
ويومِقه إن كان منه على قُرب

فكم دمعةٍ أسبلتُها من تَوَلُّه
وكم زفرةٍ نَهَّضتُها من لظى الحُبِّ

وكم ليلةٍ أحييتُها من تذكُّرٍ
تقلِّبُني الأشجانُ جنبًا إلى جنب

وكم صاحب نبَّهتُه من جفائِهِ
فضاعَ وما أجدى وقد زاد في كَرْبي

فأختلِقُ الأعذارَ للنفس دونَهُ
وإن كنتُ مظلومًا أكُنْ حاملَ الذنب

فهذي شكاتي قد أثَرْتُ دفينَها
وهذا مُصابي والأسى قاتلُ الصَّبِّ

وما لي بتنظيم القصائدِ من يدٍ
ولكن إذا جاشَتْ يخِفُّ بها كَرْبي

****

قرأت

إلى الأستاذ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.. حينما كتب يدافع عن المرأة:

قرأتُ مقالكَ الحُرَّ الجميلا

فألزمَني لك الشُّكْرَ الجَزيلا

مقالٌ منه حَقُّ الغيدِ يَلقى

وقد طالَ المغيبُ بهِ قُفولا

سَلَلْتَ به لإرهاقِ التعدّي

وقتلِ الحَيْفِ مرهَفةً نُصولا

فلا لَقِيَتْ سيوفُ الحق تُنضى

بيُمنى رأيكَ السامي فُلولا

وحَكَّمْتَ العُقولَ وفاز حُرٌّ

يُحَكِّمُ بالذي يأتي العُقولا

وأعجبَني انتصارُكَ للَّواتي

تَكَبَّدْنَ الأذى زمنًا طويلا

فواصِلْ لاعدِمناك انتصارًا

لهنَّ من الأذى حتى يزولا

وأَعْمِلْ من يراعِكَ ما أرانا

مُحَيّا الحقِّ وضّاحًا صقيلا

فأجْمِلْ باليراع إذا أخوهُ

أزال به عن الحقِّ السُّدولا

فلا تَدَعِ انتصارَكَ يا ابنَ عيسى

يُنِلْكَ الله مقصِدَكَ النَّبيلا

إذا مــــا قـــام للإصلاحِ يـــســــعى

شــبــيــهُكَ في الــورى رأيًــا أصــيلا

فــمــا أحــراهُ أن يــحــظى بمــا قــد

إلــيه من المــنى سَــلَكَ الــســبــيلا

إذا مــــا الجِــــدُّ صـــاحَـــبَهُ كـــريمٌ

رآهُ بـــالـــنـــجـــاحِ له كـــفـــيلا

فَـجِـدَّ فـفي الـكـويتِ الـغـيُـد تـرجـو

بـــواجـــبِـــهـــا إلـــيـــهـــا أن تِـــؤولا

لــعلَّ لــهــا نجـومَ الـسـعـدِ تـبـدو

بِـجِـدِّكَ بـعـد مـا اكـتَـسَتِ الأُفـولا

تَـــشَـــكَّـــيْنَ الحُـــزونَـــةَ في حـــيـــاةٍ

بـــهـــا الـــعـــاداتُ أعــدَمَتِ الــسُّــهــولا

فَـــقُمْ في مَـــحْـــوِ عـــاداتٍ ثِـــقـــالٍ

فـمـثـلُكَ من مَـحـا الـعـادَ الـثَّـقـيلا

فـمـا تـرجـو سـوى عَـلـيـاكَ غـيـدٌ

تـقـاسي في الـكـويت عَـنًـا وبـيلا

فـأنت فـتى الـكـويتِ الـيـومَ يـا مَن

أقـــام لأهـــلـــهـــا المجْـــدَ الأثـــيلا

فَـــزِدْ في مـــجـــدك الـــعـــالي عُـــلُـــوًّا

بِـحَـلِّكَ عن غـوانـيـهـا الـكُـبـولا

تَـــدارَكْ راحـــمًـــا فـــيـــهـــا قـــلـــوبًـــا

بـــنـــارِ الحُـــزنِ تـــوشِكُ أن تَـــســـيلا

ولـــولا أنَّ فـــيـــهن احـــتـــشـــامًـــا

لأســـمَـــعْنَ الـــرِّجـــالاتِ الـــعَـــويلا

أبِنْ حَقَّ الـــنـــســـاء الـــيـــومَ يـــا مَن
أزالَ بـــأمـــســـهِ عَـــنّـــا الخُـــمـــولا
فـــمـــا إنـــقـــاذُهُنَّ من الـــبلايـــا
إذا مـــا قـــام مـــثـــلك َمـــســـتـــحـــيلا
إذا مـــــا رام مـــــثـــــلُكَ أيَّ أمـــــرٍ
وثـــابَـــرَ عـــاد أصـــعَـــبُهُ ذُلـــولا
فلا تَـــســـْـــجُنْ يـــراعَكَ واتْـــرِكْهُ
بمـــيـــدانِ الـــنـــصـــيـــحـــة أن يَـــجـــولا
وقُلْ واجـــهَـــرْ وصـــرِّحْ تَـــلْقَ مـــنّـــا
ومـــنـــهنَّ الـــتـــجِـــلَّـــةَ والـــقَـــبـــولا
أنُـــلْـــزِمُـــهُنَّ مـــا نَـــرضـــاهُ قَـــسْـــرًا
وإن لم يُـــرْضِ مـــنـــهنَّ المُـــيـــولا
ونـــزعُمُ أن هـــذا الـــظـــلمَ يـــأبى
عـــلـــيـــنـــا الـــدينُ عـــنه أن نَـــمـــيلا
أفي الـــدين الـــفـــســـيحِ الـــرَّحْبِ أن لا
نَـــبُلَّ لـــهـــا بـــإنـــصـــافٍ غَـــلـــيلا
أأمـــتـــعـــةً خُـــلِـــقنَ لـــنـــا الـــغـــواني
فـــلم نـــرأف بـــهنَّ ولـــو قـــلـــيلا
أيُـــرضـي الـــلَّهَ عـــطفُ الـــغـــيـــدِ قـــهـــرًا
إلى مـــا لا يُـــرِدْنَ أمِ الـــرَّســـولا
كـــأني بـــالـــغـــواني حـــافـــظـــاتٌ
لـــيـــوسفَ شـــكـــرَهُ جـــيلاً فـــجـــيلا
ولا مَنٌّ لـــهنَّ عـــلـــيه فـــيه
فـــقـــد أحـــيـــا لـــهـــا الحَقَّ الـــقـــتـــيلا

وراحَ لـــهــا يُـــمَـــهِّـــدُ خـــيـــرَ نـــهجٍ

يَـــنَـــلْنَ به إلى الـــعَـــلـــيـــا وُصُـــولا

يَـــنَـــلْنَ به عـــلى مـــا ضـــاع قِـــدْمًـــا

بـــأيـــدي الجـــهلِ من حَقٍ حُـــصـــولا

****

وقاك الله[1]

وقـــــاكَ الـــــلَّـهُ رَبّي كلَّ شَـــــرٍّ
وَرَدَّكَ كـــاســـمِكَ المحـــبـــوبِ ســـالِمْ

فــقـــد أصـــبـــحتُ ذا شـــوقٍ شـــديـــدٍ
إلى أوقـــاتِ لـــقـــيـــانـــا الـــبَـــواسِمِ

لـــئن خَـــشُـــنَتْ بـــفـــرقـــتـــنـــا أخـــيـــرًا
وكـــانت بـــالـــلـــقـــاءِ لـــنـــا نَـــواعِمِ

فـــمـــا رأتِ الـــبـــريَّـــةُ قَطُّ عَـــيْـــشًـــا
عـــــلى حـــــالٍ من الأحـــــوالِ دائِم

ومَـــرْجُـــوٌّ قـــريـــبًـــا أن تـــراهُ
بـــأحـــسنِ مـــا عـــرَفـــنـــا مـــنه قـــادِم

فـــلـــطفُ الـــله يـــقـــفـــو كلَّ خَـــطْبٍ
إذا مـــا خـــيفَ مـــنه الـــطـــولُ حـــاسِم

****

(١) موجهة إلى السيد سالم بن محمد البشر.

فلسطين

«ما أشبه الليلة بالبارحة»[1]

تَـنَـحَّـوْا أيـهـا الـعـرَبُ الـكـرامُ
فـلـيس لـكم بـأرضـكمُ مُـقـامُ

وإلا فـاشـحـذوا عـزَمـاتِ صـدقٍ
يـؤُمُّ صلابَـهـا الـصُّمَّ الحُـسـام[2]

فـمـا تـكـفي فـلـسـطـينُ إذا مـا
لـهم عن أخـذِهـا تَمَّ المـرام

ولـكن جَسَّ مـنـهـا الـنـبضُ فـيـهـا
طَـمـوعٌ مـا لمـطـمـعِهِ خِـتـام

فـإن كـنـا صـحـاحًـا صِـينَ مـنـا
لـديهِ رغمَ مـا يَـنـوي الـذِّمـام

وإن كـنـا مِـراضًـا عـاجَـلـتْـنـا
بـإجـهـازٍ مـظـالـمُهُ الجِـسـام

فـكـونـوا كـيـفـمـا شـئـتم فـمـنهُ
لـهـذا الـقـصـدِ بـيـنـكمُ الـتِـزام

فـإن يُـعـجِـبْـكُمُ أن لا تُـداسـوا
بـرجـلـيـهِ كـمـا دِيسَ الـرَّغـام[3]

فلا تَـدَعُـوا فـلـسـطـيـنًـا وذُودوا
بـكلِّ قُـواكمُ عـنـهـا وحـامـوا

فـإن لم تـرحـمـوا فـيـهـا أيـامى
وأيـتـامًـا وأشـيـاخًـا تُـضـام

---

(١) نشرت في السجل الأغر ١٢ ذو القعدة ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الثاني ١٩٣٨.

(٢) صحح عجز البيت إلى رواية أخرى هي: يحقق ما هممن به الحسام.

(٣) الرغام: التراب.

وفــتــيــانًــا غَــدَوْا فــيــهــا ضَــحــايــا

لــــظــــلــــمٍ قـــد دَجـــا مـــنهُ الـــظلام

فــخــافــوا أن تُـــســامـــوا كلَّ خـسفٍ

كـمـا أضـحَتْ فـلـسـطـينُ تُـسـام[1]

فـــــإن عَـــــدُوَّهــــا لـــــكمُ عَـــدُوٌّ

وإن كـــثُــرَ الـــتَّـــجَــمُّلُ والـــكلام

وإن دفـــاعَــــكم عـــنــــهـــا دفـــاعٌ

إلـــيـــكمْ مـــنه لـــلـــنـــفعِ انـــضِـــمـــام

فـــإن نـــالَ اهـــتِـــمـــامَـــكُمُ حِـــمـــاهـــا

فـــذلك مـــنـــكمُ بِـــكُمُ اهـــتـــمـــام

فـقـصْـدُ الخَـصم - إن طـابتْ وسـاغتْ

ولم يُـغْـصِـصْهُ مـأكـلُـهـا - الحَـرام

ولـــذَّ له عُـــقَــيْبَ الـــمَـــضْغِ بَـــلْعٌ

لـــكمْ طُـــرّاً عـــلى الأثَـــرِ الـــتِـــهـــام

وإن أعـــــيـــــاهُ ذاك خلال عـــــامٍ

فـــبـــعـــدَ الـــعـــامِ عـــامٌ ثم عـــام

وتــدريــجًــا ســيــأكــلُــنــا جــمــيــعًــا

وذاك مــصــيــرُ مَن وَهَــنــوا وخـــامــوا

وإن نَـــشِـــبت شـــجًى في الحـــلق مـــنه

فــــــإنَّ مــــــآلَ كُــــــلِّــــــكُمُ سَلام

رأيتُ الـــقـــصـــدَ مـــنه عـــلى عَـــمـــائي

جـــلـــيّـــاً لا ســـتـــارَ ولا لـــثـــام

فـــإن فـــاتَ الـــعـــيـــونَ الـــيـــومَ مـــنــكم

ولـــيس بـــهـــا عَـــمـــاءٌ أو سَـــقـــام

---

(١) الخسف: النقصان والهوان.

فإن الجُلَّ منكم حَسْبَ ظنِّي
مفتَّحَةٌ عُيونُهُمُ نِيام
وإن أبصرتموهُ اليومَ مثلي
فما بالُ الصَّوارمِ لا تُشام[1]
فما لِجُموحِ مقصِدِهِ إذا لم
تَرُضْهُ سيوفُ ثورتكم لِجام
فليس له ضميرٌ منه يَثني
مظالِمَهُ الولاءُ ولا احتشام
وما لاقت فلسطينٌ شهيدٌ
بتصديقي له فيكم قيام[2]
بنفسي ما رَمَتْ أمجادَ قومي
هناك به (السَّكاسِنَةُ) اللِّئام[3]
فكم أخذت سيوفُ البغي منهم
وكم نفَذَت بهم منه سِهام
وما نَكَلوا ولكن كان نزرًا
عَديدُهُمُ وقد كَثُرَ الطَّغام
فلو ثُرْنا لهم عَوْنًا وأضحى
بنا لمطامع الباغي اصطدام
لأُغمِدَ سيفُ ذاك البغي قَسْرًا
وإلا نالَ شفرَتَهُ انثِلام
ويمكنُنا تَلافي ما أضَعْنا
إذا منَّا له جَدَّ اعتِزام

(١) تشام: تستل.
(٢) شهيد: شاهد.
(٣) السكاسنة: يريد بهم الإنجليز. وهم يدعون: بنو سكسون.

فـــــإن نَـــــتَلافَـهُ يُــــمِتِ الــــتَّلافي

أمــــورًا عَــيْــشُــهُنَّ لــنــا حِــمَــام

وإن نُـــهــمِلِ تَلافــيه هَــلَــكْــنــا

وفـي أعــــنــــاقِــــنــــا إثمٌ وذامُ

****

أوَ يشفي من الكلوم الكلام[1]

لـــيس لـــلـــعُـــرْبِ من فلاحٍ إذا لم
تَكُ لـــلـــعُـــرْبِ وحـــدةٌ ووئـــامُ

فـلـمـاذا انـقـسـامُـهم؟ ألـيُـدْني
لـلأعـادي مُـرادَهُمْ الانـقِـسـام

أم عـلـى رغمِ مُـوقِـظـاتِ الـعَـوادي
هُمْ بـتـنـويمِ كـائـديـهِمْ نِـيـام

انـتِـبـاهًـا فـمـا مـغـبَّـةُ تَـنـويـ
ـمٍ رَكـنـتُم إلـيـه إلا حِـمـام

فـجـرُ لـيلٍ قـد جَـنَّـنـا إن تـمـادى
هُـوَ مِـنّـا لـلـكلِّ مـوتٌ زُؤام

فَـلْـنُـبـادِرْ بـكـشـفِهِ بِـنـهـارٍ
شـمـسُهُ وحـدةٌ سَـنـاهـا نِـظـام

فـرَّقـونـا لـكـي يَـسـودوا فـسـادوا
فـإلى كَمْ وهُمْ لـنـا أعـمـام

إن يـلَـيـنـوا لـلـبـعضِ مـنّـا فـهـذا
لِـينُ أفـعـى مـنـهـا اسـتـحـالَ الـسَّلام

أو يُـنـيـلـوا الـحـطـامَ مـنّـا أُنـاسًـا
فـسَـلـوهم من أينَ ذاكَ الحُـطـام

هـو من مـالِـنـا الـسـلـيبِ وهل فـا
زَ بـفـضلٍ عـلـى الـبـحـورِ الـغَـمـام

(1) قالها في ٢٥ من محرم ١٣٥٩هـ / الموافق ٤ من مارس ١٩٤٠م.

أمـطِـري يـا غـمـامُ مـا شـئتِ فـالـمَـحْـ
ـلُ له وَبْـــلُكِ الـــمُـــبــيـــرُ قِـــوام[1]

يـــا بَـــني يـــعـــرب الـــكـــريمِ أرانـــا
قـــد غـــدونـــا ولـــيس فـــيـــنـــا كِـــرام

أكـــرامٌ من لـــيس فـــيـــهم إذا ضِـــيـ
ـمَ ذَووهُـمْ شَـــــراسَـــــةٌ وعُـــــرام[2]

يـا فـلـسـطـينُ كم شـكـوتِ إلـيـنـا
من خـــطـــوبٍ صِـــغـــارُهُنَّ عِـــظـــام

فَـــبِـــرَبِّ الجـــمـــيعِ مـــاذا قـــضـــاهُ
لكَ مـن واجـــــبـــــاتِكَ الأقـــــوام

وبـــأيِّ الحـــقـــوقِ يـــا لـــيتَ شِـــعـــري
كـــان مـــنّـــا لـــســـاكـــنـــيكِ قـــيـــام

فـبِـنـفـسِي مـا فـيكِ تَـلـقى الأيـامى
من تَـــوالي الـــوَيْلاتِ والأيـــتـــام

مـــا بـــغـــيـــرِ الـــكلامِ نـــحنُ أعَـــنّـــا
أوَ يَـــشـــفي من الـــكُـــلـــومِ الـــكَلام[3]

فـسَـتـشـكـو لـلـه أو قـد شَـكَـتْـنـا
من شـــنـــيعِ الـــقـــطـــيـــعـــةِ الأرحـــام

وسـنُـجـزى مـــا يَـتْـرُكُ الـكُلُّ مـنّـا
مـــنه يَـــدْمى (من عَـــضِّهِ) الإبـــهـــام

فـلَـنـا الـويلُ من قـطـيـعـتِـنـا الأر
حـــامَ فـــالـــعـــارُ غِـــبُّـــهـــا والأثـــام

---

(١) المبير: المهلك.

(٢) العرام: الشدة

(٣) الكلوم: الجروح.

إنَّ هــذي الحــربَ الــتي عــاد يَــصْــلى
نــارَهــا الــيــومَ ظــالمــوهــا الــلِّــئــام
انــتــقــامٌ من ظــالمــيــهــا وظَــنّي
أن سَــيُــردي جــمــيــعَــهُمْ الانــتــقــام
يــا فــلــســطــينُ والأمــانِيُّ نَــوْمٌ
لَــذَّ فــيــه لــلــنــائمِ الأَحلام
لــيتَ أنّي قــد تمَّ لِي - كــيف مــارُ
مْتُ من الــعَــوْنِ حــين رُمْتُ - الــمَــرام
لــثَّــنى المــعــتــدينَ من وحــدة الــعُــرْ
بِ وبــذلِ الجــهــودِ جــيشٌ لُــهــام
لــيتَ أنّي إذ عَــزَّ ذاك بــصــيــرٌ
يُحــسنُ الــضــربَ في يــدي الــصَّــمــصــام
فــقُــعــودي لَــو اســتــطــعتُ قــيــامًــا
مَــعْكِ عن واجبِ الجــهــادِ حــرام
وبــحــســبي شــهــادةٌ أو بــقــاءٌ
يــتَّــقــيــني فــيه الــطُّــغــاةُ الــطَّــغــام[1]

****

---

(١) الطغام: الأوغاد.

ويل للبخلاء

قـــالـــوا فلانٌ كـــثـــيـــرُ المـــالِ طـــائـــلُهُ
لـــكـــنّهُ ســـائـــرَ الأوقـــاتِ مَـــغـــمـــومُ

إنــا عــلى الـفـقـرِ أحـيـانًـا يُـلِمُّ بـنـا
طَـرْفُ الـمَـسَـرَّةِ وهْـوَ الـدهـرَ مَـهـمـوم

حـــتى لَـــنَـــرْحَـــمُهُ ممّـــا يـــخُطُّ عـــلى
جـبـيـنِهِ الـحـزنُ فـهْـوَ الـيـومَ مَـرحـوم

فـــقـــلتُ شَـــروى فلان لا يَـــرِقُّ لَهُ
إلا امـرُؤٌ من حِـجًـا يَـهـديهِ مـحـروم[1]

أيُّ الأراملِ عن إحـــســـانِهِ رَفَـــعَتْ
له الـدعـاءَ وشـملُ الـلـيلِ مـنـظـوم

أم أيُّ أيـتـامِـنـا قـد عـاد مـبـتـسـمًـا
من بـعـد مـا انـتـابَهُ والـدمعُ مَـسْـجـوم[2]

مـا زال عن فـعـلِهِ الخـيـراتِ مـبـتـعِـدًا
كـأنمـا فـعـلُـهـا المـيـمـونُ مـشـؤوم

يَـصُـدُّ عن سـائلِ المـعـروفِ مـنـقـبـضًـا
كـأنمـا بـاذلُ المـعـروفِ مـهـضـوم

جـزاءُ بُـخْلٍ يـديه في الـدُّنـا حَـزَنٌ
فـؤادُهُ مُـتَـنَـزٍّ مـنه مـكـلـوم

وبَـعْـدُ فـالمـالُ مـوروثٌ فـغـانِـمُهُ

---

(١) شرواه: مثله.

(٢) مسجوم: مسال.

عَـمّـا قـلـيلٍ سـيـغـدو وهـو مَـغـنـوم

وكـــيفَ يُـــفْـــلِحُ في دارَيْهِ خِـــدْنُ غِـــنًى

من الأرامـلِ والأيـــتـــامِ مَـــذمـــوم

مِلْءُ الــزمــانِ عـظـاتٌ عن فــوائــدِهـا

فــؤادُهُ بــخــتــام الــشُّحِّ مــخــتــوم

دواءُ كلِّ امــرئٍ - أعــمى بــصــيــرَتَهُ

عن المـــواعظِ داءُ الـــشُّحِّ - مَــعــدوم

أشِـــدَّةُ الـــرُّكْنِ غَــــرَّتْهُ وقُـــوَّتُهُ

وكلُّ ركنٍ بـــأيـــدي المـــوتِ مـــهـــدوم

أشـقى الـبـريَّـةِ مُـثْـرٍ نـفـعُ ثـروتِه

بـه سِـــواهُ من الـــوُرّاثِ مـــأمـــوم

الـفـقـرُ مـثلُ غِـنًى مـحـصـولُ صـاحبِهِ

لـولا المـآثِمُ مـشـروبٌ ومَـطـعـوم

يُـودي الـفـقـيـرُ بلا ذَمٍّ ومـأثـمَـةٍ

يَـداهُـمـا بـهـمـا ذو الـشُّحِّ مـلـطـوم

يمـضي ولا ذاكـرٌ بـالخـيـرِ حـضـرَتَهُ

وأنـــفُهُ بـــعـــذابِ الـــله مـــخـــطـــوم

لا زلتُ مـا عـشتُ إن كـان الـيـسـارُ كَـذا

وجـانـبي عـنه بـالإعـسـارِ مـلـزوم

لا خـيـرَ في ثـروةٍ خُـرطـومُ صـاحـبِـهـا

بـالــذَّمِّ والإثمِ في الـــدارينِ مـــوســـوم

إن كـنتُ أغـبطُ ذا يُـسْـرٍ فـمَن يَـدُهُ

مـعـروفُـهـا مـنه مـجـهـولٌ ومـعـلـوم

يُـبْـدِيهِ كي يسـلُكَ الـمُـثـرونَ مَـسْـلَـكَهُ

فـالخـيـرُ خَـيْـرانِ إنـفـاقٌ وتَـفـهـيم

أمّـــا إذا لم يُـــؤَمِّلْ من يُـــتـــابِـــعُهُ

فَــبَـــذْلُهُ في فـــؤادِ الـــلــيلِ مـــكــتـــوم

يَـــرْجـــو بهِ مَنْ جَـــزاءُ الـــنـــاسِ عن يَـــدِهِ

عـلــيــهمُ حَـسْبَ مـــا جـــاؤوهُ مَـقــســوم

صَـــنـــيـــعُهُ من ريـــاءِ الـــكلِّ أخـــلــصَهُ

لمن إلـــيه مـــصـــيـــرُ الـــكُلِّ مَـــحـــتـــوم

****

سمو الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح[1]

إلى ذي المعالي نجلِ جابرٍ الذي
بيُمناهُ من هذي البلادِ زِمامُها
أُوَجِّهُ من شِعري الرَّصينِ مَحامِدًا
كساها جَمالاً – إذ كَسَتْهُ – نظامُها
و«أحمدُ» محمودٌ على كُلِّ مِقْوَلٍ
ففي حَمدهِ مثلُ الكهولِ غُلامُها
وليست أياديهِ يطاوعُ عَدُّها
وإن جَدَّ من حُسّابهنَّ قيامُها
ومن خيرِ هاتيكَ الأيادي صنيعةٌ
سيشكرُها نَدْبُ الورى وهُمامُها[2]
وأعني بها إيجادَهُ نجلَ أحمدٍ
جُهَيْنَةُ أخبارِ الكويتِ حَذامُها[3]
وإسعافُ تاريخِ الكويتِ ابنُ جابرٍ
به يعتلي بين البلاد مقامُها
فلا زلت تُعليها وترفعُ شأنَها
ولا زال مرعيّاً لديك ذمامُها

****

(١) يبدو أنها قيلت بسبب أن سمو الشيخ أحمد بن جابر منح الشيخ عبدالعزيز الرشيد مبلغًا كبيرًا إعانة له وتقديراً لتأليفه كتاب «تاريخ الكويت». وإن كان وضع الأبيات في كتاب «تاريخ الكويت» لا يوحي بهذه المناسبة.

(٢) الندب: السريع إلى الفضائل.

(٣) يشير إلى أن تاريخ الكويت أخباره صادقة تتفق مع ما يقال وعند جهينة الخبر اليقين، وما يقال:

لا تقترحوا عليَّ

إذا جاشَ صدري بالقوافي نظمتُها
وإن لم يَجِشْ لازمتُ صمتي عن النَّظْمِ
وكيف بإبرازي الذي حال دونهُ
من الرفعِ سترٌ معجزُ الرفعِ والجزم
وهل جَمعت كفٌّ من الزهر باقةً
ومن دونهِ حُجْبُ الوِهادِ أو الأَكْمِ
فلم أرَ لي من غيرِ نفسيَ داعيًا
إلى النظمِ مسموعًا بِطَوْعي ولا رَغْمي
فكلُّ اقتراحٍ كان غيريَ مَصدَرًا
له كان عن مَدعاهُ شِعري من الصُّمِّ
فلو طلبَت ما لَم يَجِشْ خاطري بهِ
من الشِّعرِ أمّي ما التفتُّ إلى أمي
وقد عَلِمَتْ أن المبَرَّةَ شيمةٌ
لمولودِها «صقرٍ» على اليُسْرِ والعُدْم
ولكنَّ لي عُذري على التَّرك إن تُرِدْ
إصابةَ ما تُعيي إصابَتُهُ سَهمي
ومن حُمُقٍ أني إلى الغرض الذي
تَأبَّتْ سِوى إشوائهِ أسهُمي أَرْمي[1]

---

(١) أشوى إشواء: أصاب الشوى وهي الأطراف.

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ قصائدي
حمامٌ وأنّي صقرُ أجوائِها كاسمي
إذا شئتُ أن اصطادَ منها حمامةً
سَمَتْ بي إلى ما شئتُ أجنحةُ العَزم
فإن كان بعضُ الظنِّ وهمًا فإنني
أرى فِيَّ هذا الظنَّ ضربًا من الوَهم
وهَبْني كما قد ظَنَّ فالصقرُ لم يَصِدْ
حمامًا حَماهُ خاطرُ البُعْدِ بالكَتْم
فيا رُبَّ حولٍ ظَلْتُ فيه محاولاً
من النظم ما يسخو به تارةً يومي
فمَرَّ ولم أظفَرْ بما كنتُ طالبًا
كأني في أثناءِ حَوْلي من البُكْم
لذاكَ أراني موقِنًا أن كلَّ ما
أقولُ من الإلهامِ لا قوَّةِ الفَهم
فلو كان من فَهمي بيانِيَ ناشئًا
لما بَرِحَتْ طَوْعي سحائبُهُ تَهمي
فَفَهْمي معي ما زالَ والشِّعْرُ لم يكن
ليُخلِفَ منه عادةَ الوصلِ والصَّرم
فإن شاءَ وصلاً جاء من غير دعوةٍ
وإن شاء صَرمًا كَلَّ عن وصلِه هَمّي
فليس على حُكمي القريضُ بنازلٍ
وإن كنتُ منه قد نزلتُ على الحُكم
ومن كان مفتونًا بوصلِ حبيبِهِ
يكنْ راضيًا عن بسطِهِ وعنِ الضَّمِّ
وشِعري إلى نفسي حبيبٌ لذاكُمُ
يَرى مِدَحِي حتى على مقتضي الذَّمِّ

وأيُّ حبيبٍ لم يَنَلْ من مُحِبِّهِ
مُحاباتِهِ مهما اتَّقى عاديَ الإثم
ولو كان شِعري لاقتراحٍ ملبِّيًا
لعُدَّ عليه الصمتُ عنكم من الظلم
لأنكمُ أوْلى بكلِّ إجابةٍ
لبذلكمُ المجهودَ في خدمةِ القَوم
ولكنَّهُ طبعٌ له وبقاؤهُ
على طبعِهِ يكفيهِ بادرةَ اللَّوْم
وما هو بالباقي على الطبعِ وحدَهُ
على حالتَيْ حربِ الحوادثِ والسِّلْم
ولكن أرى الأشياءَ طُرّاً بقاؤها
على طبعِها من حكم خالقها الحَتْم
فما سَلَبَ النارَ الحرارةَ سالبٌ
ولا حالَ بين الماءِ والرِّيِّ ذو عِلم

****

إليكم عني

يــــروقُكَ كُلُّ مــــأكـــولٍ لــــذيــــذٍ
ومـا تـشـري سـوى جَـشِبِ الـطَّـعـام[1]
فــــقــــلتُ إلـــيــكمُ عـــني فــــحَـــزمي
أبَى من مــســتــطــابــاتي مَـــرامي
أَأُنــــفِقُ مــــا بــــكــــفيّ ثم أغــــشى
لــــنــــيْلِ الــــزّادِ أبــــوابَ الأنــــام
أرى صــبــري عــلى المجْـشُـوبِ أشــهى
إليَّ الــــدهـــرَ من سُـــؤْلِ الـــكــــرام
وقــــد قَـــلَّتْ كــــرامُ الـــنـــاسِ حــــتى
تــكــاد تُــضِــلُّــهم بــين الـلـئـام

****

(١) الجشب: الغليظ الخشن.

العزلة

يــلــومُــنِيَ الــصِّــحــابُ وقــد رَأَوْني
أصُــدُّ عن اجــتــمــاعــاتِ الأنــامِ
فــقــلتُ مَــنــاكــبي قــد أوْهَــنَــتْــهــا
وأوْهَــتْــهــا إطــالاتُ الــزِّحــام
فــلم أحــصُلْ عــلى مــا أشــتــهــيهِ
ولم أســلَم بــهــنَّ من اغــتِــمــام
فــإنّ أســاسَــهــا قــالٌ وقــيلٌ
وكلٌّ وغًى ذَكَتْ فــعَنِ الــكلام[1]
فــملتُ لــعُــزلــتي فــوجــدتُ فــيــهــا
لــنــفــسي مــا تحبُّ من الــسَّلام
فــهل أنــا إن قــبــضتُ عــلى انــفــرادي
بــكلِّ قــوايَ أهلٌ لــلــمَلام
خــشــيتُ الاجــتــمــاعَ ومــا يــؤدّي
إلــيه من مُــمِــضّــاتِ الخِــصــام[2]
فــصــرتُ بــحــيثُ لا زيــدٌ يــراني
ولا عــمــرٌو إلى يــوم الحِــمــام
عــسى أن يــســتِــتبَّ به صــفــائي
وأحــظى من سُــكــوني بــالــمَــرام

(١) الوغى: الحرب. وذكت: اشتعلت.
(٢) الممض: المؤلم الموجع.

وبــعــدَ مــنــيَّــتي يــا قــومُ خُــطّــوا
ضــريــحي بــالخَــلِيِّ من الــرغــام[1]
بــأخْــلَى الأرضِ من حُــرٍّ وعــبــدٍ
عــسى أن اســتــطــيبَ به مُــقــامي
فــلــستُ بــعــزلــتي حــيّــاً ومَــيْــتًــا
أجُــودُ ولــو حُــسِــبْتُ من الــلِّــئــام

****

(١) الرغام: التراب، أو الرمل المختلط بالتراب.

التمويه جبن

إذا ما كاتبٌ أضناهُ حِقدٌ
على قُرنائِهِ بين الأنامِ
هَجاهُمْ ثم سَمّى الهجوَ نقدًا
ليبقى خافياً سوءُ المرام
وتسميةُ الفتى الأشياءَ زورًا
تجر على الفتى ضَعَةَ المقام
فوجهُ القصدِ يُلفى مجتليهِ
جليّاً واضحًا رغم اللثام
وعن جُبْنٍ تكشَّفَ من يُغَطّي
عن الناس العداوةَ بابتسام
فيا من شاقَهُ التضليلُ عمّا
أرادَ بِرَمْيِ مسمومِ السِّهام
دَعِ الدَّعوى فقصدُك غيرُ خافٍ
وهل تُخفي الوغى دعوى السَّلام
أبالقصدِ المموَّهِ وهو لؤمٌ
تُؤَمِّلُ أن تُعَدَّ من الكِرام
فسالِمْ أو فحارِبْ دون سترٍ
فسَتْرُ الحربِ من شيمِ اللِّئام
وثِقْ أنّ العقولَ مهتِّكاتٌ
عن النيّات أستارَ الكلام

✡✡✡✡✡

وكم من كاتبٍ قد حَلّ حُبّاً
محَلاً من قلوب الناس سامِ
إذا مرَّتْ بهم ذكراهُ يومًا
تلقَّوْها بحمدٍ واحترام
غدا يهجو ويدعو الهجوَ نقدًا
لحادٍ من تَشَفٍّ وانتقام
فعادَ له احترامُهُمُ احتقارًا
وأسفَرَ حمدُهُمْ عن شَرٍّ ذام[1]
وكان يَظُنُّ قبحَ القصد يَخفى
بدعوى حُسْنِهِ عند الخصام
ولولا ذاك لم يوقِظ يراعًا
- ليكتبَ نقدَهُ ذا - من مَنام
خَلا - في ظنِّ ناقدِنا المعَمِّي -
من العقلِ المميِّزِ كلُّ هام
وهاتا تهمةٌ لا صفحَ عنها
إذا صَفَحَ الكرامُ عنِ اتِّهام
إذا ما شئتَ أن تبقى حميدًا
فلا تضعِ اسمَ حِلٍّ للحَرام
فما ينسى الورى بحثَ المعاني
إذا ما رِبْنَ تزويرَ الأسامي

****

(١) الذام: الذم والعيب.

عجِّل فإني عجول[1]

لَــعَــمْــرُ فــخــامــةِ الــعــرَبِ الــكِــرامِ
بُــنــاةُ شــواهِــدِ المجــدِ الــضِّــخــامِ
يمـــينٌ في فـــمي تحـــلـــو وتـــأبى
حلاوتُـــهـــا ســـوى صـــدقِ الـــكلام
لـــقـــد فـــكَّـــرتُ في عـــونٍ عـــلى مـــا
دعـــا هـــمِّي فـــلـــبِّى واهـــتـــمـــامي
فـــلم أر مـــثلَ ســـعـــيكَ من مُـــعـــينٍ
يُـــعـــجِّلُ لي به نَـــيْلُ الـــمَـــرام
ونـــعمَ الـــعـــونُ مـــهـــمـــا عَنَّ أمـــرٌ
يـــهمُّ الـــنـــفسَ ســـعيُ أبي عِـــصـــام
أرى طــولَ انــتــظــارِ الأمــرِ ســجــنًــا
يَـــهُـــدُّ تجـــلُّـــدي فـــيهِ مُـــقـــامي
فـــأقـــصَـــرُ يـــومِ مـــنـــتـــظـــرٍ مَلالاً
يُـــقَـــدَّرُ عـــنـــده طـــولاً بِـــعـــام
وإحـــدى الـــراحـــتـــينِ الـــيـــأسُ قَـــولٌ
وجـــيـــهٌ بـــين أمـــثـــال الأنـــام
فـــهل تـــعـــجـــيلُ مـــا أرجـــو يُـــواتي
لِـرَمْي عُـرا انـتـظـاري بـانـفِـصـام[2]

(١) قالها يستنجز وعداً من أحد أصحابه.

(٢) الانفصام: التصدع. والعرا: جمع عروة، وهو ما يوثق به وما يعول عليه.

ومـــــثـــــلُـكَ لا يـــلـــيقُ الحَثُّ مـــنّي
لـه فـي بـــــدءِ أمـــــــرٍ أو خـــــتـــــام
ولـــكـــني خُـــلـــقتُ عَـــجـــولَ طـــبعٍ
وفـي يـــدِهِ - ولـم أخـــتَـــرْ - زِمـــامـي

****

باسم الدين يتصيدون

أقَلّوا من عمائمهِمْ شِباكًا
لصَيْدِ المال من طُرُقِ الحَرامِ
وساعَدَتِ العمائم من لِحاهُمْ
طويلاتٍ ففازوا بالمَرام
تَسَمَّوْا بالديانةِ وهي منهم
على بُعْدِ النجومِ من الرَّغام
وأيُّ ديانةٍ كانت طريقًا
لِسَيْرِ الخادِعينَ إلى الحُطام
وقد خافوا شُموسَ العِلم تبدو
فتُظهِرَهُمْ كما هُمْ للأنام
فراحوا يزعُمونَ بلا حياءٍ
بأنَّ العِلمَ مَجْلَبَةُ الأثام
ولم تَبْرَحْ ملايينُ البَرايا
عليهم في التفافٍ وانضمام
فلا تخدَعْكَ كثرةُ تابعيهم
فأكثرُ ذا الأنام من الطَّغام
وكم غَنَمٍ تراها تابعاتٍ
من الجَزّارِ آثارًا دَوامي
وكم طيرٍ تَرامَتْ في فِخاخٍ
وكم نزل الفَراشُ على ضِرام

فَــدَعْــهُمْ واقْفُ عــقــلكَ فَــهْــوَ أهــدى
وأرشَـــدُ في الجـــلــوسِ وفي الــقــيــام
فـــلـم يُـــوجِـــدْهُ فــــيك الــــلـهُ إلا
لــتــمــيــيــزِ الــضــيــاءِ من الــظَّلام
ســيــنــدَمُ من عــصى مِــنّــا نُــهــاهُ
نــدامَـــةَ مُـــدْمِـــني شُـــرْبِ الـــمُــدام

****

بكاء على المرحوم سالم المبارك

أقـــولُ لمن رأوْا دَمــــعي أخــــيـــرًا
لـــذكـــرى الحُـــرِّ ســـالمٍ الـــكـــريمِ
ورامـــوا بـــالـــتَّـــعـــازي عـــنه حَـــدّاً
لِـمُـشْـجِي دمـعِيَ الجـاري الـسَّـجـوم
وصـــاغـــوا من تـــأسِّـــيـــهم شـــكـــيـمًـا
وصَـعبُ الـدمعِ يـــهـزَأُ بـالـشَّـكـيم[1]
أخـــيـــرًا رمـــتمُ تـــغـــيـــيـــرَ عـــادٍ
مَـــكـــينٍ بـــين أجـــفـــاني قـــديم
ومـــا الـــعـــادُ الـــقـــديمُ وإن حَـــرَصـــتم
بِـمُـتَّـرِكٍ مـدى الـمَـحـيـا لُـزومي
لـــقـــد قَـــدُمَ الـــزمـــانُ عـــلى بـــكـــائي
ولازمـــــني مـلازَمـــــةَ الـــــغـــــريم
وأيــــأسَ كلَّ من يـــرجـــو سُـــلُـــوّي
من الـــرُّفَـــقـــاءِ بـــالـــقـــولِ الحـــكـــيم
بـــكـــيتُ ولم أزل أبـــكي عـــلـــيه
ولَـنْ، حـــتى أصـــيـــرَ إلى رَمـــيم
سَـلـوا - عن دمعِ عـيـني حـين تَـهـمي
غَـمـامَـتُـهـا لـذكـراهُ - حَـمـيـمي
فـــكم عَـــزّى وآسى دون جَـــدوى
يـحـاولُـهـا لمـطـعـونِ الـصَّـمـيم

(١) الشكيم: جمع الشكيمة، الحديدة المعترضة في فم الفرس.

يــقــولُ إلى مــتى تــبــكي كــمــا لَــوْ
فــقــدتَ الــدَّرَّ مِن سِنِّ الــفَــطــيم
وأنت الــيــومَ من كــبــرٍ صــحــيــحًــا
تــكــابــدُ مــثلَ آلام الــســقــيم
فلا تجــمَعْ عــلــيك بُــكًــا وشــيــبًــا
فــجــمــعُــهــمــا أخــو غِبٍّ وخِــيم[1]
ولم يُــمــكن خَلاصٌ من مــشــيبٍ
وأمــكنَ من بُــكــاءٍ لــلــفَــهــيم
ولم أرَ كــالــتــصَــبُّــرِ في الــرَّزايــا
وإن كَــرَبَــتْكَ بــالــوقْعِ الألــيم[2]
يــلــيقُ بمــثــلكَ المــمــدودِ عُــمــرًا
إذا مــا عَــزَّهُ صَــبْــرُ الحــلــيم[3]
وقــد يُــفــضي الــتــصــبُّــرُ ذاتَ يــومٍ
بــصــاحــبِهِ إلى الــصَّــبْــرِ الــمَــروم
وكم سَــلَّى الــتــصَــبُّــرُ عن حــبــيبٍ
فــؤادَ مــحــبِّهِ الآسي الــكــظــيم
فــقــلتُ وأدمــعي تــنــهلُّ حُــزنًــا
وقــلــبي من شــجــوني في جــحــيم
وهل أســطــيعُ لــو حــاولتُ يــومًــا
سُــلُــوَّ الــفــيــلــســوفِ أو الــبَــهــيم
ولــو أني اســتــطــعتُ أبَــتْهُ نــفــسي
فــسُــلــواني من الــغَــدْرِ الــذَّمــيم

(١) الغب: العاقبة. والوخيم: الثقيل المضر.
(٢) كربه: اشتد عليه.

أأسلو من أعانتني لُهاهُ

على شيطانِ إعساري الرَّجيم[1]

وأحسَبَني الكويتَ لدى يديهِ

من الجنّاتِ نافيةِ الهُموم

فلا هَمّاً ولا غَمّاً أراني

زماني طولَ مَحياهُ الوَسيم

وضاقت بي الكويتُ فكنتُ فيها

قُبَيْلَ غِياثِ بارقِهِ المَشيم[2]

أعاني ما يعاني كلُّ أعمى

قليلِ الحَوْلِ مكروبٍ عَديم

فصارت حالِيَ النَّكراءُ حالاً

من الحُسّادِ مُكثِرَةً خُصومي

لبستُ زمانَ مَحْياهُ - لنُعمى

أثارت غيظَهم - ثوبَ الشَّتيم[3]

وما وحدي أطابَ نَداهُ عيشي

وَرَدَّ نثيرَ أُنسِيَ للنظيم

ولكن عَمَّ حتى صارَ شكري

حقيرًا حولَ شُكرانِ العُموم

يزورُ السَّمْعَ ما أصفى ثناءً

عليه نتيجةَ البِرِّ العَميم

فكم بمديحِهِ قد هَزَّ عِطْفي

رخيمُ الصوتِ أو غيرُ الرَّخيم

(١) اللها: جمع اللهوة، العطايا.

(٢) المشيم: المنظور إليه، يقال شام البرق: نظر إليه أين يتجه وأين يمطر.

(٣) الشتيم: الأسد.

وأيُّ القومِ لم يَهْزُزْهُ مثلي
قَويمُ مديحِ ذي الخُلُقِ القَويم
وأيُّ مكارمٍ عَظُمَتْ وجَلَّتْ
بها للقومِ لم يَكُ بالزَّعيم[1]
وإنّي بعضُ ما يُمناهُ عادت
بمرعاهُ لمخضَرِّ الهَشيم
فكان مُقَرِّبَ الآمال منّي
ومُبعِدَ يأسِيَ النامي الغُموم
ولو لم أعترِفْ بالفضل هذا
لِمُفضِلِه لأنكرَني أَديمي[2]
ثَنى لَدْنًا رجائي النيلَ جَزْلاً
لديه وكان قبلُ من الهَزيم[3]
فمَحيا سالمٍ مَحيا الأماني
لشتّى آمليهِ وللضَّميم[4]
فقَبْلَ حِمامِهِ لم نُرْمَ طُرّاً
لِمَقعَدِنا من [الشَّرِّ] المُقيم
ملاذًا كان من نُوَبِ الليالي
لمن منهنَّ رُوِّعَ بالهُجوم
ولا سِيما اليتامى والأيامى
وكُلِّ مُصابِ نائبةٍ أميم[5]

---

(١) الزعيم: الرئيس، وأيضا الكفيل.

(٢) الأديم: الجلد.

(٣) الهزيم: صوت الرعد. والهزيم: المنهزم.

(٤) الضميم: الصاحب

فـــكلٌّ يـــتـــيـــمـــةٍ نـــاحَتْ عـــلـــيهِ
وأرمـــلـــةٍ وكلُّ فـــتًى يـــتـــيم
ويُـــعـــذَرُ من يـــنـــوحُ عـــلى مُـــحـــيلٍ
نـــســـيـــمًـــا مـــا دَهَـــاهُ من الـــسَّـــمـــوم
وأمـــا رِفْـــقُهُ بـــالحُـــكمِ فـــيـــنـــا
فـــصُـــنْعُ أبٍ - بـــأولادٍ - رَحـــيـم
لـــذا كُـــنّـــا نُـــفَـــدِّيهِ ونَـــفْـــدي
عُلاهُ بـــالجـــلـــيلِ وبـــالـــعـــظـــيم
وإن يَـــغْـــضَبْ عـــلى أحَـــدٍ لأمـــرٍ
جَـــلِيٍّ لـــلـــمـــواطنِ أو كَـــتِـــيم
نـــظـــرتَ فلا تَـــرى مـــنّـــا جـــمـــيـــعًـــا
ســـوى قـــالٍ لـــمُـــغـــضِـــبِهِ خَـــصـــيم[1]
فـــلم يـــغـــضبْ لـــغـــيـــرِ الحَقِّ يـــومًـــا
ومـــا فـــيـــهـــا بـــذاكَ ســـوى عـــلـــيـم
وكـــان الـــبـــدْرَ في قَـــوْمي إذا مـــا
تَـــدَجَّتْ لـــيـــلـــةُ الأمـــرِ الجَـــســـيـم
وكـــان الـــكلُّ مـــنّـــا مـــســـتـــضـــيـــئًـــا
بـــنـــورِ هُـــداهُ مـــعـــمِـــيَـــةُ الـــظُّـــلـــوم
فـــكم مـــنه ظـــفـــرتُ بـــنـــصـــحٍ هـــادٍ
مـــتـــابعِ نـــصـــحِهِ الـــهـــادي مُـــديم
فـــمن إرشـــادِهِ أن قـــال أقـــبِلْ
عـــلى آدابِـــنـــا بـــينَ الـــعُـــلـــوم
فـــطـــبـــعُكَ مـــســـتـــعـــدٌّ لـــلـــتـــقـــوّي
بـــقَـــومِيٍّ من الأدبِ الـــفَـــخـــيم

(١) القالي: المبغض. والخصيم: المخاصم.

وبـــاســـتـــعـــدادكَ الـــبـــادي إذا لم
تُـحَـصِّـلْهُ لِـعُـذرِكَ بـالـمُـسـيم
لـــعـــلَّكَ أن تُـــجَـــدِّدَ ذكـــرَ مـــجـــدٍ
لـقـومٍ كـالـشُّـمـوسِ وكـالـغـيـوم
فـــحـــسنُ مـــآثـــرِ الأسلافِ ممَّن
نَـمَـتْـهُمْ مـثلُ تـغـلِبَ أو تَـمـيم
يـــزيـــدُ جـــديـــدُ ذكـــراهُ وإن لم
يَـزَلْ حَيَّ المـعـالِمِ والـرُّسـوم
فُـروعَـهُمُ اغـتـبـاطًـا حـين يـدنـو
إلـيـهمِ من يـفـاخِـرُ بـالأَروم
فـبـعضُ مـحـاسِنِ الأجـدادِ تـخـفى
كـمـا تَـخـفى الأزاهـرُ بـالجـمـيم[1]
عـلى مَن عَن تَـتَـبُّـعِـهِنَّ مـالـوا
بـكـيـدٍ من أعـاديـهِمْ مَـشـوم
وشَـروى نُـصـحِهِ هـذا كـثـيـرٌ
وكم أحـيـا بهِ مَـيْتَ الـعُـزوم
ونـافعُ كلِّ إرشـادٍ كـفـيلٌ
لِـمُـسْـدِيهِ بـحُبِّ كـريمِ خِـيم
فـإن لم تـلـقَـني مـا عـشتُ أبـكي
كـعـادةِ كل ذي قـلبٍ كـلـيم
فـلستُ – كـمـا يـقـولُ الـنـاس عـني
ومـنـهم أنتَ – ذا وُدٍّ سَـلـيم
ولا ذاك الـوَفِـيَّ لـكلِّ حُـرٍّ
أبَى غـيـرَ الـوفـاءِ المـسـتـقـيم

---

(1) الجميم: النبت الكثير.

فلا شَحَّتْ بأدمُعِها جُفوني
على جالي دُجى الخطبِ البَهيم
فشُحُّ العينِ - إذ يُودي كريمٌ
كثيرُ النفعِ - من شِيَمِ اللئيم
فقال لي الحميمُ وقد تَراءى
سُلُوّي عنه في بُعْدِ النُّجوم
لعَمْرُ فقيدِنا ما أنتَ مهما
أسَلْتَ عليه دمعَكَ بالمُليم[1]
ولو كان البكاءُ يفيدُ لمّا
أكُنْ لبُكاك غيرَ المستديم
فأجدَرُ من بكيتَ عليه حُرٌّ
أنالَ العِزَّ كلَّ فتًى مُضيم[2]
وما تركتْ حياةُ الشيخِ حزنًا
لذي حُزنٍ على حَقٍّ هَضيم
وألسِنَةُ المكارمِ ما دَعَتهُ
لوصفٍ غيرَ يا قَرْمِ القُروم[3]
وما ذُقنا إلى أن مات طعمًا
من الأحزانِ يقتلُ كالسُّموم
وقد ذُقنا طُعومَ الحُزنِ شَتّى
ولا كالطعمِ هذا في الطُّعوم
أذابَتْنا لظى الأشجانِ لمّا
له خَطُّوا منامًا بالقَدوم

(١) المليم: الفاعل ما يستحق عليه اللوم.
(٢) المضيم: المقهور.
(٣) القرم: السيد والعظيم.

يَـــهـــونُ الـــلَّـــفْحُ إلا حـــين يُـــذْكي

فَمُ الـــشَّـــجَنِ الحـــرارةَ بـــالأُزوم[1]

ألم تَـرَ لـفـحَـهـا يَـشـوي نـفـوسًـا

له ضـــاقت بـــهـــا سَـــعَـــةُ الجُـــســـوم

وكـــاد بِـــجُـــلِّـــهـــا يمـضـي فـتُـدعى

لـــيـــالـــيـــهـــا بـــأوقـــاتِ الحُـــســـوم[2]

ولـــكنْ لـــفـــحُـــهـــا الـــمُـــردي ثَـــنَـــتْهُ

حـــيـــاةُ بـــنـــيـــهِ بَـــعْـــدُ إلى نـــســـيم

****

(١) الأزوم: العض.

(٢) الحسوم: الشؤم.

خير ناد[1]

شُــغِــفْتَ بــكلِّ إصلاحٍ جــلــيلِ
مــنــافــعُه تــعــود عــلى الــعُــمــومِ
أقــمتَ الــيــومَ يــوسفُ خــيــرَ نــادٍ
تــقــومُ به مُــذاكَــرَةُ الــعُــلــوم
وذلك خــيــرُ مــنــهــاجٍ يُــؤَدّي
بــني وطــني إلى الخــيــرِ الــعَــمــيم
ومــا لــلــعِــلم لا يُــثــني عــلى مَن
غــدا لــســعــادةٍ أزكى مُــقــيم
وَبَــوَّأَ في الــكــويتِ الــعِــلمَ دارًا
يَــشِحُّ بــهــا الحَــمــيمُ عــلى الحَــمــيم

****

(١) قالها في يوسف بن عيسى القناعي ويشير إلى بعض مساعيه في تأسيس المكتبة الأهلية.

نظرة في السر الأزلي

تـــــبـــــاركَ من أدارَ الخـــــلقَ طُـــــرّاً
بـــحـــكــمـــتِهِ وكـــاتَــمَـــهــا الأنـــامـــا
فـــنـــاسٌ في بـــحـــورِ الـــرزقِ غَـــرْقَى
ونـــاسٌ حـــولَـــهم تـــشـــكـــو الأُوامـــا[1]
وبـــعضٌ في جـحـيمِ الـعُـسـرِ يَـصـلى
وبـــعضٌ في جِـنـانِ الـيُـسـرِ دامـا
ولـــولا أنَّ بـــالمـــوت اتِّـــســـاءً
لأنـــزرنـــا بـــأوفـــرِنـــا حُـــطـــامـــا
لـــكـــان الانـــتـــحـــارُ أخَفَّ شيءٍ
عـلى الـبـؤسـاءِ حُـزنًـا واغـتِـمـامـا
فـلم تُـبـصِـرْ من الـبـؤسـاءِ شـيـخًـا
يُـــمَـــتَّعُ بـــالحـــيـــاة ولا غُلامـــا
وإلاّ جَـــرَّدوا حـــسَـــدًا وغـــيـــظًـــا
عـلى الـمُـثـرينَ لـلـحـربِ الحُـسـامـا
فـــلم يَـــدَعـــوا بـــراحـــتِهِ غـــنـــيّـــاً
ولم يَـــذَروا عـــلـــى أرضٍ سلامـــا
ولـــكن جَلَّ مَن أجـــرى - فـــأرضى
بَـرايـاهُ بـحـكـمـتِهِ - الـنِّـظـامـا
نـــظـــامًـــا أقـــعَـــدَ الحـــكـــمـــاءَ ممَّن
أرادوا عِـــلْمَ حـــكـــمـــتِهِ قـــيـــامـــا

---

(١) الأوام: العطش.

أحَـبُّـوا عـلـمَ حـكـمـتِهِ قـديمًـا
فـمـاتـوا دون مَـلْـقـاهـا هُـيـامـا
فـحـكـمـةُ هـذه الـنُّـظُمِ اسـتـسَـرَّتْ
فـلـم يـكـشف لـهـا أحَـدٌ لـثـامـا
يـقـولُ بـكُـنـهِـهـا الحـكـمـاءُ ظَـنًّـا
وعِـلْمُ الـكُـنْـهِ عـنـهـم قـد تَـرامى
وهل تُـبـدي ظـنـون الـقـوم أمـرًا
عـلـيه الـلـهُ أسـبَغَ الاكـتِـتـامـا
فـغـايـةُ بـاحـثي الأمـر انـبـهـارٌ
إذا جَـدُّوا بـبـحـثِـهِمُ اعـتِـزامـا
كـمَـبْـدَئِهِ بلا شيءٍ تَـراهُ
يُـصـادفُ بـاحثُ الأمـرِ الخِـتـامـا
أقـولُ لُـمـوقِـظي والخـطبُ داجٍ
به أيْـقـاظُهُ حَـكَتِ الـنِّـيـامـا
لـعَـمـرُكَ لـستَ لي خِلاً وفـيّـاً
إذا أزعـجتَ عن عـيـني المـنـامـا
فـدَعـني فـالمـنـامُ ألـذُّ شيءٍ
إلى أن يـجـلُـوَ الـنـورُ الـظَّلامـا
هـنـيـئًـا للأُلى مـنـا اسـتَـدامـوا
بـلـيلِ الـلـهـوِ نَـوْمَـهُمُ فَـدامـا
فـقـد فـازوا بـراحـتِـهِمْ ولاقَـوْا
كـمـا يَـهْـوَوْنَ في الـنـوم الجِـمـامـا[1]
وبـات الـسـاهـرونَ عـلى عَـنـاءٍ
ولم يـقـضـوا عـلى الـسـهَـر الـمَـرامـا

****

(١) الجمام: الراحة.

لزوم البيت[1]

لـــزومُ الـــبـــيتِ للأعـــمى ســـبـــيلٌ
إلى راحـــاتِه، وإلى الـــســلامَهْ
فلا يَـــسْـــرَحْ ضـــريـــرٌ من ذَرَاهُ
فـــغـــايـــةُ مَـــسْـــرَحِ الأعـــمى نَـــدامه[2]
يُـــصـــادفُهُ فَـــيَـــقْـــعَـــصُهُ حـــمـــارٌ
عـــلـــيه مـــثـــلُهُ بـــادي الـــفَـــدامه
وكم تَـــنْـــغَطُّ رِجلاهُ بِـــرَوْثٍ
على الـطُّـرُقـاتِ مُـلـقًى، أو قِـمـامه
وكم مـــاءٍ مُـــراقٍ كُلُّ أعـــمى
يـصـادفُ فـيه - إن يَـعْـثُـرْ - حِـمـامه
يُـسَـحْـسِـحُهَ عـلى الـمـنـهـاج وَغْـدٌ
عـــلـــيه من غـــبـــاوتـهِ عَلامه
لـه رأسٌ ولـــكنْ لـــيس فـــيهِ
مـــرورٌ لـــلـــحـــجـــا بْـــلْهَ الإقـــامه
يُـــقـــلِّـــبُهُ خـــلـــيّـــاً من نُـــهـــاهُ
خـــفـــيفُ الـــوزن تَـــرجَـــحُهُ الـــقُلامه
ولـــكن فـــيه لـــلـــعـــمـــيـــانِ شَـــرٌّ
دوامًـــا تـــشـــتـــكي الـــعُـــمْيُ اضـــطـــرامَه

(١) قالها وقد عثر بماء حول أحد البيوت.
(٢) الذرا: فناء الدار ونواحيها.

إذا هَـــــبَّتْ عـــــلـــــيه ريحُ نُـــــصحٍ
فلا يـــأمنْ مـــثـــيـــروهـــا احـــتِـــدامَه
فلا ظَـــفِـــرتْ يمـــــينُ أبي شُـــعَـــيْثٍ
بـــخـــيـــرٍ يـــرتجـــيهِ ولا كـــرامه[1]

****

(١) أبوشعيث: هو صاحب البيت المشار إليه.

لا تنس صقراً[1]

أَوالٌ لـم تُـــــكَــــــرِّمْ مــــــنكَ إلاّ
جــديــرًا مــســتــحِــقًّــا لــلــكــرامَهْ
وإن يَــبْــسِمْ عَــبــوسُ الــدهــرِ فــيــهــا
لــشــخــصكَ يــا ابنَ أحــمــد ذي الــشــهــامه
فلا عـــجبٌ فـــأهـــلـــوهـــا قـــديمًـــا
أحَـــلّـــوا كل ذي شـــرَفٍ مَـــقـــامه
فــيــا لــيتَ الــكــويتَ، ولــيتَ لــيــستْ
تُـــنـــيلُ من المـــنى شَـــروى قُلامه[2]
تُــقَــلِّــدُ أخــتَــهــا الــبــحــرينِ فــيــمــا
يُـــبَـــلِّغُ حُـــرَّهـــا فــيــهــا مَــرامه

---

(١) أرسلها للشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت يوم كان في البحرين وذلك في شهر المحرم سنة ١٣٤٨هـ، وقد أرسل القصيدة مرفقة برسالة هذا نصها: «.. تحية وسلامًا وشوقًا واحترامًا. لله در حوادث الزمان وخطوبه وتقلباته وتصرفاته فلقد تفيد الإنسان من العلم بالأشياء ما لا تفيده إياه مدارس البشر وجامعاته وأجدر ما أنا ضارب لك من الأمثلة وأحدثه في هذا الشأن هذا المثال: وهو أنني كنت أسمع بقولهم المرء شريك صديقه فيما يحصل له من الأنس والسرور وفيما ينزل به من الأتراح والأكدار وكنت في شك من هذا لأني أعتقد أن زيداً لا يشبع إذا حبس عنه الأكل مهما أكل عمرو حتى أخذت الأخبار ترد علي بما أنت فيه من الغبطة والسرور فإذا بقلبي تجاه تلك الأخبار يكاد يرقص طربًا وسروراً فعلمت صدق ما يقولون. المرء شريك صديقه في كل شيء وألوي بشكي تمام اليقين بأن الشؤون المعنوية لا تقاس بالشؤون المادية. فأتم الله عليك نعمه. عزيزي هذه القصيدة التي كانت ضمن الكتاب الذي أضاعه (...) وإليك معنى ما حواه ذلك الكتاب المضاع باختصار إن وقعت عندك هذه القصيدة موقع الاستحسان فأنت في حل من نشرها وإلا فغير عجيب أن يأتي بالمستهجن من الشعر شاعر يكابد من مضض الفقر وإرماض الفاقة ما الله به عليم».

(٢) الشروى: المثل.

فــيَــلــقى كلُّ ذي نُــصحٍ صَــريحٍ
بــهــا إن أخــفَقَ الــنُّــصْحُ الــسَّلامَه
وإن تَــنــفعْ نــصــيــحــتُهُ تَــلَــقَّتْ
بــشــكــرٍ في نــصــائــحِه قــيــامَه
هــنــاك يــطــيبُ نــفــسًا عن سِــواهــا
بــهــا مــســتــهــجنٌ فــيــهــا الإقــامَه
وهل يَــرضى صــريحُ الــنُّــصْحِ أرضًــا
بــهــا تُــدني صــراحــتُهُ حِــمــامَه
تُــقــيمُ عــلــيه - مــهــمــا قــال حَــقّــاً
يــريــدُ بــهــا مَــصــالِــحَــهــا - الــقــيامَه
تَــشــيلُ بــهــا نَــعــامَــةُ كلِّ نُــصْحٍ
وتُــســكِنُ من ذويه كُلَّ نَــامَه[1]
يــقــولُ بــهــا لــســانُ الحــالِ جَــهــرًا
هــنــا يــلــقى أخــو الــنُّصحِ اخــتِرامَه[2]
ويَــلــقى كــلُّ ذي غِشٍّ ومَــكْــرٍ
كــمــا يــهــوى مُــنــاهُ واحــتــرامَه
فــلــيــتكَ إذ رحــلــتَ إلى «أَوالٍ»
جَــذَبتَ إلــيك من صَــقْــرٍ زِمــامَه
فــمُــنْــيَــتُهُ الــتَّــرَحُّلُ عن بلادٍ
بــهــا مَــشــقــاهُ لم يُــغــمِــدْ حُــسامَه
شــكــا فــيــهــا المــقــامَ وأنت دانٍ
تُــخَــفِّفُ عــنه مــا اغــتَمَّ اغــتِمــامَه

(١) النامة: مخفف النأمة وهي الصوت.

(٢) اخترمه اخترامًا: أهلكه، والاخترام: الإهلاك.

فـــكـــيف بهِ ونـــأيُكَ عـــنه أضـــحى
يُـــجَـــرِّعُهُ لــيَـــصـــرعَهُ سِـــمـــامه
أمـــا يـــكــفـــيهِ رامي الـــدهـــرِ حـــتى
تـــزيـــدَ ســـهـــامَ نَـــأيِـــكَهُ سِـــهـــامَه
فـــــذكــــرُك مــــالئٌ فـــاهُ دوامًـــــا
وحُــــبُّكَ مــــالئٌ حـــــتى عـــظـــامه
فـــإن يَكُ جَـــذْبُ صـــقـــرٍ غـــيـــرُ ســـهلٍ
فلا تـــخـــفِـــرْ بِـــنَـــســـيِـــكَهُ ذِمـــامَه
ومـــثـــلُكَ لـــيس يـــنـــسى مـــثلَ صـــقـــرٍ
إذا قَـــيْنُ الـــنـــوى شَـــحَـــذَ اعـــتِـــزامَه[1]
ولـــــكـــــني مُـــــنـــــيتُ بـــســــوءِ حَظٍّ
يُـصـــادِمُـــني بمـــا أخـــشى اصـــطِـدامَه
وأخْـــوَفُ مـــا أخـــافُ الـــنَّـــسْيَ ممَّن
هـــــــواهُ كـــــــان لـي أزكى عَـلامَـه
إذا هَـــــدَّ الـــــفـــــراقُ نـــــظـــــامَ حُبٍّ
فـــبُـــعـــدُكَ شَـــدَّ من حُـــبّي نـــظـــامَه
وإمّـــــا قـــــالَ غـــــيـــــري ذو غـــــرامٍ
«أتـــرعى في الحـــشى يـــا ريمَ رامَه»[2]
فـــغـــيـــرُكَ غـــيـــرُ حُـــبِّكَ مـــا رَعـــاهُ
وغـــيـــرُ هـــواكَ لم يـــســـكن خِـــيـــامَه

****

(١) القين: الحداد.

(٢) الريم: الظبي. ورامة: مكان. والشطر لعبدالله بن علي بن عبدالقادر، شاعر أحسائي توفي عام ١٩٢٥م

نفسي تحن إلى لقائك

أراكَ عَـلَيَّ بـالـمَـلـقى بـخـيلاً
وشـيـمـتُكَ الـسـمـاحـةُ لـلـمُـواطِنْ
ألم أعـهَـدْكَ تـبـذلُ كلَّ غـالٍ
لإحـيـاءِ الأُلـى تحـوي الـمَـواطِن
فـمـا لَكَ بـالـلـقـاء وذاكَ يُـحـيي
صـديـقَكَ يـا ابن أحـمـد جِـدَّ شـاطِنِ[1]
أُجِـلُّكَ أن تَـمَلَّ حـيـاةَ خِلٍّ
وِدادَكَ مـنه في الأحـشـاءِ قـاطِن
فـتـعـربُ عن جَـفـاءِ كـنتُ أهـوى
بـجَـدْعِ الأنفِ أنَّكَ عـنه راطِن
تُـواصِلُ من يَـوَدُّكَ غـيـرَ صـقـرٍ
فـهل لـوِدادِ صـقـرٍ لـستَ فـاطِن
لكَ الأشـعـارُ تُـظـهِـرُ بـعضَ حُـبّي
وأكـثَـرُهُ لـعَـمْـرُ الـلـهِ بـاطِن
تَـحِنُّ إلى لـقـاكَ الـعـذبِ نـفـسي
حـنـينَ الـعـيسِ يَـشـتَـقْنَ الـمَـعـاطِن[2]

****

(١) شطن فهو شاطن بعد.

(٢) العيس: الإبل. والمعاطن: مبارك الإبل.

يضر النصح

يَـضُـرُّ الـنُّـصْحُ في هـذا الـزمـانِ
فـيـا لـيـتي خُـلِـقْتُ بلا لِـسـانِ
إذا مـا قـمتُ أنـصحُ بـين قـومي
لَـقُـوني بـالأذيَّـةِ والـهَـوان
وكم قـد رُمْتُ غِـشَّـهُمُ فـيـأبى
عـليَّ الـغِشَّ آبٍ من جَـنـاني
وجَـدتُـهُمُ عـلى الـنُّصَـحـاء مـنـهم
يَـصُـبّـون الـعـذابَ بلا تَـوان
وأمّـا مَن يـغـشُّـهُمُ فـهـذا
له مـا بـيـنـهم أعـلى مـكـان
فـهل عَـدِمَتْ رؤوسـهمُ نُـهـاهـا
فـمـالـوا لـلـهـجـينِ عن الـهِـجـان[1]
أصـيح بـهم إلى الـعـلـيـاء سِـيـروا
وجِـدّوا فـالـعُلا لـيـست لِـوان
وأحـسَنُ مـا يـؤدِّيـكم إلـيـهـا
من الأسـبـابِ مـا الـعِـرفـانُ بـان
فـفي عِـزِّ الـمـعـارفِ كلُّ شـعبٍ
يـنـالُ الـسَّـبقَ أيـامَ الـرِّهـان
ولـولا الـعِـلمُ لم يُـنـتِج رجـالاً
تَـسـودُ الـمـشـرقـينِ الـمَـغْـرِبـان

(١) الهجين: اللئيم، ومن أبوه أصيل وأمه غير أصيلة. والهجان: الكريم والخيار.

وخَلّوا في الديانات افتراقًا
يَؤول بكم إلى الحربِ العَوان
وَدِينوا من تَكاتُفِكم بدِينٍ
لَكَمْ يلقى التقدُّمُ بالعِنان
فما غيرُ التفرُّقِ من حسامٍ
تَبيدُ به الشعوبُ ولا سِنان
فتسلُقُني بألسنةٍ حِدادٍ
كأني يا عِبادَ اللهِ جان
يَرَوْنَ بأنّني قد جئتُ أمرًا
به تخلو من الدِّينِ المَغاني
فهل يقضي صحيحُ الدِّينِ أن لا
نكونَ من التخالُفِ في أمان
إذاً فالدِّينُ إعدامٌ وإلا
فإنَّ الدِّينَ للإعدامِ ثان
يكادُ اليأس يقعُدُ بي ويَقضي
لما منهم أراهُ على بَياني
فأُعرِضُ عن نصائحهِمْ إلى أن
أسيرَ من الحِمام على حِصان
ولكني أقول لعلَّ قومي
جمودهم - وإن قد طال - فان
وإن يَعْقَمْ بحاضرِهم رجائي
ففي الآتي سَتُنْتَجُ لي الأماني

****

لهفي على الفصحى[1]

مـــا زلتُ أســـمعُ لحنَ ذا الـــلَّـــحَّـــانِ
حـــتى لـــكِـــدتُ أذوبُ من أشـــجـــاني
لـم يُـــــلْقِ من بـــــيتٍ عـــــلى طُلابِهِ
إلا وشـــــانَ الـــــبـــــيتَ بـــالألحـــان
تَـدريـسهُ الـفُـصـحى الـعـزيـزةَ جـانـيًا
ممـــا يُـــعـــرِّض عِـــزَّهـــا لـــهَـــوان
خَـــدَعتْ بـــني قَـــوْمي شـــهـــادتُهُ الـــتي
شـــهِـــدَتْ له بـــالـــعـــلـمِ والـــعِـــرفـــان
وإذا بـــإصـــغـــائي إلى تـــدريـــسهِ
يَـــعْـــزو شـــهـــادَتَهُ إلى الـــبُـــطلان
إن لم يـــكن نـــالَ الـــشـــهـــادةَ ذا الـــفـــتى
زورًا فـــآفـــتُهُ من الـــنِّـــســـيـــان
وعـــلى كِلا الأمـــرين لـــيس بـــصـــالحٍ
لـــسوى تَـــتَـــلْـــمُـــذِهِ الجـــديـــدِ الـــثـــاني
فـــلـــيـــنـــصـــرفْ من حـــيثُ جـــاء فـــلم يَـــزَلْ
مـــنه الـــتَّـــعَـــلُّمُ بَـــعْـــدُ في الإمـــكـــان
إنْ تَـــعْلُ صـــبـــيـــانَ المـــدارسِ ســـنُّهُ
فـــالجـــهلُ يُـــدنـــيهِ من الـــصِّـــبـــيـــان

(١) زار المدرسة المباركية وجلس على كرسي كان قريبا من أحد الفصول، وسمع مدرس الفصل الذي كان في تلك الساعة يلقي درساً في اللغة العربية، وكان كثير اللحن فقال هذه القصيدة.

لـهـفي عـلـى الـفـصـحـى يُـدَرِّسُـهـا امـرؤٌ

تـــدريـــسُهُ ضَـــربٌ من الـــهَـــذَيـــان

وعـــلـى تلامــيــذٍ نُــحِبّ ثــبـــاتَـــهـــا

مــنـــهم مـــدى الأعـــمـــارِ في الأذهـــان

يـــا قـــومِ إن لم تُـــبْـــدِلـــوهُ بمُـــحـــسِنٍ

تـــعـــلـــيـــمَهُ الأبـــنـــاءَ ذي إتـــقـــان

عـظُـمَتْ نـدامـتـكم عـلـى تـفـريـطِـكُمْ

وعـلـى الـتـسـاهُلِ مُـعْـقِبِ الخُـسـران

إنـــا لـــنـــأمل في بَـــنـــيـــنـــا أن يُـــرَوْا

وهُمُ من الـــفـــصـــحى بـــخـــيـــرِ مـــكـــان

كي يُـظـهِـروا من حُـسـنِـهـا وجَـمـالِـهـا

مـــا أضـــمـــرَتْهُ حـــوادثُ الأزمـــان

ويـــقـــومَ كلُّ مـــنـــهُمُ بـــنـــصـــيـــبِهِ

من بَـــثِّـــهـــا مـــا اســـطـــاعَ في الإخـــوان

حـــتى يَـــتِمَّ ظـــهـــورُهـــا فـــظـــهـــورُهـــا

صِـــلَـــةٌ لـــقـــاصي قَـــوْمِـــنـــا بـــالـــدَّاني

الـوحـدةُ الـكـبـرى الـتي تحـقـيـقُـهـا

مـــا زال حـــتى الـــيـــومِ وهْـــوَ أمـــاني

لُـــغَـــةُ الجُـــدودِ أهَمُّ مـــا يَـــدنـــو بهِ

ويُـــرَدُّ غـــائبُ وجـــهِهِ لـــعِـــيـــان

فـعَلامَ نـتـركـهـا لـذي جـهلٍ غـدَتْ

مـــنه تُـــكـــابِـــدُ شِـــقْـــوةً وتُـــعـــاني؟

أوَمـا عـلـمـتم أنـهـا مـا بـيـنـنـا

تُـمـسي وتُـضـحي وهْيَ خـيـرُ لِـسـان

لم نَـدْرِ لـو لم نَـسْعَ نـحـوَ حـديـثِـهـا
مـا مَـجـدُ يـعـربَ أو عُلا عـدنـان؟

☆☆☆☆

يـا أيـهـا الـلـغـةُ الجـمـيـلـةُ إنـني
مُـغـرَى الـفـؤاد بـحـسـنِكِ الـفَـتّـان
لا حُـسْنَ إلا حُـسْنُ وجـهِكِ جـامعٌ
مـا بـين قـلـبي الـدهـرَ والـهَـيَـمـان
ألـقى جَـنـاني حُبَّ غـيـرِكِ مـذ رأت
سِـرَّ الجـمـالِ لـديك عَـيْنُ جَـنـاني
مـا كـان مـني الـقـلبُ لـولا خـوفُهُ
من أن تُـسـائي دائمَ الخَـفَـقـان
مـا عـنكِ سـلـوانٌ إليَّ بـنـافـذٍ
فـهَـواك سَـدَّ مـنـافِـذَ الـسُّـلـوان
الحُـسْنُ والإحـسـانُ فـيكِ تـكـامَلا
والحُـرُّ عـبـدُالحُـسْنِ والإحـسـان
مـا فـاتَ وجـهَكِ مـنـهـمـا من بـعـدِ مـا
فـيه تَـجَـلّى مـعـجـزُ الـقـرآن
فـلـو اكـتـفـيتِ كـفـاكِ ذاكَ مـزيَّـةً
مـا عَنَّ بـين الـنـاس ذكـرُ بَـيـان[1]
لـكن أَبَـيتِ سـوى مـتـابـعـةِ الـذي
تُـولـينَ من مـعـروفِكِ المـتَـداني
كم تَـطـلُـعـين وكم طَـلَـعتِ مُـذيـعـةً
فـيـنـا غـرائبَ مُـغْـرِبٍ فَـنّـان

(١) عنَّ: ظهر.

كم جـئـتـنـا من شـاعـرٍ أو كـاتبٍ

بـصـنـائعٍ تَـرْبـو عـلى الـشُّـكْـرانِ

مـا حَـمَّلاكِ حَـمَـلْـتِهِ من كلِّ مـا

جـاءاهُ حَـقًّـا أو خـيـالِ مَـعـان

مـا استَنجـداكِ لنشر مـا يُعيي اللُّغى

يـومًـا فـعـادا مـنكِ بـالخِـذلان

لكِ - بـالجـلـيل وبـالـدقـيق من الـذي

يَطوي عـلى الـعـجـزِ الـلُّـغـاتِ - يَدان

سَـعَـةُ المـغـاني لـلـمـعـاني لم تَـزَلْ

لكِ دون غـيـركِ من لُـغى الـعُـمْـران

صَـدَقَ المـشَـبِّهُ بـالـفـضـاء الـرَّحْبِ مـا

لا قـاهُ عـنـدكِ من رحـيبِ لَـبـان[1]

مـا فَـصَّـلَتْ لـغـةٌ لمـعـنى مَـلْـبَـسًـا

ممـا تَـحـيكُ يـلـيقُ بـالـعُـريـان

إلا وجـئتِ بـسـتَّـةٍ أو سـبـعـةٍ

تَـزْهـوهُ بـالأكـمـام والأردان

إن جـاورتكِ ثـقـيـلـةٌ فـلَـطـالَـمـا

جـارَ الحـصى بِـجِـوارِهِ لجُـمـان

أو فـاخـرتكِ بمـا أراهـا بـعـضُـنـا

من رغـبـةٍ في الـوصلِ أو مَـيَلان

وبِـشـركِـهـا لكِ في الـعـنـايـة عن هَـوًى

قـد أحـدثَـتْهُ لـهـا يَـدُ الحَـدَثـان

وبِـنَـيْلِ مـا ظَـنَّـتْهُ نـهـجًـا مُـفـضِـيًـا

بـكُـمـا مـعًـا لـضـمـائـرِ الـوِلـدان

---

(١) اللبان: الصدر.

فـــلـــكُلِّ جِـــدَّةِ عـــهـــدِ شيءٍ لَـــذَّةٌ

يَـــجِـــدونَـــهـــا لـــكـــنـــهـــا لأوان

فـــإذا مـــضى هـــذا الأوانُ فـــبَـــعـــدَهُ

مـــا اســتـشـعَـروهُ من الـتِـذاذٍ فـــان

فـتـوقَّـعي أن يـرجِـعـوا من قـبلِ أن

يمـــضي ولـــو حـــينٌ من الأحـــيـــان

مـتـمَـثِّـلـينَ لـدى الـرجـوع بـقـولـهِمْ

مَـرعى ولـكن لـيس كـالـسَّـعـدان[1]

فـتـجـاوَزي يـومَ الإنـابـة مـنـهمُ

عن سَـيِّـئـاتِ الـصَّـدِّ والـهِـجـران

فلأنتِ أجـدَرُ حُـرَّةٍ وأحـقُّـهـا

بـالـعـفـو عن ذنبٍ وبـالـغـفـران

فـإلـيك مـرجِعُ كلِّ أقـوامي بمـا

يُـرضـيك من فَـرْطَيْ هـوًى وحَـنـان

وأنـا الـضَّـمِـينُ وقـد عـلـمتِ بـأنـني

ذاكَ المحبُّ فـهل يُـريبُ ضَـمـاني

تـأبى عـليَّ سـوى الـوفـاء صـبـابـةٌ

ألـقتْ إلى يُـمـنى يـديكِ عِـنـاني

أبـدًا سـأبـقى طـوعَ حُـبِّكِ جـاذبًـا

عـنـهـا إلـيكِ مـحـبَّـةَ الـفِـتـيـان

حـتى أرى مـحضَ الـهـوى لك مـطـلـقًـا

فـيـنـا يـديك بـأنـفَـذِ الـسـلـطـان

يَـسـلـوكِ أو يَـسـلـو الـقـيـامَ بـكلِّ مـا

تـسـتَـوجِـبـينَ سـوى فـؤادي الـعـاني

---

(١) السعدان: نبات من أفضل ما ترعاه الإبل ولهذا ضرب به المثل فقيل: مرعى ولا كالسعدان.

لِـــتَــلَـــوُّنٍ غـــيـــري هـــواهُ عُـــرضـــةٌ

أمـــا هـــوايَ فـــغـــيـــرُ ذي ألـــوان

لم تُـبـصِـري مـنـي سـوى مـسـتـسـلمٍ

لـــهـــواكِ مـــغـــتـــبطٍ به جَـــذلان

مـسـتـعـذبٍ خِـدْمـاتِهِ لكِ مـخـلصٍ

في حـــالـــتَـــيْهِ الـــسِّـــرِّ والإعلان

مِـقَـةً تـزيـدُ لكِ الـلـيـالي قـلـبَهُ

لـــو لم تَـــعِـــزَّ زيـــادةُ المـــلآن

إن رَثَّ عـهـدُ هـواكِ عـنـدي أو مـشى

فـيه الـفـتـورُ فـلـستُ من قـحـطـان

تـالـلـهِ يـا لُـغَـتي الـعـزيـزةَ لن تَـرَيْ

مـــني ســـوى ذي نجـــدةٍ مِـــعْـــوان

في حَـلْقِ من يـجـني عـليكِ أنـا الـشَّجَـا

فـــتـــرَبَّـــعي أبـــدًا بِـــظِلِّ أمـــان

أقـفـو كـمـا يـقـضي الـهـوى منكِ الخُـطا

بـالـطـاعـة الـعـمـيـاءِ والإذعـان

إن تـسـخَـطي أسـخَـطْ وإن تَـرْضَـيْ يُـهِبْ

داعي رضـــاكِ إليَّ بـــالـــرِّضـــوان

وكـذا سـأبـقى حـافـظًـا عـهـد الـهـوى

مـــا لم تَـــغِبْ روحي عن الجُـــثـــمـــان

✡✡✡✡✡

إن يَـرْمِـني لَمَّـا انـبـريتُ مـدافـعًـا

عـنكِ الجَـهـول بـأسـهُمِ الـبُـهـتـان

فـــغَـــدا وراحَ يُـــذيعُ عـــني أنـــني

ممن يـــخـــالفُ شِـــرعَـــةَ الأديـــان

فــالــلـه يــعــلـمُ كِــذْبَ مــا هــو قــائلٌ
والــــلـهَ أعـــبُـــدُ لا بَـــنـي الإنـــســـان

وسِلاحُ شَـــــرواهُ عـــــلـى مَن ذَبَّ عن
حَقٍّ أُهـــينَ الـــرَّمـيُ بـــالـــكُـــفـــران

مـــا انـــفَكَّ ذلك دأبُ كلِّ مـــضَـــلِّلٍ
نَــجِسِ الــسـريــرةِ فــاسـدِ الـوُجـدان

يـرمـونَ بـالـكـفـرِ الـبـريءَ لـيـوهِـمـوا
الـــدَّهـــمـــاء أنـــهـمُ ذوو إيمـــان

كم قــد رمى بـالـكـفـر قـبـلـي مـؤمـنًـا
أمـــثـالُ هــذا المـغـرضِ الـشـيـطـان

والـــذنبُ عـــنـــد مـــكـــفِّـــريه جَـــهــرُهُ
بـــنـــصـــائحٍ يـــأتي بـــهنَّ حِـــســـان

إذ ربّـــمـــا آلتْ نـــصـــائـــحُهُ إلى
إظـهـارِ مـا فـيـهم من الـنُّـقـصـان

وظـهـورُ نـقصِ الـنـاقـصـين يَـرُدُّهُمْ
من نَـيْلِ مـا يـرجـون بـالحِـرمـان

يــتـظـاهَـرون لــدى الـسَّـوادِ بـأنّـهم
لـــلـــدِّينِ قـــد عُـــدُّوا من الأركـــان

لـــيــكــونَ ذاك من الـــسَّـــوادِ إلـــيــهمُ
مــنــهــاجَ سَـيْـرِ الأصـفَـرِ الـرَّنَّـان

فـإذا اتَّـقَـوْا من مـصـلحٍ تـنـبـيـهَهُ
لـلـغـافـلـينَ رَمَـوْهُ بـالـكـفـران

كي تَـصـرِفَ الـدهـمـاءُ عـنه وجـوهَـهـا
طَـوْعًـا لـسـوءِ الـظَّنِّ والحِـسْـبـان

ولــكم أشـاحت بـالـوجـوهِ لإفـكِـهِمْ
عـمَّن يـريـدُ بـهـا عُـلُـوَّ الـشَّـان

من يَـزْجُـرُ الـدَّهـمـاءَ عن تـصـديـقـهـا
دعـــوى تُـــســـاق لـــهـــا بلا بُـــرهـــان
من لي بـــأن أســـطـــيعَ في ألـــبـــابِـــهـــا
إدخـــالَ أشـــيـــاءٍ من الـــرُّجْـــحـــان
حـتى تَـرُدَّ مـكـائـدَ الـمُـخـفـين في
صـــورَ الأنـــامِ غـــرائـــزَ الـــذُّؤبـــان
ممَّن لـــديـــهم مـــوتُـــهـــا وحـــيـــاتُـــهـــا
في سُـــبْلِ نَـــيلِ مـــرامِـــهم سِـــيّـــان
الـقـائـمـين من الـديـانـةِ بـاسـمِـهـا
شَـــبَـــكًـــا لـــصـــيـــدِ فلانـــةٍ وفلان
يـا من لـهم حِـيَلٌ عـلى الـشّـيبِ انْـطَـلَت
خـــافـــوا عـــقـــابَ تـــيـــقُّظِ الـــشُّـــبَّـــان
إن لم تـــخـــافـــوا أن تُـــحَـــوِّلَ عـــنـــكمُ
هـــذي المـــآثمُ رحـــمـــةَ الـــرحـــمن
لا تحـــسَـــبـــوا الإمـــهـــالَ إهـــمـــالاً لـــكم
فـــالـــعـــدلُ لا يـــكـــفي جـــزاءَ الجـــاني
والـــلـه أعـــدَلُ عـــادلٍ فـــتـــوقـــعـــوا
مـــنه جـــزاء الـــظـــلـم والـــعُـــدوان
فـلـديه بـادٍ كَـيْـدُكُمُ مـهـمـا ضَـفَت
مـــنـــكم عـــلـــيه ملابسُ الـــكِـــتـــمـــان

****

موجعات البعد[1]

أعـــلــمتَ مــا قـــاسى من الأشـــجــانِ
مـــذ غـبتَ يـا عـبـدَالـعـزيـز جَـنـاني
قـــاسى من الأشـــجـــان بَـــعــدكَ والأسى
مــا وَصْفُ أدنـــاهُ يـــفـــوتُ بَـــيـــاني
لـــو مـــاتَ قـــبلَ أوانِ مـــيـــتـــتِهِ امـــرؤٌ
من مُـــوجِـــعـــاتِ الـــبُـــعـــدِ والأحـــزان
لم تـــتـــرك الآلامُ بَـــعـــدكَ ســـاعـــةً
بَـلْهَ الـسـنـينَ الـرُّوحَ في جُـثـمـاني[2]
لـكنْ مَـنـايـا الخـلـقِ قـبلَ أوانـهـا
مـا لـلـشـجـون بـجـلـبـهنَّ يَـدان
يـا لـيـتـني أسـطـيعُ وصفَ مَـظـاهـر
صَـرْفُ الـبِـعـاد بـهنَّ أمسِ رمـاني
كـيلا تـعـود تجـرُّ أمـثـالَ الـتي
أسـلـفـتُـهـا يـومًـا عـلى الإخـوان
أنَّى وآلام الـــبـــعـــاد تـــواركٌ
ضَـعـفًـا يـعـوقُ عن الـبـيـانِ لـسـاني
فـــكـــأنـــهنَّ أردنَ ألا تـــنـــتـــهي
مـا لم تُـعَنْ بِـكْـرُ الـنـوى بـعَـوان

---

(١) أرسلها إلى صديقه المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت وصاحب مجلة الكويت. وذلك في أحد أسفاره.

(٢) بله: اسم فعل بمعنى دع واترك.

فـــإذا هـــمـــمتَ بـــفـــعلِ ذلك فـلـــتـــكُنْ

مـــــنّـي مُـــــصـــــافِـحَ كَفِّ خِـلٍّ فــــان

وإذا أبـي ضـــعفُ الـــلـــســـانِ وعـــجـــزُهُ

صـــفـــة الـــذي زمنَ الـــبِـــعـــادِ أُعـــاني

أغـــنـــتكَ عن وصـــفـي شُـــجــوني صُـــفـــرةٌ

ألـــوَتْ بـــحـــمـــرةِ لـــونِ وجـــهي الـــقـــاني[1]

فـــانـــظـــر إلى وجـــهي يَـــرُعْكَ شُـــحـــوبُهُ

ويَـــرُعْكَ عن رَمْـــيِي بِـــبُـــعْـــدٍ ثـــان[2]

ولـــئن ثَـــنـــاك عن الـــتَّـــنـــائي مَـــرَّةً

أخـــرى صـــنـــيعُ الـــنـــأيِ بـــالخِلاّن

فلأنتَ أشـــفَـــقُـــنـــا عـــلـى أصـــحـــابهِ

نـــفـــسًـــا وأعـــطـــفُـــنـــا عـــلى الأخـــدان

✡✡✡✡✡

أنـــسى ادِّكـــارُ الـــبـــينِ لـــفظَ تحـــيَّـــةٍ

أعـــددته فـــاعْـــذُرْ عـــلى الـــنِّـــســـيـــان

وأظنُّ مـــا أعـــددتُ أهلاً مَـــرحـــبًـــا

ســـهلاً وإلا فَـــهْـــوَ هُـنَّ مَـــعـــاني

وإذا نـــســـيتُ لـــذكـــرِ أهـــوالٍ غـــدَت

مـــني كـــمـــا شـــاء الـــفـــراقُ دَواني

مـا اخـتـرتُ من لـفظِ الـتـحـيـةِ فـالـنـوى

تـــذكـــارهـــا يـــقـــضـي عـــلـى الأذهـــان

✡✡✡✡✡

(١) ألوى به: ذهب به.

(١) وزعه يزعه: كفه ومنعه.

أمّـا الـكـويتُ فـإنـهـا تـلك الـتي
ضـاقت عن الآدابِ والـعِـرفـان
لم تـنـحـرف عَـمَّـا عـلـيه عـهـدتُـهـا
من مـقـتـهـا الأدبـاءَ مـنـذُ زمـان
جُـبِـلَتْ عـلى مَـقْتِ الأديبِ وكُـرْهِهِ
فـرَمَـتهُ بـالإغـضـاءِ والحِـرمـان
فـكـأنـهـا في كلِّ ذي أدبٍ رأت
تـمـثـالَ مـاردِ جِـنَّـةٍ شـيـطـان
فـاسـتـثـقـلت أدبـاؤهـا الـسُّكْـنى بـهـا
فـمـضَـوْا إلى شَـتّى من الـبـلـدان
فـانـظُـر تَـجِـدْ عـنـهـا ذوي آدابـهـا افـ
ـتَـرَقـوا فـكلٌّ مـنـهـمُ لـمـكـان
إلا شَـقِـيّـاً قـيَّـدَتْهُ يَـدُ الـعَـمى
فـأقـامَ مـضـطـرّاً مـقـامَ هَـوان
مـا بـين عُـسْـرٍ فـارثٍ مـنه الحَـشـا
وأذى شَـمـاتٍ من فُلٍ وفُلان[1]
لم يـسـتـطع لـمـعـاشهِ من حـيـلـةٍ
وعـلـيه لـيس فـؤادُهـا بـالحـاني
عـكـفتْ عـلـيه الـنـائـبـاتُ كـأنـهـا
عـشـقـته دون مَـعـاشِـرِ الـعُـمـيـان
فَـثَـنَـتْهُ أحْـيَـرَ من تـراهُ بـأمـرهِ
فِـكـرًا يـقـلِّبُ راحـتَـيْ حَـيـران

✡✡✡✡

يـا مـا أقلَّ المحـسـنـينَ بمـوطـني
إحـسـانَ راجي رحـمـةِ الـرحـمن

---

(١) فل: بمعنى فلان، وفرث كبده: ضربها وهو حي.

أو آملِ الشُّكْرِ الجزيلِ مثوبةً

من مُتبِعِ المعروفِ بالشُّكران

أو طالبٍ هذا وذاكَ فيفتدي

وله بما يسخو بهِ غَرَضان

وأقَلُّ منهم فيه من يُولي النّدى

محتاجَهُ عن رِقَّةٍ وحنان

أرأيتَ فيهم باذلاً ميسورَهُ

لمجرَّداتِ بواعثِ الوُجدان

كَلاّ فقد فتَّشتُ عنه فلم أجِدْ

أثرًا له في مُكثِري أوطاني

فكأنهم خُلِقوا بغيرِ مشاعرٍ

حسّاسةٍ بمحاسِنِ الإحسان

وإذا اختبرتَ ذوي الثراءِ فلم تَجِدْ

فيهم إلى الإحسان من مَيَلان

فاعدُدْهُمُ من أيِّ نوعٍ واحتشِمْ

من عَدِّهم فينا بني الإنسان

لولا سُمُوُّ المَيْلِ لم تَرَ فارقًا

بين الأنامِ وسائرِ الحَيَوان

****

لست له خليلا

نـــبـــذتُ من الإخـــوان كلَّ مُـــداهِنٍ
لـعَــيْــبِيَ عَــنِّي بــالــتــجَــمُّلِ دافِنِ
ومـــا خـــيــرُ خِلٍّ لا يــكـــون لخـــلِّه
مِـراةً يـرى فـيـهـا جـمـيعَ الـشَّـوائنِ
فـيـنـهضُ في إبـدالـهـا بمـحـاسنٍ
فـيُـصـبحُ مـا فـيه له غـيـرُ زائنِ
وأقـصَيْتُ من صَحبي الـنَّصيحَ الذي أتى
إليَّ بــنُــصحٍ بــين مُــثْنٍ وطــاعِنِ
فـهـذا كـذوبٌ في الـنـصـيـحـةِ مـائنٌ
ومـــا لِيَ من مَـــيْلٍ إلى كلِّ مـــائِن[1]
فـمن كـان مـنـكم مـثلَ هـذينِ فـلـيَـبِنْ
فـلـستُ له يـومًـا خـلـيلاً بـكـائِنِ

****

(١) المائن: الكاذب.

اعتذار[1]

أوَدُّ بـــأنّي لا أفـــارقُ مـــجـــلـــسًـــا
أراهُ لـسـيفِ المجـدِ مـنك اغـتـدى جَـفْـنـا
ومـــا لِيَ لا أهـــوى دُنُـــوِّي إلى الـــذي
دُنُـوِّي إلـيه مُـكسِـبي الـفـضلَ والـمَـنَّـا
ولـكنْ عَـمَى الـعـيـنـين مـا زال مُـلـزِمًـا
أخـاهُ – وإنْ لـم يـرضَ – من بـيـتِه سِـجـنـا
أعُـــدُّ ازديـــاري هـــالـــةً أنتَ بَـــدْرُهـــا
مَـراقيَ تُـعَـلِّـيـني إلى الـشـرَفِ الأسـنى
فـــمـــا كـــان من رأيي فـــراقُ مَـــحَـــلَّـــةٍ
تُـعيدُ فِـصاحًـا لُـسْنَ مَـفـخريَ الـلُّكْنا
ولـــكـــنـه رأيُ الـــعَـــمـــاء وأهـــلُهُ
إلى رأيه بـــالـــكُـــرْهِ آراؤهم تُـــثـــنى
ولـــولا عـــمى شـــيخِ المـــعـــرّةِ لم يـــكن
لمـسـكـنه حـتى قـضى نَـحْـبَهُ رَهْـنـا
سَـمِـيِّي أقَلُّ الـطـيـرِ لُـبْـثًـا بـوَكْـنه
ولـو ذهـبتْ عـيـنـاهُ مـا فـارقَ الـوَكْـنـا
يَـــغُلُّ عَـــمـــاهُ مـــا لَهُ من عـــزائمٍ
ويملأ بـعـد الـيـأس أحـشـاءَهُ جُـبْـنـا
تـعـيثُ الحُـبـارى في حِـمـاهُ مُـهـيـنـةً

---

(١) من قصيدة قدمها إلى سمو الشيخ عبدالله بن سمو الشيخ سالم بن مبارك الصباح.

كأنْ لم تكن تخشى مخالبَهُ الحُجْنا

ولولا عَماهُ لم يَفُتْهُ افتراسُها

وإن هي لم تَقْرُبْ له مَرَّةً مَغْنى[1]

تَذِلُّ له قبلَ العَمى الطيرُ كلُّها

وبعد العمى ليست تُقيمُ له وَزْنا

فيمكثُ حَوْلَ الوكرِ حتى تنالُهُ

يدُ الموت يشكو الذُّلَّ والجوعَ والغَبْنا

وإن أدركَتْهُ رحمةُ الله قيَّضَتْ

له راحمًا من نوعهِ يفعلُ الحُسنى

فتلقاهُ يغدو أو يروحُ تَعَطُّفًا

يُشاطِرُهُ عَجْفَى المآكلِ والسَّمْنى

وقد يُؤثِرُ الصقرُ الرحيمُ بقوتِه

- إذا كان لا يكفيهما ذلك - الخِدْنا

يهونُ عليهِ أن يجوعَ إذا رأى

صُوَيْحِبَهُ المنكوبَ قد مَلأَ البَطْنا

****

(١) المغنى: المنزل.

البخلاء

كـأنـهم مُـنِـحـوا خُـلْـدَ الـحـيـاةِ فـمـا
تـنـتـابُ مـنـهـم عَـوادي المـوتِ حُـسـبـانـا

أو أنـهـم أيـقَـنـوا أن لا جـزاءَ عـلـى
حَـسْبِ الأفـاعـيلِ بـعـد المـوتِ إيـقـانـا

أو لم يـكن مـنـعُـهم مـا جـاءَ يـسـألـهم
من عَـزَّهُ قُـوتُهُ ظـلـمًـا وعُـدوانـا

أو أن أكـبـادَهم كـانت لـقـسـوَتـهـا
تُـجـاهَ مـا تـصـنعُ الـبـأسـاءُ صُـوّانـا

أو لم يـكن من بَـني الإنـسـان مـثـلَـهمُ
من بـاتَ من فـقـرهِ جَـوْعـانَ عُـرْيـانـا

تـلـقـاهُمُ عن أنـينِ الـبـائـسـين وعَنْ
مُـشـجي مـنـاظـرِهم صُـمّـاً وعُـمـيـانـا

والـشُّحُّ لـولاهُ مـا صَـمّـوا ولا عَـمِـهـوا
في مَـشـهَـدِ الـبـؤس أنـظـارًا وآذانًـا

سـبـحـانَ مُـغـني الألى تـأبى غـرائـزُهُمْ
أن يـدخَـروا نـفـعَ مـا أوتـوهُ سـبـحـانـا

كـأنمـا اسـتُـودِعـوا أمـوالَـهم فـغَـدَوْا
عـلـى الـودائع حُـرّاسًـا وخُـزّانًـا

حـتى يُـؤدّوا إلى الـوُرّاث مـا مَـلَـكـوا
قـسـرًا يَـعُـدّون رِبْحَ الـشُّحِّ خُـسـرانـا

يَــرون شُــحَّــهُمُ عن كلِّ مُــعــقِــبِــهِم

خــيــرَ الحــيــاتَــيْنِ تــعــويــقًــا وخِــذلانــا

فــمــا تَــقَــرُّ لــهم عــينٌ بــصــالحــةٍ

هُــنــا يَــرون لــهــا أو ثَمَّ إبّــانــا[1]

فــيــقــظــةُ الــكلِّ مــنــهم ثَمَّ تُــرجِــعُهُ

لــفــرطِ تــفــريــطِهِ حَــسْــرانَ أســوانــا

لا ســيَّــمــا إذ يَــرون المحــســنــين جُــزوا

في عــالم الخــلــدِ مــا يُــعــلي لــهم شــانــا

مَعْ تــركِــهم في الــدُّنــا حــمــداً تُــجَــدِّدُهُ

ذكــرى الجــمــيل من الأعــقــابِ أزمــانــا

من بــعــدِ مــا قــطَــعــوا الــدنــيــا وكــلُّــهمُ

من أهــدإ الــنــاس في دنــيــاهُ وجــدانــا

والــلــحنُ مــضــطــربُ الــوجــدانِ يَــصــبُــغُهُ

مــا عــاش لــلــعــينِ خــوفُ الــفــقــرِ ألــوانــا

فــأُولَــيــاتُ الجَــزا تــلــقى الجــمــيعَ هــنــا

بــهــا الــضــمــائــرُ جــنّــاتٍ ونــيــرانــا

والــلــه أعــدَلُ من أن لا يُــجــازِيَــهُمْ

كُلاً كــمــا جــاء إظــهــارًا وإبــطــانــا

والــعــدلُ أمــرٌ به الألــبــابُ حــاكــمــةٌ

والــلــه أوحــاهُ إنجــيــلاً وقــرآنــا

لــكــنه الــشُّحُّ لا يــثــنــيه حُــكْمُ نُــهًى

ولا يُــريكَ لــوَحْيِ الــلــهِ إذعــانــا

---

(١) ثم: هناك. إبان: وقت وحين.

حـــتى يُـــوَرِّطَ من ســـوءُ اخـــتـــيـــارِهِمُ

أغـراهمُ أن يُـطـيـعـوا مـنه شـيـطـانـا

فَـلْـيَـسْـقُطِ المـانعُ المـسـكـينَ بُـغـيَـتَهُ

وَلْـيَـعْلُ مـانِـحُـهـا المـسـكـينَ من كـانـا

****

على مأدبة شاي[1]

أقَدِّمُ لابنِ أحمَدَ كأسَ شايٍ
وَوُدّي أن أمُدَّ له خِوانا

يَضُمُّ من المآكلِ كلَّ صنفٍ
به الطاهي قد افتَنَّ افتِنانا

لذيذَ الطَّعمِ يترُكُ كلَّ حَلْقٍ
يَحُثُّ على المبادَرَةِ البَنانا

إذا ألوانُهُ اختلَفَتْ وصُفَّتْ
أوانيهِ قصاعًا أو جِفانا

ظننتَ رياضَ «أيّارٍ» عليه
ترفُّ وأبطَلَ الظنُّ العِيانا

فتَجزِمُ أن «كانونًا» نَفَتْهُ
يَدا «أيّار» واحتَلَّ المكانا

كعادةِ كلِّ ذي كرَمٍ ويُسْرٍ
لزُوّارٍ عَلَوْا قَدْرًا وشانا

ولكنْ حالَتي بالرغمِ منّي
ثَنَتْ عَمّا ودِدْتُ له العِنانا

ومن لم يستطِعْ ما وَدَّ يُعذَرْ
من الزُّوّارِ فضلاً وامتِنانا

ولا سِيما إذا الزوّارُ كانوا
من الفِطَنِ الدقيقةِ حيثُ كانا

(١) دعا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في بيته على شاي، وقال هذه القصيدة بهذه المناسبة.

فــفــطــنــتُهُ الــدقــيــقــةُ كم كــفَــتــني
علــى الــتــقــصــيــرِ لــلــعــذرِ الــبَــيــانــا
فـــوجهُ الــــعُــــذرِ لا يـــخـــفى عـــلـــيه
وإن أمـــســكتُ عن عُـــذري الــلِّـــســـانــا
ومـــا أغـــنى الـــمَـــزورَ عن اعـــتـــذارٍ
إذا مـــا كـــان زائـــرُهُ هِـــجـــانـــا[1]
حــكى عــبــدُالــعــزيــزِ الحُــرُّ فَــهــمًــا
وأخلاقًـــا به اجــتــمــعت حِــســـانــا
إذا مـــــا زارني شَـــــرواهُ ألـــــفَى
تَــخَــوُّفَ ذنبِ تــقــصــيــري أمــانــا
ولِمْ لا وهـــو أرجـــحُـــنـــا حِـــجـــاءً
وأســمَــحُــنـــا وأذكـــانـــا جَــنـــانـــا
قُـــدومكَ سَـــرَّنــا حــتى أقَــلْــنـــا
- به ممّـــا جَـــنى قـــبلُ - الـــزّمـــانـــا
إذا مـــــا اشـــــتـــــدَّ دهـــــرٌ ثم أدْنى
إلـــيـــنـــا مَن مــحَــضــنــاهُ هَـــوانـــا[2]
فـــكلُّ جـــنـــايـــةٍ لـــلـــدهـــرِ هـــانَتْ
وكلُّ شـــديـــدٍ مـــا أجـــراهُ لانـــا
تـــمـــنَّـــيْـــنـــا لِـــقـــاكَ وقـــد تـــأتَّى
وإن طـــالَ الـــلـــقـــا كـــمُـــلَتْ مُـــنـــانـــا
فـــأهلاً يـــا ابنَ أحـــمـــدَ ثم أهلاً
وســـهلاً يـــا أعـــز أخٍ غَـــشـــانـــا[3]

---

(١) الهجان: الكريم الخالص.
(٢) محضه الهوى: أخلص له.
(٣) غشاه يغشوه: أتاه.

نُحَيِّي بالقريضِ ولو قدَرْنا
جعلنا موضعَ الشّعرِ الجُمانا
وإن تر في القصيدة وجهَ عيبٍ
فَبَرْقِعْ ما بدا منهُ حَنانا
فأنت أجَلُّ محتسبي التَّغاضي
إذا عيبٌ من الإخوانِ بانا
ولا سِيما وذاك العيبُ ممَّن
على إخلاصِهِ جُزِيَ الهَوانا
رأت منه الكويتُ فتًى صريحًا
فعادَتْهُ لأُلفَتِها الدِّهانا
يُصَفّي صَفْوُ بالِ المرءِ شِعرًا
له من كلِّ ما للشعرِ شانا
وما تصفو قريحةُ من يقاسي
دوامًا بِكْرَ حزنٍ أو عَوانا
ومن لم يصف منه البالُ ممّا
يُعاني من نوائبِهِ وعانى
فلا تعجَبْ إذا نَظَمَ القوافي
عِجافًا وهو يحسبُها سِمانا
ففهمُ المرءِ لا يهديه قصدًا
إذا رَيْنُ الهموم عليه رانا[1]
وهل جَلَتِ المرايا صادئاتٍ
لناظرِها خيالاً فاستَبانا
متى تُنْصِبْ وعُورُ الدَّرْبِ طِرْفًا
كريمًا يَكْبُ أو يُبْدِ الحِرانا[2]

(١) الرين: الدنس، وران عليه: غلب عليه.
(٢) الطرف: الكريم، الأب والأم من غير الناس، كالخيل مثلا.

لـــقـــد مَــنَّــتْــنِيَ الآدابُ حـــتى
أضـعتُ بـدرسِـهـا الـعُـمْـرَ افـتـتـانـا

فـلـمـا أن بـلـغتُ بـفـضلِ جِـدّي
وكـدِّي من سَـمـاءَتِـهـا الـعَـنـانـا[1]

رأيتُ الـوعـدَ مـنـقـلـبًـا وعـيـدًا
يُـريكُ من الـشـجـاعِ فـتًى جَـبـانـا

فـلـولاهُنَّ مـا حـسَـدوا وشَـنّـوا
عـلـيَّ مَـغـارَهُم آنًـا فـآنـا

ولا أبـدى لـهـيبُ الحـقـدِ مـنـهم
عـلى صِـغَـري بـنـاصـيـتي دُخـانـا

فـلـو أني اسـتـطـعتُ سـلـختُ نـفـسي
من الأدَبِ الـذي مَـنّى فـمـانـا[2]

ولـم أعـجب لـذي حُـمُقٍ مُـدِبٍّ
إليَّ من المـكـائـدِ عُـقْـرُبـانـا[3]

فـإني أعـرِفُ الخُـفّـاشَ يـهـوى
بِـجَـدْعِ الأنفِ لـلـشـمس اكـتِـنـانـا

ولـكنَّ الـلـبـيبَ غـدا ضَلالاً
يُـجـامِلُ في مـسـاءَتِيَ الـهِـدانـا[4]

فـمن لي بـانـسلاخي الـيـومَ ممّـا
أثـارَ عـلـيَّ حـقـدًا واضـطِـغـانـا

إذا فَـسَـدَ المحـيطُ فـكلُّ حُـرّ
تَـوَطَّـنَهُ إذا لم يَـنْـأَ حـانـا

(١) عنان السماء: ما بدا لك منها إذا نظرتها.

(٢) مناه بالشيء: جعله يتمناه. ومان: كذب.

(٣) العقربان: ذكر العقارب.

(٤) الهدان: الأحمق.

عـــدمـــتُك من مـــحـــيطٍ كلُّ شيءٍ
رجـــوتُ وفـــاءَهُ لـي فـــيكَ خـــانـــا
أحَـــتّى الـــسَّـــيْـــرُ عـــنك إلى بلادٍ
ســـواكَ بـــكـــونهِ عَـــجْـــزي تَـــوانى
ولـــو أنّي رحـــلتُ وجـــدتُ قـــومًـــا
بمـــثـــلي مـــثـــلُـــهم غـــالَى وصـــانـــا
فـــمـــا تـــخـــلـــو بلادُ الـــضـــادِ ممّن
يَـــشُقُّ عـــلـــيـــهمُ كَـــوْني مُـــهـــانـــا
ويُـــبْـــدِلُ عـــطـــفُـــهم ظَـــمَـــأي بِـــرِيٍّ
ويـــتـــرُكُ بِـــرُّهُم جَـــدْبِي جِـــنـــانـــا
ويَـــضْـــمَنُ راحـــتي الإنـــصـــافُ مـــنـــهم
فـــأبـــقى حـــامـــدًا ذاك الـــضَّـــمـــانـــا
وأنـــسى كلَّ حـــيفٍ كـــنتُ أشـــكـــو
فـلانًـــــا مـن ذويـهِ أو فُـلانـــــا
إذا الإنـــصـــافُ أعـــوَزَ بـــين قـــومٍ
فـــمـــاذا بـــعـــدَهُ لـــلـــقـــوم زانـــا

****

اقتراحات بلا جدوى

يَـظُـنّـونَ أن الـشِّـعـرَ مــهـمــا دَعَـوْتُهُ
تُــلَــبِّي قــوافـيـهِ وتــأتي كــمــا أهــوى
ومــا كــان لي طـوعًـا فـيـحـضُـرَ كـلَّـمـا
أهَــبْتُ بِــدُنـيــا من قــوافـيـهِ أو قُــصـوى
لـذاكَ اقــتـراحُ الـصَّـحْبِ في إثـرِ مـثـلِهِ
عـليَّ مـقـالَ الـشِّـعـر يمـضي بلا جـدوى
ولـو كـان طـوعي الـشـعـر لم أَكُ عـادِمًـا
عـلى مـا يـسـوءُ الـدهـرُ قـلـبي به سـلـوى
فـنـظمُ قـوافي الـشِّـعـرِ أحـسنُ مـا سَلا
فــؤادي بهِ فــيــمــا ألَمَّ من الــبــلــوى
مــذاهبُ أهلِ الــلــهــوِ شَـتّى كـثـيـرةٌ
ومـا غـيـرُ نـظمِ الـشِّـعـرِ أعـرِفُ لي لَـهـوا
ولــولا تَــأَبٌّ فــيه أصــبــحتُ لا أرى
من الــعــيش مُـرّاً بل غــدا كـلُّه حُــلــوا
وظَــنِّيَ أن الــشــعــرَ لــو كــان دائــمًــا
مــطــيــعي لأبْـدَتْ فِيَّ طــاعــتُهُ زَهْــوا
أخَــشْــيَــةَ أن أزهى بهِ أم لــغــيــر ذا
من الأمـرِ أغـرى من تـأبـيِّهِ بي الـشَّـجْوا
فــهل من جــوابٍ عن يــقــين لــديــكمُ
فـسـهمُ تَـظَـنّي غـيـرِكم طـالمـا أشـوى[1]

(١) أشوى، أصاب للشوا: وهي الأطراف.

أرى الشعرَ نجوى النفسِ والنفسُ حُرَّةٌ

تَخَيَّرُ ما تهوى من الوقتِ للنَّجوى

أناديه أحيانًا فيأبى إجابتي

وما لِيَ من مُعْدٍ عليه ولا عَدوى[1]

ولا غَرْوَ إن لم يُبصِرِ المرءُ مُعديًا

على ما زَوَتْهُ نفسُهُ عنه لا غَرْوا

وحينًا يُواتيني ولم أدْعُهُ لِكَيْ

يزيدَ سرورًا أو يخفِّفَ لي شكوى

فيا أيها الشعرُ الذي هو سَلْوَتي

إذا رحتُ عمّا شاقَ من حُظْوَةٍ أُزْوى[2]

وإن أغتبِطْ يومًا فَيَشْهَدْ فغِبطتي

تَضاعَفُ، لا حَلَّتْ بساحَتِكَ الأسْوا

فحُبُّكَ في حالَيْكَ صَدِّكَ واللِّقا

عليه ستبقى أضلعي أبداً تُطوى

****

(١) أعداه: نصره وأعانه. والمعدي: الناصر المعين.

(٢) زواه: يزويه: نحاه.

قرعة الجابي

يـــا رئـــيسَ الـــبـــلـــديَّه
لا أصـــــابَـــــتْكَ بَـــــلِـــــيَّهْ
انـــظُـــرِ الـــيــومَ فـــدتكَ الـــنـــفـ
ـسُ لي في ذي الـــقـــضِـــيَّه
طـــلـــبـــوا مـــنِّي مـــا تَـــسـْ
ــــلـــيـــمُهُ شَقَّ عَـــلَـــيَّه
خَـــفِـــيَتْ حـــالي عـــلـــيـــهم
وهيَ بـــالـــفـــقِـــر جَـــلِـــيَّه
مـــــا دَرَوْا أنّي لـــــرامي الـ
ـــفـــقـــرِ مـــا زلتُ رَمِـــيَّه[1]
فـــأتَـــوْا يـــبـــغـــونَ عـــنـــدي
مـــا يـــدي مـــنه خَـــلِـــيَّه
مـــا رأى الـــفـــلسَ مـــقـــرّاً
مـــســـتـــطـــابًـــا في يَـــدَيَّه
فـــهـــو يـــأتـــيـــني ولـــكن
ريـــثـــمـــا يمـــضي لِـــطِـــيَّه[2]
لـــو تَـــرى حـــالي لَـــرَقَّتْ
مـــنك لي الـــنـــفسُ الـــسَّـــرِيَّه[3]

(١) الرمية: الصيد الذي يرمى.
(٢) الطية: الحاجة والوطر.
(٣) السرية: الكريمة ذات المروءة.

ولـــــهَـــــزَّتْكَ لإســـــعـــــا

دِي وعَـــوْنـي الأرْيَـــــحِــــيَّه

فـــلـــــقــــد رَكَّبَ فــــيكَ الـ

ــــجُــــودَ بـــاريكَ سَــــجِـــيَّه

أنت مـن قـــــومٍ لـــــهم فـي الـ

ــــبــــذلِ أيـــدٍ حـــاتِـــمِــيَّه

ونـــــفــــوسٌ بـــــذوي الإقـ

ـلالِ أمـــثـــالي حَــــفِــــيّه

تـــركت عـــيـــشَـــة من يَـــرْ

عَـــوْنَهُ مِـــنَّـــا هَـــنِـــيَّه

وقـــلـــوبٌ مـــلـــؤهـــا لـــيـ

ـنٌ ورفـقٌ بـــــالـــــرَّعِـــــيَّه

وهـيَ فـي الحــــربِ إذا الحَـــرْ

بُ تَـــلَـــظَّتْ حَـــجَـــرِيَّه

وخـلالٌ مـــــــزرِيـــــاتٌ

بـــالـــعـــقـــودِ الـــلـــؤلـــؤيَّه

فــــهُمُ مُـــنْــيَـــةُ عـــافِـــيـ

ــــهِمْ ولـــلـــبـــاغي مَـــنِـــيَّه

قَـــرْعَـــةُ الجـــابي لـــبـــابي

غـــادرت نـــفـــسي شَـــجِـــيَّه

واثـــــقًـــا أنَّ اعـــتـــذاري

مـــنـــه لا يـــثـــنى أبِـــيَّه

فـتـمـلـمـلتُ كـمـا تَـفْـ

ــعَل في الـــرمـــضـــاءِ حَـــيَّه

ولـــزمتُ الـــصَّــــمتَ لـــو قَـــلَّ

ـصَ عـن بــــــابِـيَ فَـــــــيَّـه[1]

وإذا بــــالـــــصـــــمتِ قـــد زا

دَ مـن الـــــــــقَــــــــــرْعِ دَوِيَّـه

فــــأثـــار الـــقـــرعُ من نـــفـ

ـــسي وكـــانت أشـــعَـــبِـــيَّه

طـــمـــعًـــا خَـــيَّلَ لي الجَـــا

بِي رســــــولاً بـــــــهـــــــدِيَّه

ولـــــقـــــد يـــــحـــــسَبُ في الآ

لِ الـــفـــتى الـــظـــمـــآنُ رِيَّه

فـاسـتـبَـقتُ الـبـابَ لـلـفـتـ

ـحِ وهَـــيّـــأتُ الـــتـــحـــيّه

فـــإذا الجـــابي فَـــفَـــتَّتْ

خـــيـــفَـــتِي في عَـــضُـــدَيَّه

قـــــــــــــائـلاً دون سَـلامٍ

ادفَـعِ الـــــــرَّسْـمَ إلَـــــــيَّه

فـــثـــنـــتـــني رِعـــدَةُ الـــذُّعْـ

ـــرِ كَـــلَـــدْنِ الـــسَّـــمـــهَـــرِيَّه

نَـــفَـــضَـــتْهُ في الـــوغى لِـــلْـ

ـــــطـــعنِ كَفٌّ عــــنـــتـــرِيَّه

فـــرمى بـــالـــضـــعفِ عن حـــمـ

ـــــلي حِـــــذاري قَـــــدَمَـــــيَّه

فـــوَقـــاني من ســـــقـــوطي

قـــبضُ يمـــنـــايَ الـــعُـــصَـــيَّه

(١) الفيء: الظل، والفيء: الرجوع، وهنا الكلمة مخففة الهمز.

ويَدي اليُسرى بُوَيْبي
خائرَ الجسمِ عَيِيَّه
وتماسكتُ مجيبًا
ليس من شيءٍ لَدَيَّه
فانصرِفْ عَنّي إلى أن
يملأ الماءُ الرَّكِيَّه
فمضى عنّي وخَوْفي
منه لم يَمْضِ مُضِيَّه
لاعتقادي أنّ رُجعَا
هُ وشيكًا لي حَرِيَّه
فإذا عادَ ويُمْنا
يَ من المال نَقِيَّه
لم تكن مِنِّيَ دعوى
مَرَّةً أخرى رَضِيَّه
فتحَيَّرْتُ وظَلَّت
حيلتي عني قَصِيَّه
وكذا ظَلْتُ نَهاري
كلَّهُ حتى العشِيَّه
حائرَ الفكرِ نجاتي
سُبْلُها عني خفيَّه
ثم أَطرقتُ وأعمَلْـ
ـتُ لتخليصي الرَّوِيَّه
وسألتُ النفسَ أيُّ الـ
ـناسِ أدعو في البَرِيَّه
فأجابتنيَ عبدَاللـ
ـهِ ذا الكفِّ النَّدِيَّه

مَن غــدا فــيــنــا مِــثــالاً

صــادقًــا لــلــوطــنــيَّه

ورأى كــلَّ أخــي عَــيْـ

ـن بــه كــلُّ مَــزيَّــه

فــطــنــةٌ رأيٌ سَــدادٌ

وتَــنــاهي ألمــعِــيَّه[1]

أدبٌ عــلـمٌ دَهــاءٌ

كــرمٌ صِــدْقُ طَــوِيَّه[2]

رِقَّــةٌ ظَــرْفٌ إبــاءٌ

جُــرأةٌ حَــزْمٌ حَــمِــيَّه

راكــبًــا في كلِّ مــجــدٍ

قِــمــمًــا شُــمّــاً عَــلِــيَّه

يَــعْــمُــرُ المجــلسَ مــنه

بــالــبُــحــوثِ الأدَبِــيَّه

طــالمــا ألــقى ارتجــالاً

خُــطَــبًــا غُــرّاً طَــلِــيَّه

بــاعــثــاتٍ في نــفــوسِ الـ

ـقــومِ هــزّاتٍ قــويَّه

كَــهْــرَبَتْ إلاّ قــلــوبــا

خُــلِــقَتْ غــيــرَ ذكــيَّه

فــهــو ســيفٌ تُــبــصِــرُ الآ

دابَ لا الــتِّــبْــرَ حُــلِــيَّه

تــتــقي مــنه الأعــادي

أســد الــقــلــب جــريه

---

(١) الألمعية: الفطنة والذكاء.

(١) الطوية: النية والضمير.

فـــاســـألِ «الــرقـــعي» عـــنه

فـــهـــو لا يـــنـــسى كَـــمِــيَّه[1]

والـــمُـــوالي بـــعـــدَ وســـمِـ

ـيِّ الـــنـــدى يـــرجـــو وَلِـــيَّه[2]

فـــمُـــوالـــيهِ ســـعـــيـــدٌ

وأعـــــاديهِ شـــــقِـــــيَّه

جـــابـــرٌ كـــاسمِ أبـــيهِ

كـــســـرَ مـــكـــســـورِ الـــرَّزِيَّه

نـــظـــرةٌ مـــنه تُـــخَـــلِّي

مـــيـــتـــةَ الآمـــالِ حَـــيَّه

كـــاسِـــرًا جـــبـــرَ نـــفـــوسٍ

من ذوي الـــظـــلم عَـــصِـــيَّه

فـــهـــو مـــأمـــولُ الـــعـــطـــايـــا

وهـــو مـــرهـــوبُ الأذيَّه

حـــاز لـــفـــظِيَّ الـــمَـــعـــاني

والـــمَـــعـــالي المـــعـــنـــويه

تُـــعـــجِـــزُ الأشـــعـــارَ أوصـــا

فُ مـــعـــانـــيكَ الـــسَّـــنِـــيَّه

ومـــزايـــاكَ عـــلى الحَـــصـ

ـــرِ بـــتـــعـــدادٍ أبـــيَّه

فَـــخُـــذِ المـــيـــســـورَ واســـمح

لِيَ في تَـــرْكِ الـــبَـــقِـــيَّه

****

(١) الكمي: الشجاع.

(٢) الوسمي: أول مطر الربيع. والولي: المطر يسقط بعد المطر.

القسم الثاني

إضافات جمعها

البتيل[1]

شَبَّ هـذا الـفُـلكُ من بـعـد المـشـيبْ
وصِـبـاهُ بـعـد مـا شـاب عـجـيبْ
عـاد بـعـد الـشـيبِ في عـهـدِ الـصِّـبـا
إذ كـسـاهُ راشـدٌ صـنـعًـا غـريب
فـارفُلِ الـيـومَ (سـعـيـدُ) في الـهـنـا
واسـحبِ الـسُّـفْنَ إلى الـدُّرِّ الـرَّطـيب
مـثـلـمـا كـنتَ بـأعـوامٍ خـلَت
تُـرشِـدُ الـسُّـفْنَ إلى (الـهَـيْـر) الخـصـيب

****

(١) هذه أربعة أبيات نشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في «تاريخ الكويت» وقد نظمها الشاعر ووجهَّها إلى السيد راشد بن أحمد الرومي أمير الغوص بعد أن جدد البتيل الذي يستعمل لهذه الغاية، والبتيل نوع من السفن.

في ذكر محمد بن شملان[1]

أذابَ فؤادي منكِ هذا التجنُّبُ
فبات دمًا من مقلتي يتصَبَّبُ
فإن كان لي ذنبٌ إليكِ جنيتُهُ
على غير عمدٍ فاغفري الذنبَ (زينب)
وإلا فأبدي ما جنيتُ فإنني
أتوبُ وقد يُرضيكِ إن تاب مذنب
إلى كم أقاسي من جفائكِ حسرةً
لها بين أحشائي وقلبي تلَهُّب
أظنُّ وشاتي عندكم قد تقوَّلوا
عليّ بما لم أقترفْ وتَكَذَّبوا
فإن كان يرضيكِ اليمينُ فو الذي
حباكِ جمالاً عنه ما ليَ مَذهَب
وصاغكِ من حسنٍ وسَوّاكِ فتنةً
لنفسيَ إني من ذُنوبيَ مُجدِب
بمقدار ما أني من الحبِّ والهوى
وشوقي ووجدي والصَّبابةِ مخصِب
وأيُّ فؤادٍ يُنبتُ الذنبَ شائكًا
إذا كان من أمواهِ حُبِّكِ يشرب
فقالت ألم أُخبَرْ بأنَّكَ لم تزل
بحسنيَ ما بين الأنام تُشَبِّب

(١) عن كتاب الأستاذ سيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» والقصيدة في مدح محمد بن شملان صديق الشاعر.

وأنّكَ للأشعار ما زلتَ ناظمًا

بوصفي وهذا ما أخافُ وأرهَب

ألم تَدْرِ أنَّ الوصفَ لاسمِيَ كاشفٌ

فما ليَ عنه لا أراكَ تَنَكَّب

فقلتُ لها لي في التغَزُّلِ راحةٌ

إذا ما حوى عني ذكا النفس مطرِب

فإنْ أنتِ والبيتِ الزيارةَ لم أكنْ

إلى غزَلٍ ما عشتُ أدنو وأقرُب

فقالت ألم تعلمْ بأنَّ زيارتي

سوى مرّةٍ «يا صقرُ» في العام تصعُب

فخلفي وقدّامي أسودٌ روابضٌ

تغارُ إذا مرَّ الصَّبا بي وتغضب

وإنّي بهم أفديكَ يا خيرَ شاعرٍ

لحُزنيَ لقياهُ مُزيلٌ ومُذهِب[1]

فمن لي بأنْ تبقى ويفنى جميعُهم

فنصبح في فُرْشِ الهنا نتقلَّب

نَبِيتُ ونُضحي مثلَ ما نشتهي معًا

من الناس لا نخشى ولا نترَقَّب

فما لي سوى هاتيكَ (يا صقرُ) مُنْيَةٌ

إذا أصبحت يَقْظى بقلبيَ أطرَب

وإلا فإنّي من سروري سوى الذي

تُنيلُ الأماني عنكَ أنْ كدتُ أُسلب

فعَوِّلْ على الصبرِ الجميلِ ولا تكنْ

جزوعًا فإنَّ الصَّبْرَ بالحُرِّ أنسَب

---

(١) لقاؤه مزيل ومذهب لحزني.

وشِمْ من مُـنـاك الـبـرقَ مـثـلـي مُـشـاغلاً
به الـنـفسَ حـتى يَـسْـهُلَ الـمُـتَـصَـعِّب
فَـشَـيْـمُكَ من بَـرْقِ الأمـاني لَـمـوعَهُ
مـريحٌ ومـا كلُّ الـبـوارقِ خُـلَّب
وكُنْ في ضَـمـانِ الـلـه أنتَ وحـفـظِه
فـقـد طـال بي عن أهلِ بـيـتي الـتَّـغَـيُّب
وإنَّ مـغـيـبي عـنـهمُ بـعضَ سـاعـةٍ
يُـعـدّ جـنـايـاتٍ عـليّ ويُـحـسَب
أتَى بي إلـيك الـشَّـوْقُ والـقـلبُ مُـوجِسٌ
مـخـاوفَ ممَّنْ كـيـدَنـا يَـتَـطَـلَّب
وخـذ هـذه من شـعـرِ رأسيَ خـصـلـةٌ
فـعـهـدي بـشـعـري أُنسَ قـلـبكَ يَـجْـلِب
فـشُمَّ يَـرُدُّ الحـزنَ عـنك انـتـشـاقُهُ
ويـنـفي الأسى إن طـال بـعـدي فـيُـطـرِب
وآخـرُ مـا فـاهتْ به وهْيَ تَـنـثَـني
(أغـالبُ فـيك الـشَّـوْقَ والـشـوقُ أغـلَب)[1]
فـأجـمـعتُ أمـري أن أُجـيبَ فـلـم أُطِقْ
جـوابًـا عـلـى أنّي الـقَـؤولُ الـمُـذَرَّب
غُـلِـبْتُ عـلـى نُـطـقي أمـامَ وَداعـهـا
ومن شَـهِـدَ الـهـولَ الـوَداعيَّ يُـغـلَب
فَـجَـمْـجَـمْتُ عـمّـا جـالَ في خـاطـري لـهـا
بـرغـمي وعـنه مِـقْـولُ الـدمع يُـعـرب
فـإن كـان عِـيِّي عـنـد (زيـنب) مـعـجِبٌ
فـإنَّ بـكـائي عـنـد (زيـنبَ) أعـجَب

(١) هذا الشطر مضمن من بيت للمتبني هو مطلع قصيدة له، وشطره الثاني: «وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجبُ».

فـو الـله لم أعــهـدْ دمـوعي يُـسـيـلُـهـا
– سـوى سـاعـةِ الـتَّوديـعِ – يـومُ عَـصَـبْـصَـب
وأعــجبُ من دمـعي يُـسَـحْـسِـحُهُ الأسى
مـخـافـةَ أنْ يـنـأى الـحـبـيبُ الـمُـحَـبَّب
خـيـانـةُ صـبـري في الـهـوى وهْـوَ عِـصـمَـةٌ
إذا مـا بـهـا أعـصَـمتُ أنجَتْ ومَـهـرَب
فـقـبلَ هـواهـا كـان صـبـريَ مُـشْـبِـهًـا
نـوالَ (ابن شـمـلانٍ) به الخَـطبُ يُـشـجَب
فصـبـري لأحـداثٍ سـوى الـعسـر مُـعطِبٌ
ورِفْـدُ ابنِ شـمـلانٍ لـعـسـريَ مـعـطِب
وأعـني به جَمَّ الـمَـزايـا (مـحـمـدًا)
حـلـيفَ الـعـطـايـا اللاءِ تَـهـمي وتَـسكُب
«أبـو قـاسمٍ» من لم أواجـهْهُ شـاكـيًـا
له الـعـسـرَ إلا وانـثَـنى الـعسـرُ يَـهـرُب
فـإن تُـبـصـروا حَـمـدي عُلاهُ مـهَـذَّبًـا
فـمـا غـيـرُ جَـدواهُ لحَـمـدي مُـهَـذِّب
وإن تجِـدوني لم أزل أبـسـطُ الـثَّـنـا
عـلـيه جـمـيلاً فـالـنَّـدَى مـنه يـوجِب
عـلـيَّ تـتـالتْ من نَـداهُ سـحـائبٌ
لـهـا غُـدُرٌ عـنـدي سِـواهُنَّ يـنـضُب
فـشـعـريَ عن أمـطـارِ كـفَّـيْهِ مُـنْـبِتٌ
جـمـيلَ الـثَّـنـا والأرضُ بـالـغـيثِ تُـعشِب
فـتًى طـوَّقتْ كـفـاهُ عُـنْـقي بـنـعـمـةٍ
تَـجَـدَّدُ إن يَـخْـلَقْ سـواهـا وتَـقـشُب
فـأعـجـبَـني طـوقي فـرُحتُ مـغـنِّـيًـا
بـشُـكـرِيهِ والـورقـاءُ بـالـطَّوْقِ تُـعـجَب

وهل شـــعـــراءُ الـــنـــاس إلا حـــمـــائمٌ
وأشـــعـــارُهمْ سَـــجْعٌ يَـــطـــيبُ ويَـــعْـــذُب
وأيُّ حَـــمـــامِ الأيكِ يُـــبـــصَـــرُ طَـــوْقُهُ
كـــطَـــوْقي يَـــروقُ الـــنـــاظـــرين ويَـــخْـــلُب
فـــلم تَـــرَهُ فـــوقَ الـــغـــصـــونِ بـــســـجـــعِه
كـــمـــا شـــاءَ مـــنه عـــاشقُ الـــسَّـــجْعِ يُـــطـــرِب
عـــلى أنـــني لـــو لم أنَلْ من (مـــحـــمـــدٍ)
رغـــائبَ إنـــعـــاشي بـــهـــا حـــين أُنْـــكَب
ولم أحْظَ من إنـــعـــامه بـــنـــفـــائسٍ
بـــهنَّ لـــنـــفـــسي مـــا اشْـــتَـــهَتْ يَـــتَـــقَـــرَّب
لأولـــيـــتُهُ حَـــمـــدي لـــغُـــرٍّ خلائقٍ
حَـــواهُنَّ، للألـــبـــاب تـــســـبي وتـــســـلِب
خلائقُ غُـــرٌّ لـــلـــعـــقـــولِ إذا رَنَتْ
إلـــيـــهـــا عـــيـــونُ الـــعـــقلِ تـــلـــهـــو وتـــلـــعب
خلائقُ يَـــخْـــلُـــبْنَ الـــنُّـــفـــوسَ كـــأنمـــا
لـــهـــا في ســـبـــيلِ الـــسِّـــحـــرِ فـــرعٌ ومـــنـــصِب
خلائقُ لـــو فـــيـــنـــا يُـــوَزَّعُ بـــعـــضُـــهـــا
لمـــا كـــان فـــيـــنـــا من يُـــعـــابُ ويُـــثْـــلَب
خلائقُ هُنَّ الـــروضُ يُـــوحـــاهُ داعـــبَت
أزاهـــرُهُ من بـــعـــد مـــا بـــاتَ يُـــهْـــضَب[1]
ولَـــذَّ لأنـــفـــاسِ الـــنـــســـائمِ جَـــرُّهـــا
عـــلـــيه ذيـــولاً فـــانـــثـــنتْ تَـــتَـــسَـــحَّب
فـــأضـــحـــى ومـــنه لـــلـــعلا مُـــتَـــصَـــعَّـــدٌ
وأضـــحـــى ومـــنه لـــلـــثـــرى مـــتـــصـــوَّب
وظلّ ومـــنه قَـــيْـــدُ لَـــحْظٍ مُـــفَـــضَّضٌ
وظَلَّ ومـــنه قَـــيْـــدُ لحظٍ مُـــذَهَّب

(١) اليوحى: من أسماء الشمس. ويهضب: يمطر.

وإلا فـــهُنَّ الــدُّرُّ في ثـــغـــرِ غـــادةٍ
به يَـطَّـبـيكَ الـثَّـغْـرُ والـثـغـرُ أشـنَب

بـعـيـني أخي قـلبٍ كـقـلـبي يَـشـوقُهُ
من الـثـغـرِ معـسـولُ الـثـنـيَّاتِ مُشْـرَب

له في ثـــغـــورِ الـــغـــيـــد نَـــظَّمَ دُرَّهـــا
مُـــنَـــظِّـمُـــهـــا لا في سِـــواهُنَّ مـــأرَب

[يـــحـــلـــؤه] عـــنـــهُنَّ ظـــمـــآنَ صـــاديًـــا
إذا رامَ مـــنـــهـــا الـــورْدَ آســـادُ تُـــنـــخَب[1]

فـيـبـقى ومـنـهـا الـحسنُ يـدعـو فـؤادَهُ
فـــإن هَمَّ أن يـــدنـــو ثـــنـــاهُ الـــتَّـــهَـــيُّب

فـــيـــدفـــعُهُ خـــوفٌ ويـــجـــذبُهُ هَـــوًى
فـــيـــمـــكثُ مُـــحـــتـــارًا يُـــذادُ ويُـــجـــذَب

وإلا فَـــهُنَّ الـحـــمـــدُ في ســـمعِ مـــاجـــدٍ
كـــريمِ جـــدودٍ حـــين يُـــعـــزى ويُـــنـــسَب

يـــغـــنِّي به والـــبـــومُ يـــذعـــرُ صَـــوْتُه
رهـيـبًـا من الـزيـرِ الـفـؤادَ فـيَـصـخَب[2]

وإلا فـــهنَّ الـــنُّـــورُ في عـــين تـــائهٍ
غَـشـاهُ بـقـفـرٍ مـوحشِ الأرضِ غـيـهَب

فـبـات تَـهـاداهُ الـسَّـبـاسِبُ حـائـرًا
إذا مـا نجـا من سَـبْـسَبٍ عَنَّ سَـبْـسَب

حـكى كُـرَةً بـين الـسـبـاسِبِ إذ حَـكَتْ
سَـبـاسِـبُه قـومًـا عـلـيه تـألَّـبـوا

وإلا فـــهنَّ الـــبُـــرْءُ في عـــين مُـــدنَفٍ
عـــلى فُـــرُشِ الأســـقـــامِ بـــاتَ يُـــعـــذَّب

ألحَّ عـــلـــيه الـــسُّـــقمُ حـــتى لأوشَـــكَتْ
تـــنـــوحُ عـــلـــيه الـــنّـــائـــحـــاتُ وتـــنـــدُب

---

(١) في موضع أول كلمة من هذا البيت فراغ، ووضعنا ما نتوقعه بين قوسين معقوفين. ويحلؤه: يدفعه ويرده. وتنخب: تنزع.

(٢) الزير: الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر.

وإلا فـهن الـيُـسْـرُ في عـين مُـعْـسـرٍ
ألحَّ عـلـيه نـابُ عـسـرٍ ومِـخـلَب

فـذاق من الإعـسـار مـا ذقتُ فـاغْـتَـدَى
شـبـيـهيَ مـا بـين الـورى يَـتـذبـذَب

إذا مـا بـدا لـلـقـوم في ثـوب عُـسـرِه
له عَـبَـسـوا خـوفَ الـسُّـؤالِ وقـطَّـبـوا

يُـلَـوّون عـنه إذا رأَوْهُ رؤوسَـهـمُ
فـيـلـمسُ مـنه الجـلـدَ هل هـو أجـرَب

ويـنـأَوْنَ عـنه بـالجَـوانبِ إنْ أتى
كـأنّ بـطِـمـرَيْهِ أراقِمُ تَـلْـسِب[1]

كـأنـهمُ من لـؤلـؤٍ قـد تـكـوَّنـوا
وكُـوِّنَ من طـينٍ أخـو الـفـقـرِ يَـلْـزَب

فـيـرجعُ عـنـهم شـاتِمَ الـفـقـرِ لاعـنًـا
بـقـلب كـسـيـرٍ مـلـؤهُ مـا يُـشَـيِّب

ويـغـدو عـلـيـهمْ عـاتـبًـا مُـتَـعَـتِّـبًـا
ولـيس بـهم يُـجـدي الـفـقـيرَ الـتَّـعـتُّب

ومن لـم يُـؤدِّبْهُ نُـهـاهُ ودهـرُهُ
فـلـيس له حـتى المـمـاتِ مـؤدِّب

لـعـلـهمُ ظَـنّـوا خـلـودَ افـتـقـارِه
وخُـلْـدَ الـغِـنى والـدهـرُ بـالـنـاسِ قُـلَّب

ألـم يـعـلـمـوا فـعلَ الـزمـانِ وأنهُ
إذا مـا طَفـا يـومًـا بـذي الـيُـسْـرِ يَـرْسُب

وإن غـاصَ يـومًـا بـالـفـقـيـر فـإنه
سـيـطـفـو ولـلـدهـرِ المـقـاديـرُ لـولَب

وإنْ دامَ عُـسْـرٌ في الحـيـاة لـمُـعـسِرٍ
يـدُ الـعسـرِ تلـحو الـعُودَ مـنه وتَـنْـجُب[2]

---

(١) تلسب: تلدغ.

(٢) تنجب: تقشر ساق الشجرة.

ولم يَــتَــقَــوَّضْ في الحــيــاة ولا هــوى

عــلــيــهم من الإيــثــار بــيتٌ مُــطَــنَّب

فــبــين أُلي الإعــســارِ والــعــسر مــوتُــهم

مــســاوٍ ومَــأســاةُ الــمُــحــتَّمِ أقــرَب

أمــا شــاهــدوا فــعلَ الحِــمــامِ وعــايَــنــوا

أمــا خَــبَــروا فــعلَ الحِــمــام وجــرّبــوا

إذًا مــا لــنــا مــنــهمْ نَــراهــا تَــحَــجَّــرَتْ

قــلــوبًــا عــلى ذي الــفــقــرِ تــقــســو وتَصْــلُب

غــلــطتُ لــتــشــبــيــهي الــسَّــجــايــا لــبــيــتــكمْ

فــعــذرًا فــمــنــهــا هُنَّ أبــهى وأطــيَب

ســجــايــا يــشُــقْنَ المــاجــدينَ من الــورى

ويــســَمُــقْنَ إمّــا خــاطبٌ جــاء يــخــطِب[1]

ومن يــخــطُبِ الــشُّــهْبَ الــلَّوامعَ في الــسَّمــا

فــإن قُــصــاراهُ مَــتــاعِبُ تُــتْــعِب

فــقــولــوا لخُــطّــاب الــسَّــجــايــا حــمــيــدةً

رويــدًا فــمــا أمــثــالُــهــا يُــتــكــسَّب

فــتــلك عــطــايــا خَــصَّهُ ربُّه بــهــا

وركَّــبَــهــا فــيه فَــجَلَّ الــمُــركِّب

فلا تَــطــلُــبــوا مــا الــلهُ إيَّــاهُ واهبٌ

وإنْ شــاقــكمْ مــنه الــمَــنــالُ فــتَــنْــصَــبــوا

فــكلُّ امــرئٍ يــغــدو كــمــا شــاءَ رَبُّهُ

من الــمَــهْــد حــتى في ثَــراهُ يُــغَــيَّب

فَــمُــذ يَــنْــبُــتُ الــرَّيْــحــانُ يــنــبتُ [نَــشْــرُهُ]

إلى أن تــراهُ لــلــمَــواقــدِ يُــحــطَب[2]

(١) يسمقن: يرتفعن.

(٢) الكلمة بين معكوفتين في الشطر الأول فراغ في الأصل، والكلمة المثبتة مقترحة منا.

ولا يُـطـلِعُ الأشـواكَ ريـحـانُ جَـنَّـةٍ

وكلُّ نـبـاتٍ حَـسْبَ مـا هـوَ يُـعـقِب

لـكُمْ مـثلاً هـذي ضـربتُ وإنَّهُ

لـعـمـريَ كـافٍ لـلـذي هـو يـأرب

فلا تَـشْـرَئِـبّـوا طـامـعـينَ بمـثل مـا

حوى من خلالٍ نَـجْلُ (شـملانَ) تـلـغَـبـوا

سَـمِيَّ رسـولِ الـله خُـذها جـمـيـلـةً

تـمـنّى لـهـا شِـبْـهًـا مَـعَـدٌّ ويـعـرُب

أتـاكَ بـهـا (بـشّـارُ) وقـتكَ كـاعـبًـا

يُـشَحُّ بـهـا إلا عـلـيكَ ويُـرغَب[1]

أتـتكَ تَـهـادَى في حُلاهـا وقُـمْـصِـهـا

حـيـاءً لـهـا عـمَّن عَـداكَ تَـحَـجّب

فـتـاةٌ لـهـا أمٌّ قـريـحـتيَ الـتي

رأتكَ لـهـا كـفـؤًا وفـكـري لـهـا أب

ومـا أبـتـغي مَـهـرًا لـهـا غـيـرَ أن أرى

عُلاكَ بـهـا عـنـد الـلـقـاء تُـرَحِّب

غـريـبـةُ حُـسْنٍ شـاقَـهـا مـنك مـاجـدٌ

سَـجـايـاهُ مـنـهـا في الـبـريَّـةِ أغـرب

سـجـايـا إذا مـا سـارَ مـنّي لـهـا الـثَّـنـا

رأيتَ إلـيـهـا طُـرْقَهُ تَـتَـشَـعَّب

فلا بَـرِحَتْ طُـرْقُ الـثَّـنـا (لمحـمَّـدٍ)

تُـكَـثِّـرُهـا أخلاقُهُ وتُـرَحِّب

أمِـنْتُ عـلـى أخلاقِه عـادِيَ الـبِـلـى

فـلـيس إلـيـهـا لـلـبِـلى مُـتَـسَـرَّب

---

(١) شبه نفسه بالشاعر بشار بن برد.

لأنَّ قـريـضي في صـمـيم خُـلـودِهـا

كـمـا أشـتـهي مـنه لـهـا راحَ يُـوعِب

فـأخلاقُهُ والـشِّـعْـرُ مـني خـالـدٌ

إذا لم يَـغِبْ لا غـابَ لـلـضَّـادِ كـوكب

سـأنـظمُ من شـعـري له كلَّ مِـدْحَـةٍ

تسير لـهـا الأمـثال في الـنـاسِ تُضرَب

تَـداولُـهـا بـين الأنـامِ رُواتُـهـا

فـهـذا بـهـا يَـسـري وذاكَ يُـؤَوِّب

فـليس سوى تـخليد ذكـرِ (محمدٍ)

لـقـلـبيَ من أشـعـارهِ الـغُـرِّ مَـطْـلَب

****

دعوا العواطف[1]

دَعُـوا الـعـواطفَ لا تـقـفـوا لـهـا أثَـرًا

واقْـفـوا عـقـولَـكُمُ سَـلْـبًـا وإيـجـابـا

أوْ لا فلا تحـفِـلـوا بـالمجـدِ مـنـهـدِمًـا

ولا بـوارف ظِلِّ الـعِـزِّ مُـنْـجـابـا

أرجـاءُ عِـزِّكُمُ والمجـدُ دائـرةٌ

إن اتَّـخـذتُم لـهـا الألـبـابَ أقـطـابـا

مـا سـار قَطُّ حـكـيمٌ مَعْ عَـواطِـفِهِ

في الخَـطْبِ إن يَـعْـرُهُ يـومًـا ولا انـسـابـا

لـكن يُـمَـلِّكُ مـنه الـعـقلَ مِـقْـوَدَهُ

وعـقلُ ذي الـعـقلِ أولى مـا لَهُ آبـا

ومـخـصِـبـين أصـاروا من عـواطـفـهم

رُوَّادَهُمْ أبَـدلـوا بـالخِـصْبِ إجـدابـا

ومُـجْـدبـينَ أصـاروا الـعـقلَ رائـدَهم

أعـادَ عَـقْـلُـهُمُ الإجـدابَ إخـصـابـا

لـيـسـألِ الـكُـتْبَ عن بـرهـان صـحـة مـا

أقـولُ من كـان لـلـبـرهـان طَلابـا

✲✲✲✲✲

حَـتّـامَ أهـواؤنـا فـيـنـا مُـحَـكَّـمَـةٌ

لـهنّ نـنـقـادُ أفـرادًا وأحـزابـا

---

(١) عن مجلة الكويت.

إن شئتمُ يا بني الأوطان نهضَتَها
إلى العلا لابساتِ العِزِّ أثوابا
ورُمْتُمُ الخيرَ فيها اليومَ فاتَّخِذوا
من العقول على الأهواء أربابا
خُذوا لما يَرْفَعُ الأوطانَ عُدَّتَهُ
من التآخي وعُدّوها لكم آبا
خَلّوا انقسامَكُمُ فيهنَّ مطَّرَحًا
إلى انضمامِكُمُ المحمودِ أعقابا
إن اجتماعَكُمُ فيهنَّ مُركِبُها
ذُرى المعالي كما تَهْوَوْنَ إركابا
أمّا افتراقُكُمُ فيها فمُخرِبُها
لا قدَّرَ اللهُ بالتفريق أحزابا
أنى لأسمَعُ يا لَلْقَوْمِ من كَثَبٍ
منّا لأغربةِ التفريقِ تَنعابا
فَلْتَنْفِ وحدَتُنا المُثلى تَفَرُّقَنا
ولْنُمْسِ في الوطن المحبوبِ أحبابا

****

في شرقي الكويت[1]

أظَلَّتْني بشرقِيِّ الكويتِ
خُطوبٌ ألزمَتني قَعْرَ بَيْتي
وما بَيْعيكَ يا بيتي بسهلٍ
ولكن فيك خِفْتُ اليومَ موتي
أيسهُلُ أن أبيعَ اليومَ بيتًا
وفيه أنتِ يا نفسي رَبَيْتِ
فذُوبي من أساكِ عليه ذُوبي
وإلا يا لَكاعُ فما وَفَيْت
أتُلْزِمُني خطوبُ الدهرِ بيعًا
لبيتٍ فيه يا نفسي نَشَأْت
وما تقضين من جَرَّاهُ حُزنًا
إذا مني عليك الدهر مِقْت
كأنكِ يا جِياعَ الخَطْب مِنِّي
وقد أفنيتِ لحمي ما اكتفيت
رُوَيْدَكِ إن للعلياءِ حاجًا
بمن ظلمًا عليه قد أنَخْتِ
ستثأر لي المعالي منكِ أن لم
تكوني عن جهالَتِكِ ارعَوَيْت

****

(١) عن مجلة الكويت.

في الغزل[1]

تلوتُ بعينَيْ مسمَعي صورةَ البَها

بلفظٍ له منه تَكوَّنَ عَقْدُهُ

فآمَنَ قلبي أنه أوحَدُ الظِّبا

جمالاً وإن قد عَزَّ فيهنَّ نِدُّهُ

غَزالُ صريمٍ في الكويتِ كِناسُهُ

وقيصومُهُ بينَ الضلوع ورَندُهُ

تَواصَلَ منه الوصلُ لي قبلَ علمِهِ

بأنّي على حكمِ الصَّبابَةِ (عبده)[2]

فلما دَرى أوْرى القطيعةَ واغتدى

يُعَذِّبُني فيها كأنِّيَ عَبْدُهُ

****

(١) نشرت في كتاب «تاريخ الكويت».

في رجل كريم[1]

أغـــاثَ ولم أســـتـــسْقِ مُـــزْنَ نَـــوالهِ
بمـا زمـنًـا عـني به يَـطـرُدُ الـعُـسْـرا
فـمـاذا لـو اسـتَـمـطـرتُ سُـحْبَ عـطـائه
يُـغـيث (أبـو عـوفٍ) به نـفـسيَ الحَـرَّى
فـشـكـرًا أبـا عـوفٍ وحـمـدًا من امـرئٍ
كـشـفتُ له أو كِـدْتُ عن صـفـحِـهِ الـسِّـرّا
مـررتَ بـسـكّـانِ الـكـويتِ مُـسَـحْـسِـحًـا
نـداكَ عـلى مَن مـنـهمُ يـشـتـكي الـفَـقـرا
فـاحـيـيتَ مَـوْتَى فـاقـةٍ ونـشَـرْتَـهُمْ
بـهـا نَشْرَ وسْمِيٍّ الحَـيا الـروضَ والـزَّهْـرا
فـاضـحَـوْا وكلٌّ مـنـهمُ لك شـاكـرٌ
كـشُـكْـرِ الأُلى قـد أمـحَـلـوا مُـزْنَـةً غَـرّا
أظَـلَّـتـهُمُ والجَـدْبُ غـاشٍ فـمـا انجَـلَتْ
إلى أن جلَتْ من جَـدْبِـهِمْ عـنـهمُ الـضُّـرّا
أبـا عـوفٍ المحـبـوبُ إن كـنتَ لم تَـكنْ
بـأكـثـرَ أهل المال في عـصـرنـا وَفْـرا
فـانكَ من أنـداهُمُ الـيـومَ راحـةً
وأقـرَبِـهِمْ لـلـمُـعْـتَـفي نـائلاً غَـمْـرا
وإنَّكَ من أعـلى بَـني الـمَـجْـدِ مَـنـزِلاً
وأبـعَـدِهِمْ صِـيـتًـا وأرفـعِـهِمْ ذِكـرا

(١) نشرت في مجلة الكويت، والشاعر يمدح بها عبدالرحمن بن حسن القصيبي.

ومــا يــنــفـعُ المــالُ الــكــثــيــرُ وَرَبُّهُ

به لم يَــنَلْ ذِكــرًا جــمــيلاً ولا أجْــرا

ومــاذا بــجَــزْلِ المــالِ يــصــنـعُ بــاخِلٌ

إذا مــا أجَــدَّ المــوتُ عــنه به الــسَّــيْــرا

أظُنُّ الألى شَــحّــوا بــفــضل ثــرائــهمْ

بــبــالِــهِمُ ذكــرُ المــنــيَّــةِ مــا مَــرّا

ألا لــيت من لم يُــســعــفـوا بــعــطــائــهمْ

فــقــيــرًا يــكــاد الــفَــقــرُ يُــدخِــلُهُ الــقَــبـرا

قَــفَــوْا من أبي عــوفٍ إلى كُلِّ مَــفْــخَــرٍ

ومَــكْــرُمَــةٍ غَــرّاءَ مــحــمــودةٍ إثْــرا

فــلــو كلُّ ذي يُــســرٍ حــكــاهُ بــجــودِهِ

وفي حُــبِّه لــلــبــائس الــنــفعَ والخــيــرا

لمــا سَــمِــعَتْ أُذْنُ الــغــنيِّ لــبــائسٍ

أنــيــنًــا ولــكن تــسـمَعُ الحــمـدَ والــشُّــكـرا

أكــان أنــينُ الــبــائــســين تَــغَــنِّــيًــا

فمــا يشــتــهي حَــسْــمًــا له بعضُ من أثرى

أم الجــودُ طــبعٌ في الأنــام ولم يــكنْ

لــيُــوهَبَ مــنه كلُّ من وُهِبَ الــيُــســرا

فــداءُ أبي عــوفٍ من الــنــاس مُــكــثِــرٌ

إذا زاره الــعــافــون لاحَــظَــهُمْ شــزرا

يُــقَــطِّبُ مــنه الــوجهُ حــين يــراهمُ

وإنْ ســألــوه الــرِّفْــدَ أوسَــعَــهمْ زَجْــرا

أتتْ من أبي عــوفٍ إليَّ عــطــيَّــةٌ

ولــمّــا يُــكلِّــفْــني الــمَــســيــرَ لــهـا شِــبـرا

عــلى أنــني يــا ربّــمــا سـرتُ فــرسَــخًــا

وكــابـدتُ في ســيــري الحُــزونَــةَ والــوَعْــرا

لــنَـيْلِ نـوالٍ من فَـتًى خِـلْتُ أنـني
إذا جـئـتُهُ أمْـرَى مَـكـارِمَهُ دَرّا
فـلـمـا رآني مـقـبلاً شـاهَ وَجْـهُهُ
كـأني إلـيه قـائـدٌ عـسـكـرًا مَـجْـرا
ولَـجْـلَجَ في رَدِّ الـتـحـيَّـةِ مِـقْـوَلٌ
له مُـفـصِحٌ مـا شـاء أن يـنـطِقَ الـهُـجْـرا
فَـرُحْتُ عـلـى طِـرْسِ الـتَّـلَـجْـلُجِ قـارئًـا
سـطـورًا بـهـا نَـظْمُ الـرجـاء انـثـنى نَـثْـرا
وعُـدْتُ ولم أنـطقْ لـديه بـحـاجـةٍ
نـظـمتُ به من أجـلـهـا مـادحًـا شِـعـرا
فـكـان حـديثٌ عـنه سـاعـةَ رجـعـتي
يُـحَـدِّثُـنـيه قـائـدي كـلُّهُ نُـكْـرا
فـقـد وصَفَ الـتـقـطـيبَ مـنه ونَـتْـفَهُ
سَبالَـيْهِ حـتى كـاد أن يُفْنِيَ الـشَّـعـرا[1]
وتحـديـقَهُ عـيـنـيه فيَّ بِـحَـيْـرَةٍ
عـلـى وجـهه خَـطَّتْ لـنـاظـرِهِ سَـطـرا
فـلـمـا أطـالَ الـقـولَ في الـوصفِ قـائـدي
وأحـرَجَ مـني وصفُ لـؤم الـفـتى الـصَّـدرا
غَـمَـزتُ بـكـفي كـفَّهُ قـائـلاً له
حـديـثُكَ هـذا مُـلْـحِقٌ مـسـمَـعي وَقْـرا
فَـدَعْهُ وصِفْ مـثلَ الـقُـصَـيْـبيِّ عُـصْـبَةً
مـسـامـيحَ أحـرارًا غـطـارفـةً غُـرّا
فـوصـفُكَ أربـابَ المـكـارمِ شـارحٌ
ليَ الـصـدرَ مُـدْني الأنسِ فـاملأ به الـثَّـغـرا

(١) سباليه: شاربيه.

فقالَ ولِمْ لا قلتَ أنتَ قصيدَةً
تَخُصُّ أبا عوفٍ بها الماجدَ الحُرّا
من اللاءِ يَنْميهنَّ فكرُكَ غادَةً
مهفهَفةً حسناءَ معشوقَةً بِكرا
لها مبسمٌ يفتَرُّ عن كلِّ ميزَةٍ
حواها أبو عوفٍ ومَيِّزةٍ كُبرى
لعلَّ أبا عوفٍ يَمُنُّ بنظرةٍ
عليكَ بها ما بيننا تعتلي قَدرا
فقلتُ له إن يَصْفُ باليَ ليلةً
نظمتُ به الأشعارَ تحسبُها دُرّا

****

في شكر شاعر[1]

تَـــفَـــضَّلَ بَــنّـــاءُ الــقـــوافي بِـــزَوْرَةٍ
عـليَّ فـلن أنـسى عـلـيـهـا له الـشُّـكْـرا
أتـــاني وصـــدري من ســـروريَ مـــقـــفِـــرٌ
فـــعـــاد ومـــنه الأنسُ قـــد ملأ الـــصَّـــدْرا

****

(١) عن مجلة الكويت، قالها عندما زاره الشاعر عبدالرحمن البناء في منزله.

في الرثاء[1]

أبـــا زيـــدٍ عـــلـــيكَ الـــيـــومَ أبـــكي
بـــــدمعٍ مـــــا لجـــــاريـهِ وقـــــوفُ
ومــــا لي لا أُبَـــكّي مـــنك بـــدرًا
عَـــراهُ من مـــنــيَّـــتِهِ خُـــســـوف
وقـــد أحـــبـــبتُ أنْ أرثـــيك لـــكنْ
لـــســـاني عـــاقَهُ عـــســـرٌ مُـــخـــيف
فـــأنـظِـرني لـــيـوم الـيُـســرِ واعـذُرْ
فـــتـــنـــظـــيمُ الـــرِّثـــاء له ظـــروف
وأمـــا الـــيـــومَ والأعـــســـارُ تُـــدْمي
فـــؤاديَ من بـلايـــاهُ صُـــنـــوف
فـــمـــا أســـطـــيعُ تـــنـــظـــيمَ المـــراثي
لمـــثـــلك أيُّـــهـــا الـــبَـــرُّ الـــرؤوف
لأنَّ رثـــاك مـــحـــتـــاجٌ لـــطـــولٍ
وذاك أبَـــثُّهُ من دهـــري الـــصُّـــروف
وهل أســـطـــيعُ تـــطـــويـــلي رثـــاءً
وحـالي في الـكـويتِ كـمـا (تـشـوف)
ولـــو أني اســـتـطـــعتُ رثـــيتُ نـفـــسي
فـــبي لـــلـــعـــســـر أحـــدقَتِ الحُـــتـــوف
فـــإن أيـــسَـــرتُ بـــعـــد الـــيـــوم تَـــســـمَعْ
رثـــاءً لا فـــنـــاءَ به يَـــطـــوف
رثـــاءً مـــا (تُـــمـــاضِـــرُ) قـــبلُ قـــالتْ
بـــصـــخـــرٍ عـــنـــده نـــزرٌ طَـــفـــيف[2]

(١) يرثي الشاعر في قصيدته هذه السيد خلف النقيب.
(٢) تماضر هي الشاعرة الخنساء اشتهرت برثاء أخيها صخر.

وعـــمّـــا قـــاله قـــبلُ (ابنُ أَوْسٍ)[1]

حـــبـــيبٌ في مـــحـــمَّـــدِهِ يُـــنـــيفُ

رثـــاءً لم تُـــرَجِّـــعْهُ بِـــنَـــوْحٍ

عـــلى إلف مـــطـــوقـــةٌ هَـــتـــوف

رثـــاءً لـــو عـــلى الأشـــجـــار يُـــتـــلَى

لـــكـــان لـــهـــا بلا ريحٍ حـــفـــيف

رثـــاءً مـــا تَـــمـــادَى الـــدهـــرُ يـــبـــقَى

لـــراويـه وتـــالـــدُهُ طـــريف

عـلى جـيـدِ الـدُّنـا وبمـسـمـعَـيْـهـا

قلائـــدُ مـــنه تـــبـــقى أو شُـــنـــوف

لأنكَ لـــلـــمـــراثي الـــغُـــرِّ أهلٌ

وأجـــوَدُ مَن رثـــاكَ بـــهـــا (الـــكَـــفـــيف)

لأنكَ مـن رســـول الـــلـــه فـــرعٌ

زكيٌّ طـــاهـــرٌ حُـــرٌّ شـــريف

لأنكَ لـــلـــجـــمـــيل كـــثـــيـــرُ صـــنعٍ

لأنـك بـــالـــعُـــلا صَـبٌّ أَلـــوف

لأنك لـــلـــمـــعـــالي الـــزُّهـــرِ خِـــدْنٌ

لأنك لـــلـــنّـــدى الـــمُـــروي حـــلـــيف

لأن بَـــنـــيكَ أصـــحـــابي لأنّي

إلى مـــا يـــشـــتـــهي صَـــحـــبي خـــفـــيف

وإن لم يـــنـــكـــشف عُـــســـري فـــعُـــذري

جَـــلِيٌّ لـــيس تُـــخـــفـــيه سُـــجـــوف

وأنَّى من قـــريـــضـي الـــيـــومَ تـــدنـــو

وعُـــسْـــري مُـــيْـــبِسٌ عـــودي، قُـــطـــوف

****

---

(١) هو الشاعر أبوتمام.

ذكرى الزواج[1]

ذوى منها المُحيّا فهْو يحكي
مرقَّعةً من القِرَبِ البَوالي
وأمّا لفظُها فدويُّ رعدٍ
صواعقُ فيه تُنذِرُ بالوَبال
فإن يَقْرَعْ لها سمعي مقالٌ
رأيتُ الموت في ذاك المَقال
وما تفصيلُ وصفِ الجسم منها
ولا الإجمال منه لي بِحال
عظامٌ نُحَّلٌ أودِعْنَ جِلْدًا
به شَعرٌ كأشواكِ السَّيال
ولستُ أظُنُّ بالنِّسوانِ شِبْهًا
لها فلعلَّها إحدى السَّعالي
ولو لم أُنْجِ منها اليومَ نفسي
بتطليقٍ أزارَتني زَوالي
صبرتُ على أذاها نصفَ شَهْرٍ
فضاق بها اصطباري واحتمالي
ومن لي باحتمال أذى عجوزٍ
تُغِصُّ البَعْلَ بالماءِ الزلال

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق عبدالعزيز الرشيد عليها بقوله إن البؤس قد لاحق الشاعر حتى في زواجه، وهو يعبر في القصيدة عن ذلك.

(سـجـاحًـا) أشـبـهَت كـذبًـا وزورًا

ولم تُـشْـبِهْ (مـسـيـلِـمَـةً) خِلالي

فـبـارِكْ يـا ابنَ[1] شـملانٍ وهـنِّئْ

صـديـقك بـالـنـجـاةِ من الـغـزال

فـقـد قـالت بـأني فُـقْتُ جـيـدًا

وعـيـنًـا تُـلْعَ غِـزْلانِ الـرِّمـال

وإنـي ذاتُ حـظٍّ لـم تَـنَـلْهُ

جـمـيعُ الـغـانـيـات من الجَـمـال

فـقـلتُ لـهـا نـصـيـبي مـنك خُـصِّي

بـه رجلاً سـوايَ من الـرِّجـال

فـإنكِ مـا حـيـيتِ عـليَّ بَـسْلٌ

وإني لـلـمـحـاسنِ مـنكِ قـال

ولـو أصـبـحتِ (مَيَّ) الـعـصـر نُـطْـقًا

و(بـلـقـيـسًـا) عـلى عـرش الجـمـال[2]

وكـنتِ (غـزالـةً) في الحـربِ بـأسًـا

وفُـقْتِ (الخـيـزرانـةَ) في الـنَّـوال[3]

وأوتـيتِ الجَـمـالَ فـكـنتِ فـيه

لـه بـين الـورى أعـلى مـثـال

ولـو (غَـيْلانَ) كـنتُ وكـنتِ ظـهـرًا

كـ(صـيـدحَ) مـا ركـبتُ إلى (بِلال)[4]

فَـوَلِّي غـيـرَ شـارحـةٍ جـمـالاً

حـويـتـيهِ عـلى سـمـعي بِـقـال

لـعلَّ الـلـهَ يُـدرِكُ جـرحَ قـلـبي

عـلى إثْـرِ ارتحـالكِ بـانـدمـال

(١) يشير إلى محمد بن شملان بن علي بن سيف.

(٢) مي هي الأدبية مي زيادة وبلقيس ملكة سبأ.

(٣) غزالة هي زوجة شبيب بن يزيد أمير الخوارج وكانت شجاعتها مضرب الأمثال. والخيزرانة هي الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد.

(٤) غيلان هو الشاعر ذو الرُّمة، وصيدح: ناقته، وبلال ابن أبي موسى ممدوحه.

فـــفـي قـــلــبي فـــضـــولُكِ شَــــرٌ وقـــعًـــا

وفـي أذنـيَّ مـن زَرق الـــــنِّـــــبــــــال

وإن لـم تــــذهـــبي عـــنـي ســــريـــعًـــا

فـــخـــافـي من عـــصـــاي ومن نِـــعـــالي

وولّـــيتُ الـــعـــجـــوزَ ورحتُ أعـــدو

مـــخـــافــةَ هَـــذْرِهـــا الـــمـؤذي قَـــذالي

فَــــولَّتْ وهْـي تحــــسبُ أن ســــأبـــقـى

كـ (قـــيسٍ) بـــعـــد (لـــبـــنى) في خَـــبـــال

وإلا فـ (الـــفــــرزدقُ) حــــين شَــــطَّتْ

(نــــوارٌ) عـــنـه صـــاحـــبـــةُ الـــدَّلال

وإلا فـ (الـــيـــزيـــدُ) لَـــدُنْ رمـــاهُ

رَدى (حَـــبّـــابـــةٍ) في شـــرِّ حـــال

وإلا فـ (ابنُ زيــــدونٍ) سَــــقَـــــتْهُ

نــــــوى (وَلادةٍ) سُـمَّ الــــــصِّلال

ولم تــــعـــلم بـــأني في لـــقـــاهـــا

بـــنــــارٍ من أسًى ذاتِ اشـــتـــعـــال

وإني في أســـايَ عــــلى اقـــتـــراني

بــهـــا أفـــنـــيتُ في نــتــفي سِـــبـــالي

وإني مُـــذْ وصـــلتُ لـــهـــا حـــبـــالاً

(مَـــلَـــلْتُ من الحـــيـــاةِ) إلى حـــبـــالي

وإن لــــو لـم تـــفـــارقـــني أجـــادتْ

مُـــقـــلِّـــصَـــةً من الـــمَـــحْـــيـــا ظلالي

وأودَعَ هـــيـــكـــلي الـــغـــالي أذاهـــا

ضـــريـــحًـــا فـــيه مـــا يـــحـــلـو احـتلالي

تـــــؤول بـه مـــــفـــــاصلُ كل حُـــــرٍّ
وعـــــبـــــدٍ في الأنـــــام إلـى انـــــحِلال
فـصــرتُ بـفُـرقَـتِـيـهـا في جِـنـانٍ
لـــقـــيتُ بـــهنَّ أُنـــسي في كـــمـــال
قـــضـــاءٌ يـــا ابنَ شـــملانٍ ومـــا لي
بـــأقـضـيـــةِ المـلـيك من احـتـيـال
وهل لـلـمـرءِ فـيـمـا الـلهُ يَـقـضي
عـــلـــيه من يمـــينٍ أو شِـــمـــال
وقـــد أودى نـــصـــيـــبي مـــنه عَـــدْلاً
فـــأصـــبحَ وهْـــو في داءٍ عُـــضـــال
وقـــد طـــالَ اعـــتلالُ الحظِّ حـــتى
حـسـبتُ شـفـاءَهُ بـعضَ الـمُـحـال
لـــســوء الحظ مـــا أوصـــلت خـــيـــرًا
فـــخَلاني وشـــأنيَ في الـــوِصـــال
ولم يَـــلُحِ انـــفـــصـــالي عن مُـــمِضٍّ
لـعـيـنـيه فـأرخـاهُ انـفـصـالي
ومـــا يـــغـــفـــو فـــأنـــعَمُ قَطُّ إلا
تـنـبَّهَ مـسـرعًـا لي بـالـنَّـكـال
فـــهـــا أنـــا مـــنه أصـــلى شـــرَّ نـــارٍ
من الـدنـيـا ستُـسـرِعُ بـانـتـقـالي
وأخـــوَفُ مـــا أخـــافُ الـــيـــومَ أَلا
يُـــغـــادِرَني الحِـــجـــاءُ بلا اخـــتلال
فـــكن لي داعـــيًـــا بـــالخـيـــر عَـــلِّي
أرى حـــظِّي الـــعـــلـــيلَ بلا اعـــتلال

فــــألـــقى مـــا تـــمـــنَّـــاهُ فـــؤادي
من الـــغـــيـــدِ الـــكـــوامنِ في الجَـــمـــال
فـــــتـــــاةٌ أوتِـــــيَـتْ عَـــــقلاً ونُـــــبلاً
وحـسـنًـا في الـمُـحَـيّـا والخِـصـال
تـــلـــقّـــاني بـــوجهٍ لـــيس فـــيه
عُـبـوسُ الـبـاخـلـين لـدى الـسُّؤال
وتُـــولِجُ مَـــســـمَـــعَيَّ أرَقَّ لـــفظٍ
كـأحـسـنِ صـوتِ مـهـزوزِ الـلآلي
مـتى أفـضى به سـمـعي لـقـلـبي
يَـــقُلْ: هـــذا من الـــســـحـــرِ الحلال
فـتـملأُ بـهـجـةً بـيـتي وأُنـسًـا
ويملأ قـربُـهـا بـالـصَّـفْـوِ بـالي
فـلـيس إلى حـقـيـقِيٍّ سـواهـا
يمـيلُ الـقـلبُ مـنّي أو خَـيـالي
وإن يَـصـعُبْ عـلـيَّ مـنـالُ هـذا
لمـا يـشـكـو من الإقلال مـالي
وأقْـصَتْ فـاقـتي عـنّي الأمـاني
فـسـوداءَ الجُـلَـيْـدَةِ لا الـفِـعـال
تـسـاعـدُني عـلـى تـنـظـيفِ بـيـتي
وتـغـسـيلِ الـثـيـابِ أو اغـتـسـالي
وإنْ أمـرَضْ وأمـراضـي كِـثـارٌ
أجِـدْ مـنـهـا مُـمَـرِّضَـةً حِـيـالي
وإن أحْـتَجْ إلـيـهـا في فـراشي
عَـنَتْ لي غـيـرَ شـاكـيـةِ الـكَلال

وإلا فـــالـــسَّلامُ عـــلـى حـــيـــاتي

فــمـــالي بـــالحــيـــاةِ من اتِّـــصـــال

وكـــيف حـــيـــاةُ مـــنـــفـــردٍ أســـاهُ

له في قـــلـــبه فـــعلُ الـــنِّـــصـــال

فــــإن يكُ في جـــفـــونِكَ لي دُمـــوعٌ

فــأَســـبِـــلْـــهـــا فــقـــد أزِفَ ارتحـــالي

ولا تـــبـــخلْ بـــدمـــعكَ بـــعـــد مـــوتي

وشـــاركْ في بُـــكـــاهُنَّ الـــمَـــعـــالي

✱✱✱✱

المتلبسون[1]

أنَـنْـعَمُ في الكويتِ ونحنُ فيهِ
غِراقٌ تحت سكّينِ الجهاله
تُفَرِّقُنا الجهالةُ كيف شاءت
وتفعلُ ما تريدُ بنا البَطاله
يُزَندِقُ بعضُنا بعضًا سَفاهًا
مطيعينَ العمائمَ في الضلاله
أدينٌ يا أُلي العِمّاتِ أن لا
يُلينَ لبعضِنا بعضٌ مَقاله

(١) نشرت هذه القصيدة في كتاب تاريخ الكويت لعبدالعزيز الرشيد الذي علق عليها بقوله: إذا ما ندد شعراؤنا الأفاضل بالعلماء وبالعمائم فإنما يريدون علماء السوء الذين طووا عمائمهم على الغش والخداع وكوّروها على الخبث والنفاق، من كل متظاهر بغير ما انطوى عليه ضميره، لا العلماء المتفانين في خدمة الحق والباذلين في إحياء الإسلام ما يستطيعون، وشتان بين الفريقين، وليس شعراؤنا ببدع فيما قالوه من الحط في الفريق الأول فإنه لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وفي أصحابه الكرام ومن بعدهم من الأئمة الأعلام فقد كثرت الأحاديث عن الرسول (ص) والآثار عن السلف في التحذير من أولئك المتلبسين، وما زال المصلحون يشكون من فسادهم ويتخوفون منهم على الإسلام، ولهم الحق في ذلك فإن من أعظم أسباب انحطاط الإسلام فساد علمائه.

وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبار سوءٍ ورهبانها

ولله در الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده حيث يقول:

ولست أبالي إن يقال محمد
أَبَلَّ أو اكتظّت عليه المآتم
ولكنّ دينًا قد أردتُ صلاحَهُ
أحاذر أن تقضي عليه العمائم

والقصيدة فيها مبالغة شديدة، وقد عمم الشاعر نقمته على العلماء، وهو لم يذكر في مكان آخر غير واحد منهم. ولا شك في أن نفسية الشبيب لها دور في صب نقمته على هؤلاء.

وأن تجــفــو الــرجــالُ مــواطــنــيــهــا
وتــشـــهــرَ من تــخــالُــفـهــا نِــصــالَه
ويــلــعنَ بــعــضُــنــا بــعــضًــا لأمــرٍ
عــلــيــنــا مــكــرُكُم فَــرَضَ امــتــثــالَه

✡✡✡✡

عــلــمــتمْ بــاتِّــحــادِ الــقــومِ فَــوْتًــا
لمــا فـــيه لــــمَــطــمــعِــكم عُلالَه
فــأبــدلــتمْ وئــامَ الــقــوم خُــلــفًــا
لــتــحــظَــوْا بــالــدقــيق وبــالــنُّــخــالَه
وألـــبـــســـتمْ خـــداعَـــكُمُ لـــثـــامًـــا
من اسمِ الـــدينِ مـــســـبـــلَـــةً غَلالَه
أعـــنـــد ألي الـــعـــمـــائم من كـــتـــابٍ
به قـــــد خَــــصَّـــــــهمْ ربُّ الجَلاله
فـــهم يـــتـــلـــونَ دونَ الـــنّـــاسِ آيًـــا
إلى قـــبح الـــشِّـــقـــاقِ به اســـتِـــمـــاله
لِــتُــوقِــدَ من جــحــيم الخُــلْفِ مــا لا
يـــخـــافُ ســـوى الألـــبّـــاء اشـــتـــعـــاله
وتُـــوهِمَ أنَّ في الـــتـــفـــريق رُشْـــدًا
إذًا فـــالـــرُّشـــدُ هُـــلْكٌ لا مَـــحـــاله
أيُــودي بــالــشُّــعــوب ســوى اخــتلافٍ
يــصــولُ عــلــى تجــمُّــعِــهِمْ مَــصــاله
سَـــلـــوا عـــنه ألي الألـــبـــابِ تُـــرفَعْ
لـــكم عن ســـوءِ عُـــقـــبـــاهُ حِـــجـــاله

✡✡✡✡

فــــفِـــرّوا من تـــفـــرُّقِـــكم فـــمـــنهُ

نـفـيسُ نـهـوضِـكم يـشـكـو اعـتِلاله

وإلا فــاحـــفِـــروا لـــلــنـــهض قَـــبْـــرًا

وَرُدّوا فـــــوقَهُ مـــــيـــــتًــــا رِمــــاله

وخِـــرّوا لـــلـــعِـــمـــامـــة إن تَـــبَـــدّى

أخــوهـــا خُــضَّـــعًــا جـــهلاً حِـــيــاله

وإن يَـمْــنَعْ لــهــذا الــعــصــرِ عِـلْــمًــا

فــبُــتّــوا ســـامـــعـــين له حِـــبـــاله

ونـــامـــوا من تـــخـــالُــفِـكم بــلـــيلٍ

عِـمـامـةُ (بـعـضِـنـا) تـخـشى انـتـقـاله

فــــان يَكُ فـــــيه للأوطـــــان مـــــوتٌ

وفـــيه لانـــتِـــبـــاهَـــتِـــهـــا إزاله

فـمَـطْـمَـعُـهـا الـخـسـيسُ إذا تـلـظّى

له ظـــــــمَــــــأٌ لـه فــــــيه بِلاله

فـــعُـــذْرُ عـــمـــائم (الأشـــيـــاخ) بـــادٍ

إذا كـــرِهَتْ لِـــنـــهـــجِـــنـــا اعـــتـــدالَه

أيـــســـمـــو بـــالـــشُّـــعـــوبِ ســـوى وئـــامٍ

لـــــهم يـــــجـــــلـــــو الـــــرقيُّ به هِلالَه

وهل شـــــعبٌ يـــــنـــــالُ بلا اتِّـــــحـــــادٍ

لـــــديه من تـــــقـــــدُّمِه كـــــمـــــالَه

فــــفي حُـــسْنِ الـــوئـــام لـــنـــا رُقِيٌّ

لــنــور جـبــيــنه تـعــنــو الــغــزاله

وقـــــد حَثَّ الإلهُ عـــــلى اتـــــفـــــاقٍ

تُــــضيءُ دُجَى الخـــطـــوبِ له ذُبـــالَه

☆☆☆☆☆

أحـــذِّرُكُمْ بـــني وطـــني انـــشِـــعـــابًـــا
لِـــهُـــلْكِ الـــشَّـــعْبِ فـــيه شَـــرٌّ آله
فـــلـــو كـــانـــوا أولي ذوقٍ ســـلـــيمٍ
وكـــان لـــرأيـــهم بـــعضُ الأصـــاله
لمـــا مـــدّوا إلى أحـــدٍ أكُـــفّـــاً
لأخـــذِهِـمُ بـــســـؤلِـــهِـمُ نَـــواله

☆☆☆☆☆

إلى كم فـــوقَـــنـــا الـــعِـــمّـــاتُ تُـــلـــقي
من الأعـــبـــاء مـــا نـــخـــشى احـــتـــمـــاله
وتـــزعمُ أن دين الـــلـــه عـــســـرٌ
خلافًـــا لـــلـــذي الـــرحـــمنُ قـــالَه
وتـــنـــفُخُ روحَ شـــؤمِ الخُـــلْفِ فـــيـــنـــا
وتـــوسعُ بـــيـــنـــنـــا ظُـــلْـــمًـــا مَـــجـــاله
لـــتـــســـلُبَ كلَّ ذي جـــهلٍ حِـــجـــاهُ
وتـــســـلبَ من يـــديه بَـــعْـــدُ مـــالَه
ولـــو قَـــنِـــعَتْ بـــســـلبِ فـــضـــولِ مُـــثْـــرٍ
لـــقـــلـــنـــا صِـــيـــدَ من بَـــرٍّ غـــزاله
ولـــكنَّ الـــعـــمـــائمَ قـــد أسَـــفَّتْ
إلى مـــا لـلأجـــيـــرِ من الـــعَـــمـــاله

☆☆☆☆☆

رويـــدًا يـــا أولي الـــعِـــمّـــاتِ فـــيـــمـــا
أتـــيـــتم عـــامـــدين من الـــسَّـــفـــالَه
فـــبـــاسم الـــدين حـــقًـــا قـــد سَـــلَـــبـــتمْ
عـــلى طـــمعٍ يُـــشـــيـــنُـــكُمُ جَـــمـــالَه

سَـــتُــوجِــزُ من خـــداعِـــكُمُ بَـــنـــونـــا
وإن رَغِـــــمَتْ انـــــوفُـــــكُمُ الإطـــــاله
وتـــطــوي من لحـــاكمْ مـــا نـــشـــرتمْ
لـصَـيْـدِ ثـرائـنـا مـنــهـا حِـبـاله
فـــإن لم تـــتَّـــقــوا فـــيـــنـــا إلـــهًـــا
يـــصبُّ عــلى عـــمـــائـــمـــكم نَـــكـــالَه
فـــخـــافـــوا من سُلالَـــتِـــنـــا نَـــكـــالاً
فـــقـــد عـــلـــمت بـــغـــشِّـــكُمُ الـــسُّلالَه
ســـتَـــنْـــسِفُ ريحُ عـــدلِ الـــله عـــنـــكمْ
عـــمـــائمَ لـــلـــنـــفـــاق بـــهـــا دِلاله

****

فتوى[1]

تـقـول لـقـد أفـتى بـهـجـرك شـيـخُـنـا
أنـــاسٌ بـــشـــرقِـيِّ الـــكـــويتِ تُـــقـــيمُ
وطـاعَـتُـنـا عـبـدَالـعـزيـز بنَ صـالحٍ
ســـبـــيلٌ إلى بـــاب الجِـــنـــان قـــويم
فـقـلتُ جـزاهُ الـله خـيـرًا فـهـجـرُكُمْ
لـنـفـسي به لـو تـعـلـمـون نَـعـيم
عـلى راحـتي قـد حَـثَّـكُمْ ومُـرادُهُ
شـقـائي وربّي بـالـضـعـيفِ عـلـيم

****

(١) عن كتاب تاريخ الكويت.

صرخة البائس[1]

قد كساني أبوكَ أمسِ كساءً
من نَداهُ فابْتَزَّنيهِ الزَّمانُ

فاكسُني يا ابنَ سالم اليوم إني
من نداه كما ترى عُريان

واتخذني مكان عُرفِكَ تعلمْ
أنَّ صقرًا للعُرفِ نِعمَ المكان

كان لي من أبيكَ في الشهرِ عِشرو
نَ فماتتْ إذ ماتَ ذاكَ الهِجان

ورجائي على يمينك أن تحـ
ـيا فأحيا بها ووجهي يُصان

أنت ذُخري ولارتدادي إليه
واعتمادي عليه آنَ الأوان

قد أخافتْ صروفُ دهري فؤادي
فعسى لي لديكَ منها أمان

إن تكنْ لي فذاكَ، أو لا فقلْ لي
من يُرجَّى الإغاثةَ اللهفان

---

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق الرشيد عليها بقوله: «قصيدة غراء قدمها الشاعر البائس صقر بن سالم الأديب الكويتي إلى الشيخين الفاضلين الشيخ عبدالله بن سالم آل صباح والشيخ يوسف بن عيسى القناعي مذكرًا فيها الأول بما كان رتبه له أبوه المرحوم الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح حاكم الكويت سابقًا في حياته ومؤملاً منه أن يصل تلك الصلة التي قطعت بعد وفاته ومستشفعًا لديه بصديقه الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ملجأ العلماء والأدباء والفضلاء أدر الله عليه رزقه ووقاه من كيد الدهر وحوادثه».

أنــا بــالــفــقــرِ بــعــدَ والــدكَ الــطــا

رِدِ عـــني مَـــفـــاقِـــري حَـــيـــران

طـــالَ ذُلِّي بـــفـــاقـــتي بـــين قـــومٍ

شـــمـــتـــوا بي لـــفـــاقَـــتي وأهـــانـــوا

والـــمُـــحـــبّـــونَ مـــنـــهمُ لي اعـــتَـــرتـــهمْ

لافـــتـــقـــارٍ أذلّـــني أشـــجـــان

فـــأحـــبّـــوا إغـــاثـــتي وأرادوا

غـــيـــرَ أن لم يـــســـاعِـــدِ الـــوجـــدان

فَـــقُمِ الـــيـــومَ عن أبـــيك مُـــعِـــزّاً

لأديبٍ عـــلـــيه طـــالَ الـــهـــوان

أسْـــهَبَ الـــفـــقـــرُ حـــســـرتي وعـــلى كـــفَّـــيْـ

ـكَ يـــرجـــو اخـــتـــصـــارَهـــا الإخـــوان

حـــرَّضـــوني بـــأن أؤمَّ جَـــوادًا

مـــنه تَـــنـــدَى لـــســـائـــلـــيه الـــبَـــنـــان

فـــأتَـى بي إلـــيـــكَ تحـــريضُ قـــومٍ

لـــهمُ بـــالـــثـــنـــا عـــلـــيكَ لـــســـان

ضَـــمِـــنـــوا لي المـــرجـــوَّ مـــنك فـــقـــالـــوا

عـــنك نـــعم المـــعـــينُ والـــمُـــسْـــتَـــعـــان

سَـــلْهُ يَـــرْدُدْ عـــلـــيك خـــيـــرَ أبـــيه

وعـــلـــيـــنـــا أن لا تـــخـــيبَ الـــضُّـــمـــان

وابنُ عـــيـــسى لـــديه خـــيـــرُ شـــفـــيعٍ

يـــوسفُ من بـــه الـــكـــويتُ تُـــزان

مَن بـــإرشـــادِهِ الـــعَـــمـــيمِ تَـــرَقَّتْ

لـــلـــمـــعـــالي وتـــرتـــقي الأوطـــان

واســـتـــحَثَّ الـــكـــويتَ لـــلـــمـــجـــدِ حـــتى

صـــار لـــلـــمـــجـــد في يـــديـــهـــا عِـــنـــان

وهْـو مـا انـفكَّ يـسـتـحِثُّ بَـنـيـهـا
لـلـتَّـرَقّي بـالـنـصحِ مـنه الـبـيـان
قـد أنـارَ الـعـقـولَ فـيـهـا وغـذّى
كلَّ روحٍ هُـداهُ والـعِـرفـان
بَثَّ صِـنْـفَيْ عـلـومِهِ من قـديمٍ
كـاد يـلـوي بـذكـرِهِ الـنِّـسـيـان
فـثَـنَى الـدين بـالـقـديم فـتِـيّـاً
مـنه تـهـتـزُّ بـالجَـنَى الأغـصـان
وجـديـداً به تـطـيبُ حـيـاةٌ
هـي لـولاهُ كـلُّـهـا أحـزان
فَـتَـلَـمَّسْ شـفـاعـةَ الـشـيخِ واعـلَمْ
أنْ سـيـحـنـو عـلـيكَ مـنه الجَـنـان
لـيس يـرضى بـأن تَـضـيعَ ابنُ عـيـسى
في بلادٍ لـه بـهـا إمـكـان
رفـرفتْ مـنه فـوق كلِّ أديبٍ
مُـدْقِعِ الـفـقـرِ رحـمـةٌ وحـنـان
لم يَـفُتْ في الـكـويتِ طـالبَ عـلمٍ
صِـفْـرَ كفٍّ من يـوسفٍ إحـسـان
فـهْـو بـالمـالِ للأديب وطـوراً
هـو بـالجـاهِ مـسـعفٌ مِـعْـوان
فـكُنِ الـيـومَ عـنـد ظَنِّ صِـحـابي
فـيكَ لي فـالـظـنونُ فـيك حِـسـان

****



القسم الثالث

إضافات تكرم بتقديمها

ليس في الكويت مثلي[1]

أفي أهلِ الكويتِ سوايَ أعمى
به عَصفَتْ أعاصيرُ الشَّقاءِ

تَهاداهُ البلايا كلَّ حينٍ
ويُسلِمُهُ العناءُ إلى العناء

لعلّي أن أُعَزِّيَ فيه قلبًا
تخلّت عنه أنواعُ العَزاء

وهل من أسوةٍ فيها لأعمى
رماهُ الدهرُ منه بالعَداء

ومن عاداهُ صرفُ الدَّهرِ أمسى
وأُسوَتُهُ عليه في إباء

ولو لم تَرمِني الأيامُ إلاّ
بِبُعدِكَ يا (ابنَ شملان) العَلاء

لأصبحَ رميُها بالبُعد يكفي
لتعذيبي وإهلاكي بِدائي

ولكن قبلَ بُعدِكَ قد رَمَتني
بنار من صدودك والجَفاء

فلما أن خبَت نارُ التَّجافي
وكِدتُ أذوقُ لذّاتِ الهناء

أعادَتني فألقَتني بنارٍ
تُجيدُ وقودَها أيدي التَّنائي

(١) موجهة إلى صديقه محمد بن شملان وفيها تعطف، وطلب استمرار العلاقة بينهما.

فـهـا أنـا من حـجـيمِ الـبـينِ أصـلى
فـوا عُـمْـراهُ إن طـال اصـطِلائي
فـأنـقِـذْ يـا (ابنَ شـملانٍ) مـحِـبّـاً
تَـرَبَّعَ مـنه حُـبُّكَ في الحَـشـاء
وأخـمِـدْ يـا (مـحـمَّـدُ) نـارَ بُـعْـدٍ
لـهـا في قـلـبِهِ شَـرٌّ اصـطِلاء
وهل يـخـبـو جـحـيمُ الـبـينِ إلاّ
إذا جـادته أمـطـارُ الـلِّـقـاء
فـإن يَـمـنعْ لـقـاءَكَ سـوءُ حـظّي
وسـوءُ الحظِّ من طُـرْقِ الـبَلاء
فـعَـجِّلْ مـنك إحـسـانًـا وفـضلاً
كـتـابًـا فـيه من دائي شِـفـائي
فَـكُـتْـبُكَ يـا (مـحـمـدُ) خـيـرُ شـافٍ
ومـا لي غـيـرُ كُـتْـبِكَ من دواء
وأنـعِمْ يـا حـبـيبُ ولـو بـسـطـرٍ
به أحـيـا ويـحـيـا لي رجـائي
وإن تُـحْيِ الـوفـاءَ فـلـيس بِـدْعًـا
فـقـد وُفِّـيتَ حَـظَّكَ في الحِـجـاء
ومن يـكـبُـرْ حِـجـاهُ في الـبـرايـا
فـقلْ مـا شـئتَ فـيه من الـثـنـاء
ولـولا مـا يُـقـاسـيهِ فـؤادي
من الأحـزانِ والـنُّـوَبِ الـوَلاء[1]
لجـئتُ من الـثـنـاءِ بـكلِّ بـيتٍ
تُـصـيغُ له الـكـواكبُ في الـسـمـاء

(١) الولاء: المتتابعة.

وجـــئتُ من الـــقـــوافي بـــالـــلَّـــواتي

تــتــيهُ عــلى الخــرائــدِ في الــبَــهــاء

ولـــــكـــــنّي ولـــــستُ أفُـــــوهُ إلاّ

لمــثــلكَ يــا (مــحــمــد) بــاشــتِــكــائي

وقـــعتُ من الــــنـــوائبِ في خِـــضَمٍّ

ســـواحــلُهُ خُــلِــقْنَ من الــتَّــنــائي

وظَــنّي الــعــمــرُ مــني قــد تَــقَــضّى

وإلاّ فـــهْـــو حَـــوْلَ الإنـــقـــضـــاء

وهل أرجـــو امـــتـــدادًا من حـــيـــاةٍ

تحفُّ بـــهـــا جـــيـــوشٌ من عـــنـــاء

وحـــســـبي مـــهــلـــكًـــا أني وحـــيـــدٌ

وأني صِـــــفــــرُ كفٍّ ذو عَـــــمـــــاء

فـــهـــا أنـــا خـــادمي في كلِّ أمـــرٍ

تـــراني مـــنه في أمـــرٍ عَـــيـــاء

بـــذا حَـــكَمَ الـــزمـــانُ عــليَّ جَـــوْرًا

ومـــا زال الـــزمـــانُ أخـــا اعـــتـــداء

****

إلى كم يا محمد منك أشقى[1]

لــهـجــركَ يــا (ابنَ شــمـلانَ) الــتــهــابُ
بـــقـــلـبٍ مـــا لَهُ عـــنـكَ انـــقلابُ
وأنَّى يـــا (مـــحـــمـــدُ) عن هَـــواكُمْ
يـــكـــون لـــقــلـبٍ وامـــقــكم ذَهـــاب
ومـــحضُ ودادكم فـــيه حـــيـــاةٌ
وعن مَـحـيـاهُ لـيس له انـسـحـاب
أيـــلـــفِظُ روحَهُ طـــوعًـــا فـــؤادٌ
به من ذكــرِ فُــرقــتــهــا اضــطِـراب
مُـحـالٌ أن يَـحـيـدَ الـقـلبُ عـنـكم
ومَـحـيـاهُ هـواكَ المـسـتـطـاب
هَـــواكم قـــد تـــكـــوَّن مـــنه قـــلبٌ
له مـــا بـــين أضلاعي انـــتـــصـــاب
فـــمَـحضُ ودادِكم قـــلـــبي وقـــلـــبي
هـــواكَ فـــعـــنك لـــيس له انجِـــذاب
لأيٍّ فـــتًى سِـــواكَ يمـــيلُ قـــلبٌ
لـــغـــيـــرك مـــنه لم يـــنـــفَّك بـــاب
ويـــحـــجبُ عن ســـواكَ الـــقـــلبَ حُبٌّ
له كَـــدَمي بـــأعـــضـــائي انـــسِـــراب
يَـــحِنُّ إلـــيك في صـــدري فـــؤادٌ
بـــحـــبَّـــتِه إذا تجـــفـــو انـــشِـــعـــاب

(١) كثرت قصائد الاستعطاف التي يرسلها الشاعر إلى صديقه محمد بن شملان وهذه إحداها.

إلــيك الــيــوم أشــكــو يــا حــبــيــبي
جـــفـــاءً مـــنه في صـــدري حِـــراب
جـــفـــاءً لا تـــطـــيقُ له احـــتـــمـــالاً
ولا لأقــــلِّـه الـــــصُـمُّ الـــــصِّلاب
جــفــاءً خـــانــني فـــيه اصـــطـــبــارٌ
وفـيٌّ في الـــــنــــوائبِ لا يُـــــعـــــاب
جـــفـــاءً مـــــنه راحـــــاتـي تلاشَتْ
وأعـــقَبَ فـــيه نَـــوْمِيَ الاجـــتـــنـــاب
جـــفـــاءً مـــنه في الأحـــشـــاءِ نـــارٌ
تـــأكَلُ لـــيس يُـــخـــفـــيــهـــا حِــجــاب
ولـــو أنّي أطـــيقُ لـــهـــا اكـــتـــتـــامًـــا
لخفَّ عـــليَّ بـــالـــكَـــتْمِ الـــمُـــصـــاب
وأنَّى لـي أكـــــــتِّم نــــــار حـــــــزنٍ
لـــهـــا بِـــيَـــدِ الجَـــفـــا مـــنك احـــتِـــطــاب
وكــــــيف أكــــــاتِمُ الأعـــــداءَ نـــــارًا
يَـــنِمُّ بـــهـــا عـــلى الـــوجه اكـــتـــئـــاب
ووجهُ المـــرءِ لـــلـــنُّـــظّـــارِ يُـــفـــشي
سـرائـرَ في حـشـاهُ لـهـا احـتـجـاب
فـــمن وجـــهي عـــلى قـــلـــبي مِـــراةٌ
بـعـكس ضـمـيـرِهِ فـيـهـا انـسـيـاب
أأحـــمِلُ مـــنك هـــجـــرًا فـــيه حـــتى
لِـــوَجـــهي في أســـاءاتي انـــتـــداب
وأعـــظمُ مـــا أخـــاف شَـــمـــاتَ قـــومٍ
يَــــجِـــدُّ بـــــهم لمـــكـــــروهي طِلاب
وإن يَـــطُلِ الـــتـــجـــافي مـــنك يَـــظْـــهَـــرْ
عـــلى وجـــهي بـــأســـراري كـــتـــاب

فــتــقــرأُ فــيه مــا تــهــوى أنــاسٌ
مُــنــاهــا أن يُــغَــيِّــبَــني الــتُّــراب
كــأني في جُــســومِــهِمُ سَــقــامٌ
كــأني في عــقــولِــهِمُ خَــراب
كــأنَّ مــسَــبَّــتي فــيــهمْ قَــذاةٌ
وهُم لــغــرامــهمْ فــيــهــا ذُبــاب
ومــا لي عــنــهمُ خَــرَسٌ ولــكن
عن الجُــهَّــال في الــصَّــفحِ الــصَّــواب
تَــرَفَّعَ عن خَــنــاهُمْ فيَّ طــبعٌ
كــريمٌ لــيس يُــعــجــبه الــسِّــبــاب
أحَــبّــوا كــبــوَتي حــســدًا ولــكن
حــمــاني الــلهُ أن أكــبــو فــخــابــوا
ومــا أنــا يــا (ابنَ شــملانٍ) مُــبــالٍ
بمن نــظــروا إليَّ وهم غِــضــاب
أأرهَــبُــهمْ وعَــوْنُكَ لي مَلاذٌ؟
وأخــشــاهمْ ونــصــرُكَ لي مــآب
إذا مــا كــان لي مــنك انــتــصــارٌ
وإســعــافٌ فــلــلأعــدا الــتَّــبــاب[1]
تَــخِــذْتُكَ يــا (ابنَ شــملان) حــســامًــا
إلــيه في الــنــوائبِ لي إيــاب
ونــعمَ الــعــونُ أنت إذا الــبلايــا
عــلى رأسي هــمى مــنــهــا سَــحــاب
فــكم لك يــا (مــحــمــدُ) من أيــادٍ
يُــقَــصِّــرُ أن يُــحــيط بــهــا الحِــســاب

(١) التباب: الخسران.

يُقِرُّ بها ويشكرها لساني
إلى موتي ولحمي والإهاب
وجحدي ما غدا جَلَدي مُقِرّاً
عليَّ به لكم أمرٌ عُجاب
أيُخفي من ندى يمناكَ شمسًا
إذا ما ثار من جحدي ضَباب
يُصاحِبُ لي ندى كفيك بِشرًا
به تحلو أياديكَ الرِّغاب
فما بالُ البشاشَةِ منكَ أضحتْ
عليها من جفائِكِ لي نِقاب
فلا تُشْمِتْ بيَ اليومَ الأعادي
فإني من شَماتِهِمُ أهاب
أترضى يا (محمدُ) بي شماتًا
فصَدُّكَ للشَّماتِ به انْتِياب
إلى كم يا (محمد) منك أشقى
بِصَدٍّ للعزاءِ به اغتراب
فإن يمتدَّ منك علَيَّ هذا
يَكُنْ لمنيَّتي فيه اقتراب
عهدتُكَ لستَ ترضى لي بأمرٍ
به لسَحابِ ما أرضى انجِياب
فما لغَمامِ هجرِكَ وهو موتٌ
على رأسي له اليومَ انسِكاب
فإن أكُنِ اقترفتُ إليك ذنبًا
فمَحْوُ الذنبِ يُحسِنُهُ المَتاب
فَبَيِّنْهُ أتُبْ منهُ فصبري
لهجرِكَ منه قد شابَ الغُراب
وعاتِبْني إذا آذنبتُ يومًا
فإن الوُدَّ يحفَظُهُ العِتاب

بِـــرَبِّكَ يـــا (مـــحـــمـــدُ) أيُّ ذنبٍ
إلــــيكَ أتى بهِ مــــني اكــــتِـــســـاب
أفــكِّــرُ هل جــنــيتُ عــلــيك حــتى
يــقــوم عــليّ بــالــهــجــرِ الــعِــقــاب
فــــمـــا ألـــقى ســـوى أني مُـــحِبٌّ
صَـــفَتْ مـــنه المحـــبَّـــةُ لا تُـــشـــاب
فـــإن يَكُ لي ســـوى حُـــبِّـــيكَ جُـــرْمٌ
فَـــصُبَّ عـــلـيَّ من رَبّي الـــعَـــذاب
وإن تَـــرْتَبْ بـــصـــافي الـــوُدِّ مـــنّي
ومـــا فـــيه وحـــقِّكَ مُـــســـتَـــراب
فــسَلْ عــنه ضــمــيــرَك فــهــو يــدري
ولــيس بــصــدقِ مــا يَــروي ارتــيــاب
فــبــين قــلــوبــنــا سُــبُلٌ ولــيــستْ
يمـــرُّ بـــهـــا من الـــوُدِّ الـــكِـــذاب
وهـل مـــنـي يُـــريـــبُك مـــحضُ وُدٍّ
وفــيــمــا بــيــنــنــا نــسَبٌ قِــراب[1]
فــإن يَكُ بــيــنــنــا في الأصلِ بُــعــدٌ
يــقــرِّب بــيــنــنــا الأدبُ الــلُّــبــاب
ولا نـــــسبٌ كـــــآدابٍ ســـــوامٍ
إلى حـــسنِ الـــودادِ بـــهـــا شِــعــاب
فــــكم من صـــاحـــبَيْ أدبٍ شـــريفٍ
نمــا لــلــودِّ بــيــنــهــمــا شَــبــاب
وكم من راضِـــعي لـــبَنٍ رأيـــنـــا
وبــيــنــهــمــا من الــبــغــضــا ضِــراب

****

(١) قراب: قريب.

لي من الصبر ما هو أرحب[1]

نـسـيمُ الـصَّـبـا أشـهى إليَّ واعـذَبُ
نـسـيمُ الـصَّـبـا عـنـدي ألـذُّ وأطـيَبُ
نسيمُ الصَّبا يشفي العليلَ من الضَّنى
نـسيمُ الـصَّبـا يُـنـئي الـهـمـومَ ويُذهِب
فَـلِـلـنَّـفسِ في أنـفـاسِـهـا كلُّ راحـةٍ
ولـلـنـفسِ فـيـهـا مـا يَـسُـرُّ ويُـطـرِب
بـهـا تـنـجـلي عـني هُـمـومٌ كـثـيـرةٌ
ويُـطـفـا بـهـا مـا بـالحـشـا يـتـلَـهَّب
فـليت الصّبـا ما زال يـجـري نـسـيمُـهـا
لـعلَّ بـهـا يُـشـفى الـكـئـيبُ المـعـذَّب
يَـهُبُّ هـبـوبَ الأُنسِ عـنـد هُـبـوبِـهـا
وإن لم تجئ فـالأُنسُ عـنّـا مُـغَـرِّب
أبـا (قـاسمٍ) هل أنت تـهـوى نـسـيمَـهـا
وتـرغبُ فـيه مـثلَ مـا أنـا أرغب؟
أظُنُّ جـمـيعَ الـنـاس تـصـبـو إلى الـصَّـبـا
ويـشـغَـفُـهم مـنـهـا الـنـسـيمُ ويُـعـجِب
فـقـد وصَـفـوا الأنـفـاسَ مـنـهـا بـكلِّ مـا
يَـرِقُّ من الأوصـاف مـذ كـان يَـعْـرُب
ألم تَـرَ أهلَ الـشِّـعـر ممن تـقـدَّمـوا
ومَن عـاصـرونـا بـالـصَّبـا قـد تَـشَـبَّبـوا

(١) من قصائد الشاعر الشبيب الموجهة إلى محمد بن شملان.

فلا بِــدْعَ أن قــلَّــدتُــهم إذ وجــدتُــهــا
كــمــا وجَــدوهــا لــلــمَــسَــرّات تَــجــلِب
وحــقِّكَ إني بــالــصَّــبــا لمــتــيَّمٌ
ومــا أنــا فــيــمــا قــلت والــله أكــذِب
أتــعــذلُ يــا ابنَ (الــشــهم شــملان) إن أهِمْ
بــأنــفــاســهــا حُــبّــاً بــهــا وتُــؤَنِّب
فــهل تَــدْرِ أنــفــاسُ الــصَّــبــا أنــني الــذي
(يــغــالب فــيــهــا الــشــوقَ والــشــوقُ أغلَب)[1]
وأنّي إذا فــكّــرتُ فــيــهــا تــفــكُّــري
وعــنــهــا إذا حــدَّثتُ من كــنتُ أصــحَب
أمــيلُ إلى كــتــمِ المحــبــة طــاقــتي
وهــيــهــات والأجــفــانُ تــهــمي وتــســكُب
وهل يــســتــطــيع المــرءُ كــتــمــان ســرِّه
وأدمــعُهُ في خــدِّه تــتــصــبَّب
أتــعــجب أن أبــكي اشــتــيــاقًــا إلى الــصَّــبــا
وصــبــريَ عــنــهــا يــا (مــحــمــدُ) أعــجَب
وهل في الورى من ليس يصبو إلى الــصَّبا
ويــجــزع أن عــنه الــصــبــا تــتــنــكَّب
وقــد كــان قــلــبي في المحــبَّــة قُــلَّــبًــا
فــمــا بــالُهُ عن حُــبِّــهــا لــيس يُــقــلَب
عــلى أنــني عــاتــبتُ قــلــبي ولُــمْــتُهُ
عــلى الحبِّ لــو يُــجــدي المحبَّ الــتَّــعَــتُّب
مــذاهب أهل الحب شــتّى كــثــيــرةٌ
وأحــرَجُــهــا مــنــهــا لــقــلــبي مَــذْهَب

---

(١) الشطر الثاني من البيت مضمن من قول المتنبي:
أغالب فيك الشوقُ والشوق أغلب ... وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

تَـمَـذْهَبَ قـلـبي مَـذهـبًـا في غـرامِهِ
إلى الخـلق يـدعـو من به يَـتَـمَـذْهَب

فـمـذهـبُهُ أن لـيس يُـصـغي لـعـاذلٍ
عـلى حـبِّهِ حـتى الـغُـرابُ يُـشَـيِّب

تجـنَّبَ قـلـبي اللائـمـين كـأنما
ملامُ الألى لامـوا أراقِمُ تَـلْـسِب

تَـوَهَّـمتُ أن الـصَّـبْـرَ يُـسـعِـدُ والـعَـزا
إذا الـبُـعْـدُ أضـحى لـلـحـبيبِ يُـحَـجِّب

وهل يُـسـعِـدُ الإنـسـانَ يـومًـا عـزاؤهُ
ومـحـبـوبُهُ بـالـبـعـد عـنه مُـغَـيَّب

وهل تَـحْلُ لـلـصَبِّ الـكـئـيبِ مـعـيـشـةٌ
إذا لم يـجئ ذاك الـنـسـيمُ الـمُـحَـبَّب

نـسـيمٌ إذا مـا فـاح مـنه عـبـيـرُهُ
عـلـمـنـا بـأن الـورد لا شيء يُـحـسَب

فـسَـجْـسَـجُ أنـفـاسِ الـصَّـبا إن نـشـقـتُهُ
تـوهـمـتُهُ مـسـكًـا به تـتـطـيَّب

وإلا كـأشـعـارٍ تـضـمَّـنَت الـثَّـنـا
عـلـيك فـأضـحى الـعـقلُ مـنـهنَّ يُـخـلَب

ألـستَ الـذي تحـلـو الـقـوافي بمـدحِهِ
وأضـحى إلـيه الـفـضلُ يُـعـزى ويُـنـسَب؟

ألـستَ الـذي تُـثـني عـلـيه خـصـالُهُ
فـتـوجـزُهُ طَـوْرًا وآخـرَ تُـطـنِب؟

ألـستَ بـذاك الـفـاضلِ الماجـدِ الـذي
تُـكِلُّ مـزايـاهُ الحُـصـاةَ وتُـتْـعِب؟

ألـستَ الـذي تـفـتَـرُّ زُهْـرُ خِلالِهِ
كـمـا افـتَـرَّ عن رطبِ الـلآلئِ أشـنَبُ؟

ألـستَ الـذي لـو كـان يَـرقى بمــجـدِهِ

إلى الـنـجمِ راقٍ كـنتَ لـلـنـجمِ تَـركب؟

ألـستَ الـذي تحـكي سـجـايـاهُ روضـةً

تُـفـضِّـضُـهـا أيـدي الحَـيـا وتُـذَهِّب؟

ألـستَ ابنَ (شـملانٍ) ألـستَ (محـمـدًا)

ألــــستَ الـــذي عن وُدِّهِ لـــستُ أرغَب؟

وهل يــرغبُ الإنـــســـان عن وُدِّ مَن غــدا

وأخلاقُهُ من زاهــرِ الــروضِ أخــصَب؟

بـــربِّك ســـامـــحـــني إذا أنـــا لم أكن

أطـيلُ بـحـسنِ المــدح فـيك وأُســهِب

فــقـد قـيَّـدَتْ أحـزانُ قـلـبيَ مِـقـولَي

وَفَكُّ قـيـودِ الحـزنِ والـلـهِ يَـصْـعُب

أبـا قـاسمٍ مـا زلت في مـظـلـم الأسى

إذا انجـاب عـني غـيـهبٌ جـاء غـيـهب

ومـا زالت الأيـام تـرمي صـروفُـهـا

فـــؤادي بمـــا مـــنه أخـــافُ وأرهَب

إلى كم وقـلـبي لـلـشَّـوائبِ مَـسْـرَحٌ؟

إلى كم وقـلـبي لـلـنَّـوائبِ مـلـعَب

إلى كم ســروري وجـهُهُ مـتَـجَـهِّمٌ؟

إلى كم مُـحَـيّـا راحـتي مـتَـقَـطِّب؟

إلى كم جـهـام من رجـائي سَـحـابُهُ

وحـتى مـتى بَـرْقُ الأمـانِيِّ خُـلَّب؟

أقـاسي من الأحـزان مـا لَـو أقَـلُّهُ

يَـمَسُّ نجـومَ الأفقِ مـا لاحَ كـوكب

ولــو بــعضُ مــا ألــقى يَــمَسُّ رواســيًــا
لَــدَكَّ الــذي مــنــهنَّ أقــسى وأصــلَب

لمــاذا يــعــاديــني الــزَّمــانُ ويــعــتــدي
عــليَّ بمــا مــنه الــتــصَــبُّــرُ يُــســلَب؟

كـــأنَّ زمـــاني عـــاشقٌ وكـــأنـــني
له عــاذلٌ والــعــذلُ لــلــصَّبِّ مُــغــضِب

أبِـــيتُ إذا مـــا بِتُّ ممَّـــا أُجِـــنُّه
عــلى مــثلِ مــشــبوبِ الــغَــضا أتــقلَّب

وتُصــبحُ إن أصــبحتُ نَــشْوَى مَــحاجري
ولــيس لــهــا إلا من الــسُّــهْــدِ مَــشْــرَب

أمــا لــلّــيــالي الــمُــحْــرِبــاتِ بــهُــدنــةٍ؟
فــقــد أوشــكَتْ نفــسي الــنفــيــسَــةُ تَــعْــطَب

تحـــاربُـــني حـــتى كـــأنِّيَ مـــجـــرمٌ
إلـــيـــهنَّ جـــرمًـــا أو كـــأنِّيَ مـــذنِب

ولم أجــتَــرِمْ جــرمًــا ســوى أنــني امــرؤٌ
أريـــدُ الـــذي تـــزويهِ عـــنِّي وأطـــلُب

تــريدُ الــلــيــالي الجَــرْيَ مني كــمــا جَــرَتْ
وذلك مـــا عـــنه أحـــيـــدُ وأهـــرُب

تجــنَّبتُ مــا تــرضى الــلــيــالي وتــشــتــهي
ومــثــلي لمــا تــرضــاهُ قــد يــتــجــنَّب

ظــمــئتُ فــحــاولتُ الــورودَ فــلم أجِــدْ
من الــورْدِ مــا يــصــفــو بــهنَّ فــأشــرَب

فــيــا لــيتَ صــدرَ الــغــيبِ مــا زال كــاتــمي
كــمــا يــكــتمُ الاســرارَ حُــرٌّ مــهَــذَّب

فــمــا لِيَ إلا الــلـهُ في الــدهــرِ مَــطْـمَعٌ

ومــا لِيَ إلا الــلـهُ في الــدهــرِ مــأرب

هــو الــدهــرُ أمّــا يــومُهُ فــهْــو أرقَمٌ

يــصــولُ وأمّــا لــيــلُهُ فــهْــو عــقــرب

وإنّي وإنْ ضــاقَ الــزمــانُ بــوُســعِهِ

عــليَّ فــلي في الــصَّــبْــرِ مــا هــو أرحَب

****

في تقريظ كتاب[1]

لـــئن قَـــلَّتْ صـــحـــائف ذا الـــكـــتـــابِ
أيـــا (عـيـسى الـقُـطـامي) في الحـسـابِ
فـــمـــا قَـــلَّتْ فـــوائـــدُهُ الـــلّـــواتي
أبَنَّ مـــنـــاهجَ الـــلُّـــجَجِ الـــصِّـــعـــاب
فـــأنجِـــزْ طَـــبْـــعَهُ يَـــشْـــكُـــرْكَ مِـــنّـــا
عـــلـــيهِ كلُّ مـــلـــتـــمِسِ الـــصَّـــواب
أبَـــنْتَ لـــكلِّ رُبّـــانٍ فـــهـــيمٍ
مـــنـــاهِجَ كُنَّ عـــنـــه في حِـــجـــاب
فـــعـــادت طُـــرْقُ مـــركـــبِهِ بَـــوادٍ
جـلـيّـاتِ الـغـوائـرِ والـهِـضـاب
فلا عـــجبٌ إذا مـــا راحَ يـــشـــدو
بـشـكـرِ كـتـابكَ الـسَّـهْلِ الخِـطـاب
كـــتـــابٌ لم يَـــدَعْ في نـــفسِ حُـــرٍّ
تَلا أبـــوابَهُ بـــعضَ ارتـــيـــاب
أتـــيتَ به كـــمـــا يـــهـــواهُ مـــنّـــا
أُولـــو الأســـفـــار مـــرفـــوعَ الـــنِّـــقـــاب
فـلم يَـسـتُـرْ عـويصُ الـلـفظِ مـعـنًى
عـــلـــيـــهم من مـــعـــانـــيهِ الـــعِـــذاب

---

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شملان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

سـيُـجـنـيكَ الـثـنـاءَ الحُـرَّ مـنـهمْ
عـلـيه كلُّ مـحـمـودِ الـنِّـصـاب

وأحـسَنُ من ثـنـائِـهِمُ عـلـيهِ
ثـوابُ إلـهِكَ الجَمِّ الـثَّـواب

فـإن الـلهَ غـيـرُ مُـضِـيعِ أجـرٍ
لمـيّـالٍ لـنـفع الـنـاس صـابي

وإنّ أجَـلَّـنـا في الحُبِّ حَـظّـاً
لـدى مـولاهُ مـنّـا في المـآب

مُـطـيلٌ سـعـيَهُ في كلِّ نـفعٍ
يـعمُّ أُلي الـنّـوى والإقـتـراب

وقـد ألّـفْتَ يـا (عـيـسى) كـتـابًـا
سـحـائـبُهُ عَـمـيـمـاتُ الـمَـصـاب

فـثِقْ واقـطَعْ مـتى تَـقْـدُمْ عـلـيهِ
بِـنَـيْلِ مـثـاوِبٍ مـنه رِغـاب

****

(١) هذه القصيدة قالها الشاعر في تقريض الكتاب الذي ألفه عيسى القطامي تحت اسم: «المختصر الخاص للمسافر والطواش والغواص»، وطبعه في سنة ١٩٢٤.

أخوك أخو الأفضال[1]

أ(خـالِـدُ) مـا هـذا اقـتـرافُ قـرفـتهُ
وإن (عـدَّهـا) غـيـري من الـقَـرَفـاتِ

ولـكـنـهـا يـا (خـالـدُ) الـشـهمُ روضَـةٌ
بـهـا اكـتـظت الأشـجـارُ من كـبـتـات

وأشـجـارُهـا كـتْبٌ تـفـوح فـوائـدًا
وتُـبـصـرُ فـيـهـا نـاضِـرَ الـزَّهَـرات

وهل كـثـمـارِ الـعـلم عـنـد أُلي الـنـهى
إذا مـا جَـنـاهـا الـفـكـرُ من ثَـمَـرات

فلا زال لـلـكُـتْبِ الـنـفـيـسـةِ جـالـبًا
أخـوكَ أخـو الأفـضـالِ والحَـسـنـات

فـفي قِـنـيـة الـكُـتْبِ المـفـيـدةِ شـاهـدٌ
عـلـى أنه في الخـيـرِ ذو رَغَـبـات

****

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شملان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

عليك سلام الله

(أبـــا قـــاسـمٍ) والــلـهِ مـــا زلتُ طـــاويًـــا
عــلـى حُــبِّــكـم بـــين الــضــلــوعِ فـؤادي
ولــكــنــهـــا الأيـــامُ أشــغَــلْنَ فِــكـــرتي
وبـــاعَـــدْنَ مـــا بَــيــنـي وبـــين مُـــرادي
وأبْــدَلْنَ بــالحُــزنِ الــشــديـدِ مَــسَــرَّتي
وقــــرَّبْنَ من جـــفـــني ألــيمَ سُـــهـــادي
ومن يَكُ ذا حـــالٍ كـــحـــالي فـــعـــذرُهُ
ولا ريبَ كــالـــشــمسِ المــنــيـــرةِ بـــاد
فـإن تَكُ من عـيـنـيكَ والـرأسِ تـشـتـكي
فـقـد مَـلَـكَتْ أيـدي الـهـمـومِ قِـيـادي
كـــأنَّ عـــلـى دهـــري يمـــيــــنًـــا بـــأنّهُ
لمـــثـــلِـيَ من بـــين الأنـــامِ يُـــعـــادي
إذا مـــا نجـوتُ الــيــومَ من بــأسِ شِـدَّةٍ
رمـــــاني بـــــشِـــــدّاتٍ عـــــليَّ شِـــــداد
عـــلـــيك سلامُ الـــلـهِ مـــا نـــاحَ طـــائـــرٌ
عــلـى إلــفِهِ في الــســاجــعــاتِ يُــنــادي

****

وخير المجد في الدنيا المخلد[1]

ســأشــكــرُ (صــالِحَ الــمُلاّ) حــيــاتي
عــلـى إســعــافِه الحُــرَّ (ابنَ أحــمــدْ)
وأَوْلى الــنــاسِ بــالــشُّــكــرانِ شــهمٌ
حــمــيــدُ الــسَّــعي مــثلُ (أبي مــحــمــد)
ســأشــكـــرُهُ وأحـــمـــدُهُ وأُثـــني
بــأشــعــاري عــلــيه بــكلِّ مــشــهَــد
مــكــارِمُ (صــالحٍ) تــأبى عــلــيــنــا
لــكــثــرتــهــا بــشِــعــرٍ أن تُــعَــدَّد
فــايــجــازُ الــثَّــنــا عــنــهنَّ عَــجْــزٌ
عــلـى أن لا شــبــيهَ لَــهُنَّ يُــشــهَــد
مــكــارمُ لا تــبــيــدُ ولــيس تَــفْــنَى
وخــيــرُ المجــدِ في الــدنــيــا الــمُــخَــلَّــد
فَــدُمْ في أهــنــأ الــعِــيــشــاتِ واســلَمْ
وطــرفُ عُــداتِك الــبُــعَــداء يُــسْــهَــد
فــإنك فــي الــكــويتِ الــيــومَ شــمسٌ
أشــعّــتُــهــا فــضــائلُ لــيس تُــجــحَــد

(1) في شكر الملا صالح بن محمد الملا المتوفى في سنة ١٩٥٨م وكان سكرتيراً للشيخ أحمد الجابر الصباح.

ومن ذا يــســتــطــيعُ جــحــودَ فــضلٍ

له مــنهُ عــلــيه الــدَّهْــرُ يَــشْــهَــد

ســأنــظمَ واصــفًــا فــيك المــزايــا

قــصــائــد دونــهــا الــدُّرُّ الــمُــنَــضَّــد

✵✵✵✵

الدسمة[1]

سَقى (الدسمةَ) الغراءَ منهمرُ القَطْرِ
ومَدَّ بها أطنابَهُ مُذْهَبُ الزَّهْرِ
وجادتْ أخاها (الشِّعْبَ) كلُّ غمامةٍ
إلى أن يكون (الشِّعبُ) أندى من البَحْرِ
ولا زال يسقي (البِدْعَ) منهمرُ الحَيا
وصافَحَ (رأسَ الأرضِ) بالأنمُلِ العَشرِ
مَواضعُ فيها للسُّرورِ مَواضعٌ
فلم أُلْفَ فيها ساعةً غير مُسْتَرٍّ

****

(١) ذكر الشاعر في هذه الأبيات الأربعة بعض الأماكن التي كان الكويتيون يرتادونها في أوقات الربيع.

كجدكم شملان كونوا أماجدا[1]

بَنِيَّ بكم روحي تُحِسُّ وتشعُرُ
وتُبصِرُ ما أنتم عليه وتنظرُ
فلا تتركوا ما كنتُ أوصي بفعله
فروحيَ - إمّا تتركوا ذاكَ - تضجَر
ولا تحسبوا من مات مات شُعورُهُ
وأحساسُهُ والميتَ لا يَتَصَوَّر
فما موتُنا إلا حياةٌ خفيَّةٌ
ونحن بما تأتون ندري ونَخْبُر
فيا (خَمسَتي) أفلاذُ كَبْدِيَ أنتمُ
وأنتمْ لعَمري خيرُ ما كنتُ أذخَر
فلا تفعلوا غيرَ الجميلِ فإنّني
بفعلِكُمُ السّامي أُسَرُّ وأُجبَر
كجَدِّكُمُ (شملانَ) كونوا أماجدًا
وسيرَتَهُ سيروا إلى المجد تُكْبَروا
وإن شئتمُ أن تنظروا وجهَ والدٍ
لكمْ لم يَزَلْ يُبدي الحنانَ ويُضمِر
ففي صورتي وجهي تَمَثَّلَ بارزًا
فها هِيَ عن وجهي كما كان تُسْفِر

---

(١) أبيات قالها عندما مرض صديقه محمد بن شملان.

وما غاب عنكم من يُطِلُّ عليكُمُ
من الغيبِ عنكم روحُهُ المتَسَتِّر

ففي رَسمِهِ الزاكي ملامحُ وجهِهِ
تلوح لكم في كلِّ وقتٍ وتَظْهَر

****

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى أولاد الشهيد علي الشملان وهم خمسة أولاد: يوسف وأحمد وإبراهيم وعبدالله وجاسم. وقد قالها على لسان والدهم.

رثاء عزيز[١]

هو الدَّهْرُ بالإنسان لا بد يَغدِرُ

ومهما صَفَتْ منه الموارِدُ تَكْدُرُ

فليس امرؤٌ يبقى على الدهرِ سالمًا

ولو كان ذاكَ المَرْءُ كِسرى وقيصَر

أما كَسَرَتْ كِسرى يَدُ الدهرِ بَعدما

تَصَدَّرَ صَدْرَ الدَّسْتِ ينهى ويأمر

وقيصَرُ قد نالَتْهُ إبّانَ مَلْكِهِ

ولم يُجْدِهِ شيءٌ من النفعِ عسكَر

وعادي الردى لم تَنْجُ منه بغابِها

لُيوثُ الشَّرى هَبْها تصولُ وتَزأر

مآلُ الورى للتُّرْبِ والتُّرْبُ أصلُهم

وليس مآلُ الفَرْعِ للأصلِ يُنْكَر

فَخَفِّفْ رعاك الله وطْأَكَ في الثرى

فليس ترابًا ما به تَتَخَطَّر

فإن لم يكن هذا التراب جميعُهُ

أناسًا فإن الناس بالتُّرْبِ أكثَر

---

(١) **قالها في رثاء الشهيد علي بن شملان، وأكملها الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ببيتين فيهما تاريخ الاستشهاد وهما:**

وسَحَّت على النجلِ الكريمِ سحائبٌ

من العفو والرضوان تَهمي وتُمطِرُ

وحَقَّقَ ممِّا قد أتى من مؤرِّخٍ

لعلّي بجنات النعيم مُبَشَّرُ

وأقبَحُ شيءٍ أن نُهينَ جُدودَنا
فنمشي اختيالاً فوقهم نَتبَختَر

فإنّ جزاءَ المرءِ مثلُ صَنيعِهِ
وعمَّا قليلٍ سوف نورَى فَنُقْبَر

صباحَ مَسا يعدو بنا الدهرُ جهدَهُ
ليُلحِقَنا مَن بالقبور تَستَّروا

فليست ليالي الدَّهرِ إلا سَفائنًا
بهنّ إلى دار الإقامةِ نَعْبُر

فما بالُنا نبكي لدى فَقْدِ بعضِنا
ونجزَعُ من هذا المماتِ ونضجَر

إذا لم يكن بُدٌّ من الموتِ للفتى
فأحسنُ شيءٍ أننا نَتَصَبَّر

وهيهاتَ أنِّي بالتصبُّرِ بعدَما
تَولّى (عليٌّ) طاهرُ الرُّدْنِ أظفَر

عزائي وعقلي والتجلُّدُ بعدَهُ
محاهُنَّ دمعي والأسى والتَّحَيُّر

فعقليَ محتارٌ، ودمعيَ مطلقٌ
وقلبِيَ من أحزانهِ يتفَطَّر

وقَلَّ لذاكَ الشهمِ دمعي أذيلُهُ
ولو أنهُ مثلُ اليواقيتِ أحمَر

فتًى لا أرى أنّي أقومُ بحقِّهِ
ولو أنني إياهُ ما عشتُ أشكُر

ولو أنني نَظَّمتُ فيه مَراثيًا
كواكبَ هذا الأفقِ تزهو وتُزْهِر

فتًى كان أُفْقَ المجدِ لكنْ نجومُهُ
شمائلُ تلهو بالعقولِ وتُبْهِر

فــتًى كــفُّهُ بــحــرٌ يمــدُّ رغــائــبًــا
فــيــا لــيت ذاك الــبــحــرَ مــا كــان يَــجْــزُرُ
فــتًى كــان لــلــعــافــين في لــيلِ عُــســرِهِمْ
إذا مــا دَجــا بــدرٌ يــضــيءُ ويُــســْــفِــر
فــيــا لــيت ذاك الــبــدرَ لم تَــنْشَ دونَهُ
ســحــائبُ مــوتٍ بــالمــصــائب تَــقْــطُــر
(أبــا يــوسفٍ)[1] شــوقي إلــيك يَــشُــبُّهُ
ويُــســعِــرُهُ بــين الــضــلــوع الــتَّــذَكُّــر
وهــيــهــات أن أنــســاك يــومًــا ولم يَــزَلْ
يُــمَــثِّلُ لي ذاك الجــنــابَ الــتَّــفَــكُّــر
أيــا (يــوسفٍ) نــفــسي فــداك لــوِ افــتُــدي
من المــوت إنــســانٌ يَــجِلُّ ويَــكْــبُــر
ولــكنَّ هــذا المــوتَ شيءٌ مــقــدَّرٌ
ومــا حــيــلــةُ الإنــســان فــيــمــا يُــقَــدَّر
ومــا ذاك مــوتٌ بل حــيــاةٌ نــفــيــســةٌ
يَــوَدُّ ويــهــوى مــثــلــهــا الــمُــتَــبَــصِّــر
وقــتــلَى ســبــيلِ الــلهِ أحــيــا بلا مِــرا
وذلك شيءٌ في الــكــتــاب مُــسَــطَّــر
لــهم عــنــد ربِّ الــعــرشِ رزقٌ وفــرحــةٌ
وهم عــنــده في جــنــةِ الخــلــدِ خُــطَّــر
أبــا (يــوسفٍ) تــهــنــيكَ دارٌ دخــلــتَــهــا
ويــهــنــيكَ فــيــهــا ســلــســبــيلٌ وكــوثــر
تحــفُّك حــورُ الــعــين فــيــهــا مــنــعَّــمًــا
تُــسَــرُّ بــهــا كلَّ الــسُّــرورِ وتُــحْــبَــرُ

(١) أبويوسف: كنية علي بن شملان، ويوسف هو اسم أكبر أولاده.

أبـــا (يــوسفٍ) تـــا الـــله أفـــتـــأُ دائـــبًـــا
أنَـــظِّمُ فـــيك الـــشِّـــعـــرَ مَـــدْحًـــا وأنـــثُـــر

فـــإني أرى نـــظمَ الـــقـــوافي ونـــثـــرهـــا
بمـــدحِكَ يـــحـــلـــو يـــا (عـــليٌّ) ويَـــجْـــدُر

ألـــستَ ســلـــيلَ الـــشَّـــهمِ (شـــملانَ) مَن غـدا
به يـــزدهـى رَبْـعُ المـــعـــالي ويـــفـــخَـــر

ربـــيعُ الـــيـــتـــامى والأرامل غـــيـــثُـــهمْ
إذا ثـــارَ للأمـــحـــالِ في الجَـــدْبِ عِـــثْـــيَـــر

ألـم تَـــرَ أنَّ الـــكُلَّ يـــذكـــرُ فـــضـــلَهُ
وذو الـــفـضل بـين الـــنـــاسِ بـالخـير يُـذكَر

فـــيـــا ســـيِّـــدي (شـــملانَ) صـــبـــرًا فـــإنَّهُ
يُـــثـابُ الـــفـتى بـالـصّـبرِ خـيـرًا ويـؤجَـر

وفي فـضلِ حـسنِ الـصـبـر كم آيـةٍ أتَتْ
فـتـوصي الـذي تـلـقـاهُ مـنـا وتـأمُـر

فلا زلتَ تـوصـيـنـا بمـا فـيه نـفـعُـنـا
ولا زلتَ بـــدرًا لـــلـــعُـــفـــاةِ يُـــنَـــوِّر

****

كما يزهو لصقر فيك شعر[(١)]

يُـــديمُ لكَ الـــهـــنـــاءَ فـــيَـــســـتَـــمِـــرُّ
إلــــــهي إنَّـكَ الــــــشَّــــــهمُ الأَبَــــــرُّ

بــــتــــزويج الــــذي قــــد كــــنتَ جَــــدّاً
لـهُ ولـهُ بـــــــذلك مـــــــنكَ فَـــــــخْـــــــر

فــــيــــا (شــــملانُ) لا زال الــــتَّــــمَــــشِّي
إلــــــيكَ مَــــــســــــرَّةً وعَــــــداك شَــــــرُّ

مــــلــــكــــتمُ بــــالــــنَّــــوالِ الجَــــزْلِ قــــلــــبي
فـــجـــســـمي لا فـــؤادي الـــيـــومَ حُـــرُّ

لــــكم مــــنّي الــــفــــؤادُ الــــيــــومَ (عَــــبْــــدٌ)
وخـــدمـــتُهُ لـــكم حَـــمْـــدٌ وشُـــكْـــر

يـــصـــوغُ لـــكم قـــوافٍ بـــاهـــراتٍ
فـــتُـــحْـــسَبُ أنـــهـــا في الـــطِّـــرْسِ دُرُّ

أضَـــمِّـــنُـــهـــا مَـــعـــانٍ رائـــعـــاتٍ
عـــلـــى الأيـــامِ تَـــخْـــلُـــدُ وهْيَ غُـــرُّ

فلا بــــرِحَتْ بك الأيــــامُ تــــزهــــو
كـــمـــا يـــزهـــو (لـــصـــقـــرٍ) فـــيك شِـــعـــر

لـــشَـــرْقِيِّ الـــكـــويتِ إذا نَـــزَحْـــتُمْ
مُـــحَـــيّـــاً مُـــدْلَـــهِمٌ مـــكـــفَـــهِـــرُّ

(١) تهنئة أرسلها الشاعر للمرحوم شملان بمناسة زواج أحد أحفاده.

فــــإنك فـــيه يـــا (شـــملانُ) شـــمسٌ

وإنك فـــــيه يــــا (شـــــملانُ) بَـــــدْر

وإنك فــــيه لـــــلـــفـــقــــراء غـــيثٌ

مُـــحــــولُــــهُمُ به عــــنــــهمْ تَــــفِــــرُّ

فــكم نَـــفَّـــسْتَ كـــربَـــةَ من تَـــوالى

عــلـــيهِ من جـــيــوشِ الـــعُــسْــرِ كَـــرُّ

وكم يـــومٍ جَـــبَـــرْتَ أخـــا انـــكـــســـارٍ

فـــعـــاد إلـــيه بـــعـــدَ الـــكـــســرِ جَـــبْــر

فـــكـــان جـــزاؤكم مـــنه ثَـــنـــاءٌ

وعـــنـــد الـــلـهِ يـــا (شـــملانُ) أجْـــر

****

فمن لي كالقصيبي المرجّى[1]

أبا عوفٍ لقاؤك خيرُ ما قَدْ
تَمُرُّ به على مثلي الدُّهورُ

ففي لقياكَ لي درسٌ مفيدٌ
وفي لقياكَ لي نفعٌ كبير

أحَبَّ عُلا أبي عوفٍ فؤادي
فأنعَشَهُ وكان به فُتور

وحُبُّ الحُرِّ أحسَنُ كلِّ شيءٍ
عليه ينطوي مني الضَّمير

بِمَقْدَمِهِ (الكويتُ) قد استنارتْ
ورَبُّ المجد مَقدَمُه يُنير

فليتَ مقامَهُ فينا سنينًا
يُمَتِّعُنا فما تكفي الشُّهور

فمن لي كـ(القُصَيْبيِّ) المُرَجَّى
به ينجابُ عنّي ما يُضير

عجبتُ لعبدِ رحمنِ البَرايا
وتُعجِبُ من غرابتها الأمور

تَعَنّى لاشتراءِ الدُرِّ منّا
وفي فمِهِ لجوهَرِنا نَظير

---

(١) عبدالرحمن القصيبي أحد تجار اللؤلؤ البارزين وقد زار الكويت في سنة ١٩٢٤، حيث حل ضيفًا على الحاج شملان بن علي، وفي ديوانية هذا الأخير قدم الشاعر قصيدته للضيف.

أمـــا يـــكـــفـــيكَ أن الـــدُرَّ قَـــوْلٌ
تــفــوهُ به فــتــلــقُــطُهُ الحُــضــور
وقَـــوْلُكَ لـــو تَـــجَـــسَّمَ مـــا أرادتْ
عــقــوداً غــيــرَ لــؤلــؤهِ الــبــحــور
سَـــمَتْ لكَ يـــا أبـــا عـــوفٍ خلالٌ
فــهــامَ بــحُــسْــنــهــا حــتّى الــغَــريــر
ولا عـــجبٌ إذا مـــا الـــيـــومَ أضـــحى
يُــنــازعُ حــبَّــهــا الأعــمى الــبَـصــيــر
فــطِــيبُ خلالِ ذي الــعــلــيــاءِ أمْــرٌ
له تــهــفــو بــأجــمَــعِــهــا الــصُّدور

****

مداعبة

هذه مداعبة تمت بين الشاعر صقر الشبيب والشيخ يوسف بن عيسى القناعي
يقول صقر موجهًا أبياته إلى الشيخ:

إليك (ابنَ عيسى) الشهمُ (يوسفُ) أشتكي
شقيقَكَ (سلطانًا) فهل أنت زاجِرُه؟
يُريقُ على مَسكوكِنا حولَ بيتِهِ
من الماء ما الأعمى شبيهي يُحاذِرُه
ولكن حِذارُ العُمْي ليس يُفيدهمْ
على الدربِ إن أضحت كثيرًا مَخاطرُه
ولو لم يُرِقْ إلاّ صريحَ مياهَهُ
لكنّا وإن آذى وشَقَّ نُصابِرُه
ولكنه قد أتبعَ الماء بالذي
به اتَّسخَتْ أثوابُ من هو عابِرُه
ولو لم أخَفْ تقذيرَ شِعري بوصفِهِ
ذكرتُ بشعري منه ما أنا ذاكِرُه
عفا الله عنه أين كان حُنُوُّهُ
على كلِّ من تغلو عليه مآزِرُه
أخاف عليه من دعاء ذوي العَمى
إذا وقَعوا يومًا بما هو ناثِرُه
أما يَزَعُ الحُرَّ الكريمَ من الأذى
- إذا لم تَزَعْهُ المالِكونَ - ضمائِرُه

وقد ردَّ عليه الشيخ يوسف بقوله:

سـمـعتُ لك الـشـكـوى وكلُّ شـكـايـةٍ
تـكـون عـلـى حَقٍّ يـؤيَّـد نـاصِـرُهْ

ولا خـيـرَ في من لا يـسـاعـدُ مـسـلـمًا
لـدفعِ أذًى أو ظـالـمٍ هـو قـاهـرُه

وتَـبّـاً لمن لا يـرحمُ الـنـاسَ بـالـورى
ولا سـيَّـمـا الأعـمـى الـذي قَلَّ ذاكِـرُه

فـيـا (صـقـرُ) ذي شـكـواك سـهلٌ زوالُـهـا
فـهل من فـتًى أشـكـو لـه وأُخـابـره

تُـصَـدِّعُـني في كلِّ يـومٍ مـظـالمٌ
تُـخـالفُ ديـنًـا عـادلاً وتُـكـابِـرُه

وقـومٍ إذا مـا قُـلتُ حَـقّـاً تَـقَـوَّلـوا
عـليَّ بـزورٍ كـالـسـيـوف بَـواتِـرُه

وإن قـلتُ قـومـوا أيِّـدوا الحَقَّ حَـوْقَـلـوا
وإن غـبتُ قـالـوا أحـمقٌ لا نـؤازِرُه

قـد اتّـخَـذوا هـذا الـنـفـاقَ شـعـارَهمْ
ولـيس لـهم من طـيِّبِ الـذِّكـرِ عـاطِـرُه

يـقـيـني بـأن الـلـهَ لـيس بـغـافلٍ
ومـا ظـالمٌ إلا سـيُـقـطَعُ دابِـرُه

****

هذا الجفاء[1]

بي من جـفـائكَ مـا لـو كـان بـالحَـجَـرِ
لـفـاهَ فـوهُ بـشـكـواهُ من الـضَّـجَـرِ
وكـان لي مـلـجَـأً صـدري إذا دَهَـمَتْ
نـفـسي حـوادثُ هـذا الـدهـرِ بـالـغِـيَـر
لـكن قـواعِـدُ صـبـري هـدَّهـا فـهَـوَتْ
مـنك الجَـفـاءُ فـمـا لـلـصَّـبْـرِ من أَثَـر
وبـعـدمـا انـهَـدَّ صـبـري من جـفـائـكمُ
أصـبحتُ أخشى الجَفـا منكم على عُمُري
ولم أزَلْ يـا ابنَ (شـمـلانٍ) وحـقِّـكُمُ
ممّـا يُـثـيـرُ تجـافـيـكمْ عـلى حَـذَر
فـكـيف داهـمَـني الـصَـدُّ الـمَـخـوفُ ولم
أعـلَم بمـوجـبِهِ مـنـكم عـلى غَـرَر
فـمـا رأتْ مـوجـبـاتِ الـصَـدِّ جـاهـدةً
في الـبـحث عـنـهنَّ مُذْ قـاطَـعْـتَـني فِـكَري
لـكن أظُنُّ وبـعضُ الـظَّنِّ يَـصـدُقُـني
أن الـعُـداةَ الأُلى أخـشى منَ الـبَـشَـر
أثـار غـيـظَـهمُ مـنـا تَـنـازُعُـنـا
من المـودَّةِ أصـفـاهـا من الـكَـدَر
فـأنـشـأوا يـقـبَلـون الـقـولُ إن سـمِـعـوا
أو لا فـيـأتـون مـحضَ الـكِـذْبِ في الخَـبَـر

---

(١) قالها مستعطفًا صديقه محمد بن شملان، وراداً على الافتراء الذي نقل إليه عن الشاعر.

وأنت تــعــرفُ مــا يــأتــون من كَــذِبٍ

عَــنّي لإيــقــاعــهم إيّــايَ بــالــضَّــرَر

فـكـيف صـدَقـتَـهم يـا ابنَ الألى ارتـفـعتْ

أقــدارُهم بـيـنـنـا من صــادق الـنَّـظَـر

إن بــلَّــغــتْكَ أعــاديــنــا مُــزَخــرفَــةً

مـن الأقـــاويلِ مـن كِــــذْبٍ ومن أشَـــــر

فــأســألْ ضــمــيــرَك عن قــولٍ أتَــوْكَ بهِ

إن الـضـمـائـرَ تجـلـو كل مـسـتَـتِـر

واسـألـه عن كـاشـحي ذاك الـذي انـطـمسَت

مـنه الـبـصـيـرةُ فـوق الـطـمسِ لـلـبَـصَـر

يُــخــبِــرْكَ أنَّ الــفــتى هــاذاك أكـذبُ مَن

يمـشـي عـلـى الأرض مِن بـدوٍ ومِن حَـضَـر

وسَـــلْهُ عــنّي وعن صــافي مــودَّتــكمْ

عـنـدي لـتُـبـصـرَهـا من أجـمَلِ الـصُّـوَر

وبــعــدَ ذا كــلِّهِ فــالــرأي مــرجِــعُهُ

إلى حِــجــاكَ المــوَفَّى الحظَّ في الـكِـبَـر

فـإن تَـجِـدْني مـحِـبّـاً مـخـلـصًـا لـكمُ

فـاعـطِفْ عـليّ وخـلِّـصـني من الخَـطَـر

فــصَــدُّكَ الــمُــرُّ أدّى بي إلى خَــطَــرٍ

قـد الـتـقى مـنه فيَّ الـظُّـفْـرُ بـالـظَّـفَـر

واخـلَعْ عـلَيَّ الـرِّضـا الـسّامي فـخِلـعَـتُهُ

فـيـهـا وحـقِّك بـين الـنـاس مـفـتَـخَـري

أدرِكْ (مـحـمـدُ) مـحـروقًـا بـجـفـوتـكمْ

بـبـاردٍ من رضــاك الـعَـذْبِ مُـنْـتَـظَـر

فـلـيس يـطـفـئُ مـا في الـقـلـبِ من لَـهَبٍ
سـوى نميـرِ رضـاك المـشـتـهى الخَـصِـرِ[1]
ولا تُـطِلْ يـا (ابنَ شـمـلان) الجَـفـاء عـلى
قـلبِ امـرئٍ من جـفـاك الـمُـرِّ مـنـكـسِـرِ
إن تـرضَ عـني فـكَـسْـرُ الـقـلبِ مـنـجـبِـرٌ
أو لا فـكَـسْـرُ فـؤادي غـيـرُ مـنـجـبِـرِ
عـاقِبْ بمـا شـئـته غـيـرَ الـصُّـدودِ ولـو
رمـيتَ بي من ذُرى رَضـوى عـلى إبَـرِ[2]
ففي سوى الـصَّدِّ حسنُ الصبر يُسعِدُني
حـتى ولـو أنـني أُلـقـيتُ في سَـقَـرِ
أمـا صـدودُك يـا ابنَ الاكـرمـين فـقـد
وَلَّى إلى حـيثُ لا أدري بمـصـطَـبَـري
فـأين عـفـوَكُمُ عن ذنبٍ وامـقِـكمْ
ولم يـكن جـاء ذنـبًـا غـيـرَ مـغـتَـفَـرِ
إني عـهـدتُ من الـغـفـرانِ عـنـدكمُ
مـا لـستُ أحـسـبُهُ عَـدّاً بمـنـحـصِـرِ
أني أعـوذُ بمـا أوتـيتَ من فِـطَنٍ
ألاّ تُـقـيل امـرءًا إن يَـهْـذِ يَـعـتـذِرِ
لا يـا (مـحـمـد) مـا أصـبـحتُ مـقـتـرفًـا
ذنـبًـا ولـو لم يَـبْنِ لـلـعـين من صِـغَـرِ
لـكنَّ سَـيِّئَ بَـخـتي الـيـومَ أبـرزَني
لـديك في ثـوبِ ذنبٍ غـيـرِ ذي قِـصَـرِ[3]

(١) النمير: الصافي العذب والخصر البارد.
(٢) رضوى: اسم جبل قرب مدينة ينبع.
(٣) بختي: حظي.

وسوءُ حظ الفتى للناسِ يعكسُ ما
يقولُ من حُكْمِ مسعاهُ إلى هَدَرِ
تلقاهُ عن قُوتِهِ الأقدارُ تُبعِدُهُ
لنحسِ طالعِهِ إبعادَ مقتَدِرِ
يبيتُ منطوِيَ الأحشاءِ مَخمَصَةً
وقد حشا مسمعَيْ دنياهُ بالغُرَرِ
تَعُزُّهُ لقمةٌ في فيه يمضَغُها
وجُرعَةٌ عذبَةٌ تخلو من العَكَرِ[1]
لم تقتنع منه دنياهُ بمنطقِهِ
ومنه أحشاؤها فاضَت من العِبَرِ
حتى أقامَتْهُ بالتضييق معتَبِرًا
يُحَيِّرُ الأمرُ منه كلَّ مُعْتَبِرِ
أمّا وسوءُ نصيبي اليوم ألبَسَني
ثوبًا من الذنبِ حاكَتْهُ يَدُ القَدَرِ
فإنني أرتجي عفوًا ومغفرةً
وحسنُ عفوِك لم يترُكْ ولم يَذَرِ
متى يضيءُ صباحُ الوصلِ منك فتًى
في ليلِ حزنٍ من الإيعاد معتَكِرِ
متى انتظامُ مسَرّاتي فما تركتْ
نَواكَ منهنَّ عقدًا غير مُنْتَثِرِ
متى عَلَيَّ غمامُ الوصلِ هامِيَةٌ
فإنّ قلبي إليها جِدُّ مفتقِرِ
فما سوى ممطر الإدناء يطفئ ما
أذكته فيه يد الإقصاءِ من سُعُرِ

---

(١) تعزه: تصعب عليه.

أشـبـهتُ تـسـمـيـةً لـيثَ الـطـيـور وقـد

أحـكـيهِ في سـعـيهِ بُـعـدًا عن الخَـوَر

لـكنْ أكُفُّ الـقَـضـا أودَت بـأجـنـحـتي

ودونـهنَّ صـقـورُ الـطـيـرِ لم تَـطِـر

وأنتَ أنتَ الـذي أفـيـاءُ نـعـمـتهِ

عـليَّ لم تـنـتـقل عـني وتـنـحـسـر

فـمـا لـشـمس جـفـاك الـيـومَ قـد لـعـبتْ

فـوقي بـظلِّ نـعـيمٍ مـنك مـنـتـشـر

لِمْ يـا (مـحـمـدُ) لم تـزجـرْ مـحـبَّـكمُ

عن الخِـطـاءِ وإن تـزجـرْهُ يـنـزجِـر

ألم أقل لك فـيـمـا مَـرَّ من كَـلِـمي

إن تـتـركِ الـعـتْبَ زاكي الـوُدِّ يـنـدثِـر

فـهل رضـيتَ - وحـاشـاك - انـدثـارَ هـوًى

كـالمـاء بـين الـسـمـا والأرض في الـطُّـهُـر

يـا مَن ودادي إلـيه غـيـرُ مـتَّـئِـدٍ

في سَـيْـرِهِ مُـذ رآهُ فـاضلَ الـسِّـيَـر

مـفـصَّلات بـشـكـرٍ من غـيـوم نـدًى

مـنكم إذا استـمـطرَتْـهـا الـناسُ تـنـهـمِر

فاحـرِص عـلى مـا يـضمُّ الـقـلبُ من (دررٍ)

تـبـقـى أنـيـسـاتـهـا إلا بمـنـفـطـر

ولـيس يَـفْـطُـرُ قـلـبي غـيـرُ صَـدِّكُمُ

وقـد أطـالـته كفُّ الـدهـرِ فـاخـتـصِـر

****

صقر كان صقرا[1]

أتخشى أن يُذيعَ الشعرُ يومًا
- إذا ما جئتُكَ - الهفواتِ جَهرا

إذن فتخَلَّ عمّا أنت فيهِ
وإلا قلتُ فيك الشعرَ حُرّا

وتندمُ حيث لا نَدَمٌ مفيدُ
وتعلمُ أن صقرًا كان صقرا

وأن مخالبي كانت حِداداً
وأني منك بالصدمات أدرى

فإن يَحْلَوْلِ طعمي للمُوالي
فطعمي للمُعادي كان مُرّا

ألينُ لمن يُلاينُني وأغدو
كأصلَبِ نبعةٍ إن رُمْتَ كَسرا

لقد أسمعتَني قولاً غليظًا
وما أسلفتُ قَطُّ إليك شَرّا

وليس جزاءُ شَرِّك غيرُ شَرٍّ
كما يأتي جزاءُ الخيرِ خيرا

أتأبى غيرَ ذُلّي أو سكوتي
وتُبدي أنت عجرفَةً وكِبْرا

وإنّي صنتُ نفسي وهيَ نَفْسٌ
تعدُّ خضوعَها للناس كُفرا

(١) قصيدة في هجاء شخص غير معلوم لدينا.

رأيتَ تـــواضـــعي فـــظـــنـــنتَ أني

لحُــــمـــقِكَ لم أكن أعـــلـــوكَ قَـــدرا

أهـــنتَ بـــشـــخـــصيَ الآدابَ طـــوعًـــا

لأحـــقـــادٍ أضـــاقت مـــنك صَـــدرا

فـلا تَـــعـــجَبْ إذا مـــا قـــمتُ ذَبّـــاً

وذَوْدًا عن كـــرامـــتـــهـــا ونـــصـــرا

ولـــستُ بـــذائـــدٍ عـــنـــهنَّ وحـــدي

إذا مـــا عُـــدْتَ تُـــلـــحِـــقُـــهُنَّ ضُـــرّا

ولـــكن في الـــكـــويت رجـــالُ صـــدقٍ

أبَـــوْا أن تـــشـــكُـــوَ الآدابُ جَـــوْرا

****

إلى النادي الأدبي[1]

لــــكم مـــــني أُلي الإصلاحِ شُـــكـــرٌ
فـــإن الـــشُّـــكـــرَ فــرضٌ في مِـــثـــالي
وجـــهـــدُ الـــمـــلِـــقـــين من الـــبـــرايـــا
تَـــشَـــكُّـــرُهُم لـــطُلاّبِ الـــمَـــعـــالي
وأهـــوى أن أعـــاوِنَـــكم فـــيـــأبَى
قـــيـــامي بـــالمـــعـــونـــة نَـــزْرُ مـــالي
أقـــمـــتم (نـــاديًـــا) فـــخَـــبَتْ بـــصـــدري
مـــــراراتي وزارَ الـــصـــفـــوُ بـــالي
لـــعـــلـــمي أنَّ في أمـــثـــالِ هـــذا
حـــيـــاةُ الـــفـــاضلاتِ من الخِلال
لـــيَـــسْـــلَمْ من يَـــجـــودُ الـــيـــومَ مـــنـــكمْ
لإيـــجـــادِ الـــنـــوادي بـــالـــنَّـــوال
ومـــا إنـــفـــاقُـــكم يـــا قـــومُ فـــيـــمـــا
يـــؤولُ بـــكم إلى خـــيـــرِ المـــآل
ســـوى سُـــبُلٍ بـــهـــا قـــد ســـار قِـــدْمًـــا
أُلـــوا الألـــبـــاب من صِـــيـــدِ الأوالي
فـــســـيـــروا راشـــدين مـــســـيـــرَ قـــومٍ
يُـــجَـــدِّدُ ذكـــرُهُم مَـــرُّ الـــلـــيـــالي
لـــقـــد بـــادتْ عـــظـــامُـــهُمُ وأمّـــا
مـــحـــامـــدُهم فـــلـــيـــست بـــالـــبَـــوالي

---

(١) قالها الشاعر بمناسبة افتتاح النادي الأدبي في سنة ١٩٢٣.

ومن أحـــيـــاهُ حُـــسْنُ الـــذكـــرِ أمـــستْ
مـــســـاعـــيـهِ وأضـــحَتْ في تَـــوال
وحُـــسْنُ الـــذكـــرِ لـــلـــعـــقلاءِ كـــنـــزٌ
يَـــرُدُّ الـــدهـــرَ عـــنه يَـــدَ الـــزوال
يـــؤول إلـى الـــزوال ســـواهُ ممّـــا
تـــهـــيم به الـــعـــيـــون من الجَـــمـــال
فـــمـــرحى لـــلـــذي يـــســـعى إلـــيه
بـــعـــزمٍ حَـــدُّهُ حَـــدُّ الـــنِّـــصـــال
لـــعَـــمـــرُكمُ شـــبـــابَ الـــقـــوم إني
لمـــســـرورٌ بـــهـــذا الإحـــتـــفـــال
فـــهـــذا الإحـــتـــفـــالُ أراهُ بـــابًـــا
إلى مـــجـــدٍ يـــؤدّي الـــقـــومَ عـــال
أكـــادُ أطـــيـــرُ من فـــرَحي بمـــا قـــد
أتـــيـــتُم يـــا بـــني وطـــني الأعـــالي
فـــقـــد جـــئـــتم شـــبـــابَ الـــقـــومِ أمـــرًا
به تـــنـــجـــو الـــشـــعـــوبُ من الـــضّلال
لـــتـــحـــيَـــوْا يـــا بـــني وطـــني فـــمـــنـــكم
يـــتـــمُّ بـــأُفْقِ آمـــالـي هِـلالـي
بـــدا فـــيه صـــغـــيـــرًا غـــيـــرَ أني
وثـــقتُ بـــأن آراهُ بـــاكـــتِـــمـــال
ولـــكن ذاك لـي إن لم تـــكُـــفّـــوا
عن المـــســـعى (لـــعـــاقـــبـــة) الـــكَلال
فـــســـيـــروا للأمـــام ولا تُـــبـــالـــوا
ولـــو دُسْـــتُم عـــلى شـــوكِ الـــسِّـــيـــال
فـــعُـــشّـــاقُ الأمـــامِ كـــمـــا عـــلـــمـــتمْ
تـــخـــوضُ له الخـــطـــوبَ ولا تُـــبـــالي

أرى أوطـــــانَ كلِّ أُلـي نـــــهــــوضٍ

تَـــصِحُّ ومـــا سِـــواهـــا فـي اعـــتلال

فـلا تَـدَعـوا الـنـهـوضَ الـدهـرَ تَـسْـلَمْ

بلادُكُمُ من الـــداءِ الـــعُـــضـــال

شـــبـــابَ الـــقـــوم مـــبـــدؤكم أراهُ

ســـيـــوغِلُ في الـــســـمـــوِّ وفي الجَلال

وذلك إن يـــكن مـــنـــكم عـــلـــيه

ثــبــاتُ الـــراســيــاتِ من الجِــبــال

وظـــنّي فـــيـــكمُ حَـــسَنٌ ألـــســـتمْ

سُلالـــــةَ أثـــبَتِ الأمم الخَـــــوالي

بـــلى أنـــتم بَـــنُـــو من لم تُـــزعـــزِعْ

ثَـــبــاتَـــهُمُ مـــخـــيــفـــاتُ الـــنِّـــزال

****

دليل المحتار[1]

دليلُكَ للمُحتار خيرُ دليلِ
وأحسنُ ما يَهدي بكلِّ سبيلِ
بأنوارِ إرشادٍ حَواها سيهتدي
جميعُ فتًى يغشى البحارَ نبيل
فشكرُكَ يا (عيسى القُطامي) واجبٌ
على كل ذي عقلٍ رآهُ جَليل
ولِمْ لا وقد سهَّلتَ فيه مَطالبًا
تَبُلُّ من المحتار كلَّ غليل
وأوضحتَ للرُّبّان منّا سبيلَهُ
بألطفِ أبوابٍ به وفصول
سَيَجزيك أربابُ العقولِ إذا رَنَوْا
إليه بشكرٍ لا يبيدُ جزيل
وعند لقاء الله يُرضيك جازيًا
وربّي بما يرضيك خيرُ كفيل
فليس يُضيعُ اللهُ من أجرِ مُحْسِنٍ
شبيهِكَ يا (عيسى) أقَلَّ قليل
ومن نال شُكرانَ الألبّاءِ محسِنًا
ونال لدى مولاهُ كلَّ جميل

(١) وهذه القصيدة قالها الشاعر بعد صدور كتاب عيسى القطامي «دليل المحتار في علم البحار» الذي صدر في سنة ١٩٢٣، وأعيد طبعه مرارًا.

فـــذاك جـــديـــرٌ أن يَـــجُـــرَّ ذيـــولَهُ

عــلـى كلِّ ســامٍ في الــفَــخَــار طــويل

ومـــا أوَّلُ الإحـــســـان مـــنك دلـــيلُ من

عَـــراهُ لـــهَـــوْلِ الـــبـــحـــرِ كلُّ ذُهـــول

ولــكن أيــاديكَ الــلــواتي بــيــاضُــهــا

يــضيءُ لــعــيــنَيْ مــبــغضٍ وخــلــيل

إذا شــئتُ أُحــصــيــهــا بِــقِــيــلي فــإنه

يَــبــيــدُ ولم يــبــلغ مُــراديَ قِــيــلي

فــكن عــاذِري يــا خــيــرَ من قــد تَــرَكْــنَهُ

فــضــائــلُهُ فــيــنــا بــغــيــرِ مَــثــيل

ومــثــلُكَ من يــلــقى اعــتــذارَ مُــقَــصِّــرٍ

شــبــيــهِيَ يــا (عــيــسى) بــكلِّ قَــبــول

****

معاذير[1]

(أبــا قــاسـمٍ) والحُــرُّ يــعــفــو إذا جَــنى
عــلـــيه أمــروٌ ثم انـــثَـــنى يَــتَــنَــصَّلُ
وأنت لــعَــمـري خــيــرُ حُــرٍّ صَــحِــبْــتُهُ
وهــذي مــعــاذيــري فــهل أنت تــقــبل؟
أتــاني بــأسـبــابِ الــصــدودِ (ابنُ أحـمـدٍ)
وبــيَّنَ لي مــا كــنتُ مــنــهنَّ أجــهل[2]
فــأقــســمتُ لا عــاودتُ مــنــهنَّ واحــدًا
وكــنــتُ إذ أقــســمــتُ لا أتــأَوَّلُ
ولــست أريــدُ الــيــوم مـنك ســوى الــرضــا
فــإنَّ الــرضــا عــنــدي أجَلُّ وأفــضَلَ

****

(١) هذه أبيات يسترضي بها الشاعر المرحوم محمد بن شملان بعد عتاب.
(٢) ابن أحمد هو المرحوم راشد بن أحمد الرومي صديق الطرفين.

خليل في منام[1]

أأنســـاك يـــا ربَّ الــفــضــائلِ والــعُلا
إذًا لا حـــواني لــلــفــضــيــلــةِ مَــنــزِلُ
أأنســـاك يـــا أنـــدى الـــبـــريَّـــةِ راحـــةً
إذاً لا حلا لي في الـــبـــريَّـــةِ مَـــنـــهَل
ولا طـــاب لي عـــيشٌ إذا أنـــا لم أَنُحْ
عــلــيك بـــأشــعـــارٍ تَـــرِقُّ وتَـــجـــزُل
ألـــستَ (عــلــيّــاً نجلَ شــمـلانَ) مَن بهِ
وجـــوهُ المــعـــالي والـــعُلا تَـــتَـــهَـــلَّل
ألـــستَ ابن (شـــملانَ) الـــذي بـــخِلالهِ
يُــفــاخِــرُ شــرقيُّ (الــكــويتِ) ويَــجْــمُل
فــان كــنتَ في جــنّــاتِ عــدنٍ مــنــعَّــمًــا
عــلى كلِّ مــا تــهــواه فــيــهنَّ تحــصُل
فــبـــين ضــلـــوعي من نَـــواك جـــهـــنَّمٌ
وذكــرُكَ يُــذكــيــهـــا دوامًـــا ويُـــشـــعِل
فــمــا مــنــبتُ الــروض الأنــيق من الــرُّبــا
عـــلـــيه أتى مُـــزْنٌ يَـــسُحُّ ويـــهـــطُل
فــأصــبح فــيه الــنــبتُ يُــثــني بــألــسُنٍ
تُـــصـــاغ من الـــزهـــر الـــبـــهيّ وتُـــعـــمَل

(١) رأى صقر الشبيب في المنام صديقه الشهيد علي بن شملان بعد استشهاده، وكان يقول له: أنسيتني يا

بـأحسنَ من حَـمـدي وشـكـري عـلـى الـنَّـدى
وكـــــفُّكَ أنــــــدى كلِّ كفٍّ وأســــــبَل
ولـكن أكُفُّ الحُـزْنِ والـعـسـرِ أصـبـحت
تـصُـدُّ قـوافي الـشـعـرِ عـنـي وتـعـضُل
فـإن يـنـكـشف عـني دُجى الـهم والأسى
ويـصـبحُ إعـسـاري بـيـسـرٍ يُـبَـدَّل
أتـيتُ بمـا عـنه يُـقَـصِّـرُ راثـيًـا
(حـبـيبُ بنُ أوسٍ) و(الـولـيـدُ) و(جَـرْوَل)[1]

****

(١) حبيب بن أوس هو أبوتمام، والوليد هو البحتري، وجرول هو الحطيئة، وهم من خيرة الشعراء.

آية الإخلاص[1]

أمَـــلي في الـــعـــيشِ قـــد كـــان قـــلـــيلْ
فـــشَـــفـــاهُ نجلُ (شَـــملانَ) الـــنـــبـــيلْ
ذو الـــحـــجـــا أعـــني (أبـــا الـــقـــاسمِ) مَن
قـــلـتُ فـــيه صـــادقًـــا نـــعم الخـــلـــيل
اســـــمه وَفْقَ مـــــســـــمّـــــاهُ أتى
وتَـــوافِي ذَيْنِ في الـــنـــاس قـــلـــيل
أنـــا لـــو قـــلـتُ بـــصـــحـــبي لم أجِـــدْ
لـه في أخلاقـهِ الـــزُّهْـــرِ مَـــثـــيل
لـم أخَفْ تـــكـــذيبَ مـــا قـــلـتُ ومن
ســـعـــيِهِ المـــشـــكـــورِ لي ألفُ دلـــيل
وجـــمـــالُ الـــســـعي لا يُـــنـــتـــجُهُ
غـيـرُ حُـسْنِ الخُـلُقِ الـسـامي الجلـيل

✲✲✲✲✲

بـــــزواج (ابنِ عـــــليٍّ يـــــوسفٍ)
لك ربّي بـــالـــهَـــنـــا خـــيـــرُ كـــفـــيل
زادك الـــــلـهُ ســـــرورًا وهَـــــنـــــا
والـــتـــقـــاك الأنسُ في كلِّ ســـبـــيل
أنـــا مـــســـرورٌ كـــثـــيـــرًا بـــالـــذي
سُـــرَّ مـــنه مـــجـــدُكَ الـــعـــالي الأثـــيل

---

(١) تهنئة بزواج يوسف بن علي بن شملان.

وســــــروري أن أرى مــــــجـــــدكَ فـي

نــعــمــةٍ تــنــمــو وفـي خــيــرٍ جــزيل

فــــــابـقَ فـي ظِلّ نــــــعــــــيمٍ وارفٍ

تحتَ ظِلٍّ مـن مــــزايـــــاكَ ظـــــلــــيل

****

وقتك عناية الله[1]

وقَـــتْكَ عـــنـــايـــةُ المـــلِكِ الـــسَّلامِ
(مـحـمـدُ) مـا اشـتـكـيتَ من الـسَّـقـامِ
وجـــازَك كلُّ سُــقْمٍ مـــنه نـــخـــشى
عـــلـــيك إلى عِـــداك من الأنـــام
فـــمـــا إلا نجـــاتُك لـــلـــمـــعـــالي
نجـــاةً يـــا (ابنَ شـــملانَ) الـــهُـــمـــام
ومـــا إلا بـــصـــحـــتِكَ المـــزايـــا
لـــهـــا مَـــنْـــجى من الـــنُّـــوَبِ الجِـــسـام
فـــان تَـــسْـــلَمْ من الأســـقـــام تـــظـــفَـــرْ
يمـــينُ أثـــيلِ مـــجـــدِكَ بـــالمـــرام
وتـــبـــتـــسمُ الـــعُلا فـــرَحًـــا ويُـــبـــدَلْ
قُـــطـــوبُ وجـــوهِ نـــاسٍ بـــابـــتـــســـام
فـــمـــذ خُـــبِّـــرْتُ سُـــقْـــمَكَ وجهُ أنـــسي
غـــدا لي بـــالـــتـــجـــهُّمِ ذا الـــتـــئـــام
فِـــدًى لكَ يـــا (ابنَ شـــملانٍ) ضـــريـــرٌ
تَـــغـــلـــغَلَ مـــنه حـــبُّكَ في الـــعـــظـــام
أحـــــــــبُّـكَ لا لأنـكَ ذو ثَـــــــــراءٍ
ومـــثـــلي لا يُـــحِبُّ عـــلى الحُـــطـــام

---

(١) قصيدة أخرى قالها عندما مرض صديقه محمد بن شملان.

ولــكن لـلــسَّــجـايــا اللآءِ تــصــبــو
إلــيـــهـــا أنـــفُسُ الـــقـــوم الـــكـــرام
فلا زارتك بــــعـــــدَ الــــيــــوم حُـــمّى
ولا أبــــقَتْ عِــــداك يـــــدُ الحِـــمـــــام

****

وشملان لي منه أياد[1]

يــقــولــون لي يــا (صــقــرُ) مــالَكَ نــادمٌ
كـــأنك طـــفلٌ قـــد دهــــاهُ فِـــطــام
تجــنَّـبْتُ مــا قــد كــان مــنِّي من الخَــطـا
وبـــين ضــلــوعي لــلــهــمــوم ضِــرام
أســـأتُ إلى (شَـــملان) بـــالــقـــولِ غِـــرَّةً
و(شـــملانُ) لي مـــنه أيـــادي عـــظـــام
وإني لأرجـــو فـــيه غـــفـــرانَ زلّـــتي
وقــد تَــغــفِــرُ الــذنبَ الــكــبــيــرَ كِــرام
فـــهل لك في غـــفـــران ذنــبيَ سـيِّـدي
لِـيَــنْــجــابَ عـــني من أســـايَ ظَلام
ولا ريبَ مَن يــعـــفـــو ويُــصــلِـحُ أجــرُهُ
عـــلى رَبِّهِ يـــومَ الجــــزاء يُـــقــــام
ولــو كــان مــنِّي الــذنبُ مَعْ غــيــرِ والــدي
لــهـــانَ، ولـــكن مَـــعْهُ فـــهـــو جُــســـام
ونُـصْـحُكَ مـثلُ الـشـمس لـكنْ جَـهـالـتي
غـمـامٌ وقـد يُـخـفي الـشـمـوسَ غَـمـام

****

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم شملان بن علي يعتذر عن هفوة لسانية صدرت منه في مجلس شملان.

حال محزن

سهرتُ أراعي النجمَ والناسُ نُوَّمُ
وبِتُّ أعاني الهَمَّ والهَمُّ مؤلِمُ
وما هَمَّني شوقٌ وما بي صبابةٌ
وما كنتُ ذا وجدٍ وما أنا مُغرَم
وكيف وذاتُ الدَّلِّ والحسنِ غادَةٌ
تغازلني طوراً وطوراً تُنادِم
فتاةٌ يحارُ الطرفُ عند جَمالها
فلا ينثني عنها ولا يتقدَّم
وقد راعَها ما بي من الهَمِّ فانثنتْ
إليَّ تجُرُّ الذَّيْلَ والليلُ مظلِم
فصارت تُواسيني وتمسَحُ مِفْرَقي
كأنِّيَ طِفْلٌ بالدَّلالِ يُنَعَّم
تقولُ وقد مالَتْ إليَّ من الأسى
حنانَيْكَ ما هذا الذي تَتَألَّم
فقلت دعيني إنّ في القلب لوعةً
وإنّ مُصابي فوق ما أتَوَهَّم
أولئكِ قومي خَيَّمَ الجهلُ فوقَهم
وأيُّ مصابٍ بعده أتعاظَم
أولئك قومي فرَّقَ الجهلُ شملَهم
وما فيهمُ فَرْدٌ يُحِسُّ ويَألَمُ

ومــــا فـــيـــــهمُ إلا الـــــكلامُ مُـــرَدَّدٌ

ومــا مــنــهمُ شـــهمٌ يــقــولُ ويُــقــدِم

فــهمْ بــعــدَ مــا كــانــوا ذواتًــا أعــزّةً

واســـمــــاؤهم بـــين الأنــــام تُـــعَـــظَّم

هــوى فــيــهمُ دَرْكُ الــشــقــاءِ فــحــطَّــهمْ

وأعـــقَـــبَـــهمْ ذُلاً وعـــيـــبًـــا يُلازم

أرى كــلــمــا ســارتْ إلى المجــد أمــةٌ

يــكــون ســراةُ الــقــوم فــيــهــا الــقَــوادمِ

فــهل يــا تُــرى قــومي إلى أين قــصــدنــا

إلى المجــدِ يــومًــا أم إلى الخِــزي نَــقْــدُم

هــوى مــعــهــدٌ لــلــخــيــر وانــهــدَّ ركــنُهُ

فــخــابت أمــانــيــنــا ومــا نــتــوسَّم

وهــا مــعــهــدٌ لــلــعــلم بــات خــرائــبًــا

فــيــا ويــلــنــا إن الــشــقــاء يلازم

بــنــوه وشــادوه بــفــضل ذوي الــعــطــا

وســعــيِ كــرامٍ لــلــفــضــيــلــة سُــلّم

فــصــار من الإهــمــال بــالجــهلِ عــامــرًا

وأنّى يــدومُ الــفــضلُ والجــهلُ هــادِم

فــيــا أيــهــا الــنُــوّامُ بــالــله يــقــظَــةً

أمــا فــيــكمُ حُــرٌّ يُــفــيقُ ويــنــدَم

أيــجــمُلُ أن نــبــقى عــلى الجــهل والأذى

وبــين يــديــنــا من سَــنــا الــفــوزِ صــارم

كــتــابٌ من الــرحــمن حــاز فــضــائلاً

وعَمَّ الــبــرايــا نــورُهُ فــتــقَــدَّمــوا

فــمــا بــالُــنــا يــا قــومُ والــنــورُ بــيــنــنــا

نــخــوضُ ظلامًــا والأذى مــتــراكِم

أغُمٌّ علينا أم بصائرُنا عَمَتْ
أم العقلَ منّا أذهبَتْهُ المآثِم
فما هذه حالٌ تكون لأمةٍ
يكون لها هذا الكتابُ المعَظَّم
فدونكمُ يا قومُ حالاً حزينةً
إلى الحُرِّ منكمْ نشتكي نتظلَّم
إلى كلِّ ذي فضلٍ إلى كلِّ ذي نُهًى
إلى كلِّ ذي سعيٍ مجدٍّ وحازم

****

البرد والشاعر[1]

أمـــا والـــلـهِ لـــولا الـــبَــرْدُ بـــيـــني

يــحــولُ وبـــين تــنــظــيــمي الــكَلامــا

لجـــئـــتُك يـــا (ابن شـــملانٍ) بـــنـــظمٍ

يُــريكَ بــأحــرفِ الــســطــرِ ابــتــســامــا

ولـــكن جَـــوْرُ حـــكمِ الـــطـــقسِ وافى

بـــبـــردٍ لا أطـــيقُ له لِـــمـــامـــا

ظـــلـــلتُ بـــزمـــهـــريـــرٍ مـــنه أشـــكـــو

كـــمـــا يـــشـــكـــو المحـــبّـــونَ الـــغَـــرامـــا

فـــلـــو أضـــحى بـــصـــدرِ الـــطـــقسِ قـــلبٌ

ولـــو حـــاكت صلابـــتُهُ الـــرُّخـــامـــا

لأوجَـــدَتِ الـــشَّـــكـــاةُ به انـــعـــطـــافًـــا

عـــلى من عـــنه لم يَـــجِـــدِ انـــهِـــزامـــا

****

---

(١) وجه هذه القصيدة إلى المرحوم محمد بن شملان وقد سقطت الأبيات الستة الأولى من الديوان الذي طبعه الأستاذ أحمد بشر الرومي، هذا والمثبت من مجموعة الأستاذ سيف الشملان.

فيا ابن شملان كم أتحفتني كرمًا

أني أعـــوذ بـــبُـــردٍ مـــنك يـــدفـــيـــني
من سَــوْرةٍ عــظُـمت في الــبَــردِ تــؤذيــني
فــإن تُــعــِـذْني بِــبُــردٍ مــنك يــدفعُ مــا
أمــسى من الــبَــردِ مــرهــوبًــا يُــعَــنِّــيــني
فــيــا (ابنَ شــملان) كم أتحــفــتَــني كــرمًــا
قِــدْمًــا بِــبُــرْدٍ لــطيفِ الــصُّــنعِ يُــرضــيــني

****

ديوان شملان[1]

مـــحلُّ الـــشـــهمِ شـــملانَ المـــفـــدّى
به لـــذَوي المـــفـــاخِـــرِ أيُّ حُـــظْـــوَهْ

به كـــانـــونُهُ يُـــدفي فـــيـــكـــفي
فـــتًى لم يـــلق في مَـــشـــتـــاهُ فَـــرْوَه

يـــــؤَجِّجُ نـــــارَهُ فـــــيه إلى أن
يُـــغـــادِرَ في حـــســـام الـــقُـــرِّ نَـــبْـــوَه

وحـــولَ الـــنـــارِ قـــد صُـــفَّت دِلالٌ
بـــهن لـــشـــاربـــيـــهـــا خـــيـــرُ قـــهـــوَه

وهل كـــالـــنـــار في المـــشـــتى إذا مـــا
بـــهـــا صُـــفَّت دِلالُ الـــبُنِّ شـــهـــوَه

بـــشـــرقيِّ الـــكـــويتِ الـــيـــومَ أمـــسى
لـــشـــملانٍ من الـــعـــلـــيـــاء نَـــدْوَه

حَـــذا بـــالمجـــد حَـــذْوَ أبـــيه قِـــدْمًـــا
وخـــيـــرُ بـــنـــيه يـــحـــذو الـــيـــومَ حَـــذْوَه

فلا انـــقـــطـــعتْ لـــشـــملانٍ حـــيـــاةٌ
ولا انـــتـــقـــضت به لـــلـــعـــمـــرِ عُـــرْوَه

......

ومـــا شُـــكـــرانُ أهلِ المـــالِ دأبي
ولـــكن شـــكـــرُ ذي كـــرمٍ ونـــخـــوَه

(١) هذه الأبيات في وصف ديوان الحاج شملان بن علي.

إذا لم يَــرْفُــدِ الــبــؤســاءَ مُــثْــرٍ
فلا أبــقى لــديه الــلهُ ثَــرْوَه
فــإبــقــاءُ الــثَّــراءِ لــدى الأشِــحّــا
بــأفــئــدةِ المــكــارمِ شَــرُّ جُــذْوَه

****

واشينا كذوب[*]

هل أتى زيـــــنبَ مــــا بـي قــــد نَــــزَلْ

لِـــــنَـــــواهــــا من سَـــــقــــامٍ وعِــــلَلْ

مــــا بــــأدنــــاهــــا لجـــســـمي من قِــبَلْ

واقــــفــــاتٍ بي عــــلى سُـــــبْلِ الأجَل

فــــحِــــمــــامي عــــاثــــرٌ بي عن قــــريبْ

خــــبِّـــروا زيــــنبَ أفــــدي زيــــنــــبــــا

أن مــــــوتي حَلَّ بي أو كَـــــــرَبـــــــا[1]

وطــــبــــيــــبي كــــاد أن يــــنــــقــــلــــبــــا

يــــائــــسًــــا مــــني، عــــسى أن تَــــقْــــرُبــــا

قــــبــــلَــــمــــا كــــوكبُ مــــحــــيــــاي يَــــغِــــيبْ

لــــــيس لي إلاّ تــــــدانــــــيــــــهــــــا دَوا

مُــــبــــرِئًــــا قَــــتَّــــالَ أدواءِ الــــــنــــــوى

مــــخــــمــــدًا نــــارَ تــــبــــاريح الجــــوى

عــــائــــدًا حــــلــــوًا به مُــــرُّ الــــهــــوى

فــــلِــــقــــاهــــا – لا ســــواهــــا – لي طــــبــــيبْ

أخــــــبــــــروا زيــــــنبَ أني مُــــــدْنَفُ

لحِــــمــــامي نــــأيُــــهــــا بي يَــــدْلِفُ[2]

(*) في هذه القصيدة (١٩) خماسية زيادة عن نفس القصيدة التي حذفناها من القسم الأول تجنبًا للتكرار.

(١) كرب: دنا وقرب.

(٢) يدلف: يمشي ويقارب الخطو متقدمًا.

وإذا مـا اسـتـحـلـفَـتْـكُمْ فـاحـلِـفـوا

ربمـــا تـــرحـــمُـــني أو يـــعـــطِفُ

قـــلـــبُـــهـــا مـــني عـــلى صَبٍّ كـئـيبْ

لِمْ تحـــمِّـــلـــني نَـــواهـــا زيـــنبُ

وهـي تـــــدري أنه لي مَـــــعـــــطَبُ

قـبـلـمـا الـواشي لـديـهـا يَـقْـلِبُ

كـــاذبًـــا أمـــرَ غـــرامي فـــاذهـــبـــوا

خـــبِّـــروهـــا أنَّ واشـــيـــنـــا كَـــذُوبْ

قـــد أتـــاني أن واشـــيـــنـــا روى

عـاكـسًـا أخـبـارَ مـا جَـرَّ الـهـوى

لـــفـــؤادي من مـــبـــيـــداتِ الـــقُـــوى

ضَلَّ واشٍ عـــنـــدهـــا بي وغَـــوى

مـــا له عن زُوره لـــيس يُـــنـــيبْ

صـــدّقت زيـــنب من واشٍ غَـــرورْ

قـــولَهُ وهـــو لَـــعَـــمْـــرُ الـــله زُورْ

أزرِ الـــلـــهم واشـــيـــنـــا الـــغَـــدُور

حـفـرةً يـشـقى بـهـا حـتى الـنُّـشـور

مـــا له فـــيـــهـــا ســـوى نـــارٍ تُـــذيبْ

قـــد أتـــاهـــا قـــائلاً صـــقـــرٌ سَلا

عـــنك يـــا زيـــنب يـــبـــغي بَـــدَلا

مـــنكِ غـــيـــداءَ له مـــنـــهـــا حَلا

مـــنـــطقٌ شـــبَّـــهَهُ لي بـــالـــطِّلا

عـصَـرَتـهـا الـفُـرْسُ من عـهـدٍ غـريبْ

بـعـد مـا شُـبِّهَ مـنـهـا بـرحـيقْ

خـبَّـأتْهُ الـفُـرْسُ من عـهـدٍ سـحـيق

مــــنــــطــــقًـــا يَـــزعُـــمُهُ جِـــدٌّ رقـــيقْ
قـــال مـــنه لـــست أصـــحـــو أو أُفـــيقْ
بــــعــــدَمـــا أوْغَلَ بي مـــــنه دَبـــيبْ
أَتْـــرَعَتْ مـــنه يمـــينُ الـــسَّـــمعِ كـــاسْ
فـــغـــدا قـــلـــبي لـــتـــيكَ الـــكـــاسِ حـــاسْ
فـــانـــثـــنى يـــرقصُ نـــشـــوانًـــا ومـــاسْ
نـــاســـيًـــا زيـــنبَ فـــهـــو الـــيـــوم نـــاسْ(١)
من هـــواهـــا كلَّ مـــا كـــان يَـــطـــيبْ
فـــانـــبـــرى صـــقـــرٌ يـــصـــوغُ الـــغَـــزَلا
بـــالـــتي عـــنكِ هـــواهـــا شَـــغَلا
مـــنه قـــلـــبًـــا لم نَـــخَـــلْهُ أوَّلا
مـــنك يـــا زيـــنبُ يـــرضى بَـــدَلا
رشـــأً خـــمـــريَّ أَلـــفـــاظٍ ربـــيبْ
قـــلتُ إذ قـــال لـــسُـــعـــدى انـــقـــلَـــبـــا
وانـــثـــنى قـــلـــبي لـــهـــا عن زيـــنَـــبـــا
وأطـــاب الـــقـــولَ فـــيـــهـــا مُـــسْـــهِـــبـــا
واصـــفًـــا أطـــيَـــبَـــهـــا فـــالأطْـــيَـــبـــا
إن هـــذا مـــنكَ يـــا «صـــقـــر» عـــجـــيبْ
كـــيـــف عن زيـــنبَ هـــاتـــيكَ الـــتي
طـــالمـــا بـــالـــوصلِ مـــنـــهـــا أحـــيَتِ
لكَ نـــفـــسًـــا من ســـرورٍ مـــيِّتِ
مِـــقْـــوَدَ الحُبِّ إلـــيـــهـــا ثَـــنَتِ
منكِ سُـعـدى فـانـبـرى «صـقـرٌ يُـجـيب»
مـــلـــكت زيـــنب من حـــبي الـــعِـــنـــانْ
قـــبل أن تـــقـــرَعَ حـــوراءُ الجِـــنـــانْ

(١) من النسيان.

مسمعي منها بلفظٍ كالجُمان
فلسُعدى لا سوى سُعدى الجَنانْ
والنُّهى منّي وروحي والنسيبْ
فلساني ليس واللهِ يقولْ
بسواها غزَلاً يسبي العقولْ
رِقَّةً حتى مَناياي تَحولْ
بين نُطقي وقريضٍ لي ذَلول
هكذا قال لها الواشي الدَّبوبْ
قَطَعَ اللهُ لساناً كذَبا
فثَنى بالكِذْبِ غضْبَى زينبا
فَرَمَتْ قلبي بسهمٍ ما نَبا
مِن نَواها رَدَّ قلبي شُعَبا
ونَوى زينبَ لي شرٌّ شَعوبْ
أبلغوا زينب عني أنني
لست عن حبي لها بالمنثني
قبل أن ألبَسَ مَيْتًا كفَني
بل وحتى يوم يحوي مدفَني
أعظُمًا مني بها الحُبُّ رَسوبْ
فهوى زينبَ مني في العظامْ
راسخٌ ما لم تَبِدْ تحت الرَّغامْ
أعظمٌ مني تَرَوَّتْ بالهُيامْ
في هوى مُلبستي ثوبَ الغرامْ
ضافياً زينبُ مولاةُ القلوبْ
رُبَّما أذكُرُ سُعدى أو سُعادْ
في نسيبي وَهْيَ واللهِ المُرادْ
خوفَ واشٍ لم يزل صَبَّ الفؤاد
بشتاتِ الشملِ أو نقضِ الوِداد
لا تَخَطَّتْ قلبَ واشينا الكُروبْ

فــأتت زيــنبَ رُسْــلي مُــبْــطِــلــينْ

مـا روى عـني لـهـا الـواشي الـلَّـعـينْ

فـألانــوهــا ومــا كــادت تــلــينْ

بـيـمـينٍ أتـبَـعـوهـا بـيـمـينْ

أنه مــا لي ســواهــا من حــبــيبْ

فـانــثــنت زيــنبُ عــني ســائــلَهْ

فـأجـابـوا بـدمـوعٍ ســائــلَهْ

حـالُهُ مــنــذ الــتــنـائي حـائــلَهْ

ومــنــايــاهُ لــديه مــاثــلَهْ

يــتــهَــيَّــأْنَ عــلــيه لــلــوُثــوبْ

لـو رأيـتـيهِ عـلى فُـرْشِ الـسَّـقـامْ

يـشـتـكي داءَ تَـنـائـيكِ الـعُـقـام[١]

لحــســبتِ أنه نَــجْلُ حِــزام

عــروةٌ أو قــيسُ لــبــنى حــينَ هـام

قــلــبُهُ في حُبِّ لُـبْـنـاهُ الـعَـروبْ[٢]

فـاتَّـقَتْ زيـنبُ أن يـغـشى الـمَـنـونْ

عـاشـقًـا صـبّـاً لـهـا وافٍ أمـينْ

فـأذالَتْ غـالِيَ الـدَّمْعِ الـمَـصـونْ[٣]

وانـبـرَتْ تـلـعنُ واشـيـنـا الخَـؤونْ

ثـائـرًا مـنـهـا عـلى الـواشي عَـكـوب[٤]

---

(١) الداء العقام: الذي لا يبرأ.

(٢) عروة بن حزام: من عشاق العرب عشق عفراء وكذلك قيس بن ذريح عشق لبنى والمرأة العروب العاشقة لزوجها المتحببة له.

(٣) اذالت الدمع: اهانته بأن أرسلته.

(٤) العكوب: الغبار.

ثم أعـطـتــهم قــمـيـصًــا مُـعْـلَــمـا

مَسَّ من زيــنبَ جــســمًــا نَــعُــمــا

وأعـــادتـــهم بـه لي مـــفــعَــمـــا

من شــذا زيــنب يــجـلــو الــسَّــقَـمـا

وأتت زيـــــنبُ إذ نـــــام الـــــرقـــــيبْ

فـتـعــاتــبـنـا عـتـابًـا لـو خَـطَـرْ

بـفــؤاد الــنـذلِ واشـيـنـا انْـفَـطَـرْ

وتـــعـــاهَـــدْنـــا عـــلى أن لا نَـــذَرْ

لِــوَشــايــاهُ بـسـمـعَـيْـنـا مَـمَـرْ

فــهْيَ لــلــحُبِّ هيَ المــوتُ الــرَّهــيبْ

وتـنـــازَعْــنــا كــمــا نــهــوى مــقــالْ

يُــشــبِهُ الــدُرَّ أو الـــسِّـــحْـــرَ الحَلالْ

أو قـــديمَ الـــراحِ بـــالمـــاء الـــزُّلال

بل حــكى في الحــسن مــنه والجــمــال

شــكـرَ (صـقـرٍ) لابنِ (شـملانَ) الـنـجـيبْ

فـــأبـــو (قـــاسمٍ) الـــنَّـــدْبُ المجـــيـــدْ

فــيه يــحـلــو من قــوافِيَّ الــنَّــشـيــد

مــودِعـــاتٍ فــيه شـــكـــرًا لا يَـــبـيـــدْ

خـــالـــدًا مـــا دام لـــلـــضَّـــادِ خـــلـــود

في شَــعــوبٍ من شَــعــوبٍ عن شَــعــوبْ

طــاب فــيه الحــمــدُ مــنّي حــين طــابْ

مـــنه نـــيْلٌ عَـــزَّني فـــيه الحِـــســـاب

رَدَّ مـــحـــطـــومًـــا به عـــنِّيَ نـــابْ

فَمِ دهـــرٍ عن عِــضـــاضي مـــا أنـــاب

قـــبل أن تُـــدركَـــني مـــنه الـــشُّـــيـــوبْ

يــا لــهــا مــني سُـيُـوبًـا لم تَـزَلْ
تُـشْـبِهُ الـغـيثَ إذا الـغـيثُ انـهَـمَلْ
زارني مــنــهــا ســروري وارتَـحَلْ
كلُّ همٍّ في فـؤادي لــو نَــزَل
بـالـصَّـفـا فـتَّـتَه وهـو صَـلـيبْ
قـد كـسـاني من عـطـايـاه زَرَدْ
قَـدَّر الـسَّـرْدَ بـهـا حـين سَـرَدْ
فـأتت يـعـشـقُـهـا كلُّ أحَـدْ
بـدَّدَتْ عَـنِّيَ مـا كـان حـشَـدْ
من هـمـومٍ حـولي الـعُـسـرَ تُـشـيبْ
لم تـشبْ مـنه عـطـايـاهُ الـلَّـواتْ
علَّـمَـتْـني كـيف تحـلـو لي الحَـيـاةْ
بـين أقـوامـي بِـمَنٍّ أو أذاةْ
فـات مـنـهـا صَـفـوُهـا كلَّ قَـذاةْ
والـعـطـايـا من أهـالـيـهـا عُـيـوبْ
فـفـداهُ مُـتْـبِـعـو الـمَنِّ بِـمَنْ
إنمـا الـمَنُّ مـعـيـدٌ كلَّ مَنْ
هَـبْهُ سـلـوى مـا به مَنٌّ ومَنْ
مِـحْـنَـةٌ كـبـرى بـعـيـنَيْ كلِّ مَنْ
يَـدُهُ تحـويه إن كـان لـبـيبْ
وفَـداهُ كلُّ ذي يـسـرٍ ثَـنى
مِـقْـوَدَ الإحـسـان عن مـثـلي أنـا
شـاكـيًـا من عـسـرِهِ كلَّ عَـنـا
لاعِـنًـا ممـا يـقـاسي الـزَّمـنـا
زاهـدًا فـيه من الـعـيشِ الـنَّـصـيبْ

قـــائلاً يـــا ربُّ مـــا الحـــكـــمـــةُ في

عـيشِ ذي الـعـسـرِ الـمُـضـيق المـقـتـفي

في زمـــانٍ مـــكـــثـــروهُ لا تَـــفـي

لمـــقـــلِّـــيـهِ بـــشـيءٍ يـــنـــتـــفي

عن مـــقـــلِّـــيـهِ به الجـــوعُ الـــمَـــهـــيبْ

أرِني يـــــا ربِّ وجهَ الحِـــكـــمـــةِ

إنـــــني في حـــيـــرةٍ قـــد أعـــمَتِ

مـــقـلـــتَيْ عـــيـــني وعـــيـــنَيْ فـكـــرتي

مـــنـــذ ألـــقت فـــوق رأسي عـــســـرتي

كـــلـــكلاً أوسعَ أحـــشـــائي نـــدوبْ

ربمـــــا حـــــين أرى تــــلك الحِـــكَمْ

في لـــيـــالي عـــيـــشيَ الـــدّاجي الأحَمْ

يـــنـــثـــني لي من عـــزائي مـــا انـــهـــزَمْ

نـــافـــيًـــا عـــني ولـــو بـــعض الألم

مـــاسِـــحًـــا من أدمُـــعي كلَّ صـــبـــيبْ

وأتِحْ يـــــا ربِّ لي الـــــيـــــومَ جَـــــوادْ

مـــتـــبِـــعًـــا مـــنه الأيـــادي بـــالأيـــادْ

مـــغـــرمًـــا مـــنه بـــإنـــعـــاش الـــفـــؤاد

مـــغـــدِقًـــا إغـــداقَ مُـــنْـــهَلِّ الـــعِـــهـــاد

ســـاكـــبًـــا حـــلَّت عـــزالـــيه جَـــنـــوبْ

مـــثـــلـــمـــا قـــد كـــنتَ يـــا ربِّ مُـــتِـــيحْ

لأخي (صـــــقـــــرٍ) وقـــــد كـــــاد يـــــروحْ

عـــســـرُهُ يـــحـــدو به نـــحـــو الـــضَّـــريحْ

نجلَ (شـــملانٍ) أخـــا الـــبـــذل الـــسَّـــمـــوح

واسعِ الـــفـــضلِ بمـــوهـــوبٍ رَغـــيبْ

فـانـثـنى (صـقـرٌ) وقـد كـان الحِـمـامْ

مُــنْــيَــةً كـــبـــرى لـه بـــين الأنـــامْ

قـــبل أن يُـــســـعِــدَهْ هـــذا الــهُـــمـــامْ

إذ رأى الـــعـــيش هـــو المـــوتُ الـــزؤام

لــــمُـــقِلٍّ أقـــفَـــرَتْ مـــنه الجُـــيـــوبْ

يـــتـــمـــنَّى أنَّ مَـــحـــيـــاهُ يـــطـــولْ

إذ ثـــنـــاه نجلُ (شـــملانَ) الجـــلـــيلْ

بـــالـــذي أدّى من الـــنَّـــيْل الجـــزيلْ

رائــقًـا عــذبًـا خـفـيـفًـا وجـمـيل

صـافـيًـا خِـلْـوًا من الـرَّنْقِ الـمَـعـيبْ

فـــإذا مـــا رَدَّ لي مـــنه الـــنـــدى

من ســـروري كلَّ مـــا قـــد فُـــقِـــدا

فـــأعِـــدْني مـــثلَ (صـــقـــرٍ) إذ غـــدا

مـــنـــشـــدًا من شُـــكـــرِهِ مـــا أنـــشـــدا

لأبي (قـــاسم) المـــعـــطي الـــوَهـــوبْ

فـــعـــسى أنّي إذا مـــا سَـــكَـــبـــا

من نـــداهُ في جـــيـــوبي سُـــحُـــبـــا

هُـــمَّـــعًـــا أُوفـــيهِ شـــكـــرًا وجَـــبـــا

تـــالـــيًـــا مـــنه عـــلـــيه كـــتُـــبـــا

كـــلُّـــهـــا لـــيس إلى مـــحـــوٍ يـــؤوب

قـــلت إذ قـــال كـــذا ذاك الـــفـــقـــيـــرْ

أوْجِـــزِ الـــقـــول فـــذا مـــا لا يـــصـــيـــرْ

فـــمـــحـــالٌ لابن شـــملانٍ نـــظـــيـــرْ

في نـــداهُ المخـــجلُ الـــغـــيثَ الـــغـــزيـــر

ومـــحـــالٌ ليَ في الـــشـــكـــرِ ضـــريبْ

ثـم أنـي بـــــعـــــد ذيّـــــاك المـــــقـــــالْ

قـــلـتُ لا بـــأْسَ فـــألحِفْ بـــالـــســـؤالْ

أنـه لـــــيس عـــــلـى الـــلـه مُـــــحـــــالْ

ربـمــا يــعــطـيك مــا كــان اســتَــحــال

مــنك قــلــبًــا عــبَــثَتْ فــيه الخُــطــوبْ

****

خاتمة

هكذا انتهى بنا المطاف مع شعر شاعر الكويت صقر الشبيب، الذي ترك لنا ذخيرة من شعره صورت حاله، وعرفتنا بأوضاع البلاد في وقته، كما وجدنا ذكر عدد من رجال الكويت وقد ذكرهم في قصائد تدل على صلته بهم وتقديره لهم.

بقي أن نقول إننا أخذنا على الشاعر بعض الملاحظات التي تعتبر طفيفة بالنسبة لشاعر مثله، وبالنظر إلى المقدار الكبير من الإنتاج الشعري الذي جاد به طوال حياته. ولعل أهم ما كان القارئ يتوقف عنده ذلك التقديم والتأخير الذي يربك الصياغة ويؤخر فهم الشعر، أضف إلى ذلك صعوبة سبكه لبعض الأبيات وبخاصة تلك التي لها جانب فكري يستعصي على الشاعر التعبير عنه بالسهوله المطلوبة في أشعار الشعراء.

ولئن كان ذلك كذلك فهو معذور معذرة تامة لأنه لا يكتب شعره بيده، ولا يقرؤه بعينه، ولكنه يحفظ ما يُكتب ثم يمليه، ولذلك فإنه يصعب عليه القيام بتنقيح ما يُكتب كما يفعل غيره من الشعراء، ومنها برزت بعض الملاحظات التي يجدها قارئ شعره في بعض الأبيات. صحيح أننا نجد في الديوان بعض الأبيات وقد جاءت في الهامش برواية مختلفة تدل على المراجعة إلا أن هذه الحالات قليلة جدًا، وكانت بقدر ما سمحت به ظروف الشاعر.

لكل ذلك فإننا نجد له كل العذر في الأبيات التي سقنا بعضًا منها على سبيل المثال وذكرنا أن فيها بعض تقديم وتأخير أو جملاً معترضة توثر على فهم القارئ للقصيدة.

ويبقى صقر بن سالم الشبيب شاعرًا كبيرًا لا يشق له غبار. ويبقى ديوانه سجلاً لزمنه. ففي شعره تتجلى ثقته بخالقه الرحيم، وتساميه على نوازع الشر، والدعوة إلى

التآلف بين الناس واليقين بأن الله وحده هو واهب النعم في الدنيا والآخرة ولا فضل لأحد من خلقه في توزيع الرحمات على العباد، وفيه إيمان بالرسول الأعظم، وتقدير لدوره في هداية البشر، وشكوى إليه من كل مدع مغرور أو ضال مضل لغيره، وأمل في زوال الجهل والفساد.

كما تتجلى في شعره يقظة الضمير، ويتبين الإحساس بمعاناة الناس وآلامهم، وهذه لا يستشعرها إلا من عانى مثلهم آلام الفقر والمرض، وشدة الحاجة إلى المساعدة، إنها الإنسانية في أعلى معانيها بل هي الحساسية المفرطة تجاه ما تفرزه الحياة يوميًا من آلام.

نراه أحيانًا زاهدًا في الحياة، آملاً في الراحة الكبرى، يفضلها على أيام حياته الطويلة العامرة بالقسوة، وقد يكون ذلك مخالفًا لما نهى عند الإسلام من تمنٍّ للموت، ووجوب طلب الاستغفار.

ونراه يتحدث عن أثر الإيمان في التربية الإنسانية القادرة على مواجهة الشدائد، وعن دورها في البناء المتتابع لسلوك الإنسان.

وهو مؤمن بالأجل، وأن لكل أجل كتابًا، وهو غير مؤمن بالأفكار المستوردة المبنية على الحلول أو تناسخ الأرواح مما يتناقض مع صريح الدين الإسلامي.

والشاعر وهو يواجه عددًا من المهاجمين، الذين لم يتورعوا عن إلقاء التهم عليه يؤمن بأن الشر لا بد وأن يلاقى بمثله، وأن البادي أظلم. ولكنه يؤكد أن ما قاله من شعر تجاه أولئك المناوئين لم يكن هجومًا عليهم ولكنه دفاع عن نفسه، ودفعه إليه يقينه بصحة مواقفه. ومع إقراره بذلك فإنه يرى أن الهجاء خطيئة فادحة مشتركة يكتوي بنارها الطرفان، لأنهما في الحقيقة طرف واحد ينتمي إلى أرومة واحدة وأصل واحد.

وصقر الشبيب يدرك ببصيرته أن الدنيا سراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يدرك منه شيئًا، ولذا فهي لا تستحق اختلاف الناس على امتلاك ما فيها من ماديات.

ومن أجل ذلك فهو يعيب على قومه الأخذ بالمظاهر البراقة، وتماديهم في إلقاء التهم على بعضهم. لأنه يؤمن بأن من الواجب معايشة متغيرات الحياة، وتحديها، مع الاستمساك بحبل العلم، لأنه وسيلة التقدم المضمونة، وهو بذلك ينظر إلى الحياة نظرة متقدمة وكأنه يعيش في يومنا هذا، وهو يرى أن العاقل هو من اتعظ بأحداث الأيام والليالي وما صاحبها من خطوب، لأن ما يعرض للإنسان من أمور في حياته ومعاشه يُحيي في قلبه قيمة العدل الإلهي، ويدعوه إلى إعمال عقله في كل ما يفعل من أمور.

وإذا استكملنا آراءه التي بثها في قصائده، وهي آراء تؤكد قيمة الإنسان وضرورة استقامته وحسن معاملته لغيره. كما تحث على الصدق وحسن المعاملة، وتدعو إلى الرقي في أساليب التعامل مع الغير، فإننا سوف نجد كنزًا من الأفكار التي تنير الطريق أمام السالكين، وهي في الوقت نفسه تثبت ما لهذا الشاعر من قيمة، وتؤكد أنه وإن كان معتزلاً، لا يخرج من بيته ولا يختلط مع أحد وبخاصة في سنواته الأخيرة، إلا أنه شديد الإحساس بقضايا الناس وبحاجات البلاد التي أكد أنه لا يمكن أن يقضيها إلا المتنورون.

****

فهرس القوافي

ستبقى على الأحقاب حُقْبًا إلى حُقْبِ	خيالاً على رغم المنى وحدةُ العُرْبِ	١٤٥
لقد أنعشَتْ مصرُ رجاءَ بني العُرْبِ	فأثنى عليها منهمُ كلُّ ذي لُبِّ	١٥٠
يُخَيَّلُ لي أني ثقيلٌ على الأُلى	أزور من الصِّيدِ الأُلى وَدُّهُمْ قلبي	١٥٧
أثنى عليك مُحِقّاً مقوَلُ الأَدَبِ	يا من نماهُ لخيرِ الرُّسْلِ خيرُ أبِ	١٥٩
نَشْءَ الكويتِ صِلوا بالجد والدَّأَبِ	ما يَستجِدُّ من الأيام والحِقَبِ	١٦٣
ذكرتُمُ كلَّ شيءٍ كان مقتضِيًا	إصلاحَكُمْ ونسيتُمْ خادِمَ الأَدَبِ	١٦٦
بين (شكري) و(جمالِ) العَرَبِ	خيرُ حِلْفٍ موصلٍ للأرَبِ	١٦٧
أ عَبْدَ المحسنِ القاضي بعدلٍ	وفصلٍ في القضيَّةِ والخِطابِ	١٧٢
لعبدِ المحسنِ الحُرِّ اللُّبابِ	تحمّلْ ما تُطيق من العِتابِ	١٧٧
عليك أثرتُ ريحًا من عتابي	لتمري منك أخلافَ السَّحابِ	١٨٧
أحاولُ أن يكون على الكتابِ	من المنثور مُشبِهَهُ جوابي	١٨٩
أبوحُ بعيب محبوبي ولكن	إليه حين أخلو بالحبيبِ	١٩٠
بني يعربٍ من فاتَهُ أمسِ سَلُّهُ	حسامًا به عن قومه يُحسِنُ الذَّبّا	١٩١
يريد الذي في الغربِ أن يفنيَ العُرْبا	جميعًا ولكن الذي في السَّما يأبى	١٩٥
كُلوا عَنْزَكُمْ من قبلِ أن تُفنِيَ الكُتْبا	وتُحدثَ أمرًا ثانيًا يُسخِطُ الصَّحْبا	١٩٦
دَعُوا الجزائرَ تلقى الويلَ والحَرَبا	ثم ادَّعوا أنكم ما زلتمُ عَرَبا	٢٠٩
ما زلتُ أشكو من زماني نُوَبا	تُغادر الطفل الرضيعَ أشيَبا	٢١٦
وشَرُّ أغربةِ التفريقِ من جعلوا	للارتزاقِ من العِمّاتِ أسبابا	٢٢٤
أرضى وأغضَبَ تصريحُ المقال كما	تقضي الصراحةُ إرضاءً وإغضابا	٢٢٦
شَبَّ هذا الفُلكُ من بعد المشيبْ	وصِباهُ بعد ما شاب عجيبْ	٦٠٣
أذابَ فؤادي منكِ هذا التجنُّبُ	فبات دمًا من مقلتي يتصَبَّبُ	٦٠٤
دَعُوا العواطفَ لا تقفوا لها أثَرًا	واقْفوا عقولَكُمُ سَلْبًا وإيجابا	٦١٤
لهجركَ يا (ابنَ شملانَ) التهابُ	بقلبٍ ما لَهُ عنكَ انقلابُ	٦٤٦
نسيمُ الصَّبا أشهى إليَّ وأعذَبُ	نسيمُ الصَّبا عندي ألذُّ وأطيَبُ	٦٥١
لئن قَلَّتْ صحائف ذا الكتابِ	أيا (عيسى القُطامي) في الحسابِ	٦٥٧

قافية التاء

على غيرِ صافي الهوى ما انطويتْ	وطوعَ سوى أمرِهِ ما جريْتْ	٢٢٩
عَـرَتْـني وحشـةٌ من كلِّ حُـرٍّ	وعبدٍ في البرية فانفردْتُ	٢٣٤
إن كان لا يَظْفَرُ بالجَنَّةِ	إلا امرُؤٌ مثلُكَ ذو جِنَّةِ	٢٣٥
ما تذكرتُ سالمًا قَطُّ إلا	وتَجارَتْ لذكرِه عَبَراتي	٢٣٦
كَسَا عبدُالعزيزِ الشهمُ أضفى	ثيابِ الفخرِ موطنَهُ الكُوَيْتا	٢٣٨
أظَلَّتْني بشرقِيَّ الكويتِ	خُطوبٌ ألزمَتني قَعْرَ بَيْتي	٦١٦
أ(خالِدُ) ما هذا اقترافُ قرفتهُ	وإن (عدَّها) غيري من القَرَفاتِ	٦٥٩

قافية الثاء

أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً	يكون بها حولي صديقٌ أحادِثُهْ	٢٤١
لكلِّ سهامِ موجعةٍ فؤادي	أراهُ في الكويتِ غدا نَجِيثا	٢٤٥

قافية الحاء

دَعَتْنِيَ حاجاتي إلى مَدْحِ معشَرٍ	فجئتُ إليهم طوعَ حاجِيَ أمْدَحُ	٢٤٧

قافية الدال

ما كنتُ أغبِطُ مذ أربْتُ سوى الذي	ما كان قَطُّ ولن يكون مدى الأبَدْ	٢٤٨
لو كنتُ ممَّن في طبيعتِهِ الحَسَدْ	لحَسَدتُ دون الناس شاعرَنا فَهَدْ	٢٥٣
أتتركُني ما بين يأسِيَ والرَّجا	ومن أحَدِ الضدَّيْنِ عندكَ لي بُدُّ	٢٥٦
ما في الصَّفاةِ لذي عَمًى	مثلي أمورٌ تُحْمَدُ	٢٥٧
إذا نَجَمَ الصريحُ بأرض قومي	فإن جزاءَهُ منهم نَآدُ	٢٥٨
أيرفعُ رأسَهُ العربيُّ يومًا	إذا امتَلكتْ فلسطينَ اليهودُ	٢٥٩
إن شَجاكم منّي الأنينُ المَديدُ	فعذابي بالفقرِ جِداً شديدُ	٢٦٧
كنتُ لو لم أعَلِّل النفسَ ممَّنْ	غَيَّبَتْ منهمُ الجسومَ اللُّحودُ	٢٧٦
يَروعُ فؤادي بالجَفا من أودُّهُ	إذا لم يَرُعْ منه فؤاديَ بُعْدُهُ	٢٨١
رَفَعَ اللهُ مجدَ بيتِ الضَّادِ	وذَويها منهُ بخيرِ عِمادِ	٢٨٣
كلَّما زرتُكم أمَرتُم بشيءٍ	مثلُهُ يقتضي مزيدَ الوِدادِ	٢٩١

قافية الراء

أتخشى أن يُذيعَ الشعرُ يومًا	- إذا ما - جئتُكَ الهفواتِ جَهرا	٦٨١

قافية الزاي

يا من له جِدَةٌ عن حاجةٍ فَضَلَتْ	ألا تُغيثُ بشيءٍ شاكيَ العَوَزِ؟	٤١٦

قافية السين

أمعَنَتْ في النَّفْرِ عني ظبيةٌ	كان بالأمس لها حِجري كِناسْ	٤١٨
لحى الله دنيا لا أراها وفيّةً	لنوعٍ من الأحياء فيها ولا جِنْسِ	٤٢٢
تأملتُ أديان البريَّةِ كلَّها	فما رَكَنَتْ إلا لإسلامِها نفسي	٤٢٤
بالرغم مني كنتُ أمسِ مُقصّراً	في واجبي نحو الزعيمِ التونُسي	٤٢٨
إني هممتُ بأن أقبِّلَ أنْمُلاً	رُكِّبْنَ في يُمنى الزعيم التونسي	٤٣٢
هذا وبين جوانحي ما بثُّهُ	إيّاك عنّي الآن خيرُ مُنَفِّسِ	٤٣٣
ما في «أوالِ» ولا في الساكنينَ بها	من موضعٍ لهجا الهاجي ولا باسِ	٤٣٤
ما كنتُ أحسبُ قريةً بجمالها	تُنسي الحبيبَ مُحِبَّهُ في الناسِ	٤٣٨
وظَنِّيَ أن الله عنكَ مفرِّجٌ	وشيكًا فلا تُنْزِلْ جوانحَكَ اليأسا	٤٤٠
أأقطَعُ برهةً خِلاً، ودادي	عليه قبلُ كادَ يكونُ حَبْسا	٤٤٢
يا بائعَ الغازِ رُبْعَ الرُّبْعِ من مئةٍ	مما تقوم به من دَقِّكَ الجَرَسا	٤٤٦

قافية الشين

رَمَوْا عن قوس كِذْبِهِمُ سهامًا	بريش سفاههم كانت تُراشُ	٤٤٩

قافية الصاد

حبيبِيَ قد واعَدْتَني بزيارةٍ	فهل لك حتى الآن لم تَسْنَحِ الفُرَصْ	٤٥٢
ولو علموا أنَّ القُنوعَ هو الغنى	وأنِّيَ منه مالكُ أوفَرَ الحِصَصْ	٤٥٣

قافية الضاد

نهاري وليلي لم أزَلْ لكَ ذاكرًا	ولكنْ جَريضي حالَ دون قَريضي	٤٥٥

قافية العين

طُبِعْتُ على غيرِ الذي قد طُبِعْتُمُ	عليه فما طولُ اعتزاليكُمُ بِدْعُ	٤٥٧
هذا خيالُ أمرئٍ مذ شَبَّ ما اشتملت	على المسَرَّةِ حتى شابَ أضلُعُهُ	٤٥٨
يومَ الخميسِ لبستَ ثوب خَدوعٍ	حتى حسبتُك غُرَّةَ الأسبوعِ	٤٥٩

قافية الميم

سهرتُ أراعي النجمَ والناسُ نُوَّمُ	وبِتُّ أعاني الهَمَّ والهَمُّ مؤلِمُ	٦٩٦
أما واللهِ لولا البَرْدُ بيني	يحولُ وبين تنظيمي الكَلاما	٦٩٩

قافية النون

أراكَ عَلَيَّ بالمَلقى بخيلاً	وشيمتُكَ السماحةُ للمُواطِنْ	٥٦٦
يَضُرُّ النُّصْحُ في هذا الزمانِ	فيا ليتي خُلِقْتُ بلا لِسانِ	٥٦٧
ما زلتُ أسمعُ لحنَ ذا اللَّحَّانِ	حتى لكِدتُ أذوبُ من أشجاني	٥٦٩
أعلمتَ ما قاسى من الأشجانِ	مذ غبتَ يا عبدَالعزيز جَناني	٥٧٧
أوَدُّ بأنّي لا أفارقُ مجلسًا	أراهُ لسيفِ المجدِ منك اغتدى جَفْنا	٥٨٢
نبذتُ من الإخوان كلَّ مُداهِنِ	لعَيْبِيَ عَنِّي بالتجَمُّلِ دافِنِ	٥٨١
كأنهم مُنِحوا خُلْدَ الحياةِ فما	تنتابُ منهم عَوادي الموتِ حُسبانا	٥٨٤
أقَدِّمُ لابنِ أحمَدَ كأسَ شايٍ	وَوُدّي أن أمُدَّ له خِوانا	٥٨٧
قد كساني أبوكَ أمسِ كساءً	من نَداهُ فابتزَّنيه الزمانُ	٦٣٧
أني أعوذ ببُردٍ منك يدفيني	من سَوْرةٍ عظُمت في البَردِ تؤذيني	٧٠٠

قافية الواو

يَظُنّونَ أن الشِّعرَ مهما دَعَوْتُهُ	تُلَبِّي قوافيهِ وتأتي كما أهوى	٥٩٢
محلُّ الشهمِ شملانَ المفدّى	به لذَوي المفاخِرِ أيُّ حُظْوَهْ	٧٠١

قافية الياء

يا رئيسَ البلديَّه	لا أصابَتْكَ بَلِيَّهْ	٥٩٤

المحتوى

الديـوان

****